



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان -
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم:التاريخ

تخصّص: تحقيق المخطوطات

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم موسومة بــــ:

شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار

علي بن داود الشريف البوعناني المطماطي

-تحقيق ودراسة-

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الرتبة	الصفة
أ.د.شعيب مقنونيف	تلمسان	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أ.د.زريوح عبد الحق	تلمسان	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
د.آيت حبوش عبد الحميد	وهران	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا
د.عثمان بلخير	تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا
د.فتح الله بن عبد الله	المسيلة	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا
د.مختار بونقاب	معسكر	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا

السنة الجامعية: 2018-2019

إهداء

الى والديّ الكريمين

الى جنتي أمي بارك الله في عمرها ومد لها فيه وأعانني الله على برها ورضاها

الى حبيبي سيدي أبي الذي كان خير سند ورفيق لي في عملي هذا ورحلاتي حفظه الله لي

الى من دعمني وامن بي ساندني تحمل و كمل نقصي

الى إخوتي محمد وعمر وأخواتي رفيقة نورية

الى أحفاد وحفيدات عائلتنا

الى كل زملاء طلبة العلم

أهدي ثمرة جهدي وعملي هذا تقبله الله منا

شكر وتقدير

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والاحترام الى أستاذي الكريم

الأستاذ الدكتور عبد الحق زريوح

الذي لن يكفيه كل كلام الشكر والثناء مهما كان

على كل ما أسداه لي من معروف ما قدمه لي من دعم وتوجيه

خاصة على صبره على ونصحه لي طيلة إشرافه على هذا العمل

واشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في انجاز هذه الرسالة

اشكر أستاذي الأستاذ مختار حساني على مساعدته

الى أستاذتي وأختي الأستاذة سعاد يمينة شبوط

الى اللجنة الموقرة عل تعب قراءة الأطروحة هذه وإبداء ملاحظتهم وتصويباتهم

الى كل اساتذني في قسم التاريخ بجامعة تلمسان الذين احترمهم

الى السيد مدير قسم المخطوطات بمكتبة تونس الوطنية

الى جميع من ساهم في إتمام هذا العمل شكرا للجميع

المختصرات:

تسهل المختصرات والرموز عمل الباحث وهذا بسبب أهميتها ودورها الكبير على دلالاتها الكثيرة، فهي ذات صبغة سيميائية فعلى الباحث أو المحقق أن يهتم بها ليكون عمله في أحسن حلة علمية .

ومن الرموز التي استعملتها في هذا العمل نذكر منها:

الرمز	توضيحه (دلالته)
{.......}	اية قرآنية
« »	حديث نبوي شريف
(....	كلام سابق
....)	كلام تابع
"أ"	النسخة الأولى (الأصل أو الأم)
"ب"	النسخة الثانية
[ ]	ما لم يرد في الأصل
ط	طبعة
دط	دون طبعة
دت	دون تاريخ
طخ	طبعة خاصة
ص	صفحة
تر	ترجمة
ت	تحقيق
ج	جزء
ع	اعتنى به

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات,الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ,الحمد لله الذي كرم العلم وجعله أول ما نزله على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فقال له اقرأ,وسبحان العليم الذي جعل من العلماء ورثة الأنبياء,وصلى الله على رسولنا البشير وعلم تسليما عليه وعلى أهله وصحبه صلاة تشفع لنا و ترتقي بنا جواره في جنة النعيم.

أما بعد:

المخطوطات هذه الكنوز التي تفخر بها الشّعوب والأمم لما تحمل وتُعبّر عن حقب تاريخية مضت خلّدها الإنسان بهذه الكتابات التي تصوّر عن أعماله، انشغالاته وتصوّر حياته اليومية وتجسّدها على الشّكل الذي كانت عليه وهي مادّة خام للبحث والتّنقيب والاطّلاع.

ومن أجل الاستفادة منها عمل الباحثون على الاعتناء بالمخطوطات من فهرسة ودراسة وتحقيق ، وقد شملت هذه المبادرة العديد من المخطوطات، فأصبحت في متداول الجميع طلبة وباحثين في مختلف التّخصّصات والعلوم وأسّست فرق بحث ونوادي ومخابر اعتنت بفهرسة المخطوطات الموجودة في مختلف الخزائن والمكتبات.

والجزائر كغيرها من بلدان العالم تزخر بكم هائل من المخطوطات في شتى مجالات العلم والمعرفة تحفظ في طياتها نتائج مختلف الفترات التاريخية التي مرت بها الجزائر والتجارب العلمية والفكرية ,و منتشرة في مختلف أنحائها ومحفوظة في أماكن عديدة من زوايا ومكتبات عامة و خاصة, وجامعات ,,,.

واهتمت الجزائر بالمخطوط فبرزت أسماء عديدة في فهرسته وتحقيقه أمثال: الشيوخ المهدي بوعبدلي, أبو القاسم سعد الله ,يحيى بوعزيز,عبد الحميد حاجيات وغيرهم ممن كان لهم الفضل الكبير في إخراج مخطوطات للنور للاستفادة منها ,وتسليط ضوء الاهتمام على المخطوطات لجمعها والحفاظ عليها باعتبارها إرثا للأمة الجزائرية.

بعد تصفّحي لفهارس المخطوطات لمكتبات عديدة والبحث في زوايا الوطن في الصّحراء كانت وفي مختلف أنحاء الجزائر، و زيارة قسم المخطوطات للمكتبة الوطنية الجزائرية, وفّقني الله عزّ وجلّ على اختيار مخطوط للشّيخ "علي البوعناني" المتوفى 1789م وعنوان المخطوط "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفّار" وتحصلت على نسختين منه واحدة موجودة بالمكتبة بدار الكتب التّونسية، تحت رقم 16125م,والنسخة الثانية موجودة أيضاً بمكتبة المسجد النّبوي بالمدينة المنوّرة بالمملكة العربية السّعودية تحت رقم 2187.

فجاء موضوعي الموسوم بـ "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار" لعلي بن داود البوعناني المطماطي– دراسة وتحقيق – محاولة لإثراء الخزانة الجزائرية بدراسة مخطوط لهذه الشّخصية التي عاشت أواخر الحكم العثماني للجزائر.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

اجتمعت مجموعة من العوامل والدوافع التي جعلتني أختار دراسة ذا الكتاب عن غيره وتأتي في أولها الميولات الشخصية التي جعلتني أتعلق بمخطوط الشيخ علي بن داود البوعناني هذا فعند حصولي على نسخة الأولى كانت تجربة في تعلم تفريغ مخطوط وبعد عملي عليه تعلقت به ليكرمني الله عز وجل أن أجد نسخة ثانية عنه وأيضا موافقة أستاذي المشرف عليه ليكون أول تجاربي في تحقيق المخطوط.

كما هناك دوافع أخرى مثل :

– الغيرة على التّراث الوطني والرّغبة في الحفاظ عليه والاهتمام به.

– أهمية المخطوط وقيمته الذي يحتوي على مرحلة تاريخية مهمّة من التّاريخ الوطني وهي المرحلة الأخيرة من فترة الحكم العثماني للجزائر.

– رغبتي بالتعريف بالكاتب وان يأخذ حصة من الترجمة والدراسة وأن يبوء المكانة التي يستحقها ,أيضا الغموض الذي يكتنف مؤلّف هذا المخطوط الشيخ البوعناني فهو عالم جزائري عاش أواخر الحكم العثماني للجزائر،ورغم علمه ومكانته إلا انه مازال طي

الجهل والنسيان و هو من بين علماء الجزائر الذي كان شاهداً على أواخر العهد العثماني ومخطوطه هذا يُعدّ من المصادر الأصلية في دراسة التّاريخ الجزائري خلال تلك الحقبة التاريخية المهمّة.

– إثراء المكتبة الوطنية والعربية بكتاب في التّاريخ والتّراجم، لعالم جزائري يُعدّ من بين علمائها، ساهم في تدوين تاريخها وتكوين هويتها.

– إنّ الباحثين والطّلبة لم يلتفتوا بعد إلى دراسة وتحقيق هذا المخطوط أو مخطوطات للمؤلّف الشّيخ "علي بن داود البوعناني" رغم كثرة تآليفه في علوم شتّى.

– الحفاظ على هذا الموروث التّاريخي والشّعور بقيمته، لأنّه أحد الوسائل التي تعرّفنا بماضينا، حتّى نتعلّم ونتمكّن من التّعامل من الواقع الحاضر والتّحضير للمستقبل وهذا بدراسته وتحقيقه بطريقة أكاديمية علمية مضبوطة ونشره ليستفيد منه الجميع.

- **أهمية الموضوع:**

تتجلّى أهمّية هذا الموضوع فيما يلي:

– قيمة المخطوط الكبيرة لما يحتويه من معلومات وأحداث تاريخية، عن التّاريخ الوطني الجزائري لفترة أواخر الوجود العثماني بالجزائر وهي سجل لشاهد عيان للفترة، حيث أنّ الشّيخ بن داود عايش تلك الفترة فوصفها، كما أنّ في المخطوط أحداث تتعلّق بالتّاريخ المغاربي الإسلامي، فنجد فيه معلومات قيّمة للفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب الإسلامي وكذلك لتاريخ البشرية، بداية من عصر سيّدنا آدم عليه السّلام مروراً بذكر الأنبياء وصولاً لفترة نبوّة سيّدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إضافة الى التّراجم التي ترجم بها الكاتب في هذا المخطوط.

– إنّ المخطوط يعكس جوانب مهمّة من الحياة اليومية للجزائري في تلك الفترة الزّمنية من الأوضاع الثّقافية، العلمية وتعكس صورة المجتمع الجزائري.

– المخطوط يشرح ويعكس أحداث سياسية لمرحلة تاريخية حرجة جدّاً اختلفت فيها الآراء والمواقف، ليأتي هذا المخطوط ويكشف الغموض عنها بشهادة المؤلّف الذي عايشها شخصياً.

- **إشكالية الموضوع:**

تتمثّل إشكالية الموضوع في دراسة وتحقيق مخطوط "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفّار"، من خلال التّعريف بصاحبه الشّيخ "علي بن داود البوعناني المطماطي" وتسليط الضّوء على بعض جوانب حياته وعصره الذي عايشه، بالإضافة إلى دراسة هذا المخطوط وإظهار قيمته العلمية، باعتباره يُعطينا نظرة عن اهتمام وعناية الشّيخ بن دود بالتّاريخ العام والوطني بشكل خاص وبفن التّراجم ومن خلال هذا يُمكن طرح عدد من التّساؤلات:

1- ما هي أبرز الملامح السّياسية والاجتماعية ولاقتصادية والثّقافية التي كانت في عصر الشّيخ "علي بن داود البوعناني"؟.

2-من هو الشّيخ "بن داود البوعناني" ؟

3- ما هي الأسباب التي جعلت الشّيخ بن داود البوعناني يؤلّف كتابه هذا "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفّار"؟ وما محتواه؟ وما قيمته العلمية والتّاريخية؟

خطة البحث:

إن لطبيعة الموضوع تأثير كبير في تحديد خطة العمل ولتحقيق الأهداف المرجوة في تحقيق المخطوط وبتوجيه أستاذي المشرف ,فقسمنا البحث الى قسمين القسم الأول للدراسة والثاني للتحقيق, وتفاصيل خطة البحث كالتالي:

-مقدمة وبعدها القسم الأول للدراسة وفيه فصلين اثنين ,فأما الفصل الأول فخصصناه للكاتب ويتكون من ثلاث مباحث:

المبحث الأول:الحالة العامة لعصر الكاتب وتطرقت فيه الى:

-التعريف بصالح باي

_الحالة السياسية والعسكرية

_الحالة الاقتصادية

-الحالة الثقافية.

المبحث الثاني: تعريف الكاتب وأسلوبه وتناولت فيه:

_تعريف الكاتب

_أسلوبه في التأليف

المبحث الثالث: موقف الكاتب من قضايا .عصره وفيه تناولت:

_موقف الكاتب من حكم الداي محمد عثمان باشا

_موقفه من حكم صالح باي

وأما الفصل الثاني فخصصته للكتاب وتكون من أربع مباحث كالتالي:

المبحث الأول: عنوان الكتاب ونسبته لصاحبه

_عنوان الكتاب

_نسبته للكاتب

المبحث الثاني:توصيف النسخ وأسباب التأليف

_توصيف نسخ الكتاب

_أسباب تأليفه

المبحث الثالث:مصادر الكتاب ومحتواه

_المصادر التي اعتمد عليها الكاتب

_محتوى الكتاب

_المنهج المتبع في العمل

القسم الثاني فهو قسم تحقيق نص المخطوط

وخاتمة حاولت تقديمها كحوصلة للنّتائج المتوصّل إليها من خلال عملية الدّراسة والتّحقيق لهذا المخطوط.

وفي الأخير زوّدت البحث بمجموعة من الملاحق الدّاخلة في صلب الموضوع من صور لنسخ المخطوط، نصوص وجداول.

وذيّلت رسالتي هذه بمجموعة من الفهارس للآيات والأحاديث النّبوية، الأعلام، البلدان وفهرس للمصادر والمراجع المعتمد عليها في البحث وفهرس لموضوعات هذا البحث.

- **الصّعوبات:**

تعدّ عملية تحقيق المخطوطات والنّصوص التّراثية من العمليات الصّعبة والشّاقة، ليس فقط في إخراج النّص في حالة المقابلة بين النّسخ والتي تُعدّ من أصعب مراحل التّحقيق حرصاً على الأمانة.

ومن الصّعوبات التي واجهتني أيضاً شح الناس في المخطوط، حيث امتنع الكثير من السّماح لي بالاضطلاع والتّصوير على ما لديه من مخطوطات لعدّة أسباب خاصة بهم ,وهؤلاء مختلفو المستوى الثّقافي والمنبع، فمنهم المثقّفون و ذوو الشّهادات العليا.

ومن الصّعوبات أيضاً وهي مشاكل تقنية وتتمثّل في صعوبة قراءة بعض المخطوطات بسبب تلفها بسبب سوء المحافظة عليها بالدّرجة الأولى أو بسبب سوء تصويرها.

تشعّب موضوعات المخطوط بين التّاريخ، التّراجم والحديث وغيرها وورود بعض الأعلام بحروف مختصرة أو بكنية قد يتشابه فيها العديد من الأعلام.

- **المصادر والمراجع:**

لإنجاز هذا البحث استعنت بمجموعة من المصادر والمراجع ذات الصّلة الوثيقة، أوّل هذه المصادر هو القرآن الكريم لتخريج آياته الكريمة ، كما استعنت إلى بعض المصادر اللّغوية مثل "لسان العرب" لابن منظور و تاج الصحاح والتي ساعدتني في شرح بعض الكلمات الغريبة والتي جاءت في النّص المحقّق.

ولأنّ المخطوط متنوّع المواضيع فقد اعتمدت على مصادر لتخريج الأحاديث النّبوية، مثل: صحيح مسلم والبخاري، و التي سهّلت عليّ عملية تخريج الأحاديث

النّبوية، إضافة إلى مجموعة من كتب التّراجم والسّير مثل: سيرة أعلام النّبلاء للذّهبي، الأعلام للزر كلي وغيرها من المصادر التي ساعدتني في التّرجمة والتّعريف بالأعلام والشّخصيات التي وردت في النّص المحقّق.

- **المنهج المتّبع في الدّراسة:**

يعتمد البحث على منهج التّحقيق، إذ قمت اختيار النّسخة الأم وإفراغ النّص المراد تحقيقه وإثباته، كما أراده مؤلّفه أن يكون والمقارنة بينه وبين النّسخ الأخرى، بالإضافة إلى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النّبوية والأبيات الشّعرية وتعريف للأعلام المذكورين أيضاً في النّص وهذا بالاستعانة بمجموعة من المصادر والمراجع.

والمنهج المتّبع في الدّراسة هو المنهج الوصفي، حيث حاولت التّكيّف بواسطته بما وقع بين يدي من مادّة، مستعيناً ببعض التّحليل متى تطلّب الأمر ذلك.

العمل هذا بتمامه إن وفقت فيه فمن الله العلي العظيم وان جاء فيه نقص أو عيوب فالكمال لله وحده عز وجل نبقى بشرا نخطأ ونصيب أحيانا ,ونرجو منه التوفيق لما يحبه ويرضاه.

والله ولي التّوفيق

الطالبة: لاغة عمارية

تلمسان: 15-09-2018.

قسم الدراسة

الفصل الأول :ترجمة وعصر الكاتب

المبحث الأول: الحالة العامة لعصر الكاتب

المطلب الأول:تعريف صالح باي وانجازاته

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية والعسكرية

المطلب الثالث: الأوضاع الاقتصادية

المطلب الرابع: الأوضاع الثقافية

المبحث الثاني : التعريف بالكاتب وأسلوبه

المطلب الأول: ترجمة الكاتب

المطلب الثاني:أسلوبه:

المبحث الثالث:موقف الكاتب من قضايا عصره

المطلب الأول:الشيخ البوعناني والداي محمد عثمان باشا

المطلب الثاني: الكاتب وصالح باي

المبحث الأول: الحالة العامة لعصر المؤلف:

عاش صاحب الكتاب الشيخ علي بن داود المطماطي في فترة حكم الداي محمد عثمان باشا وهي تمثل أواخر فترة الوجود العثماني في الجزائر، وهي أيضا فترة حكم الباي صالح على بايلك الشرق أو قسنطينة،للتعريف بالوضع العام الذي عاش فيه الكاتب نعرض فيما يلي حالة الأوضاع العامة لعصره سياسيا، اقتصاديا ،اجتماعيا وطبعا ثقافيا .

المطلب الأول: التعريف بصالح باي:

هو صالح بن مصطفى أزميرلي[1] ،ولد بمدينة أزمير بتركيا في شبه جزيرة آسيا الصغرى [2]على ساحل بحر ايجة غرب الأناضول سنة 1137هـ الموافق لـ:1725م[3] ,من أسرة متوسطة الحال و قد عاش سنواته الأولى بصفة عادية [5]،و عندما ناهز سن السادسة عشر اضطرته الظروف أن يهجر موطنه الأول تركيا[4] فرارا من نقمة أبقتل صالح باي ابنه غير متعمد حينما كان يلعب معه ،و ذلك حتى ينجو من التعرض للانتقام الذي كان ينتظره[8]،فجاء إلى الجزائر سنة 1741م، أرغمته ضرورة البحث عن العيش إلى العمل في احد المقاهي التابعة للاوجاق نظرا لصغر سنه و عدم خبرته بالحياة و جهله بأوضاعها.

---

[1] محمد المهدي بن علي شعيب ،المرجع السابق، ص376.

[2] محمد الصالح العنتري ،فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على اوطانها او تاريخ قسنطينة،م.تق .تع : يحي بوعزيز ،دار هومة ،الجزائر ،2005،ص 79.

[3] نلاحظ انه وجد اختلاف حول تاريخ مولد صالح باي فنجد فايست يذكر سنة 1755م ،اعتمادا على شربونو ،لكن فاطمة الزهراء قشي تقول بانه اما خطا مطبعي او سهو من فايست ،و التاريخ المقترح من شربونو هو 1725م. ينظر :فاطمة الزهراء قشي،قراءة في حياة صالح باي بن مصطفى باي قسنطينة(1792-1771م)،مجلة المغارب في العهد العثماني،تنسيق:عبد الرحمن المودن،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية،ط1،رقم41،الرباط،1995،ص74.

[4] ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر "العهد العثماني "،م .و.ك، الجزائر ،1984،ص 59.

سمح له هذا العمل بأن يتعرف على واقع الجزائر و يتطلع على طبيعة الحكم و أسلوب الإدارة السائدة بالجزائر آنذاك،[1] اضافة إلى تعرفه على بعض مواطنيه من أفراد الميلشيا التركية أصحاب النفوذ،و تجند مثلهم ،و كانت بدايته في الجندية بداية موفقة أظهر خلالها الشجاعة و القوة و مهارة مدهشة في جميع التمارين، بعدها أرسل مع الحامية إلى قسنطينة[2]، حيث شارك بحملة الشرق السنوية للمساهمة في زيادة قوة و تعزيز الحامية

التركية المعسكرة بها[3] و كانت هذه الحملة قد نظمها الباي "ازرق عينه[4] ضد تونس،و قد أبدى صالح باي في تلك الحملة شجاعة جعلت رؤساءه يلتفتون إليه ،و بالأخص احمد القلي[3] الذي لم ينسه منذ ذلك الحين .و عندما تولى احمد القلي حكم البايلك[5]،و ذلك سنة (1170هـ- 1756م) تقرب إلى صالح باي وزوجه ابنته و عينه قائدا على عرش الحراكتة بالأوراس عام 1762م، لمدة ثلاث سنوات،اكتسب أثناءها حنكة و مزايا في تسيير الأمور الإدارية و معالجة المهام العسكرية.

و عندما توفي خليفة الباي في قسنطينة استدعاه صهره احمد القلي و عينه خليفة له في قسنطينة عام 1765م لمدة ست سنوات[6] (1765م-1771م) كان فيها سندا لصهره

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و أبحاث ....،المرجع السابق،ص 60

[2] أوجين فايست ،المرجع السابق، ص 25.

[3] ناصر الدين سعيدوني،دراسات و أبحاث...، المرجع السابق،ص 60.

[4] هو حسين باي المدعو أزرق عينه،حكم المقاطعة من1754 إلى1756،ينظر:أوجين فايست،المرجع السابق،ص280.

[5] هو احمد باي بن علي المدعو القلي،جد الحاج احمد باي اخر باياتقسنطينة،و صهر صالح باي جكم مقاطعة قسنطينة من 1756م،الى منتصف سنة 1771م ،اي 15 سنة.ينظر:أوجين فايست ،المرجع السابق ،ص 280، ينظر أيضا:محمد صالح العنتري ،المصدر السابق ، ص 77.

[6] محمد صالح العنتري ،المصدر السابق،ص 79.

احمد القلي و قد ناب عنه في تقديم العوائد الفصلية "الدنوش الصغرى" للداي محمد عثمان باشا الملقب بالمجاهد (1179هـ–1205هـ/1766م–1791م) و أثناء ذلك اكتسب صالح باي ثقة و تقديم الداي محمد عثمان باشا ،و هذا ما ساعده فيما بعد إلى الارتقاء لمنصب الباي اثر موت صهره (احمد القلي)في صيف سنة (1185هـ-1771م) [1].

و أول ما قام به بعد توليه الحكم ،هو العمل على تدعيم النفوذ في أوساط السكان ،و تمكن من ذلك بسهولة نظرا لما مر به من تجارب سياسية وعسكرية قبل اعتلاءه منصب الباي أما عن صفات صالح باي فقد و صفه العنتري بأنه "كان رجلا عاقلا له سيرة مليحة و سياسة مستحسنة حميدة يسمع كلام الشاكين و ينصر المظلومين ،و هو دائما يحب عمل الخيرو يرتضيه و يسعى في صلاح العباد و يعتنيه"[2] ، فضلا عن كرمه و هذا ما عبر عنه عالم الطبيعيات الفرنسي "دي فونتين "الذي زار إيالة تونس و مقاطعات وهران و الجزائر ،و انتقل إلى قسنطينة يوم 18 سبتمبر 1785 ووصل إليها بعد ثمانية أيام و ذكر لنا صالح باي فقال : « أسكنني الباي في إحدى دياره ،و أعطى أمرا بان يحضر علي كل ما احتجته إليه و لقد أديت له زيارة و استقبلني بكل مودة ،و أجلسني على كرسي، و كان يتكلم الايطالية بكل سهولة .....و قد طلبت إلى الباي بان يعطيني جنودا يصطحبونني في سفري إلى عنابه و قد فعل بكل فرح و عن طيب خاطر.» [3]

كما كان محبا للعلماء و الصالحين ،له حرث كبير ،و أنعام كثيرة يستعين بها على شؤونه المخزنية[4]إضافة إلى أنه كان يجيد اللغة العربية إضافة إلى التركية لغة وطنه[5]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و أبحاث....،المرجع السابق،ص 60.

[2] المصدر السابق،ص78، 79.

[3] أوجين فايست ، المرجع السابق ،ص 58.

[4] أحمد توفيق المدني ،محاضرات في اللغة و الفكر و التاريخ ،دار ابصائر ،الجزائر 2009،ص 175.

[5] ناصر الدين سعيدوني،دراسات و أبحاث....،المرجع السابق،ص77،78.

وقد وقع جدل حول شخصية صالح باي الذي عرف بأخلاقه الرفيعة لاسيما أول عهده في الحكم،وقد استطاع بهذا كسب احترام العامة و تقدير أعيان البلد،بالرغم من معارضة شيوخ الزوايا و مرابطي الطرق و رؤساء العشائر،وحاول أعداءه بهذا أن يصفوه بالحقد و سرعة الإنتقام،إلا أنه و في سنوات حكمه الأخيرة تحول عن سيرته الأولى فاستبد برأيه و بالغ في مطالبه المالية و زاد في الضرائب التي يأخذها من سكان الأرياف حتى أدت به هذه التصرفات إلى التعجيل في و فاته[5]. دون أي شرح أو تفسير لهذا الإنقلاب،و كأن موقف صالح باي محير و ليس له ما يفسره و هو الذي عمل على رعاية الأوقاف و سبل الخيرات و كرس حياته لخدمة الرعية و المدينة و البايلك[1].

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية والعسكرية:

منذ اعتلاء صالح باي لمقاطعة الشرق الجزائري بدا مشواره الإصلاحي و التنظيمي للبايلك ،و كغيره من الحكام فقد واجهت هذا الأخير عدة عقبات و مواجهات ضد معارضي حكمه على المقاطعة ،وقد بذل صالح باي مجهودات جبارة إزاء حفظ الأمن و ضمان الاستقرار الذي يفتح له أبواب الانجازات و المشاريع الرامية إلى تطوير بايلك الشرق و النهوض به في كل الجوانب.[2] و من خلال تتبعنا لأعماله العسكرية نجده قد وجهها إلى: حملات لتثبيت حكمه ، مساهمات عسكرية لدار السلطان ، حملات لتأمين حدوده الشرقية و حملات ضد بعض الشخصيات المتمردة. [3]

أ-حملاته من أجل تثبيت حكمه:

[1] فاطمة الزهراء قشي،قسنطينة في عهد صالح.....،المرجع السابق،ص123،125.

[2] ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و أبحاث...،المرجع السابق ،ص 61.

[3] و قام ناصر الدين سعيدوني نظرا لتعدد الأعمال العسكريةو تنوع أغراضها بتقسيمها إلى:حملات فصلية لإستخلاص الضرائب و معاقبة العصاة،و هجمات عسكرية استهدفت الأقاليم البعيدة.للمزيد ينظر:المرجع نفسه،ص61.

أول حملة قادها صالح باي كانت ضد قبائل " أولاد نايل" و هم من سكان الجنوب الجزائري[1]،و قد دارت معركة بين الطرفين تدعى معركة "صالح اومسيف" سنة 1773م[2]،انتصر فيها صالح باي و بعث بالكثير من الغنائم الى الجزائر ضمنها: ستون رأسا و اربعمئة زوج أذن للعصاة ،و هذا كله تعبيرا للداي محمد عثمان باشا عن مدى قوة صالح باي في مواجهة القبائل المتمردة ناحية الجلفة و بوسعادة في بايلك التيطري[3]،حيث أرغم صالح باي أولاد نايل على طاعته بعد أن استولى على الجلفة و بوسعادة[4]،و في طريق عودة صالح باي من القضاء على تمرد أولاد نايل ،مر على أراضي زمول جنوب قسنطينة و عسكر بها ،و عاقب بعض العصاة من أولاد زايد الذين حاولوا اقتحام معسكره للسرقة و النهب.

كما قام صالح باي بمحاولة جريئة و شجاعة ضد "تقرت"[5]و هي مقر حكم وادي الريغ [6]الواقعة في أقصى جنوب المقاطعة ، إذ كانت لا تدفع منذ سنين إلا ضريبة زهيدة للحكومة التركية و ذلك بسبب بعدها الكبير عن السلطة و الصعوبات الكثيرة للوصول إليها عبر الكثبان الرملية التي تحاصرها و تحميها ،ورغم المحاولات التي قام بها صالح باي و استعماله لكل وسائل الصلح ابتداءا من 1788م إلا أنها لم تجد نفعا بينه و بين شيخ "وادي الريغ الجديد"[7].

---

[1] أوجين فايست ،المرجع السابق ،ص 62.

[2] ذكر العنتري حوالي سنة 1772م،ينظر:محمد الصالح العنتري،المصدر السابق،ص79

[3] ناصر الدين سعيدوني،دراسات و أبحاث...، المرجع السابق ،ص 61.

[4] مختار حساني،التراث الجزائري المخطوط في الجزائر و الخارج "الوثائق المخطوطة بالمكتبة الجزائرية ،نماذج"، تح:مختار حساني،ط1،ج2،منشورات الحضارة ،الجزائر ،2009،ص 238.

[5] تقرت :واحة في صحراء الجزائر تبعد بـ: 227 كلم عن بسكرة ،و هي اليوم مركز تجاري هام و يبلغ عدد سكانها 112.600 نسمة.ينظر:أوجين فايست،المرجع السابق،ص285.

[6] وادي الريغ وهي مجموعة الواحات الواقعة في الصحراءالجزائرية.ينضر:أوجين فايست،المرجع السابق،ص286.

[7] المرجع نفسه ،ص 43-44.

اضطر صالح باي إلى تنظيم حملة حبث سمح لجيوش الأتراك بالتنقل بسهولة في الصحراء لأن الغرامة المحددة بالنسبة لطولقة و بوشقرن و زعاتشة و الواحات الأخرى قد دفعت إلى الخليفة في " ليشانا "، فقام صالح باي بقيادة الجيوش بنفسه في "وادي جدي " ، و تقدم مع بعض قواد المدفعية،رغم رداءة الأحوال الجوية تمكن صالح باي بعد ثمانية عشر يوما من الوصول الى نواحي سيدي خليل و نصب خيامه أمام تقرت[1] حيث نصب المدفعيون مدافعهم على ساحات بنيت بجذوع النخل ، و قاموا بإطلاق النار على الباب المسمى " باب الخضراء" و "باب سيدي عبد السلام " و " حي التليس" الذي كانت توجد به القصبة ،و قام بعض جنود صالح باي بقطع الأشجار التي تشكل ثروة البلاد، و دام الحصار عدة أسابيع ، وقد اقسم صالح باي على الا يغادر المكان إلا بعد قضاءه على تمردها ، عندها تيقن الشيخ فرحات للموقف فأمر برفع راية بيضاء إعلانا للاستسلام ،فوق جامع يدعى "جامع المالكية" ،و أمر صالح باي بوقف إطلاق النار ، وانتهت بان تكفل الشيخ عمر بن جلاب بتسديد نفقات الحملة[2] و تقديم غرامة للأتراك قدرها ثلاثمائةألف ريال, (باسيطاس) [3]،زيادة على ضريبة من الخيل و العبيد. وبهذا قام صالح باي بتأديب

أمراء بني جلاب[4] في تقرت ،و في نفس السنة أي سنة 1788م قاد صالح باي حملة كبيرة إلى الجنوب الصحراوي القسنطيني لمعاقبة شيخ الدواودة "محمد الدباح"، وقد تعددت حملات صالح باي على الجنوب أربع مرات حيث استعمل خلالها القوة حينا و الدبلوماسية حينا آخر و ذلك لاستمالة رجال الصفين :بن قانة و أولاد بوعكاز[5]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و أبحاث....،المرجع السابق ،ص62.

[2] المرجع نفسه،ص62.

[3] الباسيطاس هو الريال القسنطيني.ينظر:أوجين فايست،المرجع السابق،ص286.

[4] بني الجلاب : عائلة حاكمة في توقرت بالتوارق تنسب الى بني مرين ، القرن الخامس عشر الى غاية الاحتلال الفرنسي.ينظر: المرجع نفسه،ص286.

[5] محمد الصالح العنتري،المصدر السابق،ص80.

إضافة إلى إطلاقه جيشه النظامي من أفراد الزمالة على قبيلة"السقينة"[1]التي امتنعت عن دفع الضريبة،و تماطلت في ذلك. أضف إلى هذه الحملات حملة صالح باي على قبيلة "أولاد عاشور" بفرجيوة و شيخها المدعو :" محمد شلهوم" و قد صالح باي مرات عديدة مهاجمتها في الفترة (1781-1776) حتى يضع حدا لشيخها[2].

ومن خلال ما سبق نلاحظ مدى شجاعة صالح باي من أجل تثبيت حكمه،لدرجة وصوله إلى جنوب البايلك المتميز بصعوبة المناخ الحار. و لم يصله أحد البايات قبل صالح باي.

ب-مساهماته العسكرية لفائدة دار السلطان:

وقد تمثلت في تنظيمه لغزوة ضد "أولاد عمور "[3] و ذلك عقابا لهم على المقاومة الشديدة التي دافعوا بها عن قريتهم" النميلة "،و عصوا ذلك سلطة داي الجزائر، فسلك صالح باي طريق عين البيضاء و زنينة و أفلو و تاويلا و الماضي و تاجموت[4]. و انتهت الغزوة بان قام صالح باي بقطع مائة رأس من رؤساء سكانها و قام بإرسالها إلى قسنطينة أين علقت على أسوارها ليعتبر الناس منها.

كما ساهم صالح باي في رد حملة الكونت الاسباني "اوريلي" هذه الحملة التي تعرضت لها الجزائر على عهد محمد بن عثمان باشا في فترة ما بين30 جوان إلى 16 جويلية عام 1775م ،فبعد تأدية صالح باي للدنوش السنوية في دار السلطان (مدينة الجزائر) قام باتخاذ موقعه بسرعة في الجهات الشرقية لدار السلطان و بالضبط بين "واد الحميز" و"واد الحراش" و بادر بالهجوم على القوات الاسبانية [5]، وكان عدد جيش صالح باي مكون من عشرين ألف فارس ،إضافة إلى الجمال ،و

---

[1] السقينة :قبيلة تقع في سهول مليلة.ينظر:أوجين فايست،المرجع السابق،ص283

[2] ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و أبحاث...،المرجع السابق ،ص 61.

[3] قبيلة أولاد عمور: قبيلة تقع قرب باتنة و منها قرية النميلة.ينظر:أوجين فايست،المرجع السابق،ص282.

[4] أحمد توفيق المدني ،محمد عثمان باشا داي الجزائر [1766-1791م]،م.و.ك،الجزائر ،1986 ص137.

[5] ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و أبحاث....،المرجع السابق، ص 62-63.

الحيوانات العديدة الأخرى المحملة بالأمتعة ،و قسم جيشه إلى جيوش نظامية و غير نظامية.

و في يوم الجمعة 30 جوان 1775م ،أرسى الأسطول الاسباني الذي تكون من حوالي 400 باخرة حربية ،على مستوى الحراش مقابل الشاطئ الرملي الذي يشكل عمق مرسى الجزائر ، أما يوم 31 جوان و مابعده، فقد خصصت لعملية السبر، و تحصين مواقع البواخر الكبيرة،و في يوم الخميس 06 يوليو –جويلية- توقف مركب كبير قرب سرية "كنيس" [1]، وهو المكان المسمى اليوم بالعناصر ،و أعطى الإشارة بالقصف الذي استمر اول الليل ،لكن لم يتسبب في خسارة كبيرة للعدو الاسباني ،و قتل رجلان من جرائها، أما عن باقي الليل و يوم الجمعة الموالي فلم يقع أي اشتباك.

لتبدأ المواجهة الحقيقية يوم السبت 08 يوليو ،إذ نزل 8 آلاف رجل من الأسطول الاسباني و ساهمت المدفعية في عملية نزولهم إذ دام القصف مدة النزول كلها ،ثم تبعهم فيلق أخر بنفس العدد مجهز ،و اجتمع الجميع و اخذ مواقعه في مكان يدعى " الحديقة" بجانب مقبرة الشهداء أين شرعوا في بناء معسكر محصن[2]، في حين كان عدد المسلمين قليلا مقارنة مع الجيش و لم يقاوم ضرب الأسبان ،في هذه الأثناء اهتدى صالح باي إلى تقديم كل الجمال الموجودة في معسكره و جعلها صفا واحدا أمام الجنود والفرسان بهدف الحماية ثم اندفعت الجمال و اندفع صالح باي مع تشجيعه لجنوده بالقتال إلى أن بلغوا الخنادق،و دارت بين الطرفين مواجهة حربية بالمدافع و الرصاص. انتهت بانسحاب الجيش الاسباني بأمر من القائد الأعلى ، و توجه يوم 16 يوليو الأسطول الاسباني كله إلى " أليكانت"،و لم يبق على شواطئ الجزائر إلا بعض البواخر المكلفة بالمراقبة البحرية ،و

---

[1] نسبة لـ:وادي كنيس و هو الحد الفاصل بين القبة و العناصر في الجزائر العاصمة ،و لا يزال حتى يوما موجودا ،غير ان الوادي لم يعد كما كان من قبل.ينظر:أوجين فايست،المرجع السابق،ص283.

[2] المرجع نفسه ،ص 31-32.

استطاع صالح باي منذ ذلك الحين أن يتفرع في الأوقات التي ساد فيها السلم لإنجاز مشاريعه الإصلاحية[1].

ج. حملاته لتأمين حدوده الشرقية:

و من أعمال صالح باي لتامين حدود البايلك الشرقية ،موقفه من باي تونس المدعو "حمودة باشا" سنتي (1783م-1787م) ، وذلك بإصرار صالح باي على حمودة باشا تقديمه تعويضات ملائمة عن الخسائر التي كان قد أحدثها حسن الكبير قائد على باي تونس[2] السابق، عند ملاحقته لقبائل تونسية استقرت بجنوب تبسة هربا من تعسف علي باي تونس[2] ،و أصبحت العلاقة منذ 1783م على وشك الانقطاع بين الطرفين،و بتهديد من صالح باي اضطر حمودة باشا إلى الرضوخ لمطالب صالح باي و كان وضع الايالة التونسية في حرج نتيجة لخلافها مع البنادقة ،ليحصل صالح باي على تعويض قدره : (خمسة و عشرون ألف سكة) لفائدة القبيلة التونيسة المقيمة داخل البايلك ، و هو دليل على حنكة و دهاء صالح باي السياسية [3]. و في سنة 1784 هدأت العلاقة بين الطرفين لوقت قصير ،ثم حصلت هجرات لبعض القبائل الجزائرية نحو الحدود التونسية مما اضطر صالح باي للاستعانة بداي الجزائر ليبعث الديوان جيشا مؤلفا من ستة آلاف جندي بداي الجزائر ليبعث الديوان جيشا مؤلفا من ستة آلاف جندي لصالح صالح باي [4] في مقابل جيش حمودة باشا المؤلف من ألفي تركي و ثلاثة آلاف كرغلي و العديد من الفرسان العرب ،لتنتهي في الأخير بمهادنة حمودة باشا لصالح بايو فتح حمودة باشا مفاوضات مع ديوان الجزائر ،مؤجلا الأخذ بالثأر إلى وقت مناسب ،و في أواخر سنة 1787م، عادت العلاقات الحسنة ظاهريا بين الإيالتي.

---

[1] أوجين فايست، المرجع السابق ،ص 32-37.

[2] ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و أبحاث...،المرجع السابق ،ص 63.

[3] ناصر الدين سعيدوني ،ورقات جزائرية دراسات و ابحاث في تاريخ العهد العثماني ،ط2،دار البصائر ،الجزائر ،2009،ص 244.

[4] أوجين فايست ، المرجع السابق،ص 40

المطلب الثالث: االحالة الاقتصادية:

عرفت الجزائر خلال فترة الوجود العثماني نشاطا اقتصاديا متفاوتا، حيث ازدهر الاقتصاد في البداية من تجارة وزراعة وصناعة في بداية العهد العثماني، لعدّة أسباب من أهمّها التّوافد الأندلسي لسواحل الجزائرية والاستقرار بها، فهم ناس مال وزراعة متطوّرة وأيضاً يُجيدون التّجارة والصّناعة بأنواعها وأساليبها الحديثة التي جلبوها معهم من بلادهم بالأندلس.

ليزيد نشاط الأسطول الجزائري الكبير في حوض البحر المتوسّط وغنائمه من الجهاد البحري فيه من مداخيل الدّولة آنذاك والرّسوم التي فرضها على السّفن التي تمرّ في البحر المتوسّط.

لكن الوضع الاقتصادي هذا تغيّر بصفة ملحوظة في أواخر العثماني بالجزائر وفيما يلي عرض حالة الزّراعة في الفترة الأخيرة من الوجود العثماني بالجزائر:

ب-1: الزّراعة: إذا قارنّا الزّراعة في الفترة الأخيرة من الوجود العثماني ببدايته، فنلاحظ أنّها تراجعت كثيرا وساءت حالتها كثيراً، وهذا راجع لعدّة أسباب منها الأساليب وطرق الزّراعة[1] والتي كانت قديمة وبدائية، مقارنة بتلك التي كانت متّبعة وتستعمل في أوربا آنذاك، إضافة إلى الضّرائب الثّقيلة التي فرضتها السّلطة العثمانية على الفلّاحين وغيرها من عوامل أدّت إلى ضعف الزّراعة.

[1]في أوائل فترة الحكم العثماني كان الجزائريون يزرعون بأدوات وأساليب حديثة، بسبب قدوم الأندلسيون، لكنّهم فيما بعد بقوا يعتمدون عليها ولم يواكبوا النّهضة الأوربية وهذا راجع لغلق العثمانيين عليهم خوفاً من تأثّرهم بأفكار الحرّية بأوربا،وليم سبنسر:الجزائر في عهد رياس البحر،تر:عبد القادر زبادية ،دط، دار القصبة،الجزائر،د ت،ص74.

لكن كلّ هذا لم يمنع الزّراعة أن تكون المورد الأكبر لأكثرية الجزائريين، فالمجتمع الجزائري كان مجتمعا زراعيا بنسبة كبيرة جدّاً، نظراً لأهمّية الغذاء لدى الإسبان ولدى الجزائريين وأيضاً لأنّه كان مجتمعا يسكن الأرياف بنسبة 90%.

أثّرت الحالة السّياسية التي عاشتها الجزائر في أواخر الفترة العثمانية على ازدهار ونشاط الزّراعة، فقد زادت الحملات الأوربية على السّواحل الجزائرية[1] ومشاركة الجزائريين لصدّ هذه الحملات الصّليبية والحفاظ على استقلال البلاد، إضافة إلى النّشاط العسكري العثماني لتحرير مدينة وهران والذي تمّ في سنة 1792م[2].

وأمّا عن المحاصيل الزّراعية والتي وجدت في الجزائر في أواخر الوجود العثماني، فقد كانت كثيرة ومتنوّعة من منطقة لأخرى حسب المناخ ونوعية التّربة وغيرها.

فزراعة الحبوب عرفت بأراضي البايلك بسهول متّيجة وغيرها[3] وكان يتمّ الاحتفاظ بالحبوب لسنوات طويلة في مطامير بعيدة عن الهواء والرّطوبة، فهي حفر تُحفر في أعماق الأرض ولكن في نوعية خاصّة من التّربة.

وانتشرت زراعة العنب في المناطق الجبلية، إضافة إلى زراعة الزّيتون والتّين في هذه المناطق وهذه المحاصيل كانت تحوّل إلى منتجات صناعية، فقد سمحت الإدارة العثمانية للجزائريين بصناعة الخمر وأيضاً كانوا يُجفّفون التّين ويُصدّرونه حاله حال

---

[1]تعرّضت الجزائر منذ سقوط الأندلس في 1492م إلى حملات أوربية على سواحلها لتزداد وتيرتها في أواخر الحكم العثماني للجزائر،بسام العسيلي:خير الدين بربروس والجهاد البحري،دار النفائس،بيروت،1980م،ص215.

[2]احمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة،مصدر سابق،ص310.

[3]انتشرت زراعة الحبوب في سهول متيجة، سهول بني سليمان، سهول حمزة وبأحواش البايلك، ناصر الدين سعيدوني، النّظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792 – 1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص32.

الخمر وزيت الزّيتون والتي كانت تجارتها مزدهرة آنذاك، أمّا في المنطقة الصّحراوية، خاصّة الأطلس الصّحراوي فقد عرفت بزراعة نخيل التّمور والذي عرف إنتاجا وفيراً.

ورغم مساحة الأراضي الصّالحة للزّراعة آنذاك إلّا أنّ الإنتاج الزّراعي تراجع عمّا كان عليه من قبل ورغم الإمكانيات التي توفّرت عليها الجزائر فيما يخصّ الزّراعة، إلّا أنّها عانت من مشاكل عديدة في فترة أواخر الحكم العثماني، ممّا أدّى إلى تدهورها، فقد عانت الزّراعة من الجفاف، الفيضانات الكثيرة، انتشار الجراد، هبوب العواصف، فانتشرت المجاعات على فترات طويلة وانتشرت أمراض كثيرة وأوبئة قتلت الكثير من السكان.

وأمّا فيما يخصّ ملكيات الأراضي في الجزائر، فقد كانت كثيرة وشكّلت عاملاً مهمّاً تحكّم في الزّراعة آنذاك ونذكر فيما يلي أنواع ملكيات الأراضي:

- **أرض العرش (الجماعة):** وكلمة العرش يُقصد بها القبيلة أو العشيرة وتعرف باسم أراضي السبيقية بمنطقة بايلك الغرب وهي أراضي منحتها السّلطات العثمانية مقابل إيجار وكانت تُمنح خاصّة لقبائل المخزن الموالية لهم[1].

توزّع أراضيها على عائلات القبيلة ونجح هذا النّوع في تحقيق الأعمال التّضامنية داخل القبائل (التويزة)، انتشرت هذه الأراضي في السّهول العليا وتميّزت بإنتاج الحبوب وتربية الأغنام.

- **ملكية البايلك:** وهي أراضي تحوّلت ملكيتها للدّولة بطرق عدّة، كالمصادرة وغيرها ومنحتها بعد امتلاكها لقبائل المخزن أو لكبار زعماء القبائل وكانت مساحتها واسعة وتقع أغلبها قريبة من المدن وقد قدّر هذا النّوع من الملكية بحوالي 1.5 مليون هكتار حسب "فارنييه"

---

[1] صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، ط1، دار العلوم، الجزائر، 2005، ص 166.

– أراضي الوقف: هي أراضي لها أهمّية كبيرة نظراً لكونها حبست للإنفاق على مؤسسات خيرية[1]، إلّا أنّه لا توجد في تقرير "فارنييه" وتنقسم إلى الوقف العام وهو الذي يعود على مصلحة عامّة النّاس والوقف الخاص ويُسمّى أيضاً بالوقف العائلي أو الذري وهو لا تحوّل منفعته للمصلحة العامّة، إلّا بعد انقراض نسل صاحب الحبس، وكثرت ظاهرة الوقف في أواخر العهد العثماني بالجزائر وهذا راجع لزيادة الوعي الديني لدى الجزائريين.

– أراضي الملك: وتسمّى أيضاً بالملكية الخاصّة وكانت تستغل للزّراعة أكثر من الرّعي وهي ملك عائلي وملك فردي، فأمّا النّوع الأوّل فنجده بالمناطق الجبلية التي كانت كثيفة السّكان، كما كانت بعيدة عن الأحداث السياسية والصّراعات العسكرية وكان أكثر مردودية من حيث المحاصيل الزّراعية ويختلف الملك العائلي في هذه المناطق عن الملك العائلي في الواحات والذي نشأ من استصلاح أراضي الموات[2] وأمّا الملك الخص فقد تشكّل بعدّة طرق كالمصادرة والبيع بالمزاد العلني وقد توسّع هذا النّوع في أواخر الحكم العثماني بالجزائر، هذا راجع بدرجة كبيرة لتنازل الإدارة التّركية عن مساحات من أراضيها لصالح قادة المخزن وفرسانها.

ب2– التّجارة: نشطت التّجارة في بدايات الحكم العثماني، سواء على المجال الخارجي أو داخليا، لكنّها تراجعت أواخر التّواجد العثماني بالجزائر.

- **التّجارة الدّاخلية:** كانت ضعيفة نظراً لتراجع وضعف الإنتاجات وتركّزت بالمدن الكبرى والأسواق الأسبوعية الموسمية ومن أهم المدن التي كانت مراكز للتّجارة الدّاخلية،

---

[1].ناصر الدين سعيدوني ، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، د. ت، ص 84.

[2]أراضي الموات وهي أراضي معطّلة ليس لها مالك، وليس فيها ماء ولا عمارة وقد اعتبرت عشرية أي أنّها ملك لمن يستصلحها،،عبد الرحمن الجيلاني:تاريخ الجزائر العام.ج3،مصدر سابق،ص209.

نجد مدينة الجزائر[1]، قسنطينة ومدينة تلمسان وارتكزت التّجارة الدّاخلية على حركة القوافل والتي كانت تصلها من مناطق عديدة، مثل جنوب الصّحراء وكانت تتمّ المبادلات التّجارية من المنتجات كالخضر والفواكه والحبوب وزيت الزّيتون والتّين، التّمر والعسل فيما بينهم في أسواق داخل الموات، يتبادلون منتجات من كلّ منطقة بمنتجات مناطق أخرى.

- **التّجارة الخارجية:** كانت نشيطة وفي آخر فترة من الحكم العثماني للجزائر تحكّم فيها اليهود بوشناق وبكري، ارتكزت في المدن الساحلية الكبرى مع مختلف دول العالم خاصّة الأوربية، حيث كانت تصدّر له الحبوب بأنواعها من قمح وشعير، إضافة على منتجات أخرى كزيت الزّيتون، الصّوف، الشّمع، ريش النّعام والمواشي والخضر والفواكه على اختلافها وكانت الجزائر تستورد الأسلحة والأدوات الحديدية وغيرها من المواد المختلفة[2] وكانت تستورد من المشرق الإسلامي الزّرابين الأقمشة، الأواني الزّخرفية وغيرها من المواد.

ب3- **الصّناعة:** ازدهرت الصّناعة بالجزائر العثمانية منذ البداية وأصبحت توازي الصّناعات الموجودة في أوربا من حيث التّطوّر، فقد نجحت في تحقيق الاكتفاء بل بلغت درجة التّصدير لمختلف الدّول.

ومن بين الصّناعات التي عرفت في الجزائر في أواخر فترة الحكم العثماني لهان فنجد الصّناعة النّسيجية لصناعة البرانس، الزّرابي والحصير والأغطية الصّوفية والأحزمة

---

[1]ارتكزت الأسواق التّجارية بمدينة الجزائر في شارعين رئيسيين، أحدهما فيه سوق الكتاب وسوق الزّيت، الشّمع، الفحم، ودار اللحم والثاني فيه سوق الكتب ويتجمّع الخطاطون وسوق السمن،ناصر الدين سعيدوني. الجزائر في العهد العثماني.مرجع سابق، ص71.

[2]كانت الجزائر تستورد من جنوة وليون الحرير والقطيفة ومن البندقية السّلاح ولبارود وانجلترا وهولندا أشرعة السّفن والأخشاب لبنائها، يُنظر إلى عمارة عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة ، الجزائر،ص 239.

وكانت تعتبر مكمّلة للصّناعات النّسيجية وكانت تنتج الأحذية ولوازم الخيول من سروج، أكمة وكذلك صناعة الدّباغة[1]:

وأيضاً عرفت الصّناعة المعدنية من صناعة البارود، السّيوف، المدافع، إضافة إلى صناعة الفخّار والخزفية والتي ازدهرت بفضل الأندلسيين والذين احتكروها لفترة من الزّمن وأيضا عرفت الجزائر العثمانية صناعة السّفن والمطاحن.

المطلب الرابع: الحالة الثقافية:

إنّ الكلام عن حال الفكر والعلم والثّقافة في أواخر فترة الحكم العثماني بالجزائر، يتجاذب حوله آراء الباحثين والمؤرّخين وفيما يلي نعرض صورة عامّة عن الحالة العلمية والثّقافية لهذه الفترة المهمّة من تاريخ الجزائر.

ففي بدايات الحكم العثماني للجزائر عرف ركود[2] في مجال المعرفة والعلم، مماثلة في هذا بقية البلدان الإسلامية، فقد كثرت المختصرات على مؤلّفات سابقة دون تدوين مكتبات جديدة، إضافة إلى نوعية التّعليم، فقد انتشر التّعليم البسيط الذي يعتمد على تعلّم أساسيات القراءة والكتابة، فقلّة قليلة هم طلبة العلم والذين تعلّموا تعليم ذو مستوى عالي وهذا راجع بدرجة كبيرة إلى طبيعة نظام الدّولة العثمانية، فلقد كانت دولة عسكرية بدرجة أولى سعيها الأوّل هو توسيع مساحة حكمها.

---

[1] وجد بالجزائر العثمانية حوالي 33 مصنع للدّباغة، فمدينة قسنطينة كان فيها حوالي 176 معملا للأحذية، عمارة عمورة،مرجع سابق، ص106،

[2] لا يكاد يختلف الباحثون عن الرّكود الذي عاشته منه الجزائر في جهة الفكر والثّقافة في بداية الحكم العثماني لها وذلك راجع لحالة الحروب التي قام بها الجزائريون ضدّ الحملات الأجنبية لها، يُنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث، ج1، ص 159.

فقد انتشر التّعليم بين صفوف الجزائريين وهذا ما تؤكّده شهادة بعض الرّحالة الذين زاروا الجزائر في تلك الفترة وأغلبهم يؤكّد أنّ أغلبية السّكان كانوا يُحسنون القراءة والكتابة[1].

وما ميّز التّعليم في تلك الفترة أنّه كان حرّاً، فالسّكان هم المسؤولين عن بناء المؤسسات التعليمية وأيضاً توفير مستحقّاتها المالية لبقاء وظيفتها عن طريق ما عرف بالأوقاف[2] والتي شكّلت المصدر المالي للإنفاق على مختلف المؤسسات التعليمية والتي كانت متنوّعة، من مدارس إلى مساجد وزوايا، كتاتيب ومعاهد وغيرها من المؤسسات والتي عملت على نشر العلم على اختلاف أنواعه ومستوياته بين صفوف الجزائريين.

ونجد أنّ الأسر الجزائرية ذات المستوى المالي الجيّد كانت تحرص على تعليم أبنائها تعليماً جيّداً ذو مستوى عالي، فلم تكن تكتفي بتعليمهم بالبلاد، بل كانوا يُرسلون لطلب العلم من مختلف الحواضر في أقطار العالم الإسلامي في شرقه وغربه.

ولقد انتشرت العلوم النّقلية والعقلية والشّرعية بدرجة أكبر منها، باعتبار الدين الإسلامي هو الرّابط بين مختلف عناصر السّكان والأتراك، حتّى أنّه قبل أن سادت العلوم الدينية عن بقية العلوم الأخرى، فكثرت كتب التّفسير، الحديث، الفقه، الصول، التّوحيد،

---

[1] M. Halsart : Histoire d'un parjure، paris، 1960، p 138.

[2] الأوقاف هي كلّ الأملاك باختلاف أنواعها، أحبست مداخليها وملكيتها لصالح مؤسسة ما (مسجد، مدرسة، أو كتّاب ...) وكان للوقف دور كبير في بقاء واستمرار التّعليم والعلم في الجزائر، للمزيد: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، ص209.

إضافة إلى علوم اللّغة، بينما قلّت الكتب الخاصّة بالتّاريخ، الجغرافيا، الحساب، الفلك والطّب[1].

كما انتشرت المكتبات في الجزائر وتنوّعت أنواعها ومحتوياتها، إضافة إلى المكتبات التي كانت موجودة قبل مجيء الأتراك والذين أحضروا معهم مكتباتهم إلى الجزائر وأكثر ما احتوت عليه كان خاصّاً بالمذهب الحنفي والمنسوخة بخطوط متنوّعة، من خط اندلسي على الخط العثماني الذي استقدموه معهم.

كما انتشر التّصوّف[2] ونشكل كبير خلال فترة الوجود العثماني بالجزائر، حتّى أصبح للمتصوّفة دور وتأثير كبير على مجريات الحياة السّياسية والاجتماعية بالبلاد.

ورغم أنّ التّصوّف كان موجوداً قبل مجيء العثمانيين، ففي خلال الحكم الزّياني للجزائر وُجد التّصوّف ولكن بشكل آخر[3]، أمّا في فترة الأتراك فقد اتّخذ التّصوّف شكلاً مغايراً لما كان عليه، فقد أصبح شعبياً يُمارسه عامّة الشّعب الجزائري وتعدّدت الطّرق

---

[1]أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر "بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د. ت، ص 166.

[2]التّصوّف لغة: هو مستقّ من صوف ، تصوّف، فالصّوفي مع الله كالصّوفة المطروحة، مستسلم لله عزّ وجل، واصطلاحاً فهو الانفراد والتّفرّغ لعبادة الله وحده.، عبد القادر صحراوي: التّصوّف والمتصوّفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثّامن عشر، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2008، 2009م، ص صن 11 -13.

[3]كان التّصوّف في العهد الزياني نخبوياً أي حكراً على النّخبة المتعلّمة، ففي تلمسان الزّيانية كان الشّيوخ مثل ابن الزروقي يجتمعون في أوقات خاصّة في أماكن للتّعبّد والزّهد، يقوم بالصّلاة وأدعية وعرفت عنهم الكرامات وأصبحت أضرحتهم مقصداً للتّبرّك، الشّفاء ودعاء الله، ينظر إلى: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2،مرجع سابق، ص 253.

الصّوفية والتي انتشرت في مختلف أنحاء البلاد، مثل الطّريق الرحمانية، الدرقاوية، التيجانية ...الخ.

ومن أوّل متصوّفة العهد العثماني يذكر الشّيخ عبد الرحمن الثّعالبي والذي توفّي في بدايات العهد العثماني، لكن بنيت له مدرسة وزاوية وسمّيت باسمه ولازالت لحدّ السّاعة مقصداً للنّاس للتّبرّك له.

المبحث الثاني: ترجمة الكاتب وموقفه من قضايا عصره:

المطلب الأول: ترجمة الكاتب:

للتعريف بالكاتب الشيخ علي بن داود المطماطي طرقنا مختلف أبواب البحث وطرقه حيث بحثنا في مختلف المؤلفات والمعاجم ،من كتب التّراجم والسّير والأعلام الجزائرية والعربية عن ترجمة للشّيخ علي بن داود البوعناني المطماطي أو أي معلومات تعرفه لكن دون جدوى، فوجدنا انه ذكر اسمه في فهارس مخطوطات مثل فهرس مخطوطات مكتبة المسجد النبوي دو ن تعريف له،كما سألت العديد من الباحثين والأساتذة و أهالي وشيوخ الزوايا وفي مخ تلف مواقع البحث عنه لكن لا نتيجة.

لهذا اعتمدت في تعريفه على نسختي الكتاب المدروس و ما استقصيته من معلومات من نص هذا المخطوط والذي قال فيه :".... فيقول الطالب من الله أن يكون في زمرة الصُلحاء من العلماء، والراغب منه أن يجعله في حضرة الشهداء الكرماء، العبد الفقير الضعيف الجاني، علي بن داود المطماطي الشريف البوعناني، غفر الله ذنبه وستر ذنبه وكرمه عيبه..." [1]

يتبين لنا أن الكاتب من قبائل مطماطة وهي قبائل بربرية[2] منتشرة في مختلف أنحاء بلاد المغرب العربي منذ زمن سابق حسب ما يذكره لنا ابن خلدون في تاريخه ، وقبائل مطماطة حاليا موجودة ولها فروع في كل من المغرب الأقصى ،الجزائر وحتى تونس[3].. وقد قال الأستاذ مختار حساني أنّ الاحتمال الأغلب أن يكون الشّيخ علي بن

---

[1] قسم التحقيق,ص3.

[2] حسب ابن خلدون فان قبيلة مطماطة هي من ولد مطماطة بن فاتن ... بن مادغيس الأبتر. للمزيد ينظر الى: ابن خلدون عبد الرحمن : تاريخ ابن خلدون المسمى: " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"،ج6،دط،دار الفكر،بيروت،دت،ص 116.

[3] مَطْمَاطَة مدينة صغيرة ناطقة باللغة الأمازيغية، في الجنوب الشرقي التونسي. تقع جنوب شرق مدينة قابس، وهي تابعة لولاية قابس. .

داود من فرع مطماطة المتواجدة في ثنية الحد في تيسمسيلت وعين الدّفلى أيضاً تتواجد بها مطماطة.

-وأما عن تعليم الشيخ البوعناني فيقول انه أخذ عن العديد من العلماء والشيوخ ،فهو تعلّم على يد والده، الذي يقول أنّه كان عالما وفقيهاً في زمانه.

وعن علمائه أيضا من خلال مخطوطه هذا فيقول أخذ عن علماء في عصره مثل الشيخ أحمد الورغمي التونسي والذي التقى به سنة 1135هـ بمدينة قابس بتونس فربما يكون الكاتب قد ارتحل لتونس لطلب العلم ولكننا لم نستطع الوقوف علي هذا الشيخ .

وكما أخذ الشّيخ البوعناني عن الشّيخ أبي عمران موسى بن عمر الجمني والذي قال أنّه نزيل بلدنا هذا ما يدلّ على ارتحاله أيضاً للمغرب الأقصى لطلب العلم والأخذ عن علمائها.

وأما عن تاريخ وفاته فما نكتشفه من خلال هذا المخطوط المحقّق فهو يسرد أخبار محمد باشا وأحوال البلاد، ليتوقّف عند سنة 1989هـ ولم يذكر ّ معلومات أو أحداث بعد هذا التاريخ وأيضاً لم يذكر أي خبر عمن خلف محمد باشا وباقي أحداث تاريخ الجزائر بعد هذه السنة.

وأمّا عن مؤلّفاته فلم نتوصل للشيخ البوعناني أيّ شيء عن مؤلفاته رغم أنّنا نكاد نجزم أنّه كان كثير التأليف والكتابة ونذكر نظرا لعلمه ، فمن الكتاب نرى انه موسوعي العلم بمختلف مجالاته الدينية،العقلية، وحتى النقلية، وذكر الكاتب انه كتب قبل هذا الكتاب مؤلفا أخر وهو:

– تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفّار: فيقول الشّيخ بن داود أنّ كتب مخطوط "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان

الجزائر على قتال الكفّار" محلّ تحقيقنا كشرح على تأليفه السابق والذي يحمل عنوان: "تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفّار"[1] وبعد أن وجده صعب الفهم على بعض الناس لهذا قرّر تأليف شرح له لتسهيل فهمه واستيعابه والاستفادة منه ومن الواضح أنّه كتبه بفترة جيّدة قبل كتابة مخطوط شرح تنوير البصائر موضوع دراستنا هذه وتوجد نسخة منه في الزاوية العثمانية في طولقة ببسكرة بالجزائر .

المطلب الثاني: أسلوبه:

الكتاب الذي ندرسه عنا هو كتاب متنوع المواضيع والاتجاهات العلمية والفكرية فقد تناول الشيخ المطماطي العديد من المسائل الدينية والفقهية والأحداث التاريخية مما انعكس على أسلوب الكاتب في كتابته له، وهولا يكاد يختلف كثيرا عن أسلوب أقرانه من علماء عصره.

اعتمد الكاتب على الدمج بين النثر والشعر مما زاد أسلوبه تميزا وقوة ،حيث انه تناول أحكاما محددة بالأدلة القاطعة مثل حكم الجهاد في سبيل الله وغير ذلك ،كما انه نظم في أغراض عدة أخرى مثل المدح كمدحه للداي محمد عثمان باشا وصالح باي وانجازاتهما، استعمل الكاتب بكثرة الاستشهادات بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وحتى أبيات الشعر العربي، فلا يكاد يتطرق لام راو مسالة إلا وأكده أو ناقشه بالآيات القران الكريم والأحاديث النبوية.

تميز أسلوب الكاتب بالبساطة والسلاسة في ألفاظه ربما لأنه جاء شرح لكتاب أخر لهذا جاءت كلماته سهلة مباشرة حتى يفهما مختلف شرائح الناس باختلاف مستوياتهم الفكرية، والملاحظ أيضا على أسلوب الكاتب عدم ترتيب الأفكار والمواضيع وتسلسلها حيث انه يكون يتكلم في مسالة أو في حدث تاريخي لينتقل الى موضوع غيره

[1] مختار حساني: مرجع سبق ذكره,ص217.

دون إتمامه وفي مرات يعود للأول بعد مسائل عدة ومواضيع أخرى،كما انه كان يذكر أسماء لشخصيات وعلماء لكن لا يذكر اسمهم الكامل مما صعب علينا الوصول عليهم .

ومما ميز أسلوب الكاتب أيضا انه لم يكن موضوعي في الكتابة لأننا نجده يمجد كل من الباي صالح باي والداي محمد باشا ولا يذكر لهما أي خطا أو زلة بل انه يخرجهما من قدرة واستطاعة البشر وهذا يؤكد انه كان يعمل ككاتب في بلاط العثمانيين وإلا لاتخذ موقف الحياد وت حدث لكل واحد بما له وما عليه.

المبحث الثالث: موقف الكاتب من قضايا عصره:

المطلب الأول: الشيخ البوعناني والداي محمد عثمان باشا

لقد عاصر الشّيخ البوعناني أواخر فترة الحكم العثماني للجزائر ونقرأ من مخطوطه هذا أنّه يُرحّب بوجودهم في البلاد ويؤيّد حكمهم والدّليل على هذا تأييده ومدحه للدّاي العثماني محمد عثمان باشا داي الجزائر، ، فقال عنه: «... السلطان ... أبي عبد الله هي كنيته لكلّ من سمّي باسم محمد ...» وعن مولده فقال: «... الكتلولاري نسبة إلى كتلولار وهي قرية من قرى أرض العجم ممّا يلي الخليج الرّومي ...»[1]، ربما يعود هذا المدح الى سياسة الداي محمد عثمان باشا[2] والتي يتفق المؤرخون أنها اختلفت عن غيره من حكام الجز ائر.

ولقد بالغ المؤلّف في وصف شجاعة محمد باشا في الدّفاع عن الجزائر والتّصدّي للحملات الأوربية[3]، فهنا يقول: «... وجاؤوا أوفى عدد وعُدد بأكثر من الأولى وكان مرادهم أن ينزلوا ثانياً، حيث نزلوا أوّلاً فوجدوا هذا السّلطان الكريم والمجاهد العظيم قد بنا

---

[1] ينظر لقسم التحقيق,ص276.

[2] تولى الداي عثمان باشا حكم الجزائر سنة 1754م وكان عارفا بالبلاد وأهلها فقد تولى منصب الخز ناجي وقبل عمل في الأجواق .ينظر الى :احمد توفيق المدني :مذكرات احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ويليه الداي محمد عثمان باشا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1974، ص15. وأيضا ينظر الى: محمد مبارك الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج3،مكتبة النهضة الجزائرية، ص229

[3] تعرضت الجزائر خلال فترة حكم الداي محمد عثمان باشا لعدة حملات أوروبية منها حملة انطونيو بارسيلو الأولى والثانية وتصدى الداي وجيشه لها وهزمهم وأنقذ الجزائر منها .ينظر الى:توفيق المدني :حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492_1972،ط1،دار البصائر،الجزائر،2007م، ص473

في ذلك المحلّ ما يُرهب جنوده ويبيد جهدهم ... ولزموا ماء البحر كالحيتان إذا حام بنوا الأجدل ...»[1]،

وعن هذه الحملة جاء في كتاب تاريخ بايات قسنطينة لمؤلّف مجهول «... في سنة 1780م توجّه إلى الجنوب وأرغم شيخ الدّواودة الدباح على الطاعة وكذلك شيخ توقرت فرحات بن جلاب وتمكّن من جني الجباية من المناطق الممتدّة من بسكرة إلى توقرت»[2].

ووصف الشّيخ البوعناني أعمال محمد باشا وإصلاحاته في البلاد وصفاً دقيقاً، ممّا يدلّ على أنّه كان مقرّباً منه وطبعاً يمدحه كثيراً، فيقول عن إنجازاته في البلاد :"....ثمّ لم يزل هذا السّلطان الصّلح والمؤمن الكامل النّاصح مشغول بأمر الجهاد و......... به ولع الفلكي بالأرصاد ...... وزاد في إصلاح .... وبناء ما لا يخاف به الله مادامت الدّهور منها برج عظيم البناء أحدثه فدام موضع يعرف برأس عمار وأسس أركانه ...... وجعل عليه مدافع عظيمة بالتفرد ...»[3].

وذكر في كتابه هذا أيضاً من إنجازات محمد باشا، كالتالي:

- **بناء طبانة حراس: طبانة الجزيرة، طبانة باب الواد.**
- **طبانة المجاهدين: طبانة الدباغين، طبانة برج ابن ينارة، طبانة مرسى الذوبان، برج السردين.**

---

[1]ينظر الى: جون وولف: الجزائر وأروبا(1830-1500)، تر:أبو القاسم سعد الله،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986، ص407.

[2]مختار حساني، قراءة في مخطوط شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار، ص 219.

[3]سيتم التطرق لأعمال الداي محمد عثمان باشا في قسم التحقيق وللمزيد ينظر الى:احمد توفيق المدني :مذكرات احمد الشريف الزهار: مرجع سابق،ص24.

- **طبانة برج بوليلة، طبانة البرج الغول.**

اهتمّ محمد باشا بالأسطول: ويقول «وأخبرني غير واحد ممّن أثق به بأنّه منذ تولّي المملكة والبحر عامر بالمجاهدين من الجزائر بأمره وتجهيزه، بحيث لا تزال كلّ شهر ترى مركباً خارجة غازية وأخرى داخلة غانمة وعظم الخطب والصّيت على المشركين من .... عمل اسبانيا وعظيم ما أصابهم....»[1].

ووصف حكمه قائلاً: «... كان أميراً عادلاً، ورعاً، صالحاً، حسن السيرة، طاهر السّريرة، له آثار ومناقب جميلة ويحسن الثّناء عليه كقلبه ...»[2]

ولقد استرسل المؤلّف في وصف بمدح كبير لانجازات محمد باشا داي الجزائر وبنائه لمسجد في العاصمة أو دار السّلطان، فيقول عنه هنا «... ومن حسن صنعه مع الله .... لأحد تماثله ...»[3].

المطلب الثاني: موقفه من حكم صالح باي

لم يختلف موقف الشّيخ علي بن داود من محمد باشا داي الجزائر العثماني عن موقفه من صالح باي[4] بايلك الشّرق قسنطينة، فنجده يُبجّل أعماله وإنجازاته ويمدح طريقة حكمه وتسييره لشؤون البايلك، فيقول عن إنجازاته وإصلاحاته في بايلك قسنطينة: «... ولمّا علم خليفة الزكيا لأرشد الصالح باي رغبة سيّده السّلطان المذكور في فعل المكرمات

---

[1] ينظر لقسم التحقيق ,ص

[2] قسم تحقيق,ص389.

[3] قسم تحقيق,ص393.

[4] تولى صالح باي حكم باي قسنطينة منذ سنة1771م خلفا للباي احمد القلي والذي زوجه ابنته وعينه نائبا له واقترحه خلفا له للداي محمد عثمان باشا نظرا لما عرف عنه من الحكمة والشجاعة.ينظر الى:احمد توفيق المدني:محمد عثمان باشا(1766-1791)سيرته،حروبه،أعماله،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1986م،ص133.36

واجتهاده في الأعمال الصالحة شرعوا أيضاً في بناء المساجد والمدارس وجلب العلماء إلى بلده...»[1].

ففي سنة 1789هـ قام صالح باي ببناء مدرسة بجوار جامع سيدي الأخضر وأحضر لها المدرّسين، كما قرّب إليه العلماء مثل عبد القادر الراشدي المفتي وكذلك الشيخ بن جلول شعبان والذي اشتغل كقاض الحنفية في قسنطينة كما كان أديبا وعالما من علماء عصره.

وقال أيضا الشيخ البوعناني فيما يخص صالح باي: «... ومن العجائب الاتّفاقية الربانية أنّي لما بلغت من شرح هذا الكتاب هذا المحل ورد أمير المؤمنين ومحب العلماء والصّالحين ومطعم الفقراء والمساكين أبي الإيالة صالح باي من ناحية الزيبان ... عن كثير من المنكر ...»[2].

كما وصف الكاتب أيضا حملة صالح باي لمنطقة الزيبان لإخضاع أهلها وإخماد التّمرّدات هناك وإبقائها تحت سلطة الداي العثماني[3]، وكذلك يذكر إدخاله للماء للمدينة ليستفيد سكّانها من الماء[4].

---

[1] قسم تحقي ق,ص402.

[2] قسم تحقيق,ص401.

[3] قام صالح باي بحملة على الجنوب لجمع الضرائب من طولقة و بوشقرون وغيرها كما انه فرض حصارا على منطقة تقرت دام لأسابيع حتى استسلم شيوخها،ينظر الى:صالح بوعياد :الجزائر خلال الحكم التركي(1830-1514)،ط2،دار هومة،الجزائر،2007م،ص ص177-178.

[4] قام صالح باي بأعمال جليلة لبايلك قسنطينة وأهلها حتى انه أوقف العديد من ممتلكاته الخاصة لوجه الله تعالى: سجل صالح باي للأوقاف، تح.فاطمة قشي: دار البهاء للنشر والتوزيع،الجزائر،2009م.

الفصل الثاني:الكتاب

المبحث الأول: عنوان الكتاب ونسبته لصاحبه

المطلب الأول: عنوان الكتاب

المطلب الثاني:نسبته لصاحبه:

المبحث الثاني:توصيف النسخ وأسباب التأليف

المطلب الأول: توصيف النسختين الأولى والثانية

المطلب الثاني:أسباب التأليف :

المبحث الثالث:مصادر الكتاب ومحتواه

المطلب الأول: مصادر الكتاب

المطلب الثاني:محتواه

المطلب الثالث : منهج التحقيق

قسم الدراسة

الفصل الثاني: الكتاب

المبحث الأول: عنوان المخطوط ونسبته للمؤلف:

المطلب الأول:عنوان المخطوط

البحث عن عنوان الكتاب دفعنا للتنقيب في مؤلفات الكاتب الشيخ علي بن داود المطماطي لكننا لا نعلم منها كما قدمنا سلفا إلا تأليفه بعنوان:"تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار "الذي يتواجد منه نسخة في الزاوية العثمانية ببسكرة ولكنه لا يساعدنا في الموقع باعتبار أن الكتاب المدروس ألفه زمنيا بعدة باعتباره جاء كشرح للمخطوط المذكور.

وللبحث عن عنوان الكتاب كان علينا البحث في صفحات نسختي المخطوط محل الدراسة اللتان اعتمدنا عليها في دراسته لنجد ذكر عنوانه في بداية المخطوط في كلا نسختيه، عنوان الكتاب هو "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار" حسب ما جاء في مقدمة نسختي المخطوط حيث يقول الكاتب الشيخ البوعناني: ".....فيقول "الطالب حسن الله" أن يكون في زمرة الصّلحاء من العلماء والرّاغب منه أن يجعله في حفرة الشّهداء الكرماء، العبد الفقير الضّعيف الجاني "علي بن داود المطماطي الشّريف البوعناني" غفر الله ذنبه وستر ذنبه وكرمه عيبه، شرح لطيف المعاني ... وضعته على تأليفي المسمّى تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفّار ...».[1]

كما بحثنا عن عنوان الكتاب في كتب مختلفة من كتب المؤلفين وفهارس المخطوطات وغيرها فلم نجد عنوان الكتاب ولا أي تأليف أخر للشيخ علي البوعناني إلا ما جاء في كتاب فهرسة معلمه "التراث الجزائري بين القديم والحديث" للأستاذ بشير

---

[1] ينظر لقسم التحقيق، ص3.

ضيف في قسم مخطوطات الخاص بقسم مخطوطات علم التاريخ، تحت اسم "تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار" [1] دون كلمة شرح في بداية العنوان.

وهذا يؤكّد أنّ للكاتب كتابين يتشابهان في العنوان لكنّهما ليسا نفس الكتاب، فهذا الكتاب عنوانه هو "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفّار" وأمّا كتاب "تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار" فهو كتاب آخر لنفس الكاتب علي البوعناني وهو موجود بشكل مخطوط بزاوية طولقة وبعد اطّلاعي عليه وجدته ملخّص لماذا الكتاب "شرح تنوير البصائر ...."

ولعلّ الدّافع لكتابة هذا الشّرح على كتابه الأوّل "تنوير البصائر والأبصار" هو رغبة في تفصيل وشرح ما جاء فيه من أحداث وألفاظ تستدعي التّوسّع فيها أكثر ممّا كتبه عنها.

المطلب الثاني: نسبة العنوان للمؤلف

للبث في صحة نسب مخطوط "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار" للشيخ علي بن داود البوعناني المطماطي، لابد من أدلة على هذه النسب من داخل الكتاب وخارجه.

من داخل الكتاب نجد في كلا نسختي المخطوط محل الدراسة في بدايته :".... فيقول الطالب من الله أن يكون في زمرة الصُلحاء من العلماء، والراغب منه أن يجعله في حضرة الشهداء الكرماء، العبد الفقير الضعيف الجاني، علي بن داود المطماطي الشريف البوعناني ، غفر الله ذنبه وستر ذنبه وكرمه عيبه..... هذا شرح لطيف المعاني والفوائد،

---

[1] بشير ضيف: معلمة التراث الجزائري في القديم والحديث،دط، مطبعة ثالة ، الجزائر ،دت،ص269.

حسن المباني والزوائد، سمحت به الفكرة الجامدة، والقريحة الذبول الخامدة، وضعته على تأليفي المسمَّى بـ «تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار» يحل مبانيه ويفسر معانيه؛ لأن صاحب البيت –كما قيل– أعلم بما فيه، واعتذر لكل ذي فكر وقاد، وعالم متضلع حافظ نقاد، سواءً وجد فيه خلل النقص أو تخيَّل أن الزكاة في الوقت، يشغل البال من تراكم المحن والأهوال، والغربة وترادف الأوجال ، مع عدم المواد التي هي لبيت التأليف عماد، وقلة الاجتهاد، الذي هو لكمال بقائه أوتاد...."[1]

من خلال هذا الكلام يتأكد لنا صحو نسب الكتاب هذا وانه حقا من تأليف الشيخ علي بن داود البوعناني رحمه الله.

وفيما يخص خارج الكتاب فلم نجد إثبات على نسبة الكتاب لصاحبه في ظل عدم معرفتنا لمؤلفات أخرى للشيخ علي بن داود البوعناني إلا ما ذكرناه سابقا مخطوط " تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار"، من خلال قراءة كلا المخطوطين والمقارنة بينهما نلاحظ تشابه كبيرا من حيث أسلوب الكتابة والمصطلحات وحتى الألفاظ المستعملة أيضا ، مما يؤكد أن كلا الكتابين لنفس الكاتب.

[1] قسم تحقيق ,ض 1,

المبحث الثاني: توصيف النسخ وأسباب التأليف

المطلب الأول: توصيف النسخ

اعتمدت في تحقيق مخطوط "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفّار" على نسختين، تمكّنت من الحصول عليهما بعد رحلة طويلة من البحث في مجال المخطوط لأدرسه وفيما يلي بيان النّسخ المخطوط التي اعتمدت عليها في النّسخ والمقابلة:

أولا: النسخة الأولى:

أ. **نسخة مكتبة المسجد النّبوي رقم 218:** تحصّلت على هذه النسخة بشكل نسخة مصورة (ب د ف) من مكتبة المسجد النّبوي، الموجودة بالمدينة المنوّرة بالمملكة العربية السّعودية ورقمها 218، وهي تتكوّن من 218 لوحة وهي المادّة التي حقّقتها من اللّوحة الأولى إلى اللّوحة الأخيرة من نسخة المخطوط، وهي نسخة في حالة جيّدة، كاملة و غير ناقصة، نجهل تاريخ نسخها فلم يتم ذكر ذلك في هذه النّسخة.

النّسخة هذه كتبت بالمداد الأسود وبعض الكلمات كتبت بالمداد الأحمر، مثل كلمات: الحمد لله، الصّلاة، محمد، بسم الله الرحمن الرحيم وبعد، فكلّ هذه الكلمات كتبت بالحمر الأحمر [1].

نص المخطوط كتب داخل إطا ر المزدوج، الخطوط باللّون الأحمر، فالإطار المزدوج يُحيط بنص المخطوط كلّياً بجميع الجهات الأربع وأعطى لها شكلا جميلاً، ناسخ هذه النّسخة هو "محمد بن الحاج أحمد المحجوب" وهو مذكور في آخر النّسخة: «...

---

[1] ينظر اللوحة الأولى الصورة في الصفحة الموالية .

فقر ربه المرغوب محمد بن الحاج أحمد المحجوب ابن بنت المؤلّف لهذا الكتاب رحمه الله ...»[1].

وفي المخطوط:

اخترت هذه النّسخة الأم أو الأصل في تحقيقي لهذا المخطوط، لأنّها مكتوبة بخط أحد من أهل الكتاب، فالنّاسخ حفيده من ابنته وبالتّأكيد كان حريصاً جدّاً في نقل المضمون حفاظاً على ارث جدّه وكذلك اخترتها الأصل لأنّها كاملة وغير ناقصة من الأوّل والآخر وكذلك لأنّ خطّها واضح ومفهوم وكذلك من تحريري الأوّل هي أقل أخطاء من نسخة ثانية ورمزت لها بالرّمز الأصل.

وفي هذه النّسخة تعليقات في حواشي المخطوط، فمثلاً في الصّفحة الأولى كتب فيها في خارج الإطار في حاشية الصّفحة «... من الحق بالحق بشيراً ونذيراً ...» وكتبت هذه التعليقات هذه بنفس خط نص المخطوط.

وكذلك هناك صفحات عديدة تحتوي تعليقات في حواشيها:

- **رقم الحفظ: 7/ 218.**
- **عدد الأوراق: 217.**
- **أرقام الأقلام: 127.**
- **رقم الحساب: 1429.**
- **عدد الأسطر: 21 سطر في كلّ أوراق المخطوط.**
- **مقاس الورقة: 27 x 18 سم.**
- **لون أوراق هذه النّسخة أصفر داكن قليلاً.**

---

[1] الصورة في الصفحة التالية.

ثانيا: النسخة الثانية:

النّسخة الثّانية هي النّسخة التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا المخطوط، هي من دار الكتب الوطنية بتونس عاصمة دولة تونس، رقم هذه النّسخة هو 283، هو بحالة جيّدة، كاملة وغير ناقصة وحالة ورقه جيّدة.

هذه النّسخة مكتوبة بخط كبير جدّاً مقارنة بالنّسخة الأولى، وما يُميّز هذه النّسخة وجود كتابات على هامشها تُقسّمها إلى مواضيع، أي يكتب في حاشية الورق عنوان موضوع أو فقرة النّص وكأنّها عناوين فرعية لمحتوى نص المخطوط.

النّسخة مكتوبة بالمداد البنّي المائل للسّواد، مع كتابة بعض الكلمات بالمداد الأحمر اللّون مثل: الحمد لله، الصّلاة، محمد، ... وغيرها وأيضاً هذه النّسخة نصّها مكتوب داخل إطار مزدوج الخط يُحيط بالنّص من أربع جهات.

لون ورق هذه النّسخة بين أصفر باهت.

مقياسها: 21.5 x 15.

عدد الأسطر: 20 سطراً.

	النسخة الأولى(أ)	النسخة الثانية(ب)
العنوان	شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار	شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار
تصنيف موضوعه	متنوع الموضوع فتاوى ،تاريخ أخبار..	متنوع الموضوع فتاوى ، تاريخ أخبار..
أوله	الحمد لله الذي استعمل على هذه الملة	الحمد لله الذي استعمل على

	الحنيفية من يستعمر الأرض والبلاد وأغنى من أهلها بالمضاعفة من أقرضه قرضًا حسنًا،	هذه الملة الحنيفية من يستعمر الأرض والبلاد وأغنى من أهلها بالمضاعفة من أقرضه قرضًا حسنًا،
أخره	وان ينعمنا بالنظر الى ذاته الكريمة في فسيح الجنان وان ينفعنا بشفاعة الشفيع الصادق خير الأنام	وان ينعمنا بالنظر الى ذاته الكريمة في فسيح الجنان وان ينفعنا بشفاعة الشفيع الصادق خير الأنام
عدد صفحاته	430	560
عدد لوحاته	220	580
مقاس الورق	27 x 18 سم	21.5 x 15سم.
عدد الأسطر	21سطرا	20سطرا
الإطارات	إطار مزدوج من كل الجوانب بلون احمر في اغلب أوراق	إطار مزدوج من كل الجوانب بلون احمر في اغلب أوراق
نوع الورق ولونه	ورق متين لونه اصفر بني	ورق متين لونه اصفر بني
التجليد	تجليد بجلد اسود اللون جيد	تجليد بجلد احمر اللون جيد
التعليقات والهوامش	فيه استدراكات قليلة في الهامش	فيه استدراكات بعناوين محتويات الكتاب وهي كثيرة
نوع الخط	خط مغربي جيد	خط مغربي كبير
ترقيمه في مكان حفظه	216	283
مكان الحفظ	مكتبة المسجد النبوي مكة	دار الكتب التونسية تونس
حالة المخطوط	في حالة جيدة	في حالة جيدة





الصفحات الأولى والأخيرة من نسخة مكتبة المسجد النبوي





الصفحة الأولى والأخيرة من نسخة مكتبة دار الكتب التونسية

المطلب الثاني: أسباب التأليف

قبل التطرق لأسباب تأليف هذا الكتاب من طرف الشيخ علي بن داود البوعناني لابد ان نعرج عن تاريخ كتابته له فلم نجده مذكورا في كلا نسختي الكتاب المدروس ولكن من دراستنا له يمكننا ان نستنتج انه كتبه في فترة أواخر حكم صالح باي لبايلك الشرق وهي نفس فترة حكم محمد عثمان باشا داي الجزائر لأننا نجده يصف أعمالهما بدقة وكأنه عايشها ورآها وواكبها بمراحلها، وبما ان هذا التأليف جاء كشرح على كتاب أخر المسمى: "تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار" لكنه أيضا لا يحتوي على تاريخ تأليفه مما لم يساعدنا في الاستدلال على تاريخ تأليف الكتاب المدروس.

دوافع التأليف:

إنّ العوامل التي دفعت بالشّيخ علي البوعناني لتأليف هذا الكتاب متعدّدة ومتنوّعة منها:

_العامل العلمي فالكاتب ألف هذا الكتاب كشرح على تأليف سابق له وهو"تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار"فقد دفعه حبه للعلم وحرصه على نشرته بين اكبر شريحة من الناس ليستفيدوا منه لهذا قام بتأليفه وشرح ما جاء في السابق لتسهيل فهمه والاستفادة منه[1] .

- العامل الديني والذي يتمثّل في الحث على الجهاد، أي جهاد الجزائريين المسلمين الأوربيين الصّليبيين، الذين قاموا بحملات للسّواحل الجزائرية بهدف غزو الجزائر، فانطلاقاً من إيمانه والدين الإسلامي الحنيف والذي يدعوا إلى جهاد الكفّار والدّفاع عن

[1] قسم تحقيق,ص2.

الإسلام والمسلمين والبلاد الإسلامية، قام الكاتب بتأليف هذا الكتاب لبث روح الجهاد في نفوس الجزائريين وإشعال نار الحماسة ونار الغيرة على الإسلام وبلاده.

فالجزائر في تلك الفترة تكاثرت عليها الحملات الأوربية، مثل حملة اوريلي التي كانت سنة 1775م[1] والتي أمر بإرسالها الملك فيليب الخامس ملك إسبانيا للجزائر لاحتلالها، لكنّها فشلت، ثمّ وجّهت حملة ثانية في نفس السّنة وكان مصيرها نفس مصير الحملة السابقة بسبب تصدّي الجيوش الجزائرية لهذه الحملات والقضاء على قوّتها وحملها على الفرار إلى إسبانيا للنّجاة من قوّة الجيوش الجزائرية.

–الدافع الوطني وهو التّأكيد على وحدة الشّعب الجزائري وتوحّده وراء الحكم العثماني المسلم، باعتباره امتدادا لحكم الخلافة الإسلامية المتمثّلة في الدّولة العثمانية، فالكاتب نجده يؤكّد أنّ العثمانيين هو مسلمين على الجزائريين مساندتهم والتّعاون معهم بشكل كامل للقضاء على الحملات الأوربية ونجد الكاتب في كتابه هذا يرفض رفضاً تامّاً أن يعتبر أنّ الأتراك أعداء ويجب على الجزائريين عدم التّعاون معهم ضدّ الأوربيين، فهو يُحبّ الأتراك ويُثني على طريقة حكمهم وتسييرهم للجزائر.

---

[1] احمد توفيق المدني:حرب ثلاثمة,مرجع سابق,ص242.س

المبحث الثالث: محتوى الكتاب ومصادره

المطلب الأول: محتوى الكتاب

كتاب "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفّار" يقع في جزء واحد ، ومن عنوانه يعتقد القارئ انه كتاب تاريخي محض، لكن عندما نقرؤه نرى انه كتاب متنوّع مواضيع بين محتواه بين تاريخ إسلامي وتاريخ وطني خاص بالجزائر، إضافة على ترجمة وأيضاً إلى الإرشاد والوعيظ ونذكر من محتوياته:

العلوم الدينية:

أ- **فضل البسملة:** بدأ الشّيخ "علي البوعناني" كتابه هذا بالبسملة وذكر قيمتها وفوائدها، فيقول عنها «... بسم الله الرحمن الرّحيم ابتدأ بهذه الكلمة الشّريفة، مستحب اقتداءاً بالكتب السّماوية التي أشرحها ...»[1]، فهو يُؤكّد أنّ خير ما كتب هو من يبدأ بكلمة بسم الله الرحمن الرّحيم، فهي موجودة وأنزلها الله على سيدنا آدم عليه السّلام وعلى سيدنا ورّسولنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، فيقول: «... أنّها نزلت على آدم ثمّ رجعت ونزلت على من بعده حتّى نزلت على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم ...»[2]، ليذكر فضل ذِكرها بالأدلّة من الحديث النّبوي الشّريف.

فضل الصّلاة على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: عرض الشيخ "البوعناني" أهمية الصّلاة على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وذكر فضلها وحثّ عليها وقال أنّها وصيّة الله عزّ وجلّ وكذلك وصيّة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم للمسلمين وعن فضل الصّلاة على سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، فيقول: «... إنّ الصّلاة على النّبي صلّى الله عليه وسلّم عشر كرامات، إحداهنّ صلاة الملك الجبّار والثّانية شفاعة النّبي المختار

---

1 قسم تحقيق,ص3

2 قسم تحقيق,ص5

والثالثة الإقتداء بالملائكة الأبرار والرّابعة مخالفة المنافقين والكفّار والخامسة محو الخطايا والأوزار والسّادسة العون على قضاء الحوايج والأوطار والسّابعة تنوير الظّواهر والأسرار والثامنة النّجاة من دار .... والتّاسعة دخول دار القرار والعاشرة كلام الرّحيم الغفّار ...» .[1]

الحديث النّبوي الشّريف: من بين المواضيع التي تضمّنها هذا الكتاب، نجد أحاديث رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، ففي هذا لكتاب أحاديث نبوية شريفة كثيرة، فقد استعمل الكاتب الحديث النّبوي كدليل قاطع يُبرز مكانة الجهاد والمجاهد في سبيل الله وكذلك يؤكّد أنّ الفرض واجب وفرض على كلّ مسلم قادر.

ففي هذا الباب حثّ المسلمين الجزائريين على جهاد الغزاة الأوربيين، جاء الشّيخ "البوعناني" بأربعين حديثاً شريفاً ليؤكّد ويُقوّي رأيه وموقفه للنّاس وأوّل حديث هو قوله: «... أيّ هذا الذي سنذكره هو الحديث الأوّل من الأربعين التي وعدنا بها قبل والمراد بالحديث كما قال الكرماني في عرف الشّرع ... قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "... إذ للمجاهد من نعله .... مزيد وزوجة الدين وولدها جانيان وحوار الجنّة وولدها ...».[2]

والغرض من استعمال هذه الأحاديث الأربعون في هذا الكتاب هو حثّ النّاس على جهاد الغزاة الأوربيين للسّواحل الجزائرية واعتبارها حرباً من الحروب الصّليبية المسيحية ضدّ الإسلام والمسلمين وكذلك وصف لجزاء المجاهد وما وعده ربّه به من جنّات وحور عين وأجر عظيم، ليزيد حماسة المجاهدين ويثبّتهم عند قتال الكفّار الأوربيين كما وصفهم.

---

[1] قسم تحقيق ,ص165

[2] قسم تحقيق,ص176

قسم الدراسة

الفصل الثاني: الكتاب

التاريخ الإسلامي: الكتاب يتناول تاريخ العالم الإسلامي من بداية نبوّة سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم ويتناول بالتّفاصيل غزوات الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين ومن هذه الغزوات التي ذكرها في كتابه هذا نذكر:

- **غزوة تبوك:**

- **غزوة بني قينقاع:** ويقول عنها «... كانت في العام الثاني من الهجرة، خرج الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في منتصف شهر شوال .... وهم يهود نقضوا عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ...»[1]، فنجد الكاتب يُؤرّخ لغزوات الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

- **غزوة بني النّظير، غزوة ذات الرفاع.**
- **غزوة بني قريضة، غزوة بني المصطلف.**
- **غزوة خيبر وغزوة مؤتة وغيرها من الغزوات الإسلامية.**

تاريخ الجزائر:

كتب الكاتب في هذا الكتاب عن فترة مهمة من تاريخ الجزائر وهي فترة حكم صالح باي لبايلك قسنطينة وهي نفسها فترة حكم الداي محمد بن عثمان باشا ايالة الجزائر العثمانية ، وهي الفترة التي عاشها الكاتب فكتب عنها

وأعطى الدّليل على فضل الصّلاة على الرّسول محمد صلّى الله عليه وسلّم بالحديث النّبوي.

التّراجم: نجد في هذا الكتاب ذكر العديد من الشّخصيات، سواء كانوا علماء أو أنبياء أو حكّام، عرّفهم الكاتب وترجم لهم ومن بينهم سيرة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وكذلك عرّف بالخلفاء الرّاشدين.

---

[1] قسم تحقيق,ص214

ومن الشّخصيات أيضاً التي ترجم لها الكاتب نجد "الداي محمد باشا" وهو داي حكم الجزائر خلال فترة التواجد العثماني فيها [1795م – 1805م] ولقد عاصر الكاتب هذا الدّاي ولهذا نجده يتكلّم عنه وعن الأحداث التي وقعت في فترة حكمه، فقال عن اسمه: «... داي الجزائر هو السّلطان أبي عبد الله ولكنّه يُكنّى باسم محمد ...»[1] ووصف حكمه، حتّى أنّه مدحه قائلا: «... كان أميراً عادلاً، ورعاً، صالحاً، حسن السّيرة، طاهر السّريرة، له آثار ومناقب جميلة ويُحسن الثّناء عليه كقبله ...»[2] ودافع عن قوّة ومحاربة الداي محمد باشا وتصدّيه للحملات الأوربية على سواحل الجزائرية، خاصّة حملة .... التي حدثت في حكم محمد باشا في الجزائر العثمانية فيقول: «... اعتنائه بالحرب وقوّة عزمه وقد أبهر النّصارى ومحاربته وغيرهم من كافّة الإفرنج وحارت عقولهم من أمره، لأنّهم إن جاؤوا بالعدد الكثير والعدد الشّهير موتهم وإن أقاموا في بلدهم غزاهم فيهم قتل وأسر كلّ عام ولهذا أعظم مصابهم واجتمعت أحابهم واستمدّوا الإعانة من جميع ملّتهم وطلبوا من معبودهم الباطل أن يصلوا إلى بغيتهم ...»[3].

والمعروف من المصادر التاريخية أنّ الجزائر خلال فترة الدّايات كانت دولة قويّة وجيّدة اقتصادياً ومادّياً، فكانت تسيطر على الحوض الغربي للبحر المتوسّط ويُرجع المؤرّخون هذا التّطوّر للأسطول الجزائري ويقول عنه الشّيخ البوعناني عن الأسطول الجزائري خلال فترة حكم محمد باشا «... وأخبرني غير واحد ضمن أثقابه أنّه منذ تولّي المملكة والبحر عامر بالمجاهدين من الجزائر بأمره ومن تجهيزه، بحيث لا تزال كلّ شهر ترى مركباً خارجة غازية وأخرى داخلة غانمة»[4].

---

[1] قسم تحقيق,ص380
[2] قسم تحقيق,ص380
[3] قسم تحقيق,ص383
[4] قسم تحقيق,ص385

الفصل الثاني: الكتاب

المطلب الثالث: منهج العمل

بعد أن أكرمني الله وتحصلت على نسختين للمخطوط المدروس والحمد لله والشكر للأستاذ حساني الذي ساعدني في ذلك،شرعت في عملي في تحقيقه وفق مراحل الأتي:

–تفريغ نص النسخة "أ" وكتابته وضبط بالشكل والعلامات والرموز المناسبة.

– المقابلة بين النسخة "أ"والنسخة"ب"مرارا مع إثبات الفوارق في الهامش .

_تخريج الآيات القرآنية من المصحف الشريف مع إثباتها بخط المصحف برواية

_تخريج الأحاديث الشريفة بمساعدة أهل الاختصاص من أساتذة وشيوخ وأيضا موقع متخصصة لذلك.

_الضبط بالشكل النصوص والمقطوعات الشعرية الواردة في الكتاب ونسبتها الى بحورها الشعرية.

_قسمت النص الى فقرات حسب الوحدات الموضوعية كما كتبت كلمات بخط غليظ كما كتبها الكاتب وأخرى باللون الأحمر كما جاءت في نص الكتاب .

_نسبة الأشعار الى قائليها ودواوينها أو حتى المصادر التي نسبتها لأصحابها إلا ما تعذر علي الوصول الى قائلها أو مادة تناولتها.

_قمت بشرح بعض المصطلحات الغامضة أو التي قد تكون صعبة بالرجوع الى قواميس ومعاجم وكتب المصطلحات.

_قمت بالتعليق على بعض المسائل في الكتاب مما احتاج للإثبات أو النفي أو حتى التوضيح .

القسم الثاني
تحقيق الكتاب

مقدمة المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي استعمل على هذه الملة الحنيفية من يستعمر الأرض والبلاد وأغنى من أهلها بالمضاعفة من أقرضه قرضًا حسنًا، فمنه وإليه القرض والاستنجاد وأجرى من أجرى على يديه النافلة والفرض بالعناية إلى سبيل الرشاد وزين سماء الملة المحمدية بكواكب أمرائها الذين بعضهم أولياء بعض في الجهاد وجعل المنافقين بعضهم من بعض كالمشركين وكلهم في أضإلىل السحق والبعاد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾[1]«وقال عز وجل ايضا»: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[2].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى من المصطفين من العباد، المؤيد بالملائكة الشداد، المبعوث من الحق بالحق بشيرا ونذيرا بالوعد والإيعاد، بارعًا بالفصل وفارعًا بالنصل[3]هامات[4] ثملت من خندريس الخذلان والعناد، القائل له ربه ليزاد طمأنينة قلبه' قال تعالى': ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾[5] وعلى آله وأصحابه وعترته وأحزابه فرسان الطعان وأبطال الجلاد، الذين ظاهروه في حياته بالحلوم[6] الراسية الأطواد[7] والشجاعة

---

[1] الاية رقم 37 من سورة الزمر.

[2] الاية رقم 36 من سورة الزمر.

[3](النَّصْلُ) نَصْلُ السَّهْمِ وَالسَّيْفِ وَالسِّكِّينِ وَالرُّمْحِ وَالْجَمْعُ (نُصُولٌ) وَ (نِصَالٌ)، ينظرالى: الرازي ابو بكر: مختار الصحاح، ط1، مكتبة لبنان، 1986م، ص 31

[4] الهامة: وسَط الرَّأس، ينظر الى: بن الأزهري الهروي محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، ج6، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت،2001، ص247.

[5]سورة الفجر الاية رقم 06.

6 الحِلْمُ، بِالْكَسْرِ: الأَناةُ وَالْعَقْلُ وجَمْعُهُ أَحْلام وحُلُومٌ.، ا بن منظور الأنصاري: لسان العرب، ج12، ط 2، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، ص146.

[7] الطَّوْدُ: الجَبَلُ، أَو عَظِيمُهُ {والطَّوْدُ: الهَضْبَةُ، عَن ابْن الأَعْرَابِيِّ (ج: } أَطْوَادٌ): ينطر: الزبيدي محمد بن عبد الرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، ت/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، (325/8).

التي سلمتها ضراغمة[1] الغيل والأساد، حتى بوأو الإسلام في القواعد الشهيرة من البلاد وارغموا أنوف المشركين وأهل الجحود والإلحاد، فأصبح الدين مرفوع العماد، منصور العساكر والأجناد، باسمة ثغوره[2] بالعز ضاحكة بالمسرة جُمعاته والأعياد، صلاة وسلامًا يوجبان بكرم الله ثبوت السعادة ودوام الإمداد[3] ويجلبان رضى الله تعالى في هذه النشأة وفي الأخرى من يوم المعاد ما ظهر باد واجتمع ناد[4] وترنَّم شاد[5].

وبعد:

فيقول الطالب من الله أن يكون في زمرة الصُلحاء من العلماء والراغب منه أن يجعله في حضرة الشهداء الكرماء، العبد الفقير الضعيف الجاني، على بن داود المطماطي الشريف البوعناني[6]، غفر الله ذنبه وستر ذنبه وكرمه عيبه.

هذا شرح لطيف المعاني والفوائد، حسن المباني والزوائد، سمحت به الفكرة الجامدة والقريحة[7]الذبول الخامدة وضعته على تإلىفي المسمَّى بـ «تنوير البصائر والأبصار في

---

[1] الضِرْغامَةُ: الأسدُ. وضَرْغَمَ الأبطالُ بعضها بعضا في الحرب. ينظر: الجوهري الفاربي أبو النصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط 4، المكتبة دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ–1987م، (1972/5).

[2] الثَغْرُ: ما تقدَّم من الأسنان. ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، (605/2).

[3] مكررة في الأصل.

[4] نَدَّ البَعيرُ يَنِدُّ نَدًّا ونَديداً ونُدوداً ونِداداً: شَرَدَ ونَفَرَ.ينظر الى: الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر: القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث، ط8، المكتبة: مؤسسة الرسالة، بيروت،1426هـ–2005م، (ص: 322).

[5] شَدَا الشِّعْرَ: غَنَّى بِهِ أَو تَرَنَّم وكَذَا شَدَا غِناءً. ينظر: الزبيدي محمد المرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، مطبعة الكويت، دت، (357/38).

[6] سبق التعريف به في قسم الدراسة. ينطر للصفحة رقم.

[7] فُلَانٌ جَيِّدُ الْقَرِيحَةِ; يُرَادُ بِهِ اسْتِنْبَاطُ الْعِلْمِ. وَاقْتَرَحْتُ الشَّيْءَ: اسْتَنْبَطْتُهُ عَنْ غَيْرِ سَمَاعٍ. أحمد بن فارس بن زكرياء القزوييني الرازي: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج ط، مكتبة دار الفكر، 1399هـ–1979م (83/5).

تحريض[1] سلطان الجزائر على قتال الكفار» [2] يحل مبانيه ويفسر معانيه، لأن صاحب البيت –كما قيل– أعلم بما فيه واعتذر لكل ذي فكر وقاد وعالم متضلع حافظ نقاد، سواءً وجد فيه خلل النقص أو تخيَّل أن الزكاة في الوقص[3]، يشغل البال من تراكم المحن والأهوال والغربة وترادف الأوجال[4]، مع عدم المواد التي هي لبيت التإليف عماد وقلة الاجتهاد، الذي هو لكمال بقائه أوتاد.

لكني أرجو من الرب الكريم الرؤوف الرحيم أن يفتح للحق بصيرتي ويطهر للصدق سريرتي ويعينني على ما رُمته[5] وينجح بكرمه ما قصدته، إنه عظيم العطاء واسع النعماء، سريع قريب سميع مجيب، لا إله إلا هو «عليه توكلت وإليه أنيب.

فضل البسملة:

بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم الابتداء بهذه الكلمة الشريفة مستحب اقتداءً بالكتب السماوية التي أشرفها القرآن وقد تقرَّر إجماع كل أمة على أنَّ الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه بها ويشهد له خبر: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فاتحة كل كتاب» [6] وقول يوسف بن

---

[1] قَالَ اللَّيْث: التَّحْرِيض: التَحْضِيض، قلت: وَمِنْه قولُ الله جلّ وعزّ: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} (الأنفَال: 65). قَالَ الزّجّاج: تَأْوِيله حُثّهم على الْقِتَال، قَالَ: وَتَأْوِيل التَّحْرِيض فِي اللُّغَة: أَن تَحُثَّ الإنسانَ حَثّاً يعلم مَعَه أَنَّه حَارِض إنْ تَخَلَّف عَنهُ. ينظرالى: الازهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق: (120/4)

[2] سبق دراسة عنوان المؤلف في قسم الدراسة.

[3] الوقص (بالتحريك): ما بين الفريضتين، كالزيادة على الخمس من الإبل إلى التسع وعلى العشر إلى أربع عشرة. والجمع: أوقاص. ينظر الى: ابن الكثير مجد الدين أبو السعادات: النهاية في غريب الحديث والأثر، د ط، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ–1979م، (214/5).

[4] الوَجَلُ، مُحَرَّكَة: الفَزَعُ و الخَوْفُ وجَمْعُهُ أَوْجَالٌ، ينظر الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، (69/31)

[5] الرَّوْمُ: طَلَبُ الشَّيْءِ. والمَرامُ: المَطْلَبُ. رام يروم روماً ومراما: طَلَبَ. ينظر: الفرهيدي الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، دط، دار ومكتبة الهلال، دت، (291/8).

[6] لم نجده وأورده النفراوي: – أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم بن مهنا، شهاب الدين النفروي الأزهري المالكي: الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني، دار الفكر، 1415هـ–1995م، (1 / 2).

عمر[1]: إنها مبدأ كلمات الله.[2] كما روي: أنها نزلت على آدم ثم رجعت ونزلت على من بعده حتى أنزلت على سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم».[3] فقول المؤلفين (اقتداء بالقرآن) ليس للاحتراز، بل لأنه أشرف الكتب المنزلة ولم تزل الناس تقتدي بالأشرف وعملًا بخبر:

«كل أمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يَبْتَدِأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» [4] .

---

[1] القَوَّاسُ أَبُو الفَتْحِ يُوْسُفُ بنُ عُمَرَ بنِ مَسْرُوْرٍ الإِمَامُ، القُدْوَةُ، الرَّبَّانِيُّ، المُحَدِّثُ، الثِّقَةُ، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي» تاريخ بغداد» ط: الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي–بيروت، 1422هـ–2002م، (325/14).

[2] ينظر الى: النفراوي: وأورده النفراوي في الفواكه الدواني (1 / 2).

[3] الذي في «الطبري» محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، الطبعة الأولى، المكتبة: المؤسسة الرسالة، 1420هـ–2000م، (113/1). عن عبد الله بن عباس، قال: أول ما نزل جبريل على محمد قال: «يا محمد استعذ، قل: أستعيذ بالسميع العلم من الشيطان الرجيم» ، ثم قال: قل: «بسم الله الرحمن الرحيم» .

[4] يقصد حديث «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر» ذكره النووي بهذا اللفظ في شرحه على صحيح مسلم،ينظر: النووي أبو زكريا محي الدين يحيى: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الطبعة الثانية، مكتبة دار إحياء التراث العربي– بيروت،1392هـ (43/1) وعزاه إلى عبد القادر الرهاوي في كتابه «الأربعين» وكذا الحافظ السيوطي في الجامع الصغير انظر: «فيض القدير» زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المنوي،الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى–مصر،1356هـ (14/5)، قال المناوي: ورواه كذلك الخطيب في تاريخه عن أبي هريرة. وقد عدد النووي في شرحه على مسلم (43/1) الروايات في هذا الحديث فقال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ بالحمد لله فهو أقطع» وفي رواية: «بحمد الله» وفي رواية: «بالحمد فهو أقطع» وفي رواية: «أجذم» وفي رواية: «لا يبدأ فيه بذكر الله» وفي رواية: «ببسم الله الرحمن الرحيم» وقال: روينا كل هذه في كتاب الأربعين للحافظ عبد القادر الرهاوي سماعاً من صاحبه الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن سالم الإنباري عنه وروينا فيه أيضاً من رواية كعب بن مالك الصحابي – رضي الله عنه – والمشهور رواية أبي هريرة. وهذا الحديث حسن وروي موصولاً ومرسلاً ورواية الموصول إسنادها جيد وصححه أبو الفتح محمد بن على ابن دقيق العيد في «شرح الأربعين» الطبعة السادسة، مكتبة مؤسسة الريان، 1424هـ–2003م، (ص: 11) وحسنه أيضا العجلوني إسماعيل بن محمد ابن عبد الهادي، في «كشف الخفاء» الطبعة الأولى، الناشر: المكتبة العصرية–بيروت، 1420هـ–2000م(140/2).

كما في البيهقي[1] [2]، أو: «لا يفتتح بذكر الله» كما لأبي داود[3]، أو: «بحمد الله» كما للنسائي[4] [5] «فهو أقطع»، أو «أبتر»، أو «أجذم»: أي قليل البركة أو مقطوعهما[6].

ولا تعارض بين هذه الروايات، لأن المقيد منها يحمل على المطلق، فكل لفظ ابتدأ به منها يحصل المقصود، لأن الغرض الثناء على الله وهو يحصل بمطلق ذكر ولا يقال: القاعدة عكس هذا الحمل. لأن المعروف عند الأصوليين حمل المقيد على المطلق كما في آيتي القتل والظهار، فإنهم حملوا الرقبة المطلقة في الظهار على المقيدة في كفارة القتل بالمؤمنة، لأنا نقول: قاعدة الأصوليين مشروطة بكون القيد واحدًا وأما إذا تعدَّدت القيود وتخالفت، فيُرجع للمطلق[7].

أو يُحمل حديث البسملة على البداء الحقيقي وهو جعل الشيء أول عمل يعمل بحيث لا يسبقه شيء وحديث الحمد له على الإضافي وهو الذي يكون أمام المقصود بالذات،

---

[1] ينظر: البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر: السنن الكبرى، الطبعة الثالثة، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،1424هـ–2003م، (295/3) والذي جاء فيه: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أقطع» . وينظر الى: الدارقطني أبو الحسن بن عمر بن أحمد: سنن الدار قطني، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة–بيروت لبنان،1424هـ–2004م (428/1) وحيث لفظ به بلفظ المصنف

[2] البيهقي هو ابو بكر احمد بن الحسن ولقب بالبيهقي نسبة لمدينة بيهق وهي احدى قرى نايسبور ولد سنة 384هـ ويعتبر من اشد المذافعين عن مذهب الشافعي له مؤلفا عدة اهمها السنن الكبرى وتقع في عشرة اجزاء. ينظر: الذهبي محمد بن احمد: سيرة اعلام النبلاء، ج18، دط، مؤسسة الرسالة، 2001م، ص صَ64–196.

[3] ابو داود بن الاشعث بن سليمان ولد سنة 202هـ بمدينة سجستان وكان محدث البصرة بالعراق أخذ عن الشيخ احمد بن حنبل ومن اهم مؤلفاته كتابه الصخم بعنوان: سنن ابي داود. للمزيد ينظر الى: الدهبي: سيرة اعلام النبلاء، ج13، مصدر سابق، ص ص 204–220. ينظر: رواه «أبو داود» (4840)

[4] هو ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب المعروف بالنسائي ولد سنة 215هـ بخرسان، كان محدثا وقاض من أبرز مؤلفاته «السنن الكبرى والصغرى» للمزيد ينظر: الدهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، ج14، ص125.

[5] ينظر: النسائي أبو عبد الرحمن الخراساني، السنن الكبرى، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة–بيروت،1421هـ–2001م، ص10255)

[6] ينظر: البغداي أبو عبيد القاسم بن عبد الله الهروي: غريب الحديث، ج3، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد–الدكن،1384هـ–1964م، ص48.

[7] قال القرافي: ووقوعه في الشرع على أربعة أقسام: متفق الحكم والسبب: كإطلاق الغنم في حديث وتقييدها في آخر بالسوم. ومختلف الحكم والسبب: كتقييد الشهادة بالعدالة وإطلاق الرقبة في الظهار. ومتحد الحكم مختلف السبب: كالعتق مقيد في القتل مطلق في الظهار. ومختلف الحكم متحد السبب: كتقييد الوضوء بالمرافق وإطلاق التيمم والسبب واحد هو الحدث. ينظر: القرافي أبو العباس شهاب الدين، شرح تنقيح الفصول، الطبعة الأولى، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1393 هـ – 1973 م، (66/2)

فيصدق بما بعد البسملة ولم يعكس لقوة حديث البسملة ولموافقة الكتاب العزيز الوارد على هذا المنوال، أو أن الغرض من الروايات تخيير البادئ في العمل برواية منها، لأن الخبرين إذا تعارضا ولم يعلم سبق ولا نسخ، فإنه يخير في العمل بأحدهما، كما في الأصول، قاله الشيرازي[1] [2].

وقيل: يوقف عند العمل بها. ونسبه النفراوي[3] للحافظ ابن حجر، ثم محل النزاع إن كانت الباء في «بسم الله» وفي «بالحمد لله» صلة لمبتدأ، أما إذا جعلت للاستعانة[4] أو للمصاحبة[5] التبركية أو للملابسة[6] فلا تعارض، لأن الاستعانة بشيء لا تنافي الاستعانة بغيره.

[1] هو ابراهيم ابو اسحاق المعروف بالشيرازي ولد ببلاد فارس سنة 393هـ كان من أنصار المذهب الشافعي من اهم مؤلفاته» اللمع في اصول الفقه» للمزيد ينظر: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، ج18، مصدر سابق، ص452.

[2] ينظر: الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم: اللمع في أصول الفقه، الطبعة الثالثة، المكتبة: دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2003م، ص ص: 34-83)

[3] هو احمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي، المالكي. (1044 - 1126 هجرية) فقيه، مشارك في بعض العلوم. من مؤلفاته: «الفواكه الدواني» على رسالة ابن ابي زيد القيرواني في فروع الفقه المالكي، «تعلىق على البسملة» ، «شرح الاجرومية» ، «شرح على الرسالة النووية. ينظر: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج2، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993م، ص40.

[4] وهو أحد قولي الزمخشري في البسملة والقول الثاني: أنها للمصاحبة وهو الأظهر عنده. ينظر: الزمخشري أبو القاسم: الكشاف، الطبعة الثالثة، المكتبة: دار الكتاب العربي- بيروت، 1407هـ، (4/1)

[5] المصاحبة والاستعانة من معاني الباء، ينظر الى: المرادي حسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، الطبعة الأولى، المكتبة: دار الكتب العلمية-بيروت، 1413هـ-1992م، (ص: 56) - معاني الباء إلى ثلاثة عشر معنًى جمعها في قوله:

بالباءِ أَلْصِقْ واسْتَعِنْ، أو عَدِّ، أو... أَقْسِمْ وبَعِّضْ، أو فَزِدْ، أو عَلِّلِ
وأَتَتْ بمعنى مَعْ وفي وعلى وعنْ... وبها فَعَوِّضْ، إن تشا، أو أبْدِلِ

(6) ويكون الظرف مستقر حال في ضمير أبتديء الكتاب كما في دخلت «عليه بثياب السفر

ومعنى (البال): الحال والشأن[1] ومعنى (أقطع وأجزم وأبتر)[2]: ناقص قليل، البركة ويصح أن يكون من باب التشبيه البليغ[3] وهو ما حذفت منه أداة التشبيه[4]، نحو: «المكَّاس كلب أو عقرب»، تشبيه في أذيته بحذف الأداة.

و(أجزم وأبتر وأقطع) كذلك حذفت منه الأداة والمراد منه التشبيه في النقص، لأن الشخص الأجزم ناقص بالنسبة للسليم والشاة ذات الذنب كاملة بالنسبة لمقطوعته، فهو من باب تشبيه النقص المعنوي بالحسي، لأن الحسي قريب للنفس تدركه سريعًا، فشبه «صلى الله عليه وسلم» به لذلك.

وفيه الأمر بذي البال للاحتراز عن الأمور غير ذات البال وهي سفاسف الأمور ومحقراتها فلا يطلب فيها بسملة، لعدم الاهتمام بها، أو يتم بها لا شرعًا، فلا يجوز فيها تسمية، بل تحرم في المحرم وتكره في المكروه[5].

الحمدلة والبسملة وفضلهما:

---

[1] ينظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، «مجمل اللغة» الطبعة الثالثة، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت،1406هـ-1986م، (ص: 141)

[2] الأَبْتَرُ: (كلُّ أَمْرٍ مُنقطِعٍ من الخَيْرِ) ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، مطبعة الكويت، دت، (97/10).

[3] ينظر الى: الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دط، المكتبة العصرية، بيروت، (238/1)

[4] ينظر: الميداني عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي، «البلاغة العربية» الطبعة: الأولى، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1416 هـ - 1996 م، (173/2)

[5] قال ملا على القاري: واختلف السلف الأبرار في كتابة البسملة في أول كتب الأشعار، فمنعه الشعبي والزهري وأجازه سعيد بن المسيب واختاره الخطيب البغدادي والأحسن التفصيل بل هو الصحيح، فإن الشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح، فيصان إيراد البسملة في الهجويات والهذيان ومدائح الظلمة ونحوها، كما تصان في حال أكل الحرام وشرب الخمر ومواضع القاذورات وحالة المجامعة وأمثالها، ينظر: الهروي القاري أبو الحسن نور الدين الملا، «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» ، الطبعة: الأولى، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1422هـ - 2002م، (3/1)

وقال بعض من تكلم على هذا المحل: البسملة والحمدلة كلتاهما من الأمور ذوات البال، فتحتاج إلى مثلها ويتسلسل الأمر.

أجيب بجوابين:

أحدهما: أن المراد بالأمر الذي يقصد في ذاته بحيث لا يكون وسيلة لغيره.

ثانيهما: أن البسملة والحمدلة كل منهما يحصل البركة لغيره ويمنع نقصه، كذلك يجب أن يحصل البركة لغيره لنفسه بنفسه، كالشاة من الأربعين تزكي نفسها وغيرها. وهذا الجواب أحسن، لأن الوسيلة قد تطلب فيها التسمية كالوضوء.

فإن قيل: كثير من الأمور يبتدأ فيها البسملة والحمدلة ولا يتم وكثير بالعكس.

فالجواب: إن المراد بالتمام في الحديث كونه معتبرًا شرعًا باشتماله على ما يستحب فيه وتحصل البركة وبعدم تمامه عدم اعتباره في الشرع فالمراد بتمامه تمامه في المعنى وبعدم تمامه نقصه في المعنى وإن كمل حسًا.

فإن قيل: يشكل على الحديث ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل، 30] فإنه (لم يصدر)[1] اسم الله، لأن صورة الكتاب الذي أرسله سليمان «عليه السلام لبلقيس: من عبد الله، سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا على وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل، 31]. ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إليهمْ﴾ أي إلى بلقيس وقومها، [مع أن الكتاب من ذوات البال][2].

[فالجواب: إن بلقيس][3] لما كانت كافرة[4]، خاف سليمان أن تهين اسم الله إذا رأته مصدَّرا به أول الكتاب، فقدَّم سليمان اسمه ليكون وقاية لاسمه تعالى[1].

---

[1] قوله: «لم يصدر» ، هكذا في الأصل وفي (النسخة ب) جاء فيها: «مُصدّرٌ» .

[2] سقطت من النسخة ب.

[3] سقطت من النسخة ب.

[4] في (النسخة ب) يبدوا أن الناسخ لم يستطع قراءتها فاضطرب كتابتها.

فإن قيل: مقتضى الحديث أن يقال: (بالله) بدل (بسم الله) ولم يقل: (بالله عملًا) بمقتضى الحديث.

فالجواب ما قاله شيخ الإسلام[2] وغيره: إن كل حكم ورد على اسم فهو في الحقيقة وارد على مدلوله إلا لقرينة[3]، كضرب فعل ماض وذلك لأنه إذا قيل: ذكرت اسم زيد. فليس معقل أنه ذكر لفظ اسم، بل إنه ذكر لفظ زيد، لأنه مدلول اسم زيد، إذ مدلوله اللفظ الدال «عليه وهو لفظ (زيد)، فكذا قوله (بسم الله)، ابتدأ معناه ابتدأ بمدلول اسم الله وهو لفظ الله، فكأنه قال: بالله ابتدأ.

وإنما لم يقل: بالله. لأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه، أو للفرق بين إليمين التي هي الحلف والتيمن الذي هو التبرك[4] ولأن المسمى إذا كان في غاية العظمة لا يذكر اسمه، بل حضرته وجنابه، كما يقال: سلام على المجلس العإلي وعلى الحضرة العلىة.

وقولنا: ضرب فعل ماض. فإن الحكم بالفعلىة فيه إنما هو وارد على ضرب نفسه، لا على مدلوله من الحدث والزمن بقرينة امتناع وروده «عليه، إذ الفعلىة المحكوم بها إنما يتصف بهذا اللفظ لا الحدث والزمان[1].

---

[1] جاء في الموسوعة القرآنية (198/6): فإن قيل: كيف استجاز سليمان تقديم اسمه في الكتاب على اسم الله تعالى، حتّى كتب فيه، كما ورد في التنزيل: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (30). قلنا: لأنه أدرك أنها لا تعرف الله تعالى وتعرف سليمان، فخاف أن تستخف باسم الله تعالى إذا كان أول ما يقع نظرها «عليه، فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى. وقيل: إن اسم سليمان كان على عنوانه واسم الله تعالى كان في أول طيّه. وقال القسطلاني: فإن قلت: قد قدم سليمان اسمه على البسملة، أجيب: أنه إنما ابتدأ بالبسملة وكتب اسمه عنوانًا بعد ختمه لأن بلقيس إنما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه المعهود ولذلك قالت: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. فالتقديم واقع في حكاية الحال. ينظر: القسطلاني القتيبي أبو العباس شهاب الدين: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الطبعة: السابعة، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1323هـ، (79/1)

[2] وردت في (النسخة ب): «الشيخ» .

[3] ينظر الى: الهيتمي احمد بن محمد بن على بن حجر: تحفة المحتاج في شرح المنهاج، دط، المكتبة التجارية الكبرى– مصر، 1357 هـ– 1983 م، (5/1)

[4] قال الرملي: فَقَوْلُهُ بِسْمِ اللَّهِ أَبْتَدِئُ: مَعْنَاهُ أَبْتَدِئُ بِمَدْلُولِ اسْمِهِ وَهُوَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: بِاَللَّهِ أَبْتَدِئُ. وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ بِاَللَّهِ، لِأَنَّ التَّبَرُّ كَ وَالِاسْتِعَانَةَ بِذِكْرِ اسْمِهِ أَيْضًا، أَوْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ إلىمِينِ وَالتَّيَمُّنِ، أَوْ لِتَحْصِيلِ نُكْتَةِ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ. وَاَللَّهُ عَلَمٌ عَلَى الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ الْمُسْتَحِقِّ لِجَمِيعِ الْمَحَامِدِ، ينظر: الرملي شمس الدين: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر، دط، بيروت، 1404هـ–1984م، (20/1)

اسم الجلالة الله

((والاسم)) لغة: ما دل على مسمى. وعرفًا ما دل مفردًا على معنى في نفسه غير متعرض ببنيته للزمان.

وهو عند البصريين: مشتق من السمو وهو الارتفاع والعلو[2]، لأنه يعلى مسماه ويظهر.

وعند الكوفيين: مشتق من السِّمة وهي العلامة[3]، فهو من الأسماء الثلاثة المحذوف منها واو وهي لامه عند البصريين، لأن أصله عندهم سمو وفاؤه عند الكوفيين، لأن أصله عندم وسم، فَوزن اسم إما «افع» أو «اعل» .

وفائدة الخلاف في الاشتقاق تظهر في صفات الباري جل جلاله وتعالى كماله، فعلى كلام البصريين تكون صفاته قديمة وعلى كلام الكوفيين تكون حادثة ولا يقال يلزم أن يكون الكوفيون معتزلة، لأنا نقول: لازم المذهب ليس بمذهب على الصواب[4]. على أن هذا مقتضى اللفظ لا الاعتقاد.

---

[1] ينظر الى: السفاريني شمس الدين: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الطبعة: الثانية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، 1402هـ– 1982 م، (29/1)

[2] قال في المصباح: والاسم همزته وصل وأصله سمو مثل: حمل أو قفل وهو من السمو وهو العلو والدليل «عليه أنه يرد إلى أصله في التصغير وجمع التكسير فيقال سمي وأسماء وعلى هذا فالناقص منه اللام ووزنه افع والهمزة عوض عنها وهو القياس أيضا لأنهم لو عوضوا موضع المحذوف لكان المحذوف أولى بالإثبات وذهب بعض الكوفيين إلى أن أصله وسم لأنه من الوسم وهو العلامة فحذفت الواو وهي فاء الكلمة وعوض عنها الهمزة وعلى هذا فوزنه اعل قالوا وهذا ضعيف لأنه لو كان كذلك لقيل في التصغير وسيم وفي الجمع أوسام ولأنك تقول أسميته ولو كان من السمة لقلت وسمته. ينظر الى: الحموي أحمد بن محمد ب: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج 1، دط، المكتبة العلمية – بيروت، ص 290.

[3] المصدر السابق وَأَوْصَلَ بَعْضُهُمْ لُغَاتِ الِاسْمِ إلَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ ونَظَمَهَا فِي قَوْلِهِ:

ثَمَانٍ وَعَشْرٌ مِنْ لُغَاتٍ أَتَتْ لَنَا فِي الِاسْمِ بِنَصِّ الْعَارِفِينَ بِنَقْلِهَا

سِمٌ سِمَةٌ اسْمٌ سَمَاءٌ كَذَا سُمًا سُمَاةٌ بِتَثْلِيثِ الْأَوَائِلِ كُلِّهَا.

[4] ينظر الى: الزركشي ابو عبد الله بدر الدين محمد: البحر المحيط في أصول الفقه، الطبعة: الأولى، دار الكتب، 1414هـ– 1994، (116/2)

((و)) اعلم أنه جرى خلاف كبير ومبحث شهير [ص/5أ] في كون الاسم عين المسمى أو غيره[1] أو لا والحق عندنا معشر الناجية[2] التفصيل وهو أنه إن أُريد اللفظ بنفسه فغير المسمى قطعًا، لأنه يتألف من أصوات وحروف والمسمى لا يكون كذلك وإن أريد به ذات الشيء، فهو عين المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وأما لو أريد بالاسم الصفة لانقسم انقسامها فتكون عين المسمى في نحو الواحد والقديم وتكون غيره في نحو الخالق والرازق ويكون لا عينًا ولا غيرًا في نحو: الحي والسميع وسائر صفات الذات.

والله عَلَم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، فهو جزئي[3].

وقولنا: الواجب الوجود إلخ، تعيين للموضوع له، فلا يقال: إن الواجب الوجود كلي فلا يكون الموضوع له معينًا. فلا تفيد (لا إله إلا الله) التوحيد وهو أعرف المعارف والاسم الأعظم أيضًا عند أكثر أهل العلم وعدم الاستجابة به لكثير لعدم استجماعهم شروط الدعاء التي من جملتها أكل الحلال[4]، العسير الوجود في هذا الزمان، الكثير الشر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

والدليل على أنه الاسم الأعظم[5] كثرته في القرآن ومقارنته لضمير هو في «الإخلاص» و» الحشر» وغيرهما وقول الله لنبيه موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني} ولم يتسم به أحد غيره تعالى.

---

[1] هذه المسألة قد اختلف فيها على مذاهب: أحدها: أن الاسم عين المسمى والتسمية. وثانيها: – وهو المنقول عن الجهمية والكرامية والمعتزلة – غيرهما. قال العلامة العز ابن جماعة: هو الحق. وثالثها: عين المسمى وغير التسمية وهو المصحح عند بعض الحنفية وهو المراد بقول القائل: وليس الاسم غير المسمى. ورابعها: لا عين ولا غير. ينظر الى: القاري ابو الحسن نور الدين: شرح مشكاة المصابيح، ج1، ط1، دار الفكر، بيروت، (4/1)
وينظر: «تشنيف المسامع» (861/4) و» كتاب المواقف» للإيجي (301/3).

[2] يعني الفرقة الناجية، المعنية بقوله صلى الله «عليه وسلم: «كلها في النار إلا واحدة» وفي هذا تزكية للنفس.

[3] غير واضحة واستظهرناها.

[4] يشير إلى أَنَّ «النَّبِيَّ صَلَّى اللَّـهُ «عليه وَسَلَّمَ قَالَ لِسَعْدٍ: «أَطِبْ مَطْعَمَكَ، تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ» «فَأَكْلُ الْحَلَالِ وَشُرْبُهُ وَلُبْسُهُ وَالتَّغَذِّي بِهِ سَبَبٌ مُوجِبٌ لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ. للمظيد ينظر الى: السَلامي، البغدادي زين الدين عبد الرحمن: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، الطبعة: السابعة، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1422هـ – 2001م، الحديث العاشر (275/1)

[5] قال ابن العربي المالكي: فإن قيل: ما معنى: «الأعظم» ؟=

ويقال: إن بعض الجبارين عزم أن يسمي ولده بلفظ الله، فما كان (...)[1] تهيأ ليقول سموه الله، فابتلعته الأرض. وقيل: نزلت «عليه نار فأحرقته.

واختلف في أصل لفظ الجلالة الذي تركبت منه، فقيل: أصله[2] «لاهٍ» بالتنوين عند الكوفيين، مصدر لاه يليه ليهاً ولاهًا، إذا احتجبت وارتفع، لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع عن كل شيء وعن ما لا يليق، ثم أدخل «عليه الألف واللام وأدغم ففخم وصار «الله» وعلى هذا فهو غير مشتق وعند البصريين «إلهٌ» بالتنوين، فيكون وصفًا لأنه اسم مفعول ومعناه المعبود وعلى هذا فيكون مشتقًّا، ثم أدخلت «عليه (أل) فصار (الإله)، ثم حذفت الهمزة وأدغم وفخم ومعناه قبل دخول (ألْ) «عليه يطلق على المعبود

=قلنا: أمّا «الأعظم» فهو عظيم الثّواب، فلا ثوابَ أعظم منه ولا ثوابَ أعظم من الثواب على ذِكْرِ اللهِ ويطابِقُ هذا قوله: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} وهو الاسم الأعظم، لأنّه قسمُ العمومِ والكثير المتعلّقات، فليس في الأسماء أكثر متعلّقات منه ولا أعمّ مقتضى من قولك: «الله» فإنَّ جميع الأسماء تدخلُ فيه والصِّفَة تضم معانيها وتقتضيه، فإذا قيل: من الرَّبُّ؟ مَن المَلِكُ؟ من القُدُّوسُ؟ قيل: الله وبه دعا يونس في ظُلُمَاتِ البَحرِ والحُوت.

والصّحيحُ أنّه ليس لله تعالى اسمٌ ولا صفةٌ إلَّا وقد أطلع «عليه رسوله وأَعْلَمَه بهذا، ألم تعلموا أنّه قد أطلع على ملكوت السّموات والأرض والجنّة والنّار وبلغ مَوْضِعًا سمع فيه صريف الأقلام وعايَنَ التَّدبير والتَّقدير ومقامات الملائكة تحت القَهْر والتّصريف، ينظر الى: الماكي ابن العربي: المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، تحقيق: محمد بن الحسين، عائشة بتن الحسين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م، (498/3)

[1] كلمة غير واضحة في النسختين.

[2] قال الخَطَّابي: «وأحبُّ الأقوال إلي: قول من ذهب إلى أَنَّهُ اسمٌ عَلَم وليسَ بِمُشْتَقٍّ» . «شأن الدعاء» (35).

قلتُ: وجمهورُ عُلَماء النُّحاة على أَنَّهُ مُشْتَقٌّ واختُلِفَ في اشتِقَاقِهِ على أَقْوَال: أحدها: من ألِهَ يألهُ، إذا تحيَّر، إذ القُلُوبُ تَحَارُ في عَظَمَتِهِ، ثانيها: أن أصلهُ: «إله» وهو من يُفْزَعُ إليه في النَّوَائِبِ.

ثالثها: أنه مِن باب «التَّأَلُّه» وهو التَّعَبُّد، رابعها: أنه مِن «الوَلَه» وهو أَشَدُّ ما يكونُ مِن الشَّوْقِ، لأَنَّ القُلُوبَ تشتاق إلى مَعْرِفَتِهِ، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165].

خامسها: أنه من «الإلهية» وهي القدرة على الاختراع! ومحلُّ الخوض في ذلك كتب العربية، فلا نطول به وكذا هل أصله: «إلاه» أو: «لاه» .

قال أبو القاسم القشيري –عن بعض المشايخ–: «كلُّ اسم من أسمائه يصلح للتخلق به إلَّا هذا الاسم، فإنه للتَّعَلُّق دُونَ التَّخَلُّق.

قالوا: والإشارة بهذا الاسم إلى قديم واحدٍ بلَا تَشْبيهٍ ولا تعطيل وهو الذي صَنَع العالم وأوجدهُ بعدَ العَدَم وهو المستحق للصفات التي لا بد للصانع أن يكون «عليها» . ينظر: الانصاري بن عمر: المعين على تفهم الأربعين، ط1، مكتبة اهل الاثر للنشر والتوزيع، 2012م، ص36.

مطلقًا وبعد دخولها يصير علمًا بالغلبة على الذات العلية، لكن قبل الإدغام والحذف غلبته تحقيقية وبعدهما تقديرية.

والفرق بينهما أن التحقيقية اللفظ أطلق بالفعل على غير ما غلب فيه من الأفراد والتقديرية اللفظ فيها صالح إطلاقه على أفراد كثيرة على تقدير وجودها، لكن لا يوجد إلا الفرد المستعمل فيه اللفظ، كلفظ الجلالة، فإن ذات الباري عز وعلا واحدة.

وحقيقة الغلبة قصر اللفظ على بعض مسمياته إما تحقيقًا وإما تقديرًا وعلى أن أصل الله إله –وهو قول البصريين– وأنه وصفٌ فاختلف فيما اشتق منه، فقيل: من أله يأله إلهة وألوهة. بمعنى عُبِد وقيل: من أله إذا تحير، لأن العقول تتحير في معرفته، أو من ألهت إلى فلان أني سكنت إليه، لأ ن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته، أو من أله إذا فزع من أمر نزل «عليه[1] وقيل غير ذلك –كما في البيضاوي[2]–، فَعُلم مما قررنا أن المختلف فيه بالاشتقاق وعدمه إنما هو أصل الجلالة لا لفظها، خلافًا لما جرى على الألسنة في عبارة كثير من المؤلفين.

---

[1] قال الشيخ حافظ حكمي: واختلفوا في كونه مشتقا أو لا، ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى عدم اشتقاقه لأن الألف واللام فيه لازمة فتقول يا الله ولا تقول يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام وقال آخرون إنه مشتق واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال أقواها أنه مشتق من أله يأله إلهة، فأصل الاسم الإله فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية وجوبا فقيل الله ومن أقوى الأدلة «عليه قوله تعالى: وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ [الأنعام: 3] مع قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ [الزخرف: 84] ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له ومعنى أَلَه يأْلَهُ إلاهةً عبد يعبد عبادة فالله المألوه أي المعبود ولهذا الاسم خصائص لا يحصيها إلا الله عز وجل.ينظر الى: الحكمي حافظ بن أحمد: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الطبعة: الأولى، دار ابن القيم – الدمام، 1410هـ–1990م، (ص: 76)

[2] ينظر: الشيرازي ناصر الدين البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418هـ، (26/1)

ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيري[1] أن جميع أسماء الله تعالى صالحه للتخلق بها وللتعلق إلا لفظ الجلالة، فإنه لا يصح إلا للتعلق[2] ومعنى التعلق الاعتماد والتوكل «عليه والافتقار إليه ومعنى التخلق الاتصاف، فإن نحو الرحمن الرحيم ممكن أن يتصف بمعناهما بعض المؤمنين، نحو: فلان كريم أو حليم، لثبوت كرم وقع منه أو حلم[3].

والرَّحمن من أسماء الله تعالى، معناه البالغ في الرحمة والإنعام، لأنه المنعم بجلائل النعم، الرَّحيم المنعم[4] بدقائقها.

---

[1] هو ابو القاسم عبد الكريم بن هوزان الملقب بزين الاسلام ولد سنة 346هـ بنايسبور كان متصوفا بامتياز ومن اهم مؤلفاه» الرسالة القشيرية» وهي في التصوف أيضا، للمزيد ينظر الى: السبكيتاج الدين عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى: تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ج3، ط1، دار احياء الكتب العربية، 1413هـ،

[2] قال تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} الاية 65 من سورة مريم، أي: لا أحد تسمَّى اللَّه غيره وهذا من باهر معجزاته صلى اللَّه «عليه وسلم، فهو كإخباره بأن إليهود لا يتمنَّون الموت وبأن أحدًا لا يمكنه الإتيان بمثل أقصر سورةٍ من القرآن، فلم يتجاسر أحدٌ على واحدةٍ من هذه الثلاثة مع كثرة أعداء الدين وتعنُّتهم وشدة حرصهم على تكذيبه صلى اللَّه «عليه وسلم في إخباره. ينظر: الهيتمي: الفتح المبين بشرح الأربعين، مصدر سابق، ص70.

[3] قال الغزالي: وبهذا التخلق والاتصاف يكون العبد ربانيا أي قريبا من الرب. ينظر: الغزالي أبو حامد محمد الطوسي: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الطبعة الأولى، الجفان والجابي – قبرص، 1407هـ– 1987م، (ص: 46)

قال الزركشي: ولقرب العبد من ربه معنيان آخران:

أحدهما: قربه بالعلم والقدرة ومنه قوله تعالى: {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم}.

والثاني: قربه بالوجود والإحسان والفضل والامتنان كما قال تعالى: {ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون} الايتين 26و27 من سورة المطففين. ينظر الى: الزركشي محمد بن جمال: تشنيف المسامع بجمع الجوامع: تحقيق سيد عبد العزيز–عبد الله ربيع، ط1، مؤسسة قرطبة، 1998م، (927/4)

[4] قال الألوسي: (والرحيم) هو الراحم لعباده البالغ في إيصال الرحمة، لأن فعيل من صيغ المبالغة، لكن فعلان أبلغ، فسعة الرحمة وكثرتها وإحاطتها من أدلة عظمة الموصوف وكمال صفاته ووجوب عبادته وإلهيته وإنابة القلوب إليه، فالمستغيث بغيره الراغب إلى سواه فيما لا يقدر «عليه غيره من الأمور المهمة العظام وما ليس من جنس الأسباب العادية –كمن يستغيث بالأنبياء والصالحين والملائكة ويرجع إليهم في حاجاته وملماته– ما أعطى هذا الاسم حقه ولا آمن به حق الإيمان الواجب ولو استشعر شيئاً من كمال مدلوله وسعته وإحاطته لما عدل بربه سواه ولا التفت إلى غير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.=

=ومشهد الأسماء الحسنى والصفات العلىا مشهد عظيم لا يعرفه ولا يسير به إلا الصديقون العارفون بالله وما يجب له وما يستحيل «عليه وأما من تعلق على غيره والتفت إلى سواه وصار مبلغ علمه وغاية حذقه وفهمه تعلقه على الأولياء والصالحين ورجاء رحمتهم وإحسانهم وعطفهم فهو محجوب عن هذا غير عارف بربه جاهل بصفات كماله ونعوت

في شرح الرحمن الرحيم

والرحمن الرحيم صفتان مشتبهتان، بُنيتا للمبالغة من (رحم)، كالعلم من (علم) واستعملتا هنا مجازًا في الكثرة كسائر صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كغفور وشكور ولا مبالغة فيها، لأن المبالغة الحقيقية إثباتك للشيء أكثر مما يستحقه ولا يصح ذلك إلا فيما يقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك لبلوغها الغاية ولا يقال: الصفة المشبهة[1]، إنما تصاغ من اللازم و(رحم) متعدٍّ، لأنَّا نقول: الفعل المتعدي إذا أراد به المدح أو الذم يجعل لازمًا وينقل إلى فعُل بضم العين، ثم تشتق منه الصفة المشبهة أو ينزل منزلة اللازم.

والفرق بين ما نزل منزلة اللازم وما جعل لازمًا أن الأول متعدٍّ للمفعول، لكن بقطع النظر عن مفعوله، فلا يذكر ولا يقدر.

وأما الثاني: فهو غير متعدٍّ والرَّحمة المفهومة من رحمان ورحيم لغة: رقة في القلب وانعطافةٌ تقتضي التفضل والإحسان وهذا المعنى محال على مولانا عز وعلا، فيجب حمله في حقه تعالى على الغاية لا على المبدأ، فالتفضيل والإحسان غاية، الرحمة والرقة مبدأها.

وكذا سائر أسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك، إنما تؤخذ في حقه باعتبار الغايات التي هي أفعال، دون المبادئ التي هي انفعالات، فالرحمة في حقه تعالى إرادة التفضيل بِناء على أنها صفة ذات، أو نفس التفضيل بناء على أنها صفة فعل، فهي

جلاله، قال تعالى: {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَـاهِلُونَ} [الزمر: 64.] فسجل على من أمر بدعاء الصالحين والاستغاثة بهم بالجهالة، سواء سمى ذلك توسلاً وتشفعاً واستنصاراً وكرامة أو لم يسمه، ينظى الى: الالوسي أبو المعالي محمود شكري: غاية الأماني في الرد على النبهاني، الطبعة: الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1422هـ- 2001 م، «361/2)

[1] الصفة المشبهة: هي الملاقية فعلا لازما ثابتا معناها تحقيقا أو تقديرا قابلة للملابسة والتجرد والتعريف والتنكير بلا شرط. احترز بالملاقية فعلا من نحو قرشيّ وقتّات وبكون الفعل الذي تلاقيه لازما من نحو عارف وجاهل وبالثابت معناها من نحو قائم وقاعد ونبه بتقدير الثبوت على متقلب ونحوه واحترز بقبول الملابسة والتجرد من أب وأخ ونحوهما. وبقبول التعريف والتنكير بلا شرط من أفعل التفضيل.» ينظر: ابن مالك: شرح تسهيل الفوائد، ط1، دار الكتب العلمية، 2001م، (89/3)

مجاز مرسل في الإحسان أو في إرادته بإطلاق اسم السبب على المسبب[1]، أو استعارة تمثيلية[2]: وهي ما يكون وجه الشبه فيها منتزعًا من عدة أمور، بأن تمثل حاله تعالى بحال ملك عطف على رعيته ورَقَّ لهم فعمهم معروفه، فأطلق «عليه الاسم وأريد غايته التي هي الإحسان أو إرادته.

ومن هذا يؤخذ أن الرحمن مجاز لا حقيقة له، على نزاع يفهم من فن علم البيان يطول ذكره وإنما قدم الله على الرحمن الرَّحيم لأنه اسم ذات بخلافهما والذات مقدمة على الصفات.

تعليل تقديم الرحمن على الرحيم

قدم الرحمن على الرَّحيم لأمور:

منها: اختصاصه بالباري جل وعز بخلاف الرَّحيم والخاص مقدم على العام والمختص المعرف بالألف واللام[3]، فلا يرد ما قيل في مسيلمة الكذاب[4]: وأنت خير الورى لازلت رحمانًا[5]. أو أن المراد لا زلت ذا رحمة. فهو على حذف مضاف كما قاله

---

[1] كإطلاقهم اسم الرحمة على المطر، آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: 652هـ) وأضاف إليها الأب، عبد الحليم بن تيمية (ت: 682هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (728هـ)، ينظر: ابن تيمية: المسودة في أصول الفقه، دار الكتاب العربي، دط، ص169)

[2] هي أن يكون وجه الشبه فيها- أى الوصف المشترك بين الطرفين- منتزعا من متعدد عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، «معترك الأقران (1/ 283).» ، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 1408 هـ - 1988 م. وصدر الدين، على بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلى خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم، «أنوار الربيع للمدني» (1/ 251).»

[3] قال الزجاجي: الرحمن اسم خاص والرحيم اسم عام، فلذلك قدم الرحمن على الرحيم فقيل: بسم الله الرحمن الرحيم ولذلك أيضًا قيل: رجل رحيم ولم يقل: رحمن. عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، «اشتقاق أسماء الله» ، الطبعة: الثانية، مؤسسة الرسالة،1406هـ - 1986م، ص40)

[4] هو مسيلمة بن حبيب الحنفي ولد بإلىمامة ولقب بالكذاب لشدة كذبه ولقد ادعى النبوة لنفسه للمزيد ينظر الى: الزركلي: الاعلام، مصدر سابق، ج7، ص226.

[5] قال الآلوسي: وقول بني حنيفة في مسيلمة رحمن إلىمامة وقول شاعرهم فيه: سموت بالمجد ياإبن الأكرمين أبا وأنت غيث الورى لازلت رحمانا غلو في الكفر أو التقديم لأن الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له أو للمحافظة على رؤوس الآي هذا وجميعه لا يخلو عن مقال ولا يسلم من رشق نبال أما أولا فلان= =الصفة المشبهة لا تبنى إلا من لازم. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ، (59/1)

ابن مالك[1]. واعترض الجواب بأنه من تعنتهم في كفرهم فإنه غير مسلَّم ومنها أبلغيته دون الرحيم، فإن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى[2]، كما في (قطع الشيء) و(قطَّعه) بالتشديد ولا ينتقض بحذر[3] وحاذر[4]، لأن هذا أكثري أو مشروط باتحاد نوع الإسمية وحذر صفة مشبهة من صيغ المبالغة وحاذر اسم فاعل.

وأبلغية الرَّحمن إما باعتبار الكمية التي هي إفراد مدلوله التضمني وهو الرحمة وإما باعتبار الكيفية التي هي قوة مدلوله التضمني وعظمته في نفسه.

ومنها: أنه قيل فيه: إنه علَم أو صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره، لأنه وصف لمن وسعت رحمته كل شيء وهذا لا يصدق على شيء من المخلوقات ومنها ما

---

[1] حذفت الألف من «الله» و «الرّحمن» و «الحرث» علما، ما لم تخل من الألف واللّام ومن «السّلم عليكم» و «عبد السّلم» و «ذلك» و «أولئك» و «ثمانية» و «ثمني» ثابت الياء وفي «ثمانين» وجهان وحذفت أيضا من «ثلث» و «ثلثين» ومن ياء متّصلة بهمزة ليست كهمزة آدم ومن «ها» متّصلة بـ «ذا» وخالية من كاف وبجميع فروعها إلّا «تا» و «تي» ينظر: ابن مالك: تسهيل شرح الفزائد، مصدر سابق، ص336.

قال ناظر الجيش «شرح التسهيل» (5371/10) يشير المصنف إلى حذف الألف من «الله» لكثرة الاستعمال، مع أمن اللبس والقياس إثبات الألف وكذلك لفظ «الرحمن» لما سبق والحارث علما، فإن كان صفة لم يجز حذف الألف. فإن خلت الثلاثة: «الله، الرحمن، الحرث» لم تحذف الألف، نحو: لاه أبوك، أي: لله أبوك ونحو: رحمان الدنيا والآخرة، كقوله: وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا.

[2] قال ملا على القاري: والرحمن: أبلغ من الرحيم لأن زيادة المبنى تدل على مزيد المعنى وذلك تارة توجد باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية وعلى الأول قيل: يا رحمن الدنيا، لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل: يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة، لأن النعم الأخروية بأسرها تامة والنعم الدنيوية تنقسم إلى جليل وحقير وقليل وكثير وتام وغير تام وكان معنى الرحمن هو المنعم الحقيقي تام الرحمة عميم الإحسان ولذلك لا يطلق على غيره تعالى ويقال له خاص اللفظ عام المعنى، بخلاف الرحيم فإنه عام اللفظ خاص المعنى. ينظ الملا القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج1، دار الفكر، بيروت، 2002م، (55/8) انتهي كلامه. والعبارة يقصد بها بنية الكلمة

[3] حذر حذرا من باب تعب واحتذر واحترز كلها بمعنى استعد وتأهب فهو حاذر وحذر والاسم منه الحذر مثل: حمل وحذر الشيء إذا خافه فالشيء محذور أي مخوف وحذرته الشيء بالتثقيل فحذره والمحذورة الفزع وبها كني ومنه أبو محذورة المؤذن. ينظر: الحموي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (126/1)

[4] قَالَ الزَّجَّاجُ: الحاذِرُ المستعدُّ والحَذِرُ الْمُتَيَقِّظُ وقَالَ شَمِرٌ: الحاذِرُ المُؤْدِي الشَّاكُّ فِي السِّلَاحِ. ينظر: بن منظور: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، دت، (176/4)

تقدم من أن الرَّحيم معناه المنعم بدقائق النعم، فذكر بعد الرحمن المنعم بالجلائل ليكون كالتتمة والرَّديف له.

وإنما اختصت البسملة بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان به في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي، الذي هو مولى النعم كلها، عاجلها وآجلها، جليلها وحقيرها[1].

واختلف في الباء من «بسم الله» [2]، فقيل: زائدة، فلا تتعلق بشيء. و» عليه فـ «اسم» مبتدأ مرفوع تقديرًا وخبره محذوف تقديره: اسم الله مبتدأ به أو مستعان به. والصواب أنها أصلية متعلقة بمحذوف، يصح كونه اسمًا أو فعلًا خاصًّا أو عامًّا، مقدمًاأو مؤخرًا، فهي ثمانية أوجه:

- منهما كونه فعلًا خاصًّا مؤخرًّا، أما أولوية كونه فعلًا فلأن الأصل في العمل الأفعال ولما في تقدير الاسم من زيادة الإضمار، لأنه يضمر المضاف والمضاف إليه ومتعلق الجار والمجرور أن جعل خبرًا وإن لم يجعل الجار والمجرور خبرًا يحوج إلى تقدير خبر، فَالحاصل أنه يحوج إلى تقدير ثلاثة أمور، بخلاف الفعل وفاعله فإنهما كلمتان.

---

[1] قال الطيبي: و «الرحمن» أبلغ من الرحيم لزيادة بنائه. وحظ العارف منهما: أن يتوجه بكليته إلى جناب قدسه ويتوكل «عليه ويلتجئ فيما يعن له إليه ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره، لما فهم منهما أنه المنعم الحقيقي المولي للنعم كلها، عاجلها وآجلها ويرحم عباد الله، فيعأون المظلوم ويصرف الظالم عن ظلمه بالطريق الأحسن وينبه الغافل وينظر إلى العاصي بعين الرحمة دون الإزاء ويجتهد في إزالة المنكر وإزاحته على أحسن ماي ستطيعه ويسعى في سد خلة المحتاجين بقدر وسعة وطاقته. وعن عبد الله بن المبارك: «الرحمن» هو الذي إذا سؤل أعطي و «الرحيم» هو الذي إذا لم يسأل غضب. قال بعض المفسرين: إنما يلي الرحمن «الله» ، لأنه كالعلم إذا كان لا يوصف به غير الله. ينظر الى: الطيبي شرف الدين: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة، 1997م. (1771/6)

(2) قال النحاس: والباء في بسم الله الرحمن الرحيم متعلقةٌ بشيء محذوفٍ عند جميع النحويين والتقدير عند البصريين: أول ما أفتتح به أو أول كلامي بسم الله الرحمن الرحيم، فالموضع موضع رفعٍ عندهم وقال الفراء: موضع الباء نصبٌ والمعنى بدأت بسم الله الرحمن الرحيم، أو أبدأ بسم الله الرحمن الرحيم، فحذف الفعل لأن المعنى يدل «عليه. ينظر الى: المرادي أبو جعفر النَّحَّاس: عمدة الكتاب، الطبعة الأولى، دار ابن حزم – الجفان والجابي للطباعة والنشر، 1425هـ- 2004م، (65/1).

وكونه خاصًا، لأن كل شارع في شيء يضمر ما تجعل التسمية مبدأ له وكونه مؤخرًا عن الرحمن الرَّحيم، لأن تقديم المعمول ها هنا أوقع كما في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:5]، لأنه أهم وأدل على الاختصاص، لأن المشركين كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون: باسم اللات، بسم العزى. فقصد الموحد تخصيص اسم الله بالابتداء للاهتمام والرَّد «عليهم[1]، فنكت التقديم الاهتمام عند النحويين وإفادة الاختصاص ويعبر عنه بالحصر[2] عند البيانيين.

والمراد أن المقصود بالذات للنحويين الاهتمام والمقصود بالذات للبيانيين الحصر، فلا ينافي أن كل من الفريقين لا يخالف غيره فيما يدَّعيه، بل الكل مقصود بالذات والفرق بين الاهتمام والحصر، أن الحصر يقتضي الرد على من يدعي الشركة أو العكس، بخلاف الاهتمام، لا يقتضي ردًّا، لأن الإنسان قد يهتم ولا يرد على أحد.

ومعنى اختصاص «بسم الله» بالابتداء جعله من بين أسماء غير الله مختصًا به، فالحاصل أن معنى الاختصاص هنا جعل التإليف مقصورًا على التبرك أو الاستعانة

---

[1] قال العيني: فالباء فيها تتعلق بمحذوف تقديره: بسم الله أشرع. كما أن المسافر إذا حلّ أو ارتحل فقال: بسم الله والبركات. كان المعنى: بسم الله أحل وبسم الله أرتحل. وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرًا ما جعل التسمية مبدأ له. وقال الزمخشري في هذا المقام: فإن قلت: لم قدرت المحذوف متأخرًا؟

قلت: لأن الأهم من الفعل والمتعلق، هو المتعلق به، لأنهم كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم، فيقولون: باسم اللات، باسم العُزَّي، فوجب أن يقصد المُوحِّد معنى اختصاص اسم الله –عزَّ وعلا– بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل، كما فُعل في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، حيث صرَّح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص والدليل «عليه قوله: {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا} انتهي.

قلت: تخصيص الابتداء باسم الله قصر إفرادٍ كما في قوله تعإلى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، لأن المشركين وإن بدءوا بأسماء آلهتهم لا ينوب عن الابتداء باسم الله تعإلى ثم قال الزمخشري: فإن قلت: فقد قال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} فقدم الفعل، قلت: هناك تقديم الفعل أوقع، لأنها أول سورة نزلت، فكان الأمر بالقراءة أهم. انتهي، ينظر: العيني بدر الدين: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، تح: ابو تميم ياسر، ط1 وزارة الاوقاف والشؤون الدينية القطرية، قطر، 2008م، (33/1)

[2] كَون الِاخْتِصَاص هُوَ الْحصْر هُوَ رَأْي جُمْهُور الْعلمَاء وخَالف السُّبْكِيّ فِي ذَلِك، فَقَالَ: لَيْسَ معنى الِاخْتِصَاص الْحصْر خلافًا لما يفهم كثير من النَّاس، لِأَن الْفُضَلَاء كالزمخشري لم يعبروا فِي نَحْو ذَلِك إِلَّا با [لَا] ختصاص والْفرق بَينه وَبَين الْحصْر أَن الِاخْتِصَاص افتعال من الْخُصُوص والْخَاص مركب من عُمُوم ومعنى يفصله، فالضرب – مثلا – عَام، فَإِذا قلت: ضربت، خصصته بِإِشَارَة لَك، فَإِذا قلت: زيدا، خصصت ضربك بِوُقُوعِهِ على زيد، فالمتكلم إِمَّا أَن يكون مَقْصُوده الثَّلَاثَة، أَو بَعْضهَا، فتقديمه أَحدهَا باختصاصه لَهَا من مُطلق الضَّرْب لدلَالَة الِابْتِدَاء بالشَّيْء على الاهتمام ويبقى ذكر الْبَاقِي بالتبعية فِي قَصده ولَيْسَ فِيهِ حِينَئِذٍ مَا فِي الْحصْر من نفي غَيره وإِنَّمَا جَاءَ الْحصْر فِي {إياك نعْبد} وَنَحْوه للْعلم بِهِ من خَارج لَا من نفس اللَّفْظ بِدَلِيل أَن بَقِيَّة الْآيَات لَا يطرد فِيهَا ذَلِك، علاء الدين أبو الحسن على بن سليمان المرداوي: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ج6، الطبعة: الأولى، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض، 1421هـ– 2000م، ص2967

باسمه تعالى، لا يتجاوزه إلى التبرك أو الاستعانة بسم اللات أو العزى، فهو من باب قصر الأفراد، لأنه يخاطب به من يعتقد الشركة والكفار إنما كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم للتبرك لا للاختصاص، لاعترافهم بصحة التبرك باسمه تعالى لقولهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة الزمر:3] وعُلم أن الفرق بين قصر الأفراد والقلب بأن:

الأول يخاطب به من يعتقد الشركة وقصر القلب يخاطب به من يدعي العكس وقيدنا التقديم بِهَا هُنَا للاحتراز عن نحو: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:1]، فإن تقديم العامل فيه أوقع وأبلغ، لأن المقام يقتضي تقديم العامل لما قيل من أنها أول سورة أو أول آية من سورة نزلت، فكان الأمر بالقراءة أهم[1] وإن كان ذكر الله أهم في نفسه ولكن لأهمية العارضة تقدم مراعاتها على الذاتية، لأن العارضة في مراعاتها بلاغة ليست للذاتية، لأن بلاغة الكلام مطابقة لمقتضى الحال أو باسم ربك متعلق بـ {اقرأ}.

الثاني: تعلق المفعولية ودخلت فيه الباء مع تعدي الفعل بنفسه للدلالة على التكرير و« اقرأ» الأول للمفعول له لتنزيله منزلة اللازم، فمعناه أوجد القراءة، نحو: فلان يعطي»[2].

فإن قيل: ما حكم خلاف ذلك المتعلق؟ هل هو الوجوب أو الجواز؟

---

[1] قال الزمخشري: فإن قلت: فقد قال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} (2) فقدم الفعل.

قلت: هناك تقديم الفعل أوقع، لأنها أول سورة نزلت، فكان الأمر بالقراءة أهم. انتهي. العيني: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، ج1، مصدر سابق، ص33/1.

[2] قال السفيري: و «الرحمن» على وزن فعلان مشتق من «رحم» بالكسر، «كغضبان» من غضب وهو صفة مشبهة.

فإن قيل: كيف يأتي من «رحم» بالكسر وهو متعدد وهي لا تأتي إلا من فعل لازم؟

أجيب عنه: بأنها بنيت من «رحم» بالكسر بعد النقل إلى فعل بالضم، أو بعد تنزيل المتعدي منزلة الفعل اللازم، كما في قولك: «فلان يعطي» . ينظر: السفيري: شمس الدين محمد: المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله «عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري» ، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1425 هـ– 2004 م، (57/1)

فالجواب أن يقال: إن كان خاصًّا ودلت «عليه قرينة جاز حذفه والقرينة «عليه هنا هي الشروع في التإليف وأيضًا كثرة الاستعمال مع فهم المعنى، بخلاف ما لو كان خاصًّا ولم تدل «عليه قرينة فيجب ذكره، لأنه لا يحذف إلا ما علم وأما إن كان عامًّا نحو: «كأين أو استقر». فلا يجوز ذكره اختيارًا، فلا يرد: «فَأَنْتَ لَدَى بُحْبُوحَةِ الْهَوْنِ كَائِنٌ» قاله النفراوي.

ثم محل الجار والمجرور أن قدر العامل فعلًا كما يقوله الكوفيون، لأن محله نصبًا على المفعولية أو على الحإلية من فاعل ذلك الفعل والتقدير: أُؤلف تبركًا[1] أو مستعينًا بسم الله الرحمن الرحيم.

وكذا لو قُدِّر المحذوف مصدرًا مبنيًّا على ما يقوله البصريون وعلقناه بنفس المبتدأ والخبر محذوف تقديره: ابتدائي بسم الله الرحمن الرحيم ثابت أو حاصل.[2]

ولا يقال: يلزم حذف المصدر وإبقاء عمله، لأنه يتوسع في الظرف والمجرور حذف عاملهما، على إن أشتراط ذكر المصدر في العمل إنما هو في عمله بطريق النيابة عن الفعل وما هنا عمله بسبب ما فيه من راعية الفعل عندما يجوز تقديمه «عليه عند المحققين خلافًا لمن منع.

واشتراط الذكر والتقديم إنما هو عند عمله بالحمل على الفعل وكذا لو علق بخبر محذوف وأما لو جعل نفس الخبر أو هو مع كلان لجاز الحكم على محله بالرفع والنصب، أما الحكم بالرفع فلأنه في محل الخبر وأما بالنصب فلأنه معمول لكان المحذوف ولفظ الجلالة مجرور بالمضاف الذي هو اسم على الصحيح.

و((الرحمن)) نعت له، فبناه على أنه صفة والرحيم كذلك[3] وأما على علمية الرحمن فيكون بيانًا أو بدلا.

---

[1] في (النسخةب): «متبركًا» .

[2] ينظر: ابن هشامعبد الله بن يوسف: شرح قطر الندى وبل الصدى، الطبعة: الحادية عشرة، مكتبة القاهرة، 1383 هـ، (65/2)

[3] (الرحمن الرحيم) نعتان وخبر بعد خبر وهما اسمان بنيا للمبالغة من الرحمة وهي في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان على من رق له، ينظر: العزيزي على بن ابراهيم: السراج المنير شرح الجامع الصغير، ط خ، المطبعة الخيرية، مصر، 1304هـ، (113/2)

و((الرحيم)) نعت له لا لله دليلا يلزم تقديم البدل على النعت وهو ممتنع ويجوز أيضًا جعل الرحمن نعتًا لله مع كونه علمًا نظرًا لمعناه وهذا الإعراب مستعمل عربية وقراءة ويجوز عربية قطع النعت هنا للعلم بالمنعوت، فيرفع الرحمن والرحيم أو ينصبان ولك التصرف في نعتي اسم ظاهر مخفوض بما شئت من الرفع والنصب والخفض لهما أو لأحدهما، مطلقًا في الأوجه التسع على ما قاله صاحب البسيط[1].

والقول بعدم جواز الاتباع بعد القطع[2] طريقة ابن أبي الربيع[3] وقول أبي الحسن الشيخ على الأجهوري[4] في منظومته:

إن ينصب الرحمن أو يرتفعا *** فاتجر في الرحيم قطعًا منعا[5]

ترجيح للطريقة الشهيرة، لا أنه ممنوع لغة.

الاختلاف في حقيقة البسملة أهي آية أم لا:

---

[1] «البسيط في شرح الجمل» (171-172)

[2] قال ابن أبي الربيع: ما جيء به للبيان فيجوز نصبه بإضمار فعل ورفعه بإضمار مبتدأ فتقول: جاءني زيد الخياط أي أريد الخياط ومررت بزيد الخياط أي هو الخياط ويجوز إظهار الفعل والمبتدأ وكأنه في النصب جواب من قال: من تعني وفي الرفع جواب من قال: من هو لمدح أو ترحم، أو ذم جاز الاتباع والقطع انتهي. «ارتشاف الضرب من لسان العرب» لأبي حيان (1928/4)

[3] هو أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن محمد ابن أبي الربيع الإشبيلي. إمام أهل النحو في زمانه، صنف: شرح الإيضاح وشرح سيبويه وشرح الجمل، عشرة مجلدات، لم يشذ عنه مسألة في العربية (ت 688 هـ). ينظر الى: السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين: بغية الوعاة، ط1، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، (125/2)

[4] هو على بن محمد بن عبد الرحمن الاجهوري، المصري، المالكي (نور الدين، أبو الارشاد) عالم، اديب، مشارك في الفقه والكلام والحديث ومصطلحه والسيرة النبوية والمنطق وغيرها. ولد بمصر وتوفي بها مستهل جمادى الاولى ودفن بجوار المشهد المعروف بإخوة يوسف.=

=من تصانيفه الكثيره: مواهب الجليل في تحرير ما حواه مختصر خليل في فروع الفقه المالكي، شرح على منظومته في العقائد، شرح الفية الوافي في مصطلح الحديث في مجلدين وسماه فتح الباقي، شرح التهذيب للتفتازاني في المنطق وشرح الدرر السنية في نظم السيرة النبوية للعراقي. ينظر الى: ابن كحالة عمر بن رضا: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (207/7)

[5] والبيت بشكل صحيح هو: إن يُنصَبِ الرَّحمنُ أَو يَرتَفِعَا *** فالجَرُّ فِي الرَّحيمِ قَطعًا مُنِعَا وتتمته: وإن يجرَّ فأجز في الثاني --- ثلاثة الأوجه فخذ بياني

فهذه تضمنت تسعًا منع --- وجهان منها فادر هذا واستمع.ينظر:الفواكه الدواني على رسالة ابي زيد القيرواني (1/215)

فائدة: اختلف الأئمة في البسملة: أهي آية من كتاب الله أو لا؟ فالذي رآه إمامنا مالك رحمه الله ورضي عنه أن التي بالنمل آية[1] واللواتي هي فواتح السورة ليست بآية، لا من الفاتحة ولا من أول كل سورة، لاختلاف من لقيه الإمام من السلف فيها في فواتح السور ولو كانت قرآنًا لما اختلف فيها.

وبهذا تعلم أن {بسم الله الرحمن الرحيم} آية بإجماع ولا خلاف بين الأئمة في ذلك وإنما الخلاف في فواتح السور فيها، ثم لا منافات بين كلام الأئمة فيها، لأنهم مجمعون على أنها بتركيبها المخصوص آية في النمل ومن رأى منهم أن إجماع الصحابة على افتتاح الكتاب العزيز بها قراءة وكتابة مؤذن بأنها آية في أول كل سورة، فهو المؤمن بها وبمدلولها اتحدت[2] أو تعددت وما ضره اعتقاد أنها آية لمطابقة الواقع ومن رأى أن اختلاف السَّلف فيها أول كل سورة، مؤذن بأنها ليست قرآنا في الفواتح وإن كانت قرآنا في النمل فهو المؤمن بها وبمدلولها اتحدت أيضًا أو تعددت وما ضره اعتقاد: أنما[3] جعلها الصحابة فاتحة كل سورة لمطابقة الواقع أيضًا.

وليحذر العاقل الكريم ذو العقل السليم من الإصغاء إلى بعض الطلبة القاصرين، أو النظر في كتب بعض المتعصبين المجروحين، حتى قال بعضهم: لو كانت قرآن أول كل سورة لكفر جاحدها. ولم يقل بهذا أحد من علماء الصدر الأول الذين هم أكثر الناس احتياطًا وحراسة وذبًّا عن كتاب الله تعالى.

وقال المخالف: لو لم تكن قرآنًا أول كل سورة لكفر مثبتها. ولم يقل بهذا أحد أيضًا، فبان لنا بالضرورة إجماعهم على أنها قراءة في النَّمل واختلافهمإنما هو في كونها أول كل

[1] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (7/1)

[2] بعده في (النسخة ب): «أيضًا» .

[3] في (النسخة ب): «أنها» .

سورة أو لا[1] وهي مع هذا كله لها تركيب واحد معلوم ومعنى واحد مفهوم، ليست بناسخة ولا منسوخة ولأنه يتعلق معناها بخطاب[2] العباد أمرًا أو نهيًا وإنما هي دالة على الثناء على الله ببعض ما هو أهله من الكمالات لا غير، فالإيمان بكونها قرآنا حاصل لنا ضرورة –فضلًا عن أئمتنا رضي الله عنهم– وكونها فاتحة كل سورة محل اجتهاد وصل فيه كل مجتهد منهم إلى ما يقربه إلى الله، فجزاهم الله عنا وعن أنفسهم خيرًا ورحمهم الله ورضي عنهم أجمعين.

فثق أيها الأخ في الله بما حررته لك، فإنك لا تجده في كتاب غير هذا ولا تلتفت إلى ترهات المتعصبين ومغالطات المحرومين، الذين لا يزالون يفرقون بين المذاهب تفريق بعد، حتى كادت عندهم أن تكون أديانًا لا مذاهب والعياذ بالله من ضعف الأرب[3] وقلة الأدب، فربما ترى مالكيًا مثلًا يقول: نحن عندنا كذا. فيقول له الحنفي مثلًا: لا، نحن

---

[1] قال المباركفوري: والذي تحصل لنا من الأقوال في البسملة أربعة: أحدها أنها ليست من القرآن أصلاً إلا في سورة النمل، نقل هذا عن مالك والأوزاعي وحكاه الطحاوي عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وهو رواية عن أحمد وهو قول لبعض أصحابه واختاره ابن قدامة في المغني. والثاني أنها آية من كل سورة سوى براءة أو بعض آياته وهو المشهور عن الشافعي وأصحابه وهو رواية عن أحمد. والثالث أنها آية في أول الفاتحة وليست قرآناً في أوائل باقي السور وهو قول أحمد وإسحق وأبي عبيد وأهل الكوفة وأهل مكة وأهل العراق وهو أيضاً رواية عن الشافعي. والرابع أنها آية مستقلة من القرآن في كل موضع كتبت فيه في المصحف وليست من الفاتحة ولا من غيرها وإنما أنزلت لافتتاح القراءة بها وللفصل بين كل سورتين سوى ما بين الأنفال وبراءة ذهب إليه أبوبكر الرازي الجصاص وهو المختار عند الحنفية. قال محمد بن الحسن: ما بين دفتي المصحف قرآن وهو قول ابن المبارك ورواية عن أحمد وداود وقال الزيلعي في نصب الراية: وهذا قول المحققين من أهل العلم ونسبة هذا القول إلى الحنفية استنباط فقط كما يظهر من أحكام القرآن. (ج1: ص8) لأبي بكر الجصاص. وقال شمس الأئمة السرخسي في المبسوط. (ج1: ص16): وعن معلى قال: قلت لمحمد يعني ابن الحسن: التسمية آية من القرآن أم لا؟ قال: ما بين الدفتين كله قرآن. قلت: فلم لم تجهر؟ فلم يجبنى، فهذا عن محمد بيان أنها أنزلت للفصل بين السور، لا من أوائل السور ولهذا كتبت بخط على حدة وهو اختيار أبي بكر الرازي، ينظر الى: المباركفوري أبو الحسن عبيد الله: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» ، الطبعة الثالثة، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، 1404هـ– 1984م، (118/3).

[2] في الأصل: «بحق» وفي حاشيته مصححا «عليها، (النسخة ب): «بخطاب» وهو أظهر.

[3] الإِرْب: الحاجةُ وهِي المَأْرُبة وجَمعهَا: مآرب. ينظر: الازهري ابو منصور: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2002م، (185/15)

عندنا كذا. مع إظهار التنافس حتى تفهم العوام التباين الكلي في دين واحد وإنما الأدب أن يقول أحدهما: المشهور عندنا كذا. فيقول الأخر: ونحن المشهور عندنا كذا. فيفهم السَّامع أن مقابل المشهور مقول به عندهما، فيسلم الطالب من سوء الأدب وينتصب للكمال اللائق به في أعلى الرتب.

فرعان:

الأول: قال القرافي في الأحكام[1]: «فإن قيل ما معنى مذهب مالك الذي يقلد فيه ومذهب غيره من الأئمة فإن قلتم المذهب ما يقوله من الحق أشكل «عليه الواحد نصف الاثنين وسائر الحسابيات العقلية مما لا تقليد فيه وإن قلتم ما يقوله من الحق في خصوص الشرعيات، بطل ذلك بأصول الدين وأصول الفقه، فإنما أمور طلبها صاحب الشرع ولا يجوز التقليد فيها لمالك ولا لغيره.

في ذكر المذاهب الاسلامية

وإن قلتم مذهبه ومذهب غيره هو الفروع الشرعية. يقال «عليه إن أردتم جميع الفروع بطل بالفروع المعلومة من الدين بالضرورة، كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وتحريم نحو الخمر والزنا والسَّرقة وهو يستحيل فيه التقليد، لاستواء العوام والخواص فيه وإن أردتم بعض ذلك فما ضابطه؟

وإن بينتم ضابطه لا يتم، لكون الحد لا يكون جامعًا، لخروج الأسباب الموضوعة لتلك الأحكام والشروط التي تقلدوهم فيها لأنها غير الأحكام وإنما تقلدونهم في الأحكام وهي غير الشروط والأسباب ولذلك قال العلماء: الأحكام من خطاب التكليف والأسباب والشروط من خطاب الوضع فهما بابان متباينان.

---

[1] «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام» (191)

ولأجل هذه الأسئلة لا يكاد فقيه يسأل عن حقيقة مذهب إمامه الذي يقلده فيه يحسن الجواب والجواب أن يقال المذاهب التي تقلد فيها الأئمة رضي الله عنهم ورحمهم خمسة أشياء:

- **الأحكام الشرعية الفرعية[1] الاجتهادية.**
- **وأسبابها.**
- **وشروطها.**
- **وموانعها.**
- **والحجج المثبتة للأسباب والشروط.**

إلى آخر ما تعتمده الحكام من البينات والأقارير وينبغي أن يزاد على الخمسة قيد آخر وهو أن لا يكون مجمعًا «عليه. أ.هـ. بالمعنى وبعض اللفظ[2].

[1] ألحقها في حاشية الأصل وصحح «عليها.

[2] قال القرافي: ضابطَ المذاهب التي يقُلَّدُ فيها أنها خمسةُ أشياء لا سادسَ لها:

1 – الأحكامُ الشرعية الفُروعيَّة الاجتهادية. 2 – وأسبابُها. 3 – وشروطُها. 4 – وموانعُها. 5 – والحِجاجُ المثبِتةُ للأسباب والشروطِ والموانعِ.

1 – فقولنا: (الأحكامُ) احترازٌ عن الذوات.

وقولُنا: (الشرعية) احترازٌ عن العقلية كالحساب والهندسةِ والحِسيَّات وغيرِها.

وقولنا: (الفُروعيَّة) احترازٌ مِن أصول الدين وأصول الفقه، فإن الشرع طَلَب منا العلمَ بما يجبُ له سبحانه وتعالى وما يستحيلُ «عليه وما يجوز. وطلَبَ منا العلمَ بأصول الفقه لاستنباط الأحكام الشرعية، فهي أحكامٌ شرعية لكنها أصولية ولا تقليد فيها.

فأخرجنا بقولنا: (الفروعية) الأحكامَ الشرعيةَ الأصولية وهي أصولُ الدينِ وأصولُ الفقهِ المطلوبانِ شرعًا

وأخرجنا بقولنا: (الاجتهادية) الأحكامَ الفروعيةَ المعلومةَ من الدين بالضرورة.

2 – وقولُنا: (وأسبابُها) نريد به نحوَ الزوالِ ورؤيةِ الهلال والإتلافِ سَبَبِ الضمان ونحوَ ذلك من المتفَقِ «عليه.

الثاني: هل يجوز لمقلد مذهب أن ينتقل إلى غيره؟

الخلاف في ذلك على ثلاثة أقوال:

- **الجواز مطلقًا.**
- **وعدم الجواز مطلقًا.**
- **وثالثها يجوز لمن لم يعمل ويمنع لمن عمل.**

والذي اقتصر «عليه الزناتي الجواز مطلقًا، فإنه قال: يجوز تقليد المذاهب في النَّوازل والانتقال من ذهب إلى مذهب بثلاثة شروط:

الأول: ألا يجمع بينهما على صفة تخالف الإجماع، كأن يتزوج بلا صداق ولا ولي ولا شهرة، فإن هذه الصورة لم يقل بها أحد ولا معنى للرأي إلا هي.

الثاني: أن يعتقد فيمن أراد الانتقال إليه الفضل ولو بوصول خبره إليه ولا يقلِّده زمانًا لحاجة دنيوية ويرجع، فإن هذا قبيح بذي الديانة ويزري بالمروؤة تلاعبه.

الثالث: ألا يتتبع رخص المذاهب.

ونقل عن غيره جواز تقليد المذاهب والانتقال إليها في كل ما لا ينقض فيه قضاء القاضي وهو كل ما خالف قاطعًا أو جلي قياس.

ومن المختلَفِ فيه: الرَّضْعةُ الواحدةُ سبَبُ التحريم عند مالك دون الشافعي وضَمُّ غيرِ الربوي في نحوِ مسألةِ مُد عجوةٍ ودرهمٍ سبَبٌ للفساد عند مالك والشافعي، خلافًا لأبي حنيفة وحُلولُ النجاسة فيما دون القُلتينِ مع عدم التغيرِ سبَبُ التنجيسِ عند الشافعي وأبي حنيفة، خلافًا لمالك ونحوُ ذلك.

3 – (والشروطُ) نحوُ الحَوْلِ في الزكاة والطهارةِ في الصلاة، من المجمَعِ «عليه. والوليِّ والشهودِ في النكاح، من المختَلَفِ فيه.

4 – و (الموانعُ) كالحَيْضِ يَمْنعُ الصلاة والصوم والجنونِ والإغماءِ يمنعُ التكليفَ، من المجمَعِ «عليه والنجاسةِ تمنعُ الصلاةَ، من المختلَفِ فيه وكذلك مَنع الدَينِ الزكاةَ.

5 – وقولُنا: (والحِجاجُ المثبِتةُ للأسبابِ والشروطِ والموانعِ) نريد به ما يَعتمدُ «عليه الحُكَّامُ من البيّنات والأقارير ونحوِ ذلك. ينظر: القراقي ابو العباس شهاب الدين: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام ط2، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ص193.

قال القرافي[1]: إن أراد الزناتي بالرخصة هذه فهو حسن وإن أراد بها كل ما فيه سهولة على المكلف كيف كان، لزمه أن يكون من قلد مالكًا في الحياة والأرواق وترك الألفاظ في العقود مخالفًا لتقوى الله وليس كذلك.

وأما تقليد المفضول فلا يجوز، لأنه يجب على أهل كل مذهب اعتقاد أفضلية أمامهم وحكم التقليد لأحد الأربعة الوجوب حيث لم يكن في المقلد أهلية الاجتهاد ولا مانع من تقليد غير الأربعة، لو ضبط مذهبه، لكن أهل الخلاف إليوم كالوهبية والإباضية وأضرابهم في غاية البُعد لعدم تدوين مذهبهم وقلة رجاله وبعدهم من الحق والإتقان، هذا في الفقه وأما في العقائد فنعوذ بالله من بعضها، فإنها إن لم تكن كفرًا كانت قريبة منه، نسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة.

الحمدلة في المذاهب الاسلامية:

((نحمدك)) التعبير بالمضارع مشعر بدوام الحمد حالًا ومآلًا، ((يا من)) موصول أريد به الله تعالى وصلته ((جعلتنا)) معشر الإسلام، ((خير أمة)) معمول ثاني لجعلت، ((صدقًا)) مصدر منصوب على التمييز ومعناه الوفاء وخلوص النية لمتابعة الحق، ((وهداية)) كذلك ومعناها الرشد وإصابة الغرض من المراد اللائق بالعبد دنيا وأخرى، عملًا واعتقادًا.

وقيدنا الحمد بهذه النعمة جريًا على مذهب إمامنا مالك بن أنس رحمه الله، فإنه يرى أنَّ الحمد المقيد أفضل من المطلق[1]، كما يرى أيضًا أن المقيَّد بالإثبات أفضل من المقيد

---

[1] هو ابو العباس شهاب الدين الشهير بالقرافي ولد بمصر سنة 626ھ كان منتوع العلم والمعرفة من الفقة والاصول واللغة والادب الى الطبيعيات له مؤلف عديدو منها» ضرح الاربعين في اصول الدين» ، ينظر الى: الزركلي خير الدين: الاعلام، ج 1، ط15، دار العلم للملايين، مصر، 2002م ص90.

بالنفي، مستدلًا على فضيلة المقيد بكثرة وروده في القرآن ولأنه يثاب «عليه ثواب الواجب، لأن الغالب وقوعه في مقابلة نعمة[2]. وفضَّل الإمام الشافعي رحمه الله المطلق لصدقه على جميع المحامد[3].

والحمد اللفظي لغة: الثناء بالجميل على الجميل الاختياري حقيقة أو حكمًا على جهة التعظيم والتبجيل ظاهرًا وباطنًا وسواء تعلق بالفضائل وهي المزايا غير المتعدية، أو بالفواضل وهي المزايا المتعدية.

ومعنى كونها متعدية أنه يتوقف تحققها على تعلقها بالغير، مثال القاصرة: العلم والحسن والشجاعة.

ومثال المتعدية: الإنعام والكرم وبهذا تعلم أنه ليس المراد تعدي ذوات الكمالات، لأنه لا شيء من ذواتها يجاوز محله وليس المراد تعدي الأثر أيضاً، لأنَّ العلم والغدوة يتعدى أثرها إلى الغير مع حكمنا «عليها بالقصور.

وإنما المراد بالتعدي: توقف اتصاف الموصوف به على وصول الأثر للغير.

والقاصر: ما يصح اتصاف موصوفه به ولو لم يتعد أثره للغير وإن كان يتعدَّى نحو: «العلم والشجاعة» فإنه يصح الوصف بهما ولو لم يتعد أثرهما للغير، لأن العلم يظهر بحسن السؤال مثلًا والشجاعة بنحو الإقدام على الحروب[4].

---

[1] قال النفراوي: الْحَمْدَ الْمُقَيَّدَ أَفْضَلُ مِنْ الْمُطْلَقِ خِلَافًا لِمَنْ عَكَسَ والْمُطْلَقُ وَهُوَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي مُقَابَلَةِ نِعْمَةٍ لَا لَفْظًا وَلَا نِيَّةَ يُثَابُ «عليه ثَوَابَ الْمَنْدُوبِ. ينظر الى، النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (357/2)

[2] قال النفراوي: فَالَّذِي «عليه مَالِكٌ أَنَّ الْمُقَيَّدَ أَفْضَلُ مِنْ الْمُطْلَقِ، بِالْإِثْبَاتِ أَفْضَلُ مِنْ الْمُقَيَّدِ بِالنَّفْيِ لِمَا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ الصِّفَاتِ الثُّبُوتِيَّةَ أَفْضَلُ مِنْ السَّلْبِيَّةِ والدَّلِيلُ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الْمُقَيَّدِ كَثْرَةُ وُرُودِهِ فِي الْقُرْآنِ وَلِأَنَّهُ يُثَابُ «عليه ثَوَابَ الْوَاجِبِ، لِأَنَّ الْغَالِبَ وُقُوعُهُ فِي مُقَابِلَةِ نِعْمَةٍ وفَضْلُ الثَّنَاءِ نَفْيُ الْمُطْلَقِ لِصِدْقِهِ عَلَى جَمِيعِ الْمَحَامِدِ، ينظر الى. النفراوي: المصدر نفسه، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، (11/1)

[3] المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة.

[4] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (10/1)

والحمد يتوقف على خمسة أمور:

- **محمود به.**
- **ومحمود «عليه.**
- **وحامد.**
- **ومحمود.**
- **وما يدل على اتِّصاف المحمود بالمحمودية[1].**

فالمحمود به: صفة تظهر اتصاف شيء بها على وجه مخصوص ويجب أن تكون صفة كمال شرعًا عند صاحب العقل السَّليم ولا يشترط في المحمود به كونه اختياريًّا، فلو وصفه بالحسن الذاتي مع بقية المعتبرات في الحمد كان حمدًا.

وأما الأمر الثاني وهو المحمود «عليه: فهو ما كان الوصف بالجميل بإزائه ومقابلته ويجب أن يكون كمالًا وأن يكون اختياريًّا –ولو حكمًا–، يشمل حمد الله تعالى على صفاته.

وأما الأمر الثالث وهو الحامد: فهو من يتحقق المحمود منه.

وأما الأمر الرَّابع وهو المحمود: فلا بد أن يكون فاعلًا مختارًا حقيقة أو حكمًا.

وأما الامر الخامس فهو ذكر ما يدل على اتصاف المحمود بالمحمود به.

وأما معناه اصطلاحًا: فهو فعل ينبني على تعظيم المنعم، بسبب كونه منعمًا.

والشكر لغة: هو الحمدُ.

اصطلاحًا: فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به «عليه من سمع وبصر وغيرهما إلى ما خلق له وأعطاه لأجله وظاهر كلام السَّعد شموله النعمة الواصلة للشاكر وغيره وكلام الفخر الرازي في تفسير الفاتحة تقييدها بوصلها للشاكر.

---

[1] المصدر السابق وفي «شرح مختصر خليل للخرشي» (69/1)...... وَحَامِدٌ وَمَحْمُودٌ وَصِيغَة.

وأما المدح فهو لغة: الثناء باللسان على الجميل مطلقًا على جهة التعظيم.

واصطلاحًا: اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل أو الفواضل.

فبين الحمد اللغوي والشكر اللغوي عموم وخصوص من وجه، لصدقهما بالثناء باللسان في مقابلة إحسان وانفراد الحمد اللغوي لصدقه باللسان من غير مقابلة إحسان وانفراد الشكر اللغوي بصدقه بغير اللسان في مقابلة إحسان فمورد الحمد أخص ومتعلقه أعم والشكر بعكسه وبينه وبين الحمد العرفي عموم وخصوص من وجه أيضًا، لمساوات الحمد العرفي للشكر اللغوي.

وبينه وبين الشكر العرفي عموم وخصوص مطلق، لشمول متعلق الحمد لله تعالى ولغيره واختصاص متعلق الشكر به تعالى.

وبينه وبين الحمد اللغوي عموم وخصوص مطلق أيضًا، لصدق الحمد بالاختيار فقط وصدق المدح بالاختياري وغيره وبينه وبين المدح العرفي كذلك، لما تقدم وبين الشكر اللغوي والحمد العرفي تساوي وبينه وبين الشكر العرفي عموم وخصوص مطلق، لصدق اللغوي بالنعمة فقط وصدق العرفي بها وبغيرها.

وبينه وبين الحمد اللغوي كذلك، لصدق الشكر بالثناء باللسان وغيره وصدق الحمد المذكور باللسان فقط.

ومعنى الوجهي: اجتماعهما في مادة بجهتي خصوصهما وانفراد كلٍّ واحد بجهة عمومه.

ومعنى المطلق: أن ينفرد أحدهما فقط بجهة عمومه.

واعلم أن النسب المذكورة[1] يصح أن تكون بحسب الحمد وبحسب التحقق والوجود، إلا أن النسبة بين الحمد اللغوي والشكر الاصطلاحي، فإنهما إنما تصح بحسب التحقق والوجود لا بحسب الحمد، إذ لا يصح حمل الثناء باللسان... الخ، على صرف العبد

[1] بَيْنَ الْحَمَدَيْنِ وَالشُّكْرَيْنِ.

جميع ما أنعم الله به على عكسه ولكن كلما وجد صرف العبد... الخ، يوجد الوصف بالجميل بلا عكس[1].

فائدة: وقع الخلاف في أفضل المحامد:

فقيل: أفضل ما حمد الله به: «الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم» وزاد بعضهم: «عدد خلقه كلهم ما علمت منهم ومالم أعلم» .

وقيل أفضلها: «الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده»، لما ورد: أن الله تعالى ما أهبط آدم «عليه السلام إلى الأرض قال: «يا رب شغلتني بكسب يدي فعلمني شيئا فيه [ق/30] مجامع الحمد والتسبيح» فأوصى الله إليه: «أن قل ثلاث مرات عند كل صباح وعند كل مساء الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده فقد جمعت لك جميع المحامد» [2].

وقيل: أفضل الصيغ «اللهم لا أحصي ثناء علىك أنت كما اثنيت على نفسك» .

وثمرة الخلاف تظهر في من حلف ليثني على الله بأفضل الثناءات، فإن الورع والاحتياط في بِرِه الإتيان بجميعها.

---

[1] ينظر: بتمامه من: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (11/1)

[2] قال السيوطي: «وأخرج ابن الصلاح في أماليه عن محمد بن النضر قال: قال آدم: يا رب شغلتني بكسب يدي فعلمني شيئا فيه مجامع الحمد والتسبيح، فأوحى الله إليه: يا آدم إذا أصبحت فقل ثلاثا وإذا أمسيت فقل ثلاثا، الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافى ء مزيده، فذلك مجامع الحمد والتسبيح. ينظر الى: السيوطي جلال الدين: الدر المنثور،د ط، دار الفكر – بيروت، (1/ 326). قال ابن الصلاح في «مشكل الوسيط»: هذا حديثٌ ضعيفُ منقطع الإسناد [«نتائج الأفكار» 3/289].

ولا يشكل على هذا الخلاف حديث: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله» [1]، لأن هذا بالنفي للدخول في الإسلام والحمد يقع على السَّراء والضراء، بخلاف الشكر فإنه لا يقع إلا على السَّراء.

الأمة المحمدية وما خصها الله عز وجل:

وحكم الحمد الوجوب في العمر مرَّة، بقصد أداء الواجب كالنطق بالشهادتين ولو في حق المسلم الأصلي وما زاد على المرة فمستحب(2)، ثم إن الصدق والهداية بعض مدلول خير أمة، لأنَّ الله سبحانه قد خصَّص هذه الأمة المحمدية بأمور كثيرة:

منها: أنَّ أحدًا لا يدخل الجنة قبلها.

ومنها: الوضوء على الكيفية المخصوصة ولم يكن أحد من الأمم السابقة يتوضأ وضوء هذه الأمة إلا الأنبياء بخصوصهم على الصحيح.

ومنها: التيمم.

ومنها: كل الأرض تصح الصَّلاة فيها ويجوز جعلها مسجدًا[3] إلا مسجد الضرار [1].

---

[1] رواه مالك– ينظر الى: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني: موطأ الإمام مالك،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1406 هـ – 1985 م– (32) مرسلا وضعفه ابن عبد البر– أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي– في «التمهيد» وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب،1387 هـ (38/6) وقال الألباني– أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني– في «الصحيحة» ، الطبعة: الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (8/4): مرسل حسن الإسناد ورواه الترمذي (3585) بلفظ «وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ» واستغربه

[2] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (11/1)

[3] لحديث «وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا» أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله «عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري» ، الطبعة: الأولى، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ، (335). ومسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله «عليه وسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (521)

ومنها: مجموع الصلوات الخمس والتأمين بعد الفاتحة من خصائصها أيضًا[2].

ومنها: «أن صفوف هذه الأمة في الصلاة كصفوف الملائكة» رواه مسلم[3] والجمعة»[4] رواه البخاري وساعة الإجابة يومها[5].

صوم رمضان عند الجمهور[6] والتشبيه في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة:183] الآية لمطلق الصوم وخبر: «أنه كتب على من قبلنا» [7] في سنده مجهول. ومنها نظر الله إلى هذه الأمة[8] أوله. ومنها تزيين الجنة فيه[9]. ومنها أن الخلوف من أفواه هذه الأمة

---

[1] قال العيني: قَالَ ابْن حزم: لَا تصح الصَّلَاة فِيهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَوضِع صَلَاة وقَالَ: لَا تجوز الصَّلَاة أَيْضا فِي مَسْجِد يستهزأ فِيهِ بِاللَّه أَو بِرَسُولِهِ، أَو بِشَيْء من الدّين، أَو فِي مَكَان يكفر فِيهِ بِشَيْء، فَإِن لم يُمكنهُ الزَّوَال وَلَا قدرَة صلى وأجزأته صلَاته. ينظر الى: العيني بدر الدين: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (190/4)

[2] لما روى أبو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ «عليه وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَالَ الإِمَامُ: {غَيْرِ المَغْضُوبِ «عليهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7] فَقُولُوا: آمِينَ، أخرجه «البخاري» (782) و» مسلم»

[3] أخرجه «مسلم» (522)

[4] أخرجه «البخاري» (876) و» مسلم» (855)

[5] لما روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ «عليه وَسَلَّمَ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» أخرجه «البخاري» (935) و» مسلم» (852) وزاد مسلم (853) «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ»

[6] ينظر: القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط7، المكتبة الكبرى الاميرية، مصر، 1323هـ، (344/3)

[7] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (1625) بلفظ مرفوعا بلفظ ««صِيَامُ رَمَضَانَ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ» قال ابن حجر في الفتح (178/8) «في إسناده مجهول»

[8] يقصد أثر ابن مسعود «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ،.....» رواه أحمد (3600) موقوفا ورجاله موثقون نقلا عن الهيثمي– أبو الحسن نور الدين على بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي: «المجمع، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ-1994م، (178/1)

[9] يقصد أثر ابن مسعود «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ،.....» رواه أحمد– ينظر الى: الشيباني أبو عبد الله أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة–بيروت،1421 هـ–2001 م، (3600) – موقوفا ورجاله موثقون كما قال الهيثمي في «المجمع» (178/1)

عند الله أطيب من ريح المسك[1] واستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا[2] ومنها «عموم المغفرة لهم آخر ليلة فيه» رواه البيهقي[3] ومنها «استغفار الحيتان لهم حتى يفطروا» رواه البزار[4] ومنها «تعجيل الفطر» رواه الشيخان[5] ومنها إباحة الطعام والجماع إلى الفجر.

ومنها: الاسترجاع عند المصيبة[6]، قاله سعيد بن حبيب[7].

ومنها: رفع أثقال التكليفات التي كانت على من قبلهم: كتحتم القصاص حتى في الخطأ وكشط الجلد إذا أصابته نجاسة وقطع الثوب لهما إذا أصابته نجاسة وقطع الثوب وقتل النفس في التوبة والمؤاخذة في الخطأ والنسيان وما استكرهوا «عليه، كما صح به الخبر[8].

ومنها: أن الله لم يجعل «عليهم في الدين من حرج.

ومنها: أن الإسلام وصف خاص بهم، لكن الذي اعتمده ابن الصَّلاح خلافه.

---

[1] أخرجه «البخاري» (5927) و» مسلم» (1151)

[2] رواه أحمد (7917) قال في المجمع (140/3): رواه أحمد والبزار وفيه هشام بن زياد أبو المقدام وهو ضعيف.

[3] ينظر: البيهقي: شعب الإيمان، مصدر سابق، (219/5) وهو نفس الحديث الماضي

[4] هو نفس الحديث الماضي

[5] أخرجه «مسلم» (1098)

[6] ينظر الى: القرطبي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي الأندلسي: المنتقى شرح الموطأ، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، 1332 هـ، (22/1)

[7] هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون: قاض، فقيه، انتهت إليه رياسة العلم في المغرب. كان زاهدا لا يهاب سلطانا في حق يقوله.، أخباره كثيرة جدا.

ينظر الى: المالقي ابو الحسن على: قضاة الأندلس، الطبعةالخامسة، دار الآفاق الجديدة – بيروت/لبنان، 1403هـ-1983م، (ص: 28)

[8] ينظر: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجة اسم أبيه يزيد: سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، (2045) وصححه ابن حبان أبو حاتم، الدارمي، البُستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408 هـ-1988م، (7219). وينظر الى: الطهماني أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1411هـ- 1990م، (216/2)

ومنها: أن شريعتهم أكمل من سائر الشرائع، لأن نبيهم أكمل الأنبياء وبه جعلهم الله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[سورة آل عمران:110].

ومنها: أنه سبحانه أعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم في القيامة[1].

ومنها: أنه أقامهم مقام الأنبياء في الشهادة على الأمم.

ومنها: أنه كمل لهم من المحاسن ما فرقه في الأمم، كما كمل لنبيهم ما فرقه في الأنبياء ولكتابهم ما فرقه في الكتب.

ومنها: أنهم لا يجتمعون على ضلالة، كما في الحديث المشهور وأسانيده كثيرة وشواهده متعددة من المرفوع وغيره[2].

[1] كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ «عليه وَسَلَّمَ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ «عليه وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، أخرجه «البخاري» (3339)

[2]رواه «الترمذي» (2167) عن ابن عمر واستغربه وصححه الألباني في صحيح الجامع (1848) قال ابن حجر: ويمكن الاستدلال له بحديث معاوية مرفوعا «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله» أخرجه الشيخان. وفي الباب عن سعد وثوبان في مسلم وعن قرة بن إياس في الترمذي وابن ماجه وعن أبي هريرة في ابن ماجه وعن عمران في أبي داود وعن زيد بن أرقم عند أحمد. ووجه الاستدلال منه أن بوجود هذه الطائفة القائمة بالحق إلى يوم القيامة لا يحصل الاجتماع على الضلالة.

وقال ابن أبي شيبة نا أبو أسامة عن الأعمش عن المسيب بن رافع عن يسير بن عمرو قال شيعنا ابن مسعود حين خرج فنزل في طريق القادسية فدخل بستانا فقضى حاجته ثم توضأ ومسح على جوربيه ثم خرج وإن لحيته ليقطر منها الماء فقلنا له أعهد إلينا فإن الناس قد وقعوا في الفتن ولا ندري هل نلقاك أم لا قال «اتقوا الله واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة» ، إسناده صحيح ومثله لا يقال من قبل الرأي. أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، «التلخيص الحبير» ، الطبعة: الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، 1419 هـ - 1989م، (299/3)

ومنها أن اجتماعهم حجة واختلافهم رحمة وفي حديث ضعيف منقطع: «اختلاف أصحابي لكم رحمة» [1] وفي رواية اقتضى كلام الخطابي أن لها أصلًا وبه رُدَّ زعم كثير من الأئمة أنه لا أصل لها: «اختلاف أمتي رحمة للناس» .

ومنها: أن الطاعون شهادة لهم وهو عذاب على غيرهم، لخبر به رجاله ثقات[2].

ومنها: أنهم حفظوا آثار رسولهم على قوانين علم الحديث بما لم يوجد نظيره في أمة.

ومنها: أن فيهم أقطابًا وأوتادًا ونقباء ونجباء وأبدالًا، كما جاء في أحاديث في الأبدال[3] وغيرهم و: «أنهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين لهم» رواه الطبراني وغيره[1]، «وأنهم أول أمة تنشق عنهم الأرض» رواه أبو نعيم[2].

---

[1] قال العراقي – أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي– في «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 1426هـ– 2005م، (ص: 36): حَدِيث «اخْتِلَاف أمتِي رَحْمَة.» ذكره الْبَيْهَقِيّ فِي رسَالَته الأشعرية تَعليقا وأسنده فِي الْمدْخل من حَدِيث ابْن عَبَّاس بِلَفْظ «اخْتِلَاف أَصْحَابِي لكم رَحْمَة» وَإِسْنَاده ضَعِيف.

[2] أخرجه «البخاري» (2830) و» مسلم» (24) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ «عليه وَسَلَّمَ قَالَ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»

[3] رواه أحمد (896) وما ورد في «الأبدال» من أحاديث في «مسند أحمد» وغيره: قال عنها ابن الجوزي في «الموضوعات» (152/3): لَيْسَ فِي هَذِه الأحاديث شئ يَصح. وانظر أيضًا: «مجموع الفتاوى» (441/11– 442) و» منهاج السنة» (93/1– 94) و» الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم» للصنعاني (ص13– 17).
اختلف في تفسير «الأبدال» ، على معانٍ، منها: أنهم كلَّما مات رَجُلٌ أبدَلَ الله مكانه رجلاً. ومنها: أنهم أبدلوا السيِّئاتِ مِنْ أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات. وقيل: هم أبدالُ الأنبياء وهو الراجح.
قال الإمام أحمد: إنْ لم يكونوا أصحابَ الحديثِ فَمَنْ هُمْ؟
قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة– تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني– في «مجموع الفتاوى» ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ– 1995م، (96/4– 97): «فتأمَّل هذه الحكومةَ العادلةَ، ليتبيَّن لك أنَّ الذين يَعِيبون أهلَ الحديثِ ويَعْدِلُونَ عن مذهبهم: جهلةٌ زنادقةٌ منافقون بلا ريب ولهذا لَمَّا بَلَغَ الإمامَ أحمدَ عن ابنِ أبي قُتَيْلة أنه ذُكِرَ عنده أهلُ الحديثِ بمكة، فقال: قومُ سوءٍ – فقام الإمامُ أحمدُ وهو يَنْفُضُ ثوبَهُ ويقول: زِنْدِيقٌ! زِنْدِيقٌ! زِنْدِيق! ودخَلَ بيتَهُ، فإنه عَرَفَ مغزاه.

ويميزون بالغرة و» التحجيل من آثار الوضوء» رواه البخاري[3]، أي ينادون بهذا الوصف.

ومنها: «أنهم يكونون مع نبيهم على كوم مشرف في الموقف يغبطهم فيه جميع الأمم» رواه جماعة[4].

ومنها: أنهم يميزون بسيما السجود في وجوههم، قال ابن عباس «هو بياض شديد» [5] وقال شهر بن حوشب: «نور كالقمر ليلة البدر» [6] قال الله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ

وعَيْبُ المنافقين للعلماءِ بما جاء به الرسولُ: قديمٌ مِنْ زمن المنافقين الذين كانوا على عَهْدِ النبيِّ.

وأمَّا أهلُ العلم: فكانوا يقولون: هم الأبدالُ، لأنهم أبدالُ الأنبياءِ وقائمون مَقَامَهُمْ حقيقةً، ليسوا من الْمُعْدَمِينَ الذين لا يُعْرَفُ لهم حقيقةٌ، كلٌّ منهم يقومُ مَقَامَ الأنبياءِ في القَدْرِ الذي ناب عنهم فيه، هذا في العِلْمِ والْمَقَالِ وهذا في العبادةِ والحالِ وهذا في الأمرَيْنِ جميعًا وكانوا يقولون: هم الطائفةُ المنصورةُ إلى قيامِ الساعةِ، الظاهرون على الحق، لأنَّ الهدى ودِينَ الحَقِّ الذي بَعَثَ اللهُ به رسلَهُ معهم وهو الذي وَعَدَ اللهُ بظهوره على الدِّينِ كلِّه وكفى بالله شهيدًا» . اهـ.

[1] لم أجده وينظر: «السيرة الحلبية» (3/ 430).

[2] رواه أبو نعيم– أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، في «فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم» ،ط1، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة،1417 هـ–1997م، (98) وفي «دلائل النبوة» (33/1)عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ «عليه وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ آتِي الْبَقِيعَ فَيَقُومُونَ مَعِي ثُمَّ أُحْشَرُ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ»

[3] أخرجه «البخاري» (136) و» مسلم» (246)

[4] رواه «الترمذي» (2390) عن مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ «عليه وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلاِلى لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ. وقال وَفِي البَاب عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وابْنِ مَسْعُودٍ وعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وأَبِي هُرَيْرَةَ وأَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

[5] رواه البخاري في التاريخ (21/3) عن ابن عباس ولفظه بَيَاض يغشى وُجُوههم يَوْم الْقِيَامَة

[6] ينظر: البغوي عبد الله بن أحمد بن على الزيد البغوي: معالم التنزيل، الطبعة الأولى، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، 1416هـ، (324/7)

لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[سورة الفتح:29] الآية وقيل: هذا في الدنيا و» عليه قال ابن عباس «السيما لحسن، أو سمة الإسلام وخشوعه» [1] وقيل: الصُّفرة في الوجه من أثر السهر[2].

ومنها: «أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم» رواه أحمد وغيره[3].

ومنها أنهم ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الحديد:12] كما في المحكم[4] ومنها أنهم يصل إلى ميتهم ما سعي له وارثه أو غيره من صدقة وحج وصوم ودعاء وقراءة

---

[1] رواه الطبري- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري-في تفسيره «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،1422هـ- 2001م، (264/22) عن ابن عباس، في قوله (سيماهم في وجوههم) قال: السمت الحسن.

[2] ينظر: الطبري: تفسير الطبري، مصدر سابق (264/22)

[3] رواه أحمد (21737) قال في المجمع (344/10) رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق.

[4] لعلها المسند ففيه «وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» المسند (21740) وصححه «الحاكم» (520/2)

قرآن عنه كثيرين[1]، وآية ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ [سورة النجم:39] منسوخة أو في حق الكافر[2].

ومنها: أنهم «يدخل منهم الجنة سبعون ألفًا بغير حساب» رواه الشيخان[3]، زاد الطبراني والبيهقي «مع كل واحد سبعون ألفًا» [4]، مرة بقصد لهذا الواجب كالنطق بالشهادتين ولو بحق المسلم صلى وما رواه على المرة فمستحب والأصل التلميح بخير

---

[1] كما روي البخاري عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ «عليه وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ. فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» أخرجه «البخاري» (703) و» مسلم» (1004) قال النووي: وفي هذا الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء وكذا أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع ويصح الحج عن الميت إذا كان حج الإسلام وكذا إذا وصى بحج التطوع على الأصح عندنا واختلف العلماء في الصوم إذا مات و» عليه صوم فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه والمشهور في مذهبنا أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابنا يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلاة وسائر الطاعات فلا تصله عندنا ولا عند الجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع كالحج «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (90/7)

[2] قال القاري: اختلف في وصول ثواب القرآن للميت، فجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول وخالف في ذلك إمامنا الشافعي مستدلا لقوله تعالى:{ألا تزر وازرة وزر أخرى } [النجم: 39] وأجاب الأولون عن الآية بأوجه: أحدها: أنها منسوخة بقوله تعالى:{كل مرئ بما كسب رهين} [الطور: 21] الآية أدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء، الثاني: أنها خاصة بقوم إبراهيم وموسى «عليهما الصلاة والسلام فأما هذه الأمة لها ما سعت وما سعي لها قاله عكرمة. الثالث: أن المراد بالإنسان هنا الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وسعي له قاله الربيع بن أنس. الرابع: ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما شاء قاله الحسين بن الفضل. الخامس: أن اللام في الإنسان بمعنى على أي: ليس على الإنسان إلا ما سعى واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق، فإنه لا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة، أو وقف أو دعاء، أو قراءة وبالأحاديث المذكورة وهي وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلا وأن المسلمين ما زالوا في كل مصر وعصر يجتمعون ويقرءون لموتاهم من غير نكير، فكان ذلك إجماعا، ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي في جزء ألفه في المسألة ينظر: القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مصدر سابق، (1228/3)

[3] أخرجه «البخاري» (5705) و» مسلم» (216)

[4] رواه الطبراني- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- في الكبير «المُعْجَمُ الكَبِير» ، الطبعة: الثانية، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، (155/8) وأحمد (22156) قال في المجمع (409/10) رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف فيهم.

التنزيل ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة آل عمران:110] وهو من المحسنات البديعية[1].

((نؤمن)): أي نصدق ونوقن ((بك)) أنك الله لا إله غيرك، خالقنا ورازقنا ومميتنا وباعثنا.

((حقًّا)) حال من الضمير المجرور ولا يزال حقًّا سبحانه وتعالى وليس حالًا من فاعل «نؤمن»، إذ لا يتوهم أن في الإيمان الشرعي غير الحق إلا أن تكون كاشفة على أن الإيمان شرعًا هو التصديق بالقلب والنطق باللسان أن الله إله واحد وأن محمدًا «صلى الله عليه وسلم» عبده ورسوله، صادق في جميع ما علم مجيئه به واشتهر بين أهل الإسلام وصار العلم به بمثابة العلم الحاصل بالضَّرورة، بحيث يعلمه العامة من غير توقف على نظر ولا استدلال وإن كان أصله نظريًّا، كوحدة الصَّانع مع الرضى والامتثال[2] لبناء الأعمال «عليه لا مجرد نسبة الصدق إليه من غير إذعان، لئلا يلزم إيمان من يعلم بحقيقة نبوته ولكن لم يذعن كأبي طالب[3] وبعض أهل الكتاب، إما كبرًا أو عنادًا أو خذلانًا والعياذ بالله.

---

[1] تنقسم المحسنات البديعية قسمين: معنوية ولفظية:

فالمعنوية: هي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى المعنى أصالة وهو -إن تبعه تحسين اللفظ- غير مقصود.

واللفظية: هي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى اللفظ أصالة وهو -وإن تبعه تحسين المعنى- ولكنه أيضًا غير مقصود. حامد عونى، «المنهاج الواضح للبلاغة» ، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، (163/1)

[2] مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، «موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام» ، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، 1433هـ. (25/2)

[3] أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، «شرح تنقيح الفصول» ، الطبعة: الأولى، لناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1393 هـ- 1973م، (163)

وأما النطق باللسان، فالمشهور أنه شرط لإجراء أحكام الدنيا في حق القادر «عليه[1] ومقابلة أنه شرط في صحة الإيمان أو شطر منه.

الجوارح وأعمالها:

وأما أعمال الجوارح فهي شرط كمال الإيمان، فالتارك لها من غير استحلال ولا شك في مشروعيتها مؤمن مفوت على نفسه الكمال والآتي بهما ممتثلًا محصل لأكمل الخصال، بالغ بحول الله تمامه الآمال.

وإذا علمت أن النطق باللسان شرط لإجراء أحكام الدنيا وأن الأعمال الصالحة شرط لكمال الإيمان، علمت ضرورة أن من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه لا لعذر ولا لإباء فهو مؤمن ناج عند الله، غير مؤمن في أحكام الشرع الدنيوية، فلا يرث ولا يورث[2].

ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه فبالعكس ويسمى عندنا منافقًا وزنديقًا[3] وأمَّا الآبي عن النطق، فكافر في الدارين والمعذور مؤمن فيهما.

وتلخيص مما ذكره أئمتنا هنا ثلاثة مذاهب:

مذهب السلف: أن الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان بالكلمتين الشريفتين لا غير.

ومذهب جمهور المحدثين وابن حبيب من الفقهاء في طائفة والمعتزلة: أنه مركب من اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح.

ومذهب الأشاعرة والماتريدية: عدم تركيبه وإنما هو عبارة عن التصديق القلبي بكل ما علم مجيء النبي به إلخ[1] وهو الذي قدمناه أولًا.

---

[1] ينظر: «الفتح المبين بشرح الأربعين» للهيتمي (152)

[2] «إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد 47-57.»

[3] مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، «الموسوعة العقدية» ، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.ne،1433هـ، (452/5)

واختلفوا في النطق من قائل إنه شرط[2] وقائل إنه شطر.

الطاعة والاختلاف عليها بين المذاهب الإسلامية

كما اختلفوا في زيادته بزيادة الطاعة ونقصه منه بنقصها:

فمذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم وطائفة من المتكلمين أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم وهو لا يتصور فيه لا زيادة ولا نقصان وحملوا الزيادة الواردة في القرآن العظيم، نحو: {وإذا تليت «عليهم آيته زادتهم إيمانا} ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:22] على أنها زيادة بحسب الدوام وكثرة الزمان، أو أن المراد زيادة الأحكام التي تتجدد، لأن الشرع كان يتجدد شيئًا فشيئًا، فالمراد زيادة متعلقاته وهو ما يجب الإيمان به[3].

ومذهب الإمام مالك والإمام الشافعي والبخاري والأشاعرة والفقهاء والمحدثين والمعتزلة أنه يزيد وينقص بالطاعة والمعصية ودليلهم في ذلك العقل والنقل.

أما العقل، فلأنه لو لم يتفاوت حقيقة الإيمان لكان إيمان الفسقة مساويًا لإيمان الأنبياء والصديقين واللازم باطل، فملزومه كذلك.

---

[1] ينظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للنفراوي (17/1)

[2] قال صَاحِبُ الْجَوْهَرَةِ إبراهيم الدوسقي:

وَفُسِّرَ الْإِيمَانُ بِالتَّصْدِيقِ... وَالنُّطْقُ فِيهِ الْخُلْفُ بِالتَّحْقِيقِ

فَقِيلَ شَرْطٌ كَالْعَمَلِ وَقِيلَ بَلْ... شَطْرٌ وَالْإِسْلَامُ اشْرَحْنَ بِالْعَمَلِ

[3] أبو الحسن، على بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي، «حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني» ، الناشر: دار الفكر – بيروت، 1414هـ- 1994م، (100/1)

وأما النقل، فلكثرة النصوص القرآنية تصريحًا[1] وقول الرسول: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح «عليها» [2] وكل ما يقبل الزيادة يقبل النقص وهذا واضح على تفسير الإيمان بالتصديق والعمل.

وأما على تفسيره بالتصديق فقط، فالظاهر أنه لا يزيد ولا ينقص وقول بعضهم: يزيد بالنظر وينقص بعدمه. فيه نظر، لما تقرر من قول الفخر الرازي وغيره أن الخلاف لفظي، لأن من يقول بالزيادة والنقص يفسره بالتصّديق والعمل ومن يقول بعدم قبوله لهما يفسره بالتّصديق فقط.

فإن قيل: قد قال غير واحد بأن الخلاف حقيقي و» عليه فالتّصديق يزيد وينقص[3] وإذا كان كذلك كان شكًّا.

فالجواب: أن التّصديق من مراتب إليقين وهي ثلاثة:

- **علم يقين: وهو ما استفيد من خبر الصّدق، كسماع أهل السّودان بالبحر المالح، فإنّه علم يقين لتواتر الخبر عندهم بوجوده.**
- **وعين إليقين: وهو ما استفيد من المشاهدة، كمن جاء منهم إلى أقليمنا ووقف على شاطئ البحر ناظرًا له بعينه غير داخل فيه.**
- **وحق إليقين: وهو ما استفيد من المشاهدة والمباشرة، كالسابح منهم فيه والراكب على سفينة ولجة به فيه.**

تنبيهات:

---

[1] كقوله تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عليهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال: 2] {وَمَا زَادَهُمْ إلا إِيمَانًا} [الأحزاب: 22].

[2] هو موقوف على عمر رضي الله عنه كما عند في «السنة» للخلال (1134) و» الإبانة الكبرى لابن بطة» (1161)

[3] ينظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للنفراوي، (92/1)

الأول: يجب أن يحمل هذا الخلاف على غير الأنبياء والملائكة، لما قاله الشيخ أبو العباس أحمد زروق[1] من أن إيمان أهل الاختصاص كالأنبياء والملائكة لا يجوز «عليه النقص، بل إيمان الأنبياء دائمًا في زيادة على توإلى الأزمنة وإيمان الملائكة لا يزيد ولا ينقص[2].

الثاني: اختلف الفقهاء في مزيد إظهار الإيمان بكلمتي الشهادة، هل كما يشترط فيه النطق بخصوص «أشهد» أو «نشهد» في الإقرار بالرسالة؟ وبه قال الأُبْي[3] واعتمده وتبعه جماعة، أو لا بد من لفظ أشهد أو نشهد على القادر، لأنها كلمة تعبدنا الشارع بها، فلا نقبل دخول أحد الإسلام إلا بها وهو قول ابن عرفه والإبياني[4] وغيرهما.

وعلى كلا القولين لو أتي بما يجب النطق به بالعجمية وهو يفسر العربية، فالأصح الاكتفاء بذلك لوجود الإقرار في الجملة وأمّا مع العجز عن العربية فيكتفي منه بما أتى به بلغته اتفاقًا[5][...][6].

الثالث: الدليل على أن الله تعالى واحد الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

---

[1] احمد بن احمد بن محمد بن عيسى البرلسي، الفاسي، المالكي، الشهير بزروق (شهاب الدين أبو الفضل) صوفي، فقيه، محدث. ولد بفاس في 28 المحرم وتوفي في صفر بتكرين «معجم المؤلفين» (155/1)

[2] ينظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للنفراوي، (92/1)

[3] محمد بن خلفة بن عمر الأَبِّي الوشتاني المالكي: عالم بالحديث، من أهل تونس. نسبته إلى (آبَهْ) من قراها. ولي قضاء الجزيرة، سنة 808هـ له (إكمال إكمال المعلم، لفوائد كتاب مسلم – ط) سبعة أجزاء، في شرح صحيح مسلم، جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي، مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة و (شرح المدونة) وغير ذلك، مات بتونس. «البدر الطالع 2: 169»

[4] عبد الله بن أحمد التونسي، أبو العباس المعروف بالأبياني: فقيه مالكي روى عنه جماعة، منهم ابن أَبي زَيْد والأصيلي وصنف «مسائل السماسرة في البيوع – خ «في خزانة الرباط: «شجرة النور، الرقم 173» . «الأعلام» للزركلي (66/4)

[5] ينظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للنفراوي، (39/1)

[6] هنا كلاما مضروبا «عليه ستة أسطر ونصف، في الأصل و(النسخة الأخرى).

أما الكتاب: فـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [سورة الإخلاص:1] {فأعلم أنه لا إله إلا الله} وآيات كثيرة.

وأما السّنة: فكحديث سيد الاستغفار: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت» الحديث[1]، «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم» الحديث[2] وأحاديث كثيرة.

وأمّا الإجماع: فمنعقد بين أهل القبلة حتى المعتزلة على أن مولانا جلّ وعزّ واحد وحتى إليهود مقدسية وسامرية وهما بزعمهم أهل سنتهم والمعتزلة منهم وهم المعروفون عندهم بالصادقيم بإشباع ما قبل حروف اللين وسكون الميم، الكل مجمعون على أن الله واحد ومعلوم أنهم ليسوا من أهل القبلة.

وأما العقل، فالمعتبر عنه ببرهان التمانع[3] –ويقال له برهان التطارح– وتقريره: لو وجد على جهة الفرض فردان متصفان بصفة الألوهية، لأمكن التمانع بينهما، بأن يريد أحدهما صحة زيد مثلا والآخر سفهه وحينئذ إما أن يحصل مرادهما وهو محال ضرورة، لاستلزام اجتماع الضدين، أو لا يقع مرادهما وهو محال أيضا، لاستلزامه عجزهما مع اتصافهما بصفة الألوهية، أو يقع مراد أحدهما دون الآخر وهو محال أيضًا، لاستلزامه الترجيح بلا مرجح واستلزامه عجز من فرض قادر ويلزم من عجز الآخر بانعقاد المماثلة.

وإلى هذا البرهان الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأنبياء:22] أي ولم تفسدا فدلّ على أنه واحد.

---

[1] أخرجه «البخاري» (6306)

[2] رواه أبو يعلى (58) قال في المجمع (224/10): رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم، عن أبي محمد، عن حذيفة وليث مدلس وأبو محمد إن كان هو الذي روى عن ابن مسعود، أو الذي روى عن عثمان بن عفان، فقد وثقه ابن حبان وإن كان غيرهما فلم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

[3] «برهان التمانع» المشار إليه بقوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: 22] وتقريره: أنه لو أمكن إلهان لأمكن بينهما تمانع، بأن يريد أحدهما حركة زيد والآخر سكونه... وحينئذ إما أن يحصل الأمران – فيجتمع الضدان، أولا – فيلزم عجز أحدهما. شرح (تبصرة العقائد النسفية) (ص 31 – 33) و (كتاب التوحيد) للماتريدي (ص 20 – 21)، (البداية) للصابوني (ص40).

ومن الأدلة العقلية برهان التوارد أيضًا وتقريره أن يقال: الإلهان متصفان بصفات الألوهية، فإن قصدا إيجاد مقدور معين بوقوعه وإما بكل منهما، فيلزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهو محال، لأن الجوهر الفرد المخلوق قطعًا ولو توارد «عليه قدرتان أو إرادتان صار أثرين، فيلزم انقسام ما لا يقبل القسمة أن قدر أن الذي أوجده أحدهما غير الذي أوجده الآخر وهو لا يعقل، لأن الفرض أنه شيء لا يقبل القسمة، فليس له إلا وجود واحد لا يمكن انقسامه.

وأمّا تحصيل الحاصل أن قدر أن الذي أوجده كل واحد هو ما أوجده الآخر وهو محال أيضًا وإن كان الإيجاد بأحدهما فيلزم الترجيح بلا مرجح، لأن المقتضي للقادرية ذات الإله وللمقدورية إمكان الممكن، فنسبة الممكنات إلى الإلهين المفروضين على السوية من غير رجحان. هذا ملخص تحرير اللقاني[1] قاله النفراوي[2].

وهو بحث مشهورين بين الموحدين يوجب أن يكون الله واحدًا بلا ريب، نسأله سبحانه بوحدانيته وجلالته وصمدانيته أن يرزقنا من الرضى وأن يقلبنا بين أصبعين من أصابع لطفه عند نزول القضاء وأن يغفر لنا بكرمه من ذنوبنا ما تعلق به علمه مما هو آت وما قد مضى.

---

[1] ابراهيم بن ابراهيم بن حسن بن على اللقاني المالكي، المصري (برهان الدين، أبو الامداد، أبو اسحاق) من علماء الحديث واصوله والكلام والفقه. توفي وهو راجع من الحج ودفن بالقرب من عقبة ايلة.

من مؤلفاته: بهجة المحافل وأجمل الوسائل بالتعريف برواة الشمائل، قضاء الوطر من نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الاثر، جوهرة التوحيد، حاشية على مختصر خليل وتوضيح ألفاظ الاجرومية. إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، «هدية العارفين» ، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول 1951 أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، (30/1) «اليواقيت الثمينة» (85) و» إيضاح المكنون» (247/1)

[2] ينظر: «الفواكه الدواني» للنفراوي (40/1)»

((ونجاهد)) بأموالنا وأنفسنا ((في)) من جحد الحق من آياتك العظمى وجهادنا في ((سبيلك)) التي هي الطريق المنجية لمن سلكها من المكروه عاقبته، بأن نزحف لقتال الكافرين طاعة لأمرك ونجنف[1] على الإدبار خوفًا من نهيك وطمعًا في رضاك وأجرك.

((فرض كفاية)) بنصب فرض على أنه حال من المصدر المحذوف المفهوم من نجاهد، أو رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، إما ضمير أو اسم إشارة للجهاد المفهوم من نجاهد أيضًا.

وفيه بيان حكم الجهاد شرعًا لمن لم يقصده العدو وإلا كان فرض عين على كل من جاور البلاد التي قصدها الكفار والمتخلف عن القتال من غير عُذْر فاسق من أهل الكبائر، لا تقبل شهادته مطلقًا لا في الأموال ولا في الحدود.

تعريف الجهاد وفضله:

والجهاد لغة: التعب والمشقة، لأخذه من الجَهد بفتح الجيم.

وشرعًا: قال ابن عرفه: قتال مسلم كافرًا غير ذي عهد لإعلاء كلمات الله، أو حضوره له أو دخوله أرضه له، فيخرج الذمي إذا حارب على المشهور من أنه غير نقض.

وقوله: (حضوره أو دخوله) بالرفع، عطف على قتال، فـ «أو» للتنويع والضمير في (حضوره) و(دخوله) للمسلم وفي «له» في الموضعين للقتال وأشار به إلى أن الجهاد أعم من المقاتلة، فيسهم لمن حضر المناوشة ولو لم يقاتل.

وقوله: (لإعلاء كلمة الله) يقتضي أن من قاتل للغنيمة أو لإظهار الشجاعة لم يكن مجاهدًا، فلا يستحق الغنيمة حيث أظهر ذلك ولا يجوز تناولهما حيث علم من نفسه ذلك، قاله الأجهوري[2] وانظره مع قول خليل في المختصر[3].

---

[1] الجَنَفُ، محرَّكةً والجُنُوفُ، بالضم: المَيْلُ والجَوْرُ. وقد جَنِفَ في وَصِيَّتِه، كفرِحَ وأَجْنَفَ فهو أَجْنَفُ القاموس المحيط (ص: 797).

[2] «أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك» للكشناوي (3/2)

[3] «شرح مختصر خليل للخرشي» (107/3)

وقسم الأربعة: لحر مسلم بالغ عاقل حاضر، كتاجر وأجير أن قاتلا أو خرجا بنية غزو، فإنه يقتضي عدم اشتراط أنه قاتل لإعلاء كلمة الله، إذ لو كان شرطًا لزاده على تلك الشروط المعتبرة في المجاهد حتى يسهم له، أي أن يكون الشرط في كلام ابن عرفة معتبرًا بالنظر للثواب المرتب على الجهاد الذي وردت فيه الأحاديث، فلا ينافي أنه يسهم له.

وحرر المسألة بأن الفقه نقلي لا عقليٌّ وعلى مقتضى كلام ابن عرفة يكون شهيد الحرب أعم من المجاهد، لوجهين:

أحدهما: أن شاهد الحرب يشمل من قاتل لخصوص الغنيمة ويقال له: (شهيد دنيا فقط).

وثانيهما: أنه يشمل من قتله الحربي في بلاد الإسلام ولو لم يقاتل، انظر شراح مختصر الشيخ خليل[1] عند قوله: «ولا يغسل شهيد معترك فقط ولو ببلد الإسلام أو لم يقاتل» قاله النفراوي.[2]

واعلم أن الجهاد من أعظم العبادات عند الله، فقد روى: «ما جميع أعمال البر في الجهاد إلا نقطة في بحر» [3] وكفى بهذا فضلًا من الله وورد: «أن الشهيد يود أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى في الجهاد لما يراه من فضل الشهادة» [4].

أنواع الجهاد:

---

[1] خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري، «مختصر العلامة خليل» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الحديث/القاهرة، 1426هـ- 2005م، (51)

[2] ينظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للنفراوي (880/2)

[3] لم نجده إلا في كتب الفقه المالكي هكذا: قال ابن القاسم: وروي أنه -صلى الله «عليه وسلم- «ما جميع أعمال البر في الجهاد إلا كبصقة في بحر وما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم إلا كبصقة في بحر» . «الجامع لمسائل المدونة» للصقلي (43/6)

[4] أخرجه «البخاري» (2795) بلفظ «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»

وإنما كان الجهاد من أعظم العبادات وإن كان فيه قتل عباد الله وتعذيبهم وتخريب بلاد الله، لما فيه من إعزاز الدين، لأن الكافر عدو لله وللمسلمين، فشرع إعدامًا للكافر وإحياء لدين الإسلام وهو من حيث هو على أربعة أقسام:

جهاد بالقلب: وهو مجاهدة الشيطان والنفس عن الشهوات المحرمة.

وجهاد باللسان: وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وجهاد بإلىد: وهو زجر الأمراء على ارتكاب المناهي بأدب مرتكبيها ضربًا ومنه إقامة الحدود.

وجهاد بالسيف: ولا ينصرف حيث أطلق إلا إليه وهو فريضة في كل سنة على كل ذكر بالغ عاقل حر ولو غير مسلم على المشهور ومن خطابهم مستطيع القتال وواجد لما يحتاج إليه من المال[1].

وقد تقرر أن حكم الجهاد شرعًا فرض كفاية كما في الأصل وحقيقته فهم يقصد حصوله من غير نظر إلى فاعله بالذات مع الإثم بتركه، فيخرج فرض العين لأنه منظور بالذات إلى فاعله، حيث قصد الشارع حصوله من كل واحد من المكلفين بعينه، أو من عينه الشارع بخصوصه، كالنبي «صلى الله عليه وسلم» فيما فرض «عليه بخصوصه دون أمته والمذهب أنه يجب على الأمم أو على عموم الناس أن لم يكن إمام إخراج طائفة لقتال الكفار في كل سنة ويتوجهون إلى الجهة التي كثر العدو فيها دون غيرها وإن تساوت الجهات خوفًا، فالنظر للإمام في الخروج إلى أي جهة إن لم يكن لسد الجميع وإلا وجب سد الجهات كلها فالمجاهدين[2].

من يجب الجهاد عليه(شروط الجهاد):

---

[1] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (395/1)

[2] ينظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للنفروي (395/1)

قال خليل: الجهاد في أهم جهة كل سنة وإن خاف محاربًا كزيارة الكعبة فرض كفاية ولو مع والٍ جائر[1]، لأن ضرر الكفار لا يعادله ضرر ولكن لا يجب الجهاد إلا بشروط -كما قدمنا- وهي:

- **البلوغ.**
- **والعقل**
- **والذكورة.**
- **والاستطاعة بصحة البدن.**
- **ووجود ما يحتاج إليه.**
- **وفي الإسلام خلاف.**

ويسقط بأضدادها:

-كالمرض.

-والصبى.

-والجنون.

-والعمى.

-والعرج.

-والأنوثة.

-والعجز عن ما يحتاج له.

-والرق.

[1] ينظر: الجندي خليل: مختصر خليل، مصدر سابق، ص88.

-والدَّيْن الحالُّ مع القدرة على أدائه ولكن لا يتمكن من إيصاله إلى ربه لغيبته ولا وكيل من قاض أو غيره لا ما لا يحل في غيبته ويؤكل في قضاء ما يحل.

ويخرج مع العجز عن الوفاء قهرًا على صاحبه[1] ولا يسقط فرض الجهاد بسد المسلمين ثغورهم، خلافًا لعبد الوهاب[2] [3] وصاحب المقدمات[4] من أنه إذا حميت أطراف بلاد المسلمين سقط فرض الكفاية عن سائرهم ويستحب فقط.

ولعل وجه المشهور أن عدم الجهاد يؤدي إلى قيام الحربيين في المستقبل كما هو ظاهر والدليل على أن الجهاد فرض كفاية قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[النساء، 95] والحسنى هي الجنة ولما وعد الله سبحانه المجاهد والقاعد بالحسنى علم أن الخطاب به للجميع على سبيل البدلية وأنه يسقط بفعل البعض ولوفضل الله المجاهدين لأموالهم كان على الأعيان لكان القاعد بلا ضرورة عاصيًا ولما تواتر في السُّنة من إرساله «عليه الصّلاة والسّلام قومًا دون آخرين وهذا بحسب الأصل، فلا ينافي أنه قد يكون واجبًا على الأعيان إذا غزى العدو بلاد الإسلام، فيتعين حينئذ على كل أحد حتى النساء وعلى من يقرب منهم إن عجزوا أو خيف العجز وبتعيين الإمام[5].

---

[1] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (395/1)

[2] هو ابو محمد عبد الوهاب ولد ببغداد بالعراق وكان من اشد مناصري المذهب المالكي حتى لقب بلقب المالكي عرف بتنوع علمه من الفقه الى الادب وله مؤلفت كثيرة. للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (430/23)

[3] المالكي عبد الوهابابو محمد البغدادي: عيون المسائل، ط1، دار ابن حزم، 2009م، ص 240.

[4] هو ابن رشد القرطبي- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي- ينظر الى: المقدمات الممهدات» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، 1408 هـ- 1988م، (237/3)

[5] ينظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للنفراوي، (396/1)

وقد تقرر أن الفرار من الكبائر لأن الذنوب عندنا قسمان والفرار من الموبقات السبع المذكورة في قوله «صلى الله عليه وسلم»: «اجتنبوا الموبقات السبع» [1] أي المهلكات وشرط كونه كبيرة إذا كان الكفار مثلي عدد المؤمنين فأقل، بحيث يكون المسلمون نصف عدد الكفار لقول الله تعالى: فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ وهذه الآية ناسخة للآية: -لقوله تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [2]لأن الفرار في أول الإسلام كان حرامًا مطلقًا ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔانَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الأنفال:66] الآية.

وإن كان المؤمنون مثل نصف الكفار وجب الصبر والثبات على القتال ولو كان المسلمون أضعف قوة من الكفار على مشهور المذهب[3] وظاهر الآية، لكن ينبغي التقييد بما إذا كان مع المسلمين سلاح وكان في ثباتهم نكاية للعدو وبأن لا يتصل مدد الكفار وينقطع مدد المسلمين وبأن لا تختلف كلمة المسلمين، فإن فقد شرط من هذه جاز الفرار إذا لم يبلغ عدد المسلمين أثنى عشر ألفًا، فإن كان للمسلمين هذا العدد حرم الفرار مطلقًا.

والمعتبر من المسلمين العدد لا القوة على قول ابن القاسم[4] والجمهور من المالكية والحنابلة[5] والحنفية، خلافًا لبعض الشافعية[6] في اعتبارهم القوة ويكفي بلوغهم هذا العدد

---

[1] أخرجه «البخاري» (2766) و» مسلم» (89) ولفظه «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»

[2] الاية رقم 65 من سورة الانفال.

[3] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (397/1)

[4] ينظر الى: المالكي محمد بن أحمد بن محمد علش، أبو عبد الله: منح الجليل شرح مختصر خليل، د ط، دار الفكر – بيروت، 1409هـ- 1989م، (152/3)

[5] عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، «حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع» الطبعة: الأولى، 1397هـ، (267/4)

[6] شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت، 1415هـ- 1994م، (35/6)

ولو مع الشك أو الوهم كما يفيده كلام القرطبي[1] ولعل وجهه لما يلزم على الفرار من وهن الإسلام ولأن الأصل حرمة الفرار من غير عذر.

ولا يشترط في العدد المذكور من المسلمين كون الجميع، فمن توفرت فيهم الشروط بل ولو كان فيهم عبيد أو صبيان لكن ينبغي أن يكون فيهم قدرة على الجهاد، قاله الأجهوري[2].

من يجوز قتله في الحرب:

تنبيه: لا يجوز قتل الرهبان بالأديرة أو الصوامع إذا لم يكن لهم رأي ولا تدبير، بخلاف رهبان الكنائس فإنهم يقتلون لمخالطتهم ولو لم يكن لهم رأي وإنما منع الشرع قتل الرهبان المذكورين لأن انقطاعهم بالأديرة والصّوامع ألحقهم بالنساء، أما لو كان لهم رأي أو تدبير لجاز قتلهم.

وكذا يجب تجنب قتل الأحبار وهم علماء الكفار الملازمين لبيوتهم وكذا لا يجوز قتل النساء ولا الصبيان[3]، لأنه «صلى الله عليه وسلم» نهي عن قتل الصبيان[4] ولا يقتل أحد من الكفار بعد أمان من السّلطان أو من غيره، لأن قتله بعد الأمان خيانة والله يقول: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾ [سورة الأنفال:58] وقال «صلى الله عليه وسلم»: «ينصب للغادر لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان» [5].

وكذلك المعتوه والشيخ الفاني والشيخ الزَمِن والأعمى، كل هؤلاء لا يجوز قتلهم شرعًا ومحل عدم جواز قتلهم إذا لم يقاتلوا.

---

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي» ، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ– 1964م، (383/7)

[2] ينظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للنفراوي، (397/1)

[3] بنظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (399/1)

[4] أخرجه «البخاري» (3014) و» مسلم» (1744)

[5] أخرجه «البخاري» (3186) و» مسلم» (1736)

أما الذكور فمطلقًا وأما المرأة ففيها تفصيل، محصله: إن قتلت أحدًا قُتلت قولًا واحدًا ولو بعد أسرها وإن لم تقتل أحدًا وقاتلت بالسلاح تُقتل أيضًا ولو بعد الأسر وإن قاتلت بالحجارة لا يجوز قتلها ولو أخذت في حال المقاتلة على الأرجح[1] ويجري هذا التفصيل في الصبي على الأصح.

وكل من قتل من لا يجوز قتله -سوى الراهب والراهبة- بعد حوزة في أيدي الغانمين لزمه قيمته، يجعلها الإمام في الغنيمة كما أشار إليه خليل بقوله: وإن حيزوا فقيمتهم.[2] وقاتل الراهب والراهبة تلزمه الدية لأهل دينهما.

وكل من نهي عن قتله شرعًا ممن ذكر يجوز أسره ويرى الإمام فيه رأيه إلا الرّاهب والرّاهبة، فإنهما حران لا يسترقان لأنهما لا يؤسران.

وكل من لا يجوز قتله فإنه يترك له قوته من ماله أو من مال غيره من الكفار وإلا وجب على المسلمين مواساته بما يعيش به وتلزم القاتل لمن لا يجوز قتله التوبة إن قتل قبل الحوز وهي الغنيمة بعده في غير الراهب وهي الدية لأهل دينه فيه.

غنائم الحرب وكيفية تقسيمها ولمن تجو:

وجعلت لنا الغنائم جمع غنيمة وهي ما أخذ بالقتال من مكاسب الكفار ورقابهم ولذلك يخمس حِلًّا أي حلال طيبا، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «لم تحل الغنائم لأحد من سود الرءوس قبلكم كانت تجمع وتنزل نار من السماء فتأكلها» رواه الترمذي[3]، فهي حلال سواء أوجف[1]، أي حمل

---

[1] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (399/1)

[2] ينظر: خليل: «مختصر العلامة خليل، مصدر سابق،(88)

[3] رواه «الترمذي» (3085) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وصححه ابن حبان (4906)

«عليه بالخيل والركاب التي هي الأبل، أو غنم بقتال سفن البحر وحمل بها على الكفار وأما ما لم يوجف «عليه من أموالهم بأن انجلى عنه أهله فهذا هو المسمّى بالفيء، يوضع جميعه في بيت المال.

وأمّا ما يهرب به الأسير أو التاجر، أو يأخذه المتلصص[2] فيختص به وهو المسمّى بالمختص، لأنه يختص به صاحبه الحائز له، لا يقسم ولا يوضع في بيت المال لكن المسلم يخرج خمسه.

وقولنا: (ولذلك يخمس): أي لأنه غنيمة لا فيئًا ولا مختصًّا والله يقول: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال/4]، فيقسم الإمام أو نائبه الغنيمة بالقرعة ويأخذ لله خمسًا واحدًا كما يأخذ خمس قدرة المعدن وكما يأخذ جميع الفيء والجزية بقسميها وعشور أهل الذمة وخراج الأرض ويضع كل ذلك في بيت المال ويصرفه باجتهاده في مصالح المسلمين كبناء المساجد والقناطر ولكن يستحب أن يبدأ بالدفع منه لآل النبي «صلى الله عليه وسلم»، لأنهم لا يعطون من الزكاة، ثم بعد الدفع لهم يصرف على ما فيه مصلحة لعموم الناس، كعمارة الثغور والمساجد والقناطر وأرزاق القضاة والفقهاء وقضاء الديون وعقل الجراح وتزويج الأعزب من المؤمنين الفقراء[3].

قال اللخمي: يَبْدَأُ مِنْهُ بِسَدِّ مَخَاوِفِ ذَلِكَ الْبَلَدِ الَّذِي جُبِيَ مِنْهُ الْمَالُ وإِصْلَاحِ حُصُونِ سَوَاحِلِهِ ويَشْتَرِي مِنْهُ السِّلَاحَ وَالْكُرَاعَ إذَا كَانَتْ لَهُمْ حَاجَةٌ إلَى ذَلِكَ وغُزَاةِ ذَلِكَ الْبَلَدِ الَّذِي جُبِيَ مِنْهُ الْمَالُ وَعَامِلِيهِ وَفُقَهَائِهِ وَقُضَاتِهِ، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ أُعْطِيَ لِلْفُقَرَاءِ، فَإِنْ وَقَفَ شَيْءٌ وَقَفَ عُشْرَهُ لِنَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ ووَقَعَ خِلَافٌ هَلْ لِلْإِمَامِ أَنْ يَبْدَأَ مِنْ الْخُمُسِ بِنَفَقَةِ نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ أَوْ لَا؟

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: لَيْسَ لَهُ.

---

[1] وجف الشئ أي اضطرب. وقال تعالى: {فما أَوْجَفْتُمْ «عليه من خيْلٍ ولا رِكابٍ}، أي ما أعملتم ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق: (1437/4)

[2] التَّلَصُّصُ واللُّصُوصَةُ مصدر اللِّصّ. والتَّلصيصُ كالتَّرصيصِ في البُنْيان، ينظر الى: الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري: العين، د ط، دار ومكتبة الهلال، (85/7)

[3] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (400/1)

وَقَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ: يَبْدَأُ بِنَفَقَتِهِ وَنَفَقَةِ عِيَالِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ ولَوْ أَتَى عَلَى جَمِيعِهِ.

ويجب «عليه أن يقسم هو أو نائبه الأربعة أخماس بين أهل الجيش المجاهدين.

قال في المختصر: وقسم الأربعة لحر مسلم عاقل بالغ حاضر لِلْمُنَاشَبَةِ[1]، كتاجر إنْ قَاتَلَا أَوْ خَرَجَا بِنِيَّةِ غَزْوٍ أَيْ وَحَضَرَ الْقِتَالَ لَا ضِدَّهُمْ، فَلَا يُسْهَمُ لِعَبْدٍ وَلَوْ قَاتَلَ ولَا لِغَيْرِ عَاقِلٍ إلَّا الصَّبِيَّ، فَفِيهِ إنْ أُجِيزَ وَقَاتَلَ خِلَافٌ[2].

وَوَقَعَ خِلَافٌ فِي الْمَقْسُومِ، فَقِيلَ الْأَثْمَانُ وقِيلَ الْأَعْيَانُ.

وَعَلَى قَسْمِ الْأَعْيَانِ يُفْرِدُ كُلَّ صِنْفٍ، فَيَقْسِمُ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ إنْ أَمْكَنَ شَرْعًا وَحِسًّا:

فالإمكان الشرعي: بأن لا يعرف بين الوالدة وولدها.

والإمكان الحسي: بأن يكون كل صنف يقبل القسمة ولا ضم إلى غيره، كما تباع الأم مع ولدها إلى مالك واحد ويقسم ثمنها وعند القسمة تضرب القرعة[3] ويكتب على سهم الخمس هذا لله.

وما ذكرناه من الخلاف في المقسوم هل الأثمان أو الأعيان جار حتي في الخمس على المعتمد كما نص على ذلك شراح العلامة خليل[4] وينبغي أن تقسم الغنيمة في بلاد الحرب، قال في المختصر واللسان: القسم ببلدهم ومعناه أنه مندوب وقيل: أنه سنة لكراهة مالك تأخيره إلى بلاد المسلمين إلا لخوف فيؤخر.

وأما طلب القسم في أرض الحرب لفوائد:

- **منها نكاية العدو.**
- **ومنها تطييب قلوب المجاهدين لما فيه من إدخال السرور «عليهم.**
- **ومنها زيادة الحرص، لأن كل من تميز نصيبه يشتد حرصه[5] «عليه.**

---

[1] ينظر: الزبيدي: تاج العروس، مصدر سابق، (4/ 269): نَشِبَتِ الحَرْبُ بَينهم. وَقد ناشبَه الحرْبَ: أَي نابَذَه... وَمن المَجَاز: ناشَبَ عَدوَّه مُناشَبَةً.

[2] ينظر: خليل: مختصر خليل، مصدر سابق، (ص: 90).

[3] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (400/1)

[4] ينظر: ابن علش ابو عبد الله: منح الجليل شرح مختصر خليل، دط، دار الفكر، بيروت، 1989م، 169/3)

[5] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (400/1)

ويشترط حضور الإمام أو نائبه ذي الحرمة.

تنوير البصائر منتهي وتحقيق 02.

كما قال ابن فرحون[1]: «لئلا يرغب كل واحدٍ لنفسه من كرائم الغنيمة[2] ما يرغبه غيرهُ» [3] وهو مُؤَدٍّ لِلْفِتَنِ كما لا يخفى.

ويستثنى مما أُخِذَ بالقتال –وهو المسمى بـ» الغنيمة» – أرض الزراعة المفتوح بلدها عنوة أي بالقهر كأرض مصر والشام والعراق تصير وقفا لمجرد الفتح ولا تحتاج إلى صفة وقف ولا إلى رضى الجيش وهذا كالتخصيص لما في المختصر: «بِحُبِسَتْ وَوُقِفَتْ»[4].

ومثل أرض الزراعة في الوقفية بمجرد الفتح، دور الكفار فلا يجوز قسمها إلا أن الأرض تُزرع فيجوز كراؤها[5]، بخلاف دُورِهم فلا يجوز أن يُأخذ لما كَراهُ وهذا كله في الدُّور التي صادفها الفتح وأما لو تهدم بناؤها وجرد غيره فإنه يكون ملك غيره.

وحيث قال مالكٌ: «لا تُكرى دُورُ مَكَةَ» [6] أرادَ ما كان في زمانه باقياً من بِنَائهم.

قال الْأُجْهُورِيِّ [1] في الفتاوي: «وَقَيَّدْنَا بِأَرْضِ الزِّرَاعَةِ لِلِاحْتِرَازِ عَنْ مَوَاتِ أَرْضِ الْعَنْوَةِ فَلَا يَصِيرُ وَقْفًا، بَلْ كُلُّ مَنْ أَحْيَا مِنْهُ شَيْئًا يَمْلِكُهُ والدَّلِيلُ عَلَى اسْتِثْنَاءِ أَرْضِ الزِّرَاعَةِ مِنْ

---

[1] برهان الدين أبو إسحاق، إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون إليعمري المدينة قاضي المدينة، من أهل التحقيق، جامعًا للفضائل، عالمًا بالفقه والنحو والاصول والفرائض وعالمًا بالرجال وطبقاتهم، ينظر: «ذيل التقييد في رواة السنن والاسانيد» للفاسي (1/ 435).

[2] منه حديث الزكاة «واتق كرائم أموالهم» أي نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها، ينظر: «النهاية في غريب الحديث والاثر» لابن الاثير (4/ 167).

[3] ينظر: «حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني» (2/ 11).

[4] ينظر: «مختصر خليل» (ص: 212).

[5] ينظر: «تاج العروس» للزبيدي (20/ 371).

[6] مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، «المدونة» ، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م، (3/ 584).

أَرْضِ الْعَنْوَةِ مَا ثَبَتَ عَنْهُ – «عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – «أَنَّهُ غَنِمَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَأَرَاضِيَ ولَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ قَسَمَ مِنْهَا شَيْئًا إلَّا خَيْبَرَ»[2] وأَيْضًا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ[3] وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ امْتَنَعُوا عَنْ قَسْمِهَا حِينَ سُئِلُوا فِي ذَلِكَ، فَلَوْ وَقَعَ أَنَّ الْإِمَامَ قَسَمَهَا لَا يَمْضِي قَسْمُهُ إلَّا إنْ كَانَ مِمَّنْ يَرَى قَسْمَهَا» [4].

ولا بأس أن يأكلَ المحتاج من الغنيمة قبل القِسم ويَعلفُ دابته ويَأْخُذ ما احتاج إليه مما هو خفيف كالنعل والحزام وكل ذلك من غير إذن الإمام، بل ولو نهاهم عن ذلك فيجوز لهم أخذه.

وظاهرُ قَولِهِم إن احتاجَ أن الغني لا يجوز له أخذ شيء منها ولكن مُطلق الحاجة كافٍ فلا يتوقف على الضرورة.

من يعفى من الحرب :

ويُسهم لمن حضر القتال كما قدمنا ولمن غاب عنه في حوائج المسلمين من أمر جهادهم كالكاشف عن طريق والطالب للماء أو لجماعة أو حاجة غير ذلك من متعلقات الجهاد.

ولا يُسهم لميتٍ قبل اللقاء أو أعمى أو أعرج أو أشل وكذا من ضل ببلدنا وإن بريح، بخلاف الضال في بلادهم فيُسهم.

وفي الْأُجْهُورِيِّ في «شرح خليل»: «إنَّ مَنْ ضَلَّ مِنْ الْمُجَاهِدِينَ عَنْ الطَّرِيقِ ولَمْ يَجْتَمِعْ بِهِمْ إلَّا بَعْدَ حَوْزِ الْغَنِيمَةِ يُسْهَمُ لَهُ مُطْلَقًا أَيْ سَوَاءٌ وَضَلَّ فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ أَوْ الْمُسْلِمِينَ وأَمَّا مَنْ رُدَّ لِبَلَدِنَا فَإِنْ كَانَ بِرِيحٍ أُسْهِمَ لَهُ وإِنْ كَانَ بِغَيْرِ رِيحٍ، فَإِنْ كَانَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ أُسْهِمَ لَهُ وإِنْ كَانَ بِاخْتِيَارِهِ فَلَا يُسْهَمُ لَهُ» [5].

---

[1] نور الدين الاجهوري، أبو الارشاد، على بن محمد بن عبد الرحمن بن على، فقيه مالكي، من العلماء بالحديث، ينظر: «الاعلام» للزركلي (5/ 13).

[2] أخرجه البخاري (4228).

[3] أخرجه البخاري (2334).

[4] ينظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للنفراوي (1/ 401).

[5] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (1/ 401).

ويُسهم للمريض الذي شَهد القتال وكذا الْفَرَسُ الرَّهِيصُ[1] يسهم له فإن لم يَشْهد المريض القتال فلا يسهم له، إلا أن يكون من ذَوي الرأي فيسهم له.

وكذا المُقْعَد والأعمى والأعرج والأَشَل يسهم لمن كان منهم ذا رَأي.

والمَريضُ شَامِلٌ لِمَنْ خَرَجَ صَحِيحًا ومَرِضَ قَبْلَ دُخُولِ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَوْ بَعْدَ دُخُولِ أَرْضِ الْعَدُوِّ وَقَبْلَ ابْتِدَاءِ الْقِتَالِ ولَوْ بِيَسِيرٍ.

وَأَمَّا مَنْ خَرَجَ مِنْ بِلَادِهِ مَرِيضًا وَاسْتَمَرَّ مَرِيضًا حَاضِرًا حَتَّى انْقَضَى الْقِتَالُ فَعَلَى كَلَامِ الْحَطَّابِ فِيهِ قَوْلَانِ وأَمَّا عَلَى ظَاهِرِ كَلَامِ خَلِيلٍ وَجَمَاعَةٍ مِنْ شُرَّاحِهِ، فَيُسْهَمُ لَهُ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ كَمَا بَيَّنَّاهُ.

قَالَ الْأُجْهُورِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: «وَيَجْرِي فِي مَرَضِ الْفَرَسِ مَا يَجْرِي فِي مَرَضِ الْآدَمِيِّ مِنْ التَّفْصِيلِ» [2].

وَيُسْهَمُ لِلْفَرَسِ سَهْمَانِ وَيُسْهَمُ سَهْمٌ لِرَاكِبِهِ ولو في سفينة إذا كانت يقدر بها على الكرّ والفرّ لا إن كانت عجفاء أو كبيرة لا منفعة فيها للجهاد، أو فيها منفعة لكن قاصرة كمنفعة البغل والحمار فإنه لا يسهم لها كما لا يسهم للبعير.

وإنما قال الأئمة لراكبه ولم يقولوا لمالكه ليشمل الراكبُ، مالكه ذاتًا ومالك منفعته، كمكتريه وغاصبه من الغنيمة، أو من غير الجيش ولكن «عليه أجرته للجيش في الأولى ولربه في الثانية.

---

[1] قال ابن فارس: «الراء والهاء والصاد أصل يدل على ضغط وعصر وثبات. فالرهص، فيما رواه الخليل: شدة العصر. والرهص: أن يصيب حجر حافرا أو منسما فيدوى باطنه. يقال رهصه الحجر يرهصه، من الرهصة. ودابة رهيص: مرهوصة. والرواهص من الحجارة: التي ترهص الدواب إذا وطئتها واحدتها راهصة. قال الأعشى:

فعض حديد الأرض إن كنت ساخطا *** بفيك وأحجار الكلاب الرواهصا

وكان «الأسد الرهيص «من فرسان العرب. والمرهص: موضع الرهصة. وقال: على جبال ترهص المراهصا......

والرهص: أسفل عرق في الحائط. ويرهص الحائط بما يقيمه» . «مقاييس اللغة» (2/ 449).

قال النفراوي: «الرَّهِيصِ وهُوَ الَّذِي بِبَاطِنِ حَافِرِهِ وَقْرَةٌ مِنْ ضَرْبَةِ حَجَرٍ مَثَلًا، لِأَنَّهُ بِصِفَةِ الصَّحِيحِ» ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق 1/ 402).

[2] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (1/ 402).

وَالْمَغْصُوبُ مِنْ الْغَنِيمَةِ شَامِلٌ لِمَا غَصَبَه مِنْ خَيْلِ الْعَدُوِّ وَقَبْلَ الْقِتَالِ وَقَاتَلَ «عليه، حيث لم يأذن الإمام بغيبه فيهم الفرس ويعطى أجره للجيش فإن أذن فلا أجرة وأَمَّا لَوْ كَانَ مَغْصُوبًا أَوْ هَارِبًا مِنْ رَجُلٍ مِنْ الْجَيْشِ لَكَانَ سَهْمَاهُ لِرَبِّهِ لَا لِلْمُقَاتِلِ «عليه حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مَعَ رَبِّهِ غَيْرُهُ وإِلَّا كَانَ الْمَفْرُوضُ لِلْفَرَسِ لِمَنْ قَاتَلَ «عليه وَ» عليه أُجْرَتُهُ لِرَبِّهِ، بِخِلَافِ مَا إذَا كَانَ السَّهْمَانِ لِرَبِّهِ فَلَا أُجْرَةَ «عليه لِرَبِّهِ، كما لا أجرة للراكب لتعديه[1].

وأما الفرس المعار للجهاد «عليه فقيل سهماه للمقاتل «عليه وقيل للمعير والمرأة إذا حضرت الجهاد لا تسهم.

وكذلك العبدُ ولو قاتل على المشهور عنه «عليه الصلاة والسلام: «أَنَّهُ لَمْ يُسْهِمْ لِعَبْدٍ ولَا امْرَأَةٍ، لِأَنَّهُمَا لَيْسَا مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ» .

وقد قررنا أن الصبي إن قَاتَل وأُجِيزَ، فيه خلاف والدليل «عليه ما رُوِي عن سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – «صلى الله عليه وسلم» – تُعْرَضُ «عليه غِلْمَانُ الْأَنْصَارِ فَيُلْحِقُ مَنْ أَرَادَ مِنْهُ مْ فَعُرِضْتُ «عليه عَامًا فَأَلْحَقَ غُلَامًا وَرَدَّنِي فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِي ولَوْ صَارَعَنِي صَرَعْتُهُ، قَالَ: فَصَارَعَنِي فَصَرَعْتُهُ فَأَلْحَقَنِي» [2].

واقْتِصارُ العلماء على الصبي بشرطيه المذكورين يَقتضي أَرْجَحِيَّةَ هَذَا الْقَوْلِ، قال التَّتَّائِيُّ وهو الظاهر من المذهب ونَقَلَهُ فِي النَّوَادِرِ[3] وَالْمَوَّازِيَّةِ[4].

---

[1] قال النفراوي: قَالَهُ شَيْخُنَا فِي شَرْحِ خَلِيلٍ ولَمْ يَذْكُرْ أَنَّ عَلَى رَبِّهِ أُجْرَةً لِلرَّاكِبِ ولَعَلَّ وَجْهَهُ أَنَّهُ مُتَعَدٍّ وأَمَّا لِلْفَرَسِ الْمُعَارِ لِلْجِهَادِ «عليه فَقِيلَ سَهْمَاهُ لِلْمُقَاتِلِ «عليه وقِيلَ لِلْمُعِيرِ. ينظر الى: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (1/ 402).

[2] رواه الحاكم في المستدرك (2356) وصححه وتبعه الذهبي.

[3] ينظر الى: النفزي ابو محمد عبد الله، القيرواني: النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الامهات، الطبعة الأولى، ر دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، (3/187-186).

[4] الموازية: لمحمد بن إبراهيم بن زياد أبو عبد الله الإسكندراني الفقيه، الزاهد. المعروف بابن الموّاز، تفقه بعبد الملك بن الماجشون وعبد الله بن عبد الحكم وأصبغ بن الفرج وغيرهم. روى عنه ابنه بكر وعلى بن عبد الله ابن أبي مطر وابن ميسر. قال ابن حارث: كان راسخا في الفقه والفتيا، علما في ذلك. وقال الشّيرازي: والمعول بمصر على قوله. وتوفي بدمشق 269 هـ. وقيل: 281 هـ. ينظر الى: القاسم على سعد: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (2/ 981).

وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ: «لَا يُسْهَمُ» وهُوَ ظَاهِرُ الْمُدَوَّنَةِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ[1]: وَهُوَ الْمَشْهُورُ[2].

وَلَمَّا اخْتَلَفَ التَّشْهِيرُ قَالَ خَلِيلٌ: إلا الصبي ففيه إن أُجِيزَ وقَاتَل[3].

وقد اُخْتُلِف في الْخُنْثَى إذْ قَاتَلَ بَعْدَ بُلُوغِهِ الثَّمَانِيَ عَشْرَةَ، أَوْ حَضَرَ الْقِتَالَ، فَقِيلَ: لَهُ رُبُعُ سَهْمِ الذَّكَرِ ولَا وَجْهَ لَهُ وقِيلَ: لَهُ نِصْفُ سَهْمِ الذَّكَرِ وهُوَ الظَّاهِرُ، لِأَنَّهُ إنْ قُدِّرَ أُنْثَى لَا شَيْءَ لَهُ وإِنْ قُدِّرَ ذَكَرًا فَلَهُ سَهْمٌ، فَيَسْتَحِقُّ نِصْفَ نَصِيبِهِ كَالْمِيرَاثِ إذَا كَانَ يَرِثُ بِتَقْدِيرٍ دُونَ آخَرَ.

((سَهْمًا ونَفْلًا)) حالان من حَلا والسَّهْمُ: واحدُ السِّهَامِ التي قررنا.

والنَّفْلُ[4] بسكون الفاء وفتحها، لغة: الزيادة.

وهي من أمهات مصادر الفقه المالكي، قال أبو عاصم ضيف بشير: «الأمهات: يطلق المالكية هذا الصطلاح على أربعة كتب تحتل الصدارة: الموازية لمحمد بن المواز، العتبية للعتبي، الواضحة لابن حبيب والمدونة» . مصادر الفقه المالكي (ص: 222).= =قال القاضي عياض في ترتيب المدارك 4/ 169: «وله كتابه المشهور الكبير وهو أجل كتاب ألفه قدماء المالكيين وأصحه مسائل وأبسطه كلاما وأوعبه وذكره أبو الحسن القابسي ورجحه على سائر الأمهات وقال: لأن صاحبه قصد إلى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم في تصنيفه وغيره إنما قصد لجمع الروايات ونقل منصوص السماعات ومنهم من تنقل عنه الاختيارات في شروحات أفردها وجوابات لمسائل سئل عنها ومنهم من كان قصده الذب عن المذهب فيما فيه الخلاف، إلا ابن حبيب فإنه قصد إلى بناء المذهب على معان تأدت إليه وربما قنع بنص الروايات على ما فيها وفي هذا الكتاب جزء تكلم فيه على الشافعي وعلى أهل العراق بمسائل من أحسن كلام وأنبله وهو من رواية ابن ميسر وابن أبي مطر عنه. وفي بعض النسخ زيادة كتب على غيرها. ونقص من أصل الديوان كتب منها: الصلاة والطهارة، إلا أن له في الصلاة كتابا فيه من أبواب السهو وقضاء الصلاة إذا نسيت وصلاة السفر» . أبو الفضل القاضي عياض بن موسى إلىحصبي، «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» ، الطبعة: الأولى، الناشر: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب.

[1] هو الخشني أبو الحسن، الامام، الحافظ، المتقن، اللغوي، العلامة، أبو الحسن، محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الاندلسي القرطبي، صاحب التصانيف، ينظر: الذهبي: «سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، (13/ 459).

[2] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (1/ 403).

[3] ينظر: الجندي خليل: مختصر خليل، مصدر سابق، ص: 90). وينظر ايضا: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (1/ 403).

[4] ينظر: ابن قتيبة: غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ، (1/ 229).

واصطلاحا: هو مَالٌ مَوْكُولٌ عِلْمُ قَدْرِهِ إِلَى الْإِمَامِ، فيزيد باجتهاده لمن شاء من الغُزَاة على سهمه.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِمَصْلَحَةٍ كَقُوَّةِ بَطْشِ الْآخِذِ وَشَجَاعَتِهِ، أَوْ يَرَى ضَعْفًا مِنْ الْجَيْشِ فَيُرَغِّبُهُمْ بِذَلِكَ فِي الْقِتَالِ، فَإِنْ اسْتَوَوْا فِيمَا يَقْتَضِي التَّنْفِيلَ جَازَ تَنْفِيلُهُمْ جَمِيعًا[1].

والنَّفْلُ من الخمس لا من الغنيمة ولا من الجزية أو غيرهما مما يُوضَع في بيت المال على ما يَقْتَضِيه الحصر من ظاهر المُخْتَص ولا نَفْل إلا من الخمس والحقُ للإمام أن يُعطي النفل من الخُمس وبيت المال ولا حَجْر «عليه فيه.

قال الْفَاكِهَانِيُّ[2]: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ النَّفَلُ مِمَّا يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى الْمُنَفَّلِ كَالْفَرَسِ وَالثَّوْبِ وَالْعِمَامَةِ وَالسَّيْفِ، لِأَنَّهَا أَعْظَمُ فِي النُّفُوسِ ويَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُنْفَلُ مِنْ السَّلَبِ الْمُعْتَادِ لَا سِوَارَ ولَا صَلِيبَ ولَا غَيْرَهُ لِعَدَمِ اعْتِيَادِهَا» [3].

ولَا يَجُوزُ للإمام أن ينفل قَبْلَ أَخْذِ الْغَنِيمَةِ بِأَنْ يَكُونَ بِالْوَعْدِ الْمُشَارِ إليه بِقَوْلِ خَلِيلٍ: وَلَمْ يَجُزْ إنْ لَمْ يَنْقُضْ الْقِتَالَ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى إِبْطَالِ نِيَّتِهِمْ ويَحْمِلُهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ صَاحِبِ الْمَالِ وَتَرْكِ قِتَالِ الشُّجَاعِ، فَلَوْ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ الِاسْتِيلَاءِ عَلَى الْغَنِيمَةِ جَازَ ولِلْمُقَاتِلِ إنْ كَانَ مُسْلِمًا سَلَبُ كُلِّ مَنْ قَتَلَهُ وإِنْ تَعَدَّدَ المقتول أَوْ لَمْ يَسْمَعْ[4].

قَوْل الإمام: فَإِذَا ارْتَكَب الإمام النَّهْي وَنَفَلَ قَبْلَ أخذ الْغَنِيمَةِ بِأَنْ قَالَ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ، بظاهر المُخْتَصر: أَنَّه يَمْضِي وَمَضَى إِنْ لَمْ يُبْطِلْهُ قَبْلَ الْمَغْنَمِ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ

---

[1] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق (1/ 405).

[2] هو عمر بن على بن سالم اللخمي الاسكندراني المالكي الشيخ تاج الدين المعروف بابن الفاكهاني شارح الرسالة لابن أبي زيد وغيرها من التوالِيف المشهورة، ينظر: الفاسي محمد بن احمد: ذيل التقييد في رواة السنن والاسانيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، (2/ 247).

[3] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق (1/ 405).

[4] ينظر: مصدر نفسه(1/ 405).

حُكْمٍ بِمُخْتَلَفٍ فِيهِ ولِلْقَاتِلِ سَلَبُ كُلِّ مَنْ قَتَلَهُ وإِنْ تَعَدَّدَ مَقْتُولُهُ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ الْإِمَامُ عَيَّنَ قَاتِلًا.

وَأَمَّا لَوْ عَيَّنَ بِأَنْ قَالَ: يَا زَيْدُ إِنْ قَتَلْت قَتِيلًا فَلَكَ سَلَبُهُ فَقَتَلَ جَمَاعَةً فَلَيْسَ لَهُ إلَّا سَلَبُ الْأَوَّلِ إنْ عَرَفَ، فَإِنْ جَهِلَ فَقِيلَ لَهُ سَلَبُ أَقَلِّهِمْ وإِلَّا شَارَكَ بِنِسْبَةِ وَاحِدٍ لَهُمْ، فَإِنْ كَانَا اثْنَيْنِ فَلَهُ النِّصْفُ وهَكَذَا.

وَهَذَا إِذَا قَتَلَ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ وأَمَّا لَوْ قَتَلَ الْمُعَيَّنُ اثْنَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً فَقِيلَ لَهُ سَلَبُهُمَا مَعًا وقِيلَ لَهُ سَلَبُ أَكْثَرِهِمَا ويُشْتَرَطُ فِي ذَلِكَ الْمَقْتُولِ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَجُوزُ قَتْلُهُ لا نَحْوَ امْرَأَةٍ أَوْ صَبِيٍّ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلَ[1].

الثَّانِي: وَهَذَا الَّذِي لم يَتَعَيَّنُ مُسْتَحَقُّهُ يُسَمَّى السَّلَبُ الْكُلِّيُّ، لِأَنَّ السَّلَبَ يَنْقَسِمُ إِلَى كُلِّيٍّ وَجُزْئِيٍّ.

فَالْجُزْئِيُّ: مَا يَتَعَيَّنُ آخِذُهُ ومِنْهُ مَا تَقَدَّمَ بِأَنْ يُعْطِيَ الْإِمَامُ شَخْصًا مُعَيَّنًا شَيْئًا.

وَأَمَّا الْكُلِّيُّ: فَهُوَ الَّذِي لَمْ يَتَعَيَّنْ آخِذُهُ بِأَنْ يَقُولَ الْإِمَامُ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ[2].

فتَلَخَّصَ مِمَّا قَدَّمْنَاهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا بَعْدَ قَوْلِ الْإِمَامِ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ، فَلَهُ أَخْذُ سَلَبِ مَقْتُولِهِ وإِنْ تَعَدَّدَ وإِنْ كَانَ الْقَاتِلُ الْإِمَامَ نَفسُه بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ كَلَامِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ قَالَ مِنْكُمْ أَوْ يَخُصَّ نَفْسَهُ وإِلَّا فَلَا شَيْءَ لَهُ فِي الصُّورَتَيْنِ لِإِخْرَاجِهِ نَفْسَهُ فِي الْأُولَى ولِمُحَابَاتِهِ فِي الثَّانِيَةِ[3].

فلَوْ تَعَدَّدَ الْقَاتِلُ وَاتَّحدَ الْمَقْتُولُ أَوْ تَعَدَّدَ فَالسَّلَبُ بَيْنَهُمْ عَلَى الشَّرِكَةِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ رَاجِلًا وَبَعْضُهُمْ رَاكِبًا ووَقَعَ خِلَافٌ فِي الَّذِي يَأْتِي بِرَأْسِ شَخْصٍ وَيَدَّعِي أَنَّهُ قَتَلَهُ، فَقِيلَ

---

[1] ينظر: مصدر نفسه(1/ 405).

[2] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق (405/1).

[3] نفسه.

يُصَدَّقُ ولَهُ سَلَبُهُ وقِيلَ لَا يُصَدَّقُ إلَّا بِبَيِّنَةٍ، بِخِلَافِ مَنْ قَدِمَ بِسَلَبِ شَخْصٍ وَيَدَّعِي أَنَّهُ قَتَلَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُصَدَّقُ إلَّا بِبَيِّنَةٍ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ أَنَّ وُجُودَ الرَّأْسِ مَعَهُ فِي الصُّورَةِ الْأُولَى يُرَجِّحُ جَانِبَهُ فِي الْخِلَافِ، بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ[1].

وعن محمد ابْنُ سَحْنُونٍ[2]:لَوْ قَالَ لِعَشَرَةٍ: إنْ قَتَلْتُمْ هَؤُلَاءِ فَلَكُمْ أَسْلَابُهُمْ، لَمْ يَخْتَصَّ الْقَاتِلُ مِنْهُمْ بِسَلَبِ قَتِيلِهِ بَلْ تَكُونُ أَسْلَابُهُمْ شَرِكَةً بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ ولَوْ قَتَلَ تِسْعَةٌ مِنْهُمْ تِسْعَةَ أَعْلَاجٍ وَقَتَلَ عَاشِرُ الْأَعْلَاجِ عَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ فَالْأَسْلَابُ[3] لِلْقَاتِلِينَ فَقَطْ ولَوْ بَقِيَ عَاشِرُ الْمُسْلِمِينَ لشَارَكَهُمْ[4].

قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ قُلْت: فَيَلْزَمُ لَوْ مَاتَ بَعْضُ الْقَاتِلِينَ لَمْ يَكُنْ لِوَارِثِهِ شَيْءٌ وإِلَّا فَلَا شَيْءَ لِلْحَيِّ الْعَاشِرِ[5].

((وَالسَّلَبُ)) بِفَتْحِ اللَّامِ وهُوَ مَا يَسْلُبُهُ الْقَاتِلُ مِنْ الْحَرْبِيِّ مِمَّا يُعْتَادُ أَخْذُهُ فِي الْحَرْبِ كَفَرَسِهِ وَدِرْعِهِ وَسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ ومِنْطَقَتِهِ ويَدْخُلُ فِي فَرَسِهِ الْمَمْسُوكِ بِيَدِهِ أَوْ يَدِ غُلَامِهِ لِلْقِتَالِ وسُمِّيَ سَلَبًا لِسَلَبِهِ مِنْهُمْ فَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ وهو مِنْ النَّفَلِ الَّذِي عرفناه لقول الأئمة هو مَالٌ مَوْكُولٌ عِلْمُ قَدْرِهِ لِلْإِمَامِ... إلخ[6].

---

[1] نفسه.

[2] ا هو ابن سحنون محمد بن عبد السلام التنوخي، فقيه المغرب، أبو عبد الله، ابن فقيه المغرب عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي، القيرواني، شيخ المالكية وكان محدثا بصيرا بالاثار واسع العلم، متحريا متقنا، علامة، كبير القدر، ينظر: الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز: سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م، (13/ 60)

[3] ينظر: الازهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق، (12/ 300).

[4] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيروانيمصدر سابق، (1/ 405).

[5] المصدر نفسه.

[6] نفسه.

تنبيهات:

الأول: تكَلمنَا على حُكْمِ الجهاد من حيثُ هو أنه فرضٌ واجب كفاية وذلك إذا كان الإسلام يَطْلُبُ قِتَالهم.

أما إذا جاء العدو بغارة على بلد من بلاد الإسلام أو نزول وإن لم يُغِيروا ففرضٌ على جميع الإسلام تلك الناحية دَفْعُهُم ولا يَسْتَأذن في ذلك أب ولا أم، قال خليل: «وَتَعَيَّنَ بِفَجْأِ الْعَدُوِّ وإِنْ عَلَى امْرَأَةٍ» [1].

قَالَ شُرَّاحُهُ[2]: أو عبدٌ وعلى من بِقُرْبِهِم من المؤمنين الانتصارُ إنْ عُلِمَ عَجزهم أو ظُنَّ ويجب وجوب عينٍ على كل من له قُدرةٌ ولو امرأةٌ أو عبدٌ.

وعليه فَيُسْهَمُ له بخطابه لأنه في غير هذا غير مخاطب وَمَحِلُّ التَّعْيِينِ وَحُرْمَةُ الْفِرَارِ إذا بلغ أهل المدينة ومن في حُكْمِهم النصف من عدد الكفارِ أو كان الإسلام اثنى عشر ألفًا فأكثر كما قَدَّمنا وإلا جَازَ الفرارُ كما تقدم[3].

وَالْقُيُودُ الْمُتَقَدِّمَةُ تَأْتِي هُنَا ولَا يُقَالُ: إنَّ مَا تَقَدَّمَ فِي الْجِهَادِ الْكِفَائِيِّ وهَذَا عَيْنِيٌّ، لِأَنَّا نَقُولُ: إذَا حَصَلَ الشُّرُوعُ فِي الْقِتَالِ صَارَ عَيْنِيًّا فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِدَلِيلِ حُرْمَةِ الْفِرَارِ فَافْهَمْ.

الرباط وحكمه:

الثاني: حكم الرباط في ثغور المسلمين وحِيَاطَتِهَا واجبٌ يَحْمِلُهُ من قام به فهو كالجهاد.

---

[1] ينظر: الجندي خليل ابن اسحاق: مختصر خليل، د ط، دار الفكر، 1981م، ص: 88).

[2] ينظر: «شرح مختصر خليل» للخرشي (3/ 111)، «شفاء الغليل في حل مقفل خليل» (1/ 406)، «شرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني» (3/ 194).

[3] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيروانيمصدر سابق، (1/ 740).

وورد في فضله أحاديثٌ كثيرةٌ منها:

☜**قوله «عليه الصلاة والسلام: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»** [1].

☜**ومنها قوله «صلى الله عليه وسلم»: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»** [2].

☜**ومنها: «رِبَاطُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ تَقُومُ لَيْلُهَا فَلا تُفْتِر وَتَصُومُ نَهَارُهَا فَلا تُفْطِر»** [3].

وغير ذلك من الأحاديث الدالةِ على كثرةِ ثَوابِهِ.

وظَاهرُ تلك الأحاديث أن ذلك الفضل إنما يَحصلُ لمن رَابطَ لمجردِ سدِ الثغرِ لا من سكنَ بأهلها وأقام فيه لمجرد التجارة لقول ابن حبيب: «من سَكَنَ الثَّغْرَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ لمْ يَكُنْ مُرَابِطًا اللَّهُمَّ إِلا أنْ تَكُونَ سُكْنَاهُ تَبَعًا للرِبَاطِ وَلولاَهُ لَمَا سَكَنَهُ» [4]، كَمَا أَشَارَ إليه البَاجِي ورجحه بعضُ الفضلاءِ.

---

[1] أخرجه البخاري (2892) ومسلم (1881)، من طريق سهل بن سهل الساعدي رضي الله عنه واللفظ للبخاري.

[2] رواه أحمد (17213) والنسائي (3117) من طريق أبو ريحانة وصححه الحاكم في المستدرك (2432).

[3] رواه ابن ماجة (2766) من طريق عثمان بن عفان رضي الله عنه، بلفظ «من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه، كانت كألف ليلة صيامها وقيامها» .

[4] غير واضحة في الأصل وفي (النسخة ب)، «عليها ضرب.

والذي يظهر ومن[1] له قدرة على الخروج من ثغر كثر هجوم الكفار «عليه كأهل الجزائر بالمغرب -عمرها الله وحرسها- إذا ترك الخروج طائعًا ونوى الإقامة للرباط مع عمله أو ظنه بالحرب يحصل له فضل الرباط وعظيم أجره.

وهذا إذا بات في داره أما إذا بات خارج البلد أو على السُور بنية الرباط فمرابط قطعًا ولا ينبغي أن يتوقف فيه.

وجرى خلاف تفضيل الرباط على الجهاد والمشهور: أن الجهاد أفضلُ لمزيد رهب القتال على من مكثَ في محل الخوف وأفضل العبادات آخرها أي أشَقَهَا قاله النَّفْرَاوِيُّ[2] في شرح رسالة ابن أبي زيد[3] وهو حسن.

ولا شك أن فضلَ الرباط يَختلفُ باختلاف شدة الخوف وقلته فيكون أجره متفاوتًا بالكثرة والقلة بحسب كثرة خوف أهل ذلك الثغر الواقع فيه الرباط وبكثرة تحررهم من عدوهم وإذا كان الخوف بمحل، ثم زال فلا يُندبُ الرباط، لأن المقصود منه الحرص والتحصن والتحفظ من سطوة العدو وإذا حصل الأمن منه فلا حاجة للرباط كذا عَللوهُ.

قلت: أما تحقق الأمن من أعداء الله تعالى اختلاف بلدانهم وكثرة ركوبهم البحر وعظيم مكرهم فغير معقول.

---

[1] قال القرافي: وَالرِّبَاطُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَى ثَغْرٍ يُقِيمُ لِحِرَاسَةِ أَهْلِ ذَلِكَ الثَّغْرِ مِمَّنْ يُجَاوِرُهُ وَلَيْسَ مَنْ سَكَنَ الثَّغْرَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ مُرَابِطًا وَقِيلَ فِيهِ إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ لِأَنَّ الْجِهَادَ لِسَفْكِ دِمَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَالرِّبَاطَ لِحَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سَفْكِ دِمَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَالَ وَذَلِكَ يَصِحُّ فِي وَقْتِ الْخَوْفِ عَلَى الثَّغْرِ لَا مُطْلَقًا كَمَا قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. ينظر الى: القرافي شهاب الدين: الذخيرة، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994م، (13/ 352) وينظر ايضا: ابن رشد: البيان والتحصيل، مصدر سابق، (17/ 298).

[2] أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي: فقيه من بلدة نفرى، من أعمال قويسنا، بمصر. نشأ بها وتفقه وتأدب وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها (الفواكه الدواني – ط) ثلاثة أجزاء على رسالة ابن أَبي زَيْد القيرواني، في فقه المالكية، ينظر: الزركلي خير الدين الدمشقي: الأعلام، الطبعةالخامسة عشر، دار العلم للملايين، أيار / مايو 2002 م، (1/ 192).

[3] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (2/ 272 – 273).

وقولهم: إذا كان الخوف بمحل ثم زال فلا يندب الرباط، فيه نظر، لأن زواله على كل بلد من بلاد الإسلام جاورت البحر غير راسخ في العقل السليم لإمكان الهجوم عن غير علم وكثيرًا ما وقع ذلك على قرى كثيرة من الساحل الشامي وبلاد أندلس من يثب[1] بل وبلدانكة[2]: قريبا من صفاقس[3] وسقيلة [4]وزاوية[5] وهوان وغيرهم.

وقصارى الأمر أن يقال الخوف لمن داره من المسلمين على ساحل البحر إما عظيم أو قليل والرباط ثوابه يَعْظُمُ بعظمة الخوف ويَقِلُ بقلته فالثواب لمن رابط في ثغر من السواحل حاصل على كل حال.

((وَ)) جعلت لنا ((الوَلاءُ)) وهو حكم بثبوت نسبة العتق للمعتوق يوجب إضافة المُعْتَقُ وذريته لمولي النعمة.

ولم تكن أمة قبلنا تَرِثُ بالولاء وأما نحن معشر الإسلام، فقد صح عندنا النقل الصحيح الأثر به فعن عبد الله بن أبي أوفي «الْوَلاَءُ لُحْمَةٌ كَلُحْمَةِ النَّسَبِ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ» رواه الطبراني في «كبيره» [6] ورواه الحاكم في «المستدرك» [7] والبيهقي[8] عن ابن

---

[1] ينظر: الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي،: معجم البلدان، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، 1995م، (3/ 416).

[2] كذا هي في الأصل و(النسخة ب) ولم أهتد إلى هذه المدينة.

[3] ينظر الى: الحِميرى ابو عبد الله، «الروض المعطار في خبر الأقطار» ، الطبعة: الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، 1980م، (ص: 365).

[4] كذا هي في الأصل و(النسخة ب) ولم أهتد إلى هذه المدينة.

[5] كذا هي في الأصل و(النسخة ب) ولم أهتد إلى هذه المدينة.

[6] لم نجد هـ في «الكبير» ونقلا عن: السيوطي– جلال الدين، «الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير» ،الطبعة: الأولى، الناشر: دار الفكر – بيروت / لبنان،1423هـ – 2003م، (3/ 295)(13249): ((الْوَلاَءُ لُحْمَةٌ كَلُحْمَةِ النَّسَبِ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ)). (طب) عَن عبد الله بن أبي أوفى، (ك هق) عَن ابْن عمر.قلت: رواه الشافعي في «مسنده – ترتيب السندي» (237).

[7] رواه الحاكم في المستدرك (7990) وصححه.

[8] رواه البيهقي: السنن الكبرى، مصدر سابق، (21433) وضعفه.

عمر ورواه الترمذي[1] عنه: «يَرِثُ الوَلاَءَ مَنْ يَرِثُ الْمَالَ»، كما في «الجامع الصغير» [2].

((إِرْثًا)) أي بسبب إرث حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، فاستحف النصب، لكونه معمولًا ثانيًا لـ» جعلت» و» الإرثُ»: هو ما أحله الله للحي من أقارب الميت عند موته في مال الميت ويقال التراث ومنه: {تأكلون التراث أكلاً لما}.

في ذكر الميراث وشروطه:

وأسباب الميراث ثلاثة:

- ☜ **النكاحُ.**
- ☜ **والنسبُ.**
- ☜ **والولاءُ.**

أما النكاحُ: فالقرابة به محققة حسًا ومعنى: كنكاح بنت العم وبنت العمةِ وبنت الخالِ وبنت الخالةِ.

أو حسًا فقط: كالأجنبية، فهي قريبة من الزوج وهو قريب منها حسًا، لكونه يسكن إليها وتسكن إليه.

[1] رواه الترمذي (1236) وصححه بلفظ «نهي عن بيع الولاء وهبته» .

[2] ينظر: الجامع الصغير وزيادته (14563).

وأما الولاء: فللقرابة فيه مطلقًا ولهذا قال ((وَلمْ يَكُ)) أي الولاء[1] ((إِلًّا)) بكسر الهمزة وفتح اللام منونة مشددة، قال تعالى في كفار مكة: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾، أي قرابة ولا عهدًا، كذا فسره ابن عباس[2].

وقيل هو اسم للرحم وهو موافق لقول ابن عباس في المعنى.

((وَارِثَنَا)) من لا قرابة لنا فيه من العبيد والموإلى واقع .

((كرمًا مِنكَ وَفضْلًا)) والكرمُ[3] لغة: سجية في الموصوف به تحمله على إعطاء ما يفرح به المعطى إليه ومعلوم أن الصفات التي تقتضي المماثلة يجب حملها على غايتها.

ومعنى كرم الله وجود عطاية وأما السجية[4] الحاملة[5] على العطاء فهي إنما تكون في المخلوق لا في الخالق، لما علمناه من وجوب مخالفته للحوادث تعالى أن يكون مماثلًا لشيء منها عمومًا،وعلى كل حال والفضل إعطاء الشيء من غير عوض لا في الحال ولا في المآل ولا يكون الفضل حقيقة إلا من الله تعالى ((كَمَا)) أي مثل ما ((خَصْصَتَنَا)) دون سائر الأمم، من أجل كرمك علىنا وفضلك ((بالوِلاَيَةِ)) فكنت ولينا بصادق قولك: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران/68] ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

---

[1] ابن دريد الأزدي ابو بكر محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين – بيروت، 1987م، (1/ 246).

[2] فروى عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {لا يرقبون من مؤمن إلا ذمة وأولئك هم المعتدون}[التوبة: 10] قَالَ: الْإِلُّ: الْقَرَابَةُ والذِّمَّةُ: الْعَهْدُ» . ينظر: الطبري: تفسير الطبري، مصدر سابق، (14/ 146).

[3] ينظر: ابن دريد: جمهرة اللغة، مصدر سابق، (2/ 798).

[4] وَالسَّجِيَّةُ الْغَرِيزَةُ وَالْجَمْعُ سَجَايَا مِثْلُ: عَطِيَّةٍ وَعَطَايَا. ينظر الى: الفيومي محمد بن احمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط1، مكتبة لبنان، لبنان، 1987م، (1/ 267).

[5] وجاءت في النسخة ب: «الحامة» ،كذا وهو خطأ.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البقرة/257] ولا شك أن هذا كرم وفضل منه سبحانه وتعالى، لأنه جعله بمحض اختياره لما سبق عنده في أم الكتاب.

من هم أولياء الله:

وقد خصص الله سبحانه هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم بأمور كثيرة كما قدمنا وناهيك شرفًا أن جعل نفسه وليهم بمعنى أنه يتولى حفظهم وينصرهم على أعدائهم واتخذ منهم رجالًا ونساء وفقهم وإياهن بفضله وسماهم وإياهن أولياء كرمًا منه أيضًا وفضلًا قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس/ 62-63]، فهو صادق بالذكر والأنثى.

واختلف العلماء في الولي ومن يستحق هذا الاسم:

قال ابن عباس: «هم الذين يُذْكِّرُون الله لرؤيتهم» [1].

وروى الطبراني بسنده عن سعيد بن جبير، قال سئل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عن أولياء الله فقال: «هم الذين إذا رُأوا ذَكَرُوا الله» [2].

وقال زيد: «هم {الذين آمنوا وكانوا يتقون} ولن يتقبل الايمان إلى بالتقوى» [3] وهذا قول شديد علينا نسأل الله سبحانه أن يجعل الحق نحو عنده خلافه وإلا لزم العصاة من المؤمنين وبه قال الوهيبة[4]وأضرابهم والمعتزلة[5].

---

[1] ينظر: الطبري: تفسيرالطبري، مصدر سابق، ص 17703).

[2] ينظر: مصدر نفسه، ص17704).

[3] ينظر: الطبري ابو جعفر: تفسير الطبري، مصدر سابق، (17716).

[4] الشويعر محمد بن سعد: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، الطبعة الثالثة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، (ص: 58).

[5] اينظر: الشهرستاني ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد: الملل والنحل، د ط، مؤسسة الحلبي، (1/ 43).

وقال قوم: أولياء الله هم الذين يتحابون في الله ويدل له ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ نَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ ولَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ عند اللَّهِ» قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم قال: «قوم يتحابون في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لها نور وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» وقرأ هذه الآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس/62] أخرجه أبو داود[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» أخرجه مسلم[2] وفي رواية «من أجلي» [3].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عند قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقول: «قال الله تعالى: المتحابون فيَّ، لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء»، أخرجه الترمذي[4].

وروى البغوي بسنده عن أبي موسي الأشعري قال: كنت عند النبي «صلى الله عليه وسلم» فقال: «إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء، لقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة» قال: وفي ناحية القوم أعرابي، فجثى على ركبتيه ورمى بيده وقال حدثنا يا رسول الله عنهم قال: فرأيت في وجه رسول الله «صلى الله عليه وسلم» البشرى قال: «فيهم عباد لله ومن بلدان شتى، لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا

---

[1] رواه أبو داود (3527)، من طريق، أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجليُّ، عن عمر، قال المزي في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (8/ 117) (ولم يدركه).

[2] ينظر الى: مسلم: صحيح مسلم، مصدر سابق، ص2566).

[3] ينظر: صحيح أحمد، (19438) والبيهقي: شعب الإيمان، مصدر سابق، (8583).

[4] ينظر: الترمذي: (2390).

يتساءلون بها، يتحابون بروح الله، فجعل الله وجوههم نورًا وجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن، يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون»[1].

ويروى عن النبي «صلى الله عليه وسلم» أنه قال: «قال الله تعالى: أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي الذين الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي وأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ» هكذا ذكره البغوي[2] بغير سند[3] ولعله اعتمد كتب القوم في طريقهم فإنه كثير الوجود فيها محذوف السند والله أعلم به.

وروى الطبراني بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «قال الله تعالى: إن أوليائي من عبادي، الذين يذكرون بذكرى وإن من عباد الله عبادًا، يغبطهم الأنبياء والشهداء» قيل: من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم؟ قال: «هم قوم تحابوا في الله، بغير أموال ولا أنساب وجوههم نور، على منابر من نور، لا يخافون

---

[1] ينظر: البغوي: شرح السنة، (3464)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/ 277): «رجاله رجال الصحيح غير حوشب وقد وثقه غير واحد» .

[2] هو ابو محمد الحسين ابن مسعود ولد ببلاد خرسان كان كثير العلم له مؤلفت عدة منها: مصابيح السنة، الجامع بين الصحيحين. للمزيد ينظر الى: مقدمة تحقيق كتاب تفسير البغوي: البغوي: تفسير البغوي، تح: محمد عبد الله النمر، سليمان مسلم، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997م، (1/ 5)

[3] روى أحمد في «مسنده» (24/ 317) (15549)، عن عمرو بن الجموح، أنه سمع النبي صلى الله «عليه وسلم يقول: «لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ ويُبْغِضَ لِلَّهِ، فَإِذَا أَحَبَّ لِلَّهِ وأَبْغَضَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنَ اللهِ وإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي وأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي وأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ» .

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» 89/1، رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو منقطع ضعيف.

قال السندي: قوله: «لا يحق العبد... إلخ» ، أي: لا يستحق العبد أن يوصف بصريح الإيمان ويقال: إنه صاحب صريح الإيمان.

قوله: «الولاء» ، بفتح الواو، أي: القرب، «وإنَّ أوليائي» حكاية عن قول الله تبارك وتعالى.

قوله: «يذكرون بذكري» ، على بناء المفعول، أي: من أراد أن يذكر الله تعالى يذكرهم وينظر في حالهم وأنهم كيف كانوا يذكرون الله تعالى حتى يذكر الله تعالى كما ذكروه.

قوله: «وأُذكر بذكرهم» ، أي: من ذَكَرَ أحوالَهم رَغِبَ في ذكر الله تعالى ويحتمل أن المراد مجرد المقارنة كما في قولنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ويحتمل أن المصدر مضاف إلى الفاعل في الموضعين، أي: أن الناس يذكرونهم بسبب أني أذكرهم ويذكرونني بسبب أنهم يذكرونني والله تعالى أعلم.

إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[يونس/ 62] [1].

ومعنى «يغبطهم الأنبياء»: أنهم يتمنون مزية عندهم خصوا بها لا تقتضي تفضيلهم على الأنبياء.

ومعني الغبط[2]: تمني حصول مثل ما بيد الغير من غير زوالها عنه والحسد[3] تمني زوال النعمة على الغير وهو مما يستحيل في حقهم «عليهم الصلاة والسلام.

وقال أبو بكر (الأصم)[4]: «أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة إليه» [5].

وأصل الولي[6]: من الولاء وهو القرب والنصرة، فولي الله هو الذي يتقرب إليه بكل ما افترض «عليه ويكون مشتغلًا بالله مستفرغ القلب في معرفة نور جلال الله تعالى فإن رَأَىَ رَأَىَ بدليل قدرة الله وإن سمع سمع آيات الله وإن نطق نطق بالثناء على الله وإن تحرك تحرك في طاعة الله وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله، لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى قلبه غير الله تعالى، فهذه صفة أولياء الله وإذا كان العبد كذلك كان الله ناصره ومعينه وهو معنى ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

---

[1] ينظر الى: النسائي: السنن الكبرى، مصدر سابق، (11172) وصححه ابن حبان (573).

[2] ينظر: الازهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق، (8/ 83).

[3] ينظر: ابن دريد: جمهرة اللغة، مصدر سابق، (1/ 502).

[4] سقطت من النسخة ب وفي حاشيتها: «الأصح أن» ، مصححًا «عليه وخطأ من الناسخ.

[5] الخازن علاء الدين:: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل» ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415 هـ، (3/ 197).

[6] ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، (6/ 2528).

وقال المتكلمون[1]: ولي الله هو من كان مأتيا بالاعتقاد الصحيح المَبني على الدليل ويكون أتيا بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت الشريعة وإليه الإشارة بقوله تعالى: {الذين أمنوا وكانوا يتقون} وهو أن الإيمان مبني على جميع الاعتقاد العمل ومقام التقوى هو أن يتقي العبد ما نهاه الله عنه وقوله تعالى {لا خوف عليهم} يعني في الآخرة إذا خاف غيرهم وقوله: {ولاهم يحزنون} صح يعني على ما جاءتهم من نعيم الدنيا ولذاتها.

قال بعض المحققين[2]: زوال الخوف والحزن عنهم، إنما يحصل لهم في الآخرة وأمّا في الدنيا فهم في الغالب أكثر الناس همًا وغمًا ونكدًا وحزنًا.

وقال بعض العارفين: الولاية: عبارة عن القرب من الله تعالى ودوام الانشغال بالله وإذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لأن الولاية مقامها، المعرفة بالله وهي تمنعه من أن يخاف أو يحزن وقد قال الله في أولياءه: {لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة} واختلف في هذه البشرى فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سألت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عن هذه البشرى قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له» أخرجه الترمذي[3].

وله عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء عن هذه البشري قال: ما سألني أحد عنها منذ سألت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» غيرك مذ أنزلت «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» قال الترمذي حديث حسن.[4]

تنبيه: كثيرًا ما توجد أفراد من الناس الغراء كجملة المؤمنين وطلبة البادية وأما العامة كلهم أجمعون إلا قليلًا منهم، فمن هو أبعد من الحق منهم، يقولون ويعتقدون جواز معرفة

---

[1] ينظر: نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.

[2] يُنظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، (6/ 2528).

[3] رواه الترمذي (2275) وصححه الحاكم في المستدرك(3302).

[4] رواه الترمذي (2273).

الغيب لبعض المجانين أو المعتوهين أو الكذابين، من سفاسف الرجال المظهرين لأحوال كاذبة، يتطفلون بها على باب التشبيه بأرباب الأحوال الخاصة من الأولياء والحق أن الغيب لا يعلمه إلا الله وإذا كان له ولي توفرت فيه الشروط المتقدمة، أو لم يكن له جميعها، بل هو مداوم على فعل الطاعات ومجتنب لجميع المعاصي ومعرض عن الانهماك في الذات، فإنه لا مانع أن يطلعه الله على جزئيات يراها بعين البصيرة وبقبول من يصرفه الله كرامة من جملة معجزات النبي الذي من أمة هذا الولي.

وقال جماعة: إن الولي الحقيقي لا يعلم شيئا من الغيب ولو ما دون جزئية واحدة فضلًا عن الجزئيات وإنما يقول كلامًا عن جهل واثقًا بلسان يصدقه فيصدقه الله كرامة وعلى كلا القولين فقول بعض الكرامية[1]: إن الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوة بعمله الصالح[2].

وقول بعض المتعصبين: إن الولاية فوق درجة النبوة من وجه وذلك أن الأنبياء مكلفون وبعض الأولياء قد يبلغ درجة يسقط عندها التكليف.

وقول بعضهم أيضًا: أن الأولياء ينظرون في اللوح المحفوظ ويتكلمون بما فيه باطل، بل كذب وتجرؤ، بل كفر صريح والعياذ بالله.

---

[1] ينظر الى: الاشعري ابو الحسن على: مقالات الإسلاميين، الطبعة الثالثة، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، 1400 هـ - 1980 م، (1/ 120).

[2] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما نبوة التحقيق ورسالة التحقيق - وهي الولاية عندهم - فلم تنقطع وهذه الولاية عندهم هي أفضل من النبوة والرسالة ولهذا قال ابن عربي في بعض كلامه: - مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي وقال في الفصوص في: (كلمة عزيرية) فإذا سمعت أحدا من أهل الله تعالى يقول أو ينقل إليك عنه أنه قال: الولاية أعلى من النبوة: فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه.

أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول، فإنه يعني بذلك في شخص واحد وهو أن الرسول «عليه السلام من حيث هو ولي: أتم منه من حيث هو نبي ورسول لا أن الولي التابع له أعلى منه فإن التابع لا يدرك المتبوع أبدا فيما هو تابع له فيه إذ لو أدركه لم يكن تابعا له «. وإذا حققوا على ذلك قالوا: إن ولاية النبي فوق نبوته وإن نبوته فوق رسالته لأنه يأخذ بولايته عن الله ثم يجعلون مثل ولايته ثابتة لهم ويجعلون ولاية خاتم الأولياء أعظم من ولايته وأن ولاية الرسول تابعة لولاية خاتم الأولياء الذي ادعوه. يمظر الى: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، مصدر سابق، (2/ 221).

فقد قال العارف بالله تعالى أبو حامد الغزإلى[1] رضي الله تعالى عنه: قتل الواحد من هؤلاء خير عنده من قتل مائة كافر من جحد دين الإسلام رأسا كالنصارى، لأن ضرر هذا المدعي الإسلام على أصل الدين بهذه العقائد وإشاعتها والتشدق بها، أشد من حياة مائة كافر ساكتين.

ثم قال: وليس من أولئك العارفان المحققان الوليان الكبيران محي الدين ابن عربي[2] والسراج ابن الفارض[3] وأتباعهما، نحو الحلاج لمن نزل فيهم قدمه وطفي علمه، إلا أن يكون أراد بما قاله الذب عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادر عند من لا يحيط بمصطلحهم علمًا.

فائدة: ابن عربي غير ابن العربي[4] لأن الأول الولي الصالح المعروف بالشام والثاني الفقيه الكامل المعروف بالمغرب.

والأول: حاتمي طائي من ذرية حاتم الجواد[5] المعروف.

---

[1] هو حجة الإسلام، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، زين الدين أبو حامد الغزإلى، الطوسي، الفقيه الشافعي،ولد بنيسابور وكان متصوفا وفيلسوفا له مؤلفات عديدة وتوفى في سنة 505 هـ،للمزيد ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام: تح: عمر عبد السلام، ط2، دار الكتاب العربي، 1990م، (11/ 62).

[2] هو محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله. الشيخ، محيي الدين، أبو بكر، الطائي، الحاتمي، الأندلسي، المرسي، المعروف بابن العربي. ويعرف أيضا بالقشيري، قدوة أهل الوحدة والتصوف وله شطحات، توفى سنة 638 هـ، ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام: ، مصدر سابق، (14/ 273).

[3] هو: شرف الدين، عمر بن على بن مرشد الحموي، ثم المصري، صاحب الاتحاد،... توفي: سنة اثنتين وثلاثين (230هـ) وله ست وخمسون سنة. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (368/22).

[4] هو ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسي، الإمام، العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، صاحب التصانيف، توفى سنة 543 هـ وكان أحد من بلغ رتبة الاجتهاد وأحد من انفرد بالأندلس بعلو الإسناد، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، (20/ 197).

[5] هو حاتم الطائي أحد أجواد الجاهلية والد عدي، بن حاتم الصحابي، كان جوادا ممدحا في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الإسلام. للمزيد ينظر الى: القرشي أبو الفداء إسماعيل الدمشقي: السيرة النبوية: تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان،عام النشر: 1395 هـ - 1976 م، (1/ 107).

والثاني: طنجي ألف الأندلس.

ورب ناسخ لكتاب يجد ابن عربي فيعرفه بال جهلا منه، لكن إن سماه أو نسبه فلا لبس ولا التباس، ثم لا يعرف أي الشيخين هو من العبارة المعزوة إليه إلا عارف. والله الموفق.

وكم خلقت بعظيم حكمتك بقدرتك وإرادتك من أمم أخرى غير هذه الأمة المحمدية لا يعلم عددها من كثرتها إلا أنت والمراد بالأمم هنا أنواع الأدميين ، فالحيوانات هنا غير مرادة وإن كانت داخلة بنص التنزيل، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ لكنها لما سلبت الإدراك ولم تكن مقصورة للحساب والعقاب إلا على قول مرغوب عنه وإن ورد الخبر ببعثتها، فإنما ذلك لتشهد على الناس ولهم، أو تشكوا لخالقها ظلم ظالم شرعًا ظلمها فلم نعنها والمقصود هنا التسعة والستون أمة التي كانت أمة محمد «صلى الله عليه وسلم» لها تمام السبعين وقد جاء عنه «صلى الله عليه وسلم»: «إن الله خلق سبعين أمة كقوم فرعون وأهل زمنه وعاد وأهل زمنهم وثمود وأهل زمنهم» [1].

وهكذا ممن أنبأنا الله من أخبارهم في كتابه العزيز، حيث عصوا رسول الله واتبعوا أهوائهم وقيل إن المرسلين من الأنبياء ثلاثمائة رسول وثلاثة عشر رسولًا، قال تعالى: ﴿ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ ﴾ [2] ولكل واحد أمة ولم تكن أمة من أمم الأنبياء[3] جعل الله لها ما جعله لنا بمنته علينا، إذ هدانا بفضله وأضل كثيرًا من الأمم بعدله.

جاءتهم رسلك منك بالبينات الباهرة والمعجزات الظاهرة، يستحيل أن يتصف بها من يقول عنك غير الحق تنزل واحدًا بعد واحد بلا عذار لهم مثل أصحاب القرية الذين قال الله تعالى فيهم: «واضرب لهم مثلًا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون» [4] فإنها

---

[1] لم نجده بهذا اللفظ وأخرج أحمد في «مسنده» (33/ 245) (20049) عن بهز، حدثني أبي، عن جدي، قال: سمعت رسول الله صلى الله «عليه وسلم يقول: «إِنَّكُمْ وَفَيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا وأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ» .

[2] الاية رقم 78من سورة غافر.

[3] ألحق بعدها في حاشية في (النسخة ب): «ولم تكن أمة» ، مصححًا «عليها.

[4] الاية رقم 13 من سورة الكهف.

إنطاكية[1] على ما «عليه أكثر المفسرين[2] وأهلها نصارى من بني الأصفر الإفرنج أرسل الله إليهم رسولين أحدهما نبي الله قوتا والثاني نبي الله بطرس وأظهر الله على أيديهما من أنواع الإعجاز وقوة البراهين من إحياء الموتى وإمطار السماء وإبراء ذوي العاهات للساعة الوقت بلا دواء ما تحار فيه العقول مما كان منهم إلا أن سجنوهما فبعث الله ثالثًا اسمه بولس وهو الذي قال الله فيه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[3] فلم يؤمنوا أيضًا وتلطف بولس حتي سرحهما من السجن وما أمن من القوم إلا رجل إلا رجل اسمه حبيب النجار[4] وهو المراد

---

[1] قال الجرجاني: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ} [الكهف: 32] {أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ} أهل أنطاكية. {إِذْ أَرْسَلْنَا إليهمُ اثْنَيْنِ} على عهد عيسى –» عليه السلام– وهما تومان وبولس وهما من الحواريين، فجعلا يدعوانه إلى توحيد الله حتى اطلع الملك على أمرهما فحبسهما، فجاء شمعون الصفا وهو من عظماء الحواريين في أثرهما مسجونين فجعل نفسه كواحد من أهل أنطاكية وجاء بطعام ليطعم أهل السجن فأطعم كل واحد من أهل السجن شيئًا شيئًا، فلما انتهي إلى صاحبيه قال: إني أسعى في تقويتكما وإخراجكما، ثم خرج من السجن ودخل بيت الأصنام فاعتكف فيه أيامًا يصلي لله –عَزَّوَجَلَّ– ويتضرّع إليه وأهل أنطاكية يرونه متقربًا إلى أصنامهم فسكنوا إليه ووثقوا به ورفعوا خبره إلى الملك فدعاه الملك واستخلصه، ثم إنه قال للملك: إني سمعت أنك سجنت رجلين مخالفين لك في دينك فأخرجهما لأخاصمهما. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني،» درج الدرر في تفسير الآي والسور» ، الطبعة: الأولى، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، 1429 هـ – 2008 م، (4/ 1451).

[2] قال السمعاني: «وَأما الْقرْيَة: فَأَكْثَر أهل التَّفْسِير أَن الْقرْيَة هِيَ أنطاكية وَقَالَ بَعضهم: هِيَ بلد من بِلَاد الرّوم» .أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تفسير السمعاني– » تفسير القرآن» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، 1418هـ– 1997م، (4/ 370).

قال الحافظ ابن كثير: قال ابن إسحاق –فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه–: إنها مدينة أنطاكية وكان بها ملك يقال له: أنطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس وكان يعبد الأصنام، فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل وهم: صادق وصدوق وشلوم، (1) فكذبهم. وهكذا روي عن بريدة بن الحصيب وعكرمة وقتادة والزهري: أنها أنطاكية وقد استشكل بعض الأئمة كونها أنطاكية. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، «تفسير ابن كثير» ، الطبعة: الثانية، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ – 1999 م، (6/ 568).

وقال العز ابن عبد السلام: {الْقَرْيَةِ} إنطاكية اتفاقاً. أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء، «تفسير العز بن عبد السلام» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، 1416هـ/ 1996م، (3/ 35).

[3] الاية 14 من سورة ياسين.

[4] حبيب النجار هو الشخص المقصود في سورة ياسين في قوله تعالى: «وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى «.ينظر: روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، ينظر: الحنظلي ابو محمد عبد الرحمن: تفسير ابن أبي حاتم: تح: اسعد محمد الطيب، ط» ، مكتبة نزار الباز، السعودية، 1419هـ، (10/ 3192).

بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾[1]، الآيات وهكذا وقع لأمم كثيرة جاءتهم الرسل من الله بالبينات فكذبوهم واتخذوا دينهم أي ما يتدينون به ويتخذونه دينًا وإن كانوا في الحقيقة لا دين لهم ونسبة الدين لهم تهكم بسوء حالهم وفساد عقولهم ووضع ظلالتهم.

لهوا[2] هو ما يلهوا به المرء عن مصالح عقباه دنيا وأخرى، كلعب النرد[3] وهو المعروف إلىوم بالزهر ومنه الدائرة في لعب القمار[4] والكارطة وكعمل الأزلام[5] ومنه التاقزة بأنواعها وكلعب الشطرنج[6] ومنه الدامة[7]والخربقة ونحوهما وقيل اللهو[8] ما يشغل المرء عما يعينه ويهمه، يقال: لهيت بكذا ولهيت عن كذا أي اشتغلت عنه وفيه التلميح بالآية وقد عرفت أن التلميح[9] نوع من البديع والدين في الآية فسر بالعيد و» عليه قول أكثر المفسرين لآية الأعراف ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾ فيكون معني: ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾ أي: يوم عيدهم لهوًا ولعبًا لا يذكرون الله فيه.

---

[1] الاية رقم 20 من سورة ياسين.

[2]وجاءت في حاشية (النسخة ب): «وانظر قوله: لهوا وتفهم أرشدنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه» .

[3] ينظر: الزبيدي مرتضى: تاج العروس، مصدر سابق، (9/ 219).

[4] ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، (2/ 799).

[5] ينظر: ابن قتيبة: غريب الحديث، مصدر سابق، (2/ 624).

[6] أ لمرسي ابو الحسن على بن إسماعيل: المخصص، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1417هـ. 1996م، (4/ 15).

[7] رينهارت بيتر آن دُوزِي، «تكملة المعاجم العربية» ، الطبعة: الأولى، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، من 1979 – 2000 م، (4/ 452).

[8] ينظر: ابن دريد: جمهرة اللغة، مصدر سابق، (2/ 989).

[9] ينظر الى: القزويني أبو المعإلى جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، الطبعة الثالثة، دار الجيل – بيروت، (ص: 388).

وبه تعلم: أن اللهو واللعب في عيدنا إليوم من سنة الجاهلية والله يسامح أمة مصطفاه بجاهه عنده والحق أن أيام العيد أيام ذكر ودعاء وتعظيم لمشاعر الله ورحمة الغني للضعيف. والله الموفق.

ولعبًا[1] من عطف الخاص على العام[2] للإيضاح والبيان، لأن كل لعب لهو ولا عكس ويجمع معناهما[3] الدد[4] كما في حديث أنس: «لست من دَدٍ ولَا دَّدُ مني ولست من الباطل ولا الباطل مني» رواه ابن عساكر[5].

وبالجملة إنما خدع هذه الأمة الكوافر عاجل ما هو فيه من حفظ العيش والدعة وشغلوا به عن الإيمان بالله ورسله وعن الأخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية وهم على ذلك وغرتهم الحياة الدنيا بمطمعهم في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات وإذا حصل له هذا صار محجوبًا عن الدين وغريقًا في الدينا بلذاتها غير ملتفت إلى الله نسأل الله العافية.

و اتخذوا دينهم عتوا أي فسادًا في الأرض بالمعاصي والكفر والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل وبيان الشرائع وبهذا قال الحسن البصري والسري السقطي والضحاك والكلبي[6].

---

[1] ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، (1/ 219).

[2] ينظر: الحموي: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، مصدر سابق، (3/ 168).

[3] ينظر: الازهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق، (6/ 226).

[4] قال ابن فارس: الدال والدال كلمة واحدة. الدد: اللهو واللعب. ينظر الى: ابن فارس ابو الحسن احمد: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط1، دار الفكر، بيروت، 1979م، (2/ 266).

[5] رواه البخاري في الأدب المفرد (785)، عن أنس مرفوعًا، بلفظ «لست من دد ولا الدد مني بشيء» ، يعني: ليس الباطل مني بشيء.

[6] ينظر: الطبري: تفسير الطبري: مصدر سابق، (19/ 254).

وقيل العتو في الأرض[1]: هو إتلاف النفوس بالقتل،أو فساد بعض أعضاء النفس بالقطع بلا موجب شرعي وإفساد الأموال بالغصب والسرقة وأخذها من الغير بوجه من وجوه الحيلة وإفساد الإيمان بالكفر واعتقاد البدع والأهواء المضلة وإفساد الأنساب بالإقدام على الزنا وإفساد العقول، بسبب شرب المسكر وذلك لأن المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمس ولو اجتمع عقلاء الإنس والجن ووافقهم في النظر الملأ الأعلى من الملائكة الكرام على أن يجعلوا أحكامًا تقام لها بنية الدنيا وتعمر رجاؤها وتصلح معايش الناس بها وتحقن دماؤهم وتصلح أحوالهم لم يكن إلا ما قاله الله في كتابه ونطق به أعز أحبابه «صلى الله عليه وسلم».

وسعايه وهي صادقة بالغيبة[2] والنميمة[3] والعتو شامل لها وإنها أفردت بالتنصيص لوجهين:

أحدهما: عظم جرمها عند الله وما من أحد من العامة إلا وهو يستخفها.

والثاني: قافية السّجع وقد وردت النصوص الصريحة بحرمتها وأنها تحطم الحسنات حطمًا وأكثر ما تكون السعاية من الأشرار في الأخيار عند الملوك ومن في حكمهم لمن بسط الله أيديهم في الأرض وهو سائلهم عن تصديقهم مُطلِق الخبر السوء من مطلق مخبر وإلا فالواجب «عليهم شرعًا أن يتثبتوا أو يتبينوا، عملًا فقال الله سبحانه: «يأيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» [4].

---

[1] ينظر: الازهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق (3/ 91).

[2] ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، (1/ 196).

[3] ينظر: الازهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق، (15/ 338).

[4] الاية رقم 6من سورة الحجرات.

ولقد سعى ابن أبي الرقيات[1] في رجل صالح من أهل العراق عند الحجاج بن يوسف الثقفي فأمر به فلما حضر بين يديه قال: قبل أن يؤذن له في الكلام البشارة البشارة يا أيها الملك فتبسم الحجاج وقال: فيم قال: إن الله قد ذكرك في كتابه أولًا وذكر ابن أبي الرقيات ثانيًا وذكرني، فقال الحجاج: أنت أعلم بسور القرآن مني فقال: بل أنت أعلم ولكني أذكرك أن الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يعنيك وأمثالك ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ﴾ يعني ابن أبي الرقيات وأمثاله– لقوله تعالى: – ﴿بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا﴾ يعنيني ويعني أمثإلى فأعجب الحجاج من فطانته وترك سبيله.

وقد سعي رجل في آخر عند أمير المؤمنين العدل عمر بن عبد العزيز رحمه الله بأنه أصاب ركازًا عظيمًا من دفن الجاهلية الأولى وحلف له يمينًا عظيمة أنه صادق فأطرق عمر قليلًا ينظر ثم رفع رأسه وقال: بهذا إن شئت نفحص عن هذا الركاز بالسنة المحمدية، فإن وجدناك كاذبًا عاقبناك وإن وجدناك صادقًا مقتناك وإن طلبت منا الإقالة قبل الفحص أقلنَّاك فاختر، فسكت الرجل ثم قال: اللهم إني اخترت الإقالة حيث لا خير في الحإلىن فأقاله وانطلق يقول: قبح الله السَّعاية وأنا التائب لله.

ونشكرك اللهم قد عرفت معنى الشكر وأقسامه بما بيناه في صدر الكتاب عند قولنا نحمدك واللهم أصله يا الله ولكن الأكثر في كلام العرب أن تكون الميم عوضًا عن إلىاء التي هي حرف الندا وإن كان قولهم يا الله كثيرًا وما اجتمع العوض والمعوض «عليه إلا في بيت شعر من كلام العرب قال قائله:

يَا اللَّهمَّ يَا اللَّهُمَّ[2]......

---

(1) هوعبد الله بن قيس الرقيات القرشي العامري الحجازي، أحد الشعراء المجودين، توفي سنة80 هـ، ينظر: الذهبي شمس الدين أبو عبد الله: «تاريخ الإسلام، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، 2003 م، (859/2).

2 وتمامه: إنِّي إذا مَا حَدثٌ أَلَمَّا... دَعَوْتُ يَا اللَّهمَّ يَا اللَّهُمَّا. ينزر الى: الأزدي، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، د ط، عالم الكتب. – بيروت، (4/ 242).

وقد قيل: إن الدعاء بها مظنة القبول أكثر من يا لله على نحوا استعمالها عند العرب وجاء أنها الاسم الأعظم ومن عرف ضم الأربعين إلى الستة والستين، عرف ما تعطيه ألف الأحدية من الإشارة إلى المائة والثلاثة في العبارة وما أومت به العبارة إلى اسمه تعإلى منجي وإن ضمت إليه ألف الأحدية كان الإيماء إلى الانفعال بأسمائه تعالى سبب وجاعل ومد في وإلى الأفعال باسمه تعالى عدل وبالأربعة عمرت أركان.

وبه صح اطلاق مليك ومنجز لعمارة الجهات الست فافهم ولولا وصية الأشياخ والخشية من أن يعرف السر غير أهله لشرحت بأوضح من هذا فافهم ما ذكرته لك وتدبره فإنك لا تجده في كتاب غير هذا إلا معي، لا تصله إلا عقول تشحذت بالتقوى وصلاح النية واجتماع أربابها بشيوخ التربية من أهل الطريقة السمحاء نفع الله بهم ورحم ميتهم وحيهم آمين.

((أَنْ)) بفتح الهمزة وسكون النون مصدرة ((جعلت الكافرين بك)) وهم الذين كذبوا رسولك وجحدوا آياتك واعتقدوا فيك ما أنت منزه ومقدس وغني عنه من اتخاذ الصاحبة والولد لا يتربصون إلخ والكفر[1] لغة التغطية، يقال: كَفَرَ الشيء وكفره ويكفره كفرًا وتكفيرًا، غطاه وستره ومنه تسمية الحارث[2] كافرًا لغة، لأنه يغطي البذر بالتراب وبه جاء التنزيل- قوله تعالى-: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾[3] والليل[1] كافر لأنه يغطي بسدوله المظلمة الأشكال التي لا تخفى بالنهار ((لا يتربصون بنا))

---

[1] ينظر: الازهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق، (10/ 110).

[2] أي: الزارع وهو الذي يحرث الأرض. قال في «مختار الصحاح» (ص: 271): الْكَافِرُ: اللَّيْلُ الْمُظْلِمُ لِأَنَّهُ سَتَرَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ شَيْءٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ غَطَّى شَيْئًا فَقَدْ (كَفَرَهُ). قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: وَمِنْهُ سُمِّيَ (الْكَافِرُ) لِأَنَّهُ يَسْتُرُ نِعَمَ اللَّهِ «عليه. وَ (الْكَافِرُ) الزَّارِعُ لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْبَذْرَ بِالتُّرَابِ و (الْكُفَّارُ) الزُّرَّاعُ.

وقال أبو بكر الأنباري- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، في «الزاهر في معاني كلمات الناس» ، ط1، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1412 هـ -1992م، (1/ 119): يقال للزرّاع: كافر، لأنه إذا ألقى البذر في الأرض غطّاه بالتراب وجمعه كُفّار. قال الله تعالى: { [كمثلِ غيثٍ] أعجبَ الكفّارَ نباتُهُ}، معناه: أعجب الزراع نباته.

[3] الاية رقم 20 من سورة الحديد.

الشهداء وجزاؤهم عند الله:

معشر الإسلام عند محاربتهم في كل قطر من أقطار الأرض برًا وبحرًا ((إلا إحدى الحسنيين)) إما النصر والغنيمة وإما الشهادة والمغفرة وذلك أن المؤمن إذا ذهب إلى الغزو والجهاد في سبيل الله/ إما أن يظفر بالنصر والغنيمة والأجر العظيم في الأخرة وإما أن يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى في الربح أبد الأبدين ودهر الداهرين ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي «صلى الله عليه وسلم» قال: «تكفل الله» وفي رواية: «تضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه إلا جهادًا في سبيلي وإيمانًا بي وتصديقًا برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى سكنه الذي خرج منه نائلًا ما ناله من أجر أو غنيمة» [2] رواه البخاري ومسلم.

((وكلتاهما في الحسن غاية)) وأي حسن بعد النصر والغنيمة والأجر أن ظفرنا بأعداء الله ورسوله وهزمناهم وقتلنا وأسرنا من أسرنا من الثواب الجليل والأجر الجزيل فإن هذا غاية في الحسن، كما أننا إن متنا في قتالهم شاهدنا الجنة تحت ظلال سيوفهم ولله الحمد على هذه النعمة التي هي أيضًا غاية الحسن.

وأكثر العقلاء يفضلون هذه على الأولى لما أعد الله للشهداء من النعيم الأبدي والسعادة العظمى التي بها صح عطفهم على الصديقين بعد الأنبياء قال تعالى:﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾[3] وكفى بهذا شرفًا وحسنى وقد قال فيهم تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ﴾ [4] ولا شك أن الشهداء

---

[1] ينظر: «العين» للخليل بن أحمد (5/ 357).

[2] أخرجه البخاري (3123) ومسلم (1876).

[3] الاية رقم 69 من سورة النساء.

[4] الايتين 169 و170 من سورة ال عمران.

أحياء في الجنة وهو معنى ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، أي في جنة ربهم يرزقون من مشتهي الجنات مثل ما ترزق الأحياء في الدنيا.

وهذه الآية نزلت في قتلى بدر[1] لما قال الناس في حق من قتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عن نعيم الدنيا ولذاتها فكره سبحانه أن يحط منزلتهم فأنزل هذه الآية.

قال العلامة الجزولي[2]: «حياة الشهداء حياة غير مكيفة ولا معقولة للبشر، يجب الإيمان بها على ما جاء به ظاهر الشرع وجمهور العلماء على أنهم في الجنة ويؤيده قول النبي «صلى الله عليه وسلم» لأم حارثة: «إنه في الفردوس» [3].

وفي أسباب النزول للواحدي: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» للصحابة رضي الله عنهم لما أصيب إخوانهم بأحد: «جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طيور خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا أطيب مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُلُوا فِي الْحَرْبِ؟ فقال الله: أنا أبلغهم عنكم. فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ الآية» [4].

وظاهر الآية الشريفة: أن المتصف بالحياة أجساد الشهداء وهذا وإن قال به الجمهور فقد حكى بعضهم الأجماع على أن أجسادهم الحقيقية لا تعود إليها الحياة على ما كان

---

[1] ينظر الى: الأزدي أبو داود سليمان بن السِّجِسْتاني: سنن أبي داود،د ط، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (2520) وصححه الحاكم (2444)، بلفظ: (لما أصيب أخوانكم في أحد) وليس بدر.

[2] هو العلامة احمد بن محمد بن يوسف الجزولي ولد بالمغرب الاقصى سنة 1057هـ كان على المذهب المالكي كان فقيها له مؤلفات عديدة منها: «قرى العجلان في إجازة بعض الأحبة والإخوان» للمزيد ينظر الى: الزركلي: الاعلام، مصدر سابق، ص ص240–241.

[3] أخرجه البخاري(2809).

[4] ينظر: النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (1/ 95).

«عليه في الدنيا فإنها وإن كانت حياة لا تمنع إطلاق اسم الميت «عليه هي حياة لكنها غير معقولة للبشر.

والمراد بالشهداء[1]: شهداء الحرب الذين ماتوا فيه مقاتلين، لإعلاء كلمة الله تعالى من غير ارتكاب موثم لأنهم المجاهدون شرعًا.

وقال بعض العارفينيلحق بهم من قاتل لغرض دنيوي ذاهبا إلى إرادة الغنيمة أو الوقوع في معصية لا ينافي حصول الشهادة نعم اختار جمع التفصيل بين القصد الأخروي فيؤجر بقدره وبين القصد الدنيوي فلا يؤجر كما إذا قصدا معًا وألحق القرطبي[2] بالمجاهد كل مقتول على الحق، قال النووي[3]: وهذا الفضل يعني الأجر وإن كان الظاهر أنه في قتال الكفار فيدخل فيه من جرح في قتال البغاة وقطاع الطريق وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

((ونحن نتربص بهم)) أي نتروى ونرجو أو ننتظر إحدى المسرتين لنا فيهم وهما سوءتان «عليهم إحداهما، ((أن تصيبهم يا مولانا بعذاب من عندك)) أي من قبلك تباشرهم بيد بطشك الشديد مباشرة لا واسطة فيها، إما بإرسال صاعقة «عليهم أو صيحة تحل بهم مثل ما فعلت بمن كفر بك قبلهم من الأمم الخالية، ((أو)) تصيبهم ((بأيدينا)) أي بأيدي المؤمنين بأن تظفرنا بهم وتظهرنا «عليهم، فتحل بهم دائرة السوء. ((نكالًا)) مصدر نكل كضرب وكعلم يقال: نكل به فعل به ما يحذر به غيره، ((ونكاية مصدر نكى

---

[1] ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، (2/ 494).

[2] هو العلامة ابو عبد الله محمد بن محمد ولد القرطبي المولد والاندلسي كان من ابرز علماء عصره لكثرة علمه ومؤلفاته في الفقه والتفسير وغيرها من العلوم توفي سنة 671هـ بمصر ودفن بها. للمزيد ينظر الى: الزركلي: الاعلام، مصدر سابق، (6 /217)

[3] هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حُسَيْن بن حزَام ابْن مُحَمَّد بن جُمُعَة النَّوَوِيّ الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة محيي الدّين أَبُو زَكَرِيَّا شيخ الْإِسْلَام أستاذ الْمُتَأَخِّرين وَحجَّة الله على اللاحقين والداعي إِلَى سَبِيل السالفين، من مؤلفاته: «المنهاج في شرح مسلم» توفي سنة 676هـ.ينظر: السبكي تاج الدين عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى، الطبعة الثانية، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ، (8/ 395).

الرجل عدوه إذا أغاظه بقتل أو جرح، لتبلغ النفس فيها والمعنى أن إصابتهم بعذاب يأتيهم من قبل الله بلا واسطة تكون فيهم نكالًا وإن وقعت إصابتهم به من الله على أيدينا تكون نكاية لوصول النفوس منا إلى بعض الحظ في الدنيا وإن كان حظ الأخرة أعظم وفيه الجناس المحرف وهو نوع من البديع معلوم وفي قولنا لا يتربص بنا إلا إحدى الحسنيين اقتباس حسن وفي قولنا ونحن نتربص بهم الخ تلميح وليس باقتباس لما فيه من قلب الضمائر والحشو وليس فيه رواية القرآن بالمعنى لإجماع على تحريمه تأمل منصفًا،

الشهادة :

((ونشهد)) نطقًا واعتقادًا يجزم مطابق عن دليل صادق يقينًا، ((أن لا إله)) معبود بحق ((إلا أنت الله الواحد)) في الذات والصفات والأفعال، لأنه تعالى لو جاز أن يكون له شبيه لزم أن يجوز «عليه ما جاز على نظيره ولزم أن يكون خالقًا ومخلوقًا قديمًا وحادثًا وكل ذلك محال، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، فأول هذه الآية تنزيه وفيها الرد على المجسمة من إليهود وأضرابهم وآخرها إثبات وفيه الرد عل المعطلة من الإباضية وأضرابهم من المعتزلة النافين لجميع الصفات.

وقدم سبحانه فيها النفي على الإثبات وإن كان المدلول العكس في أماكن كثيرة، لأنه لو قدم الإثبات فيها لأوهم التشبيه بالمخلوق الذي سمعه بأذن وبصره بحدقه فقدم التنزيه ليعلم، بل يعرف السَّامع ابتداء أنه ليس مشابهًا الشيء من الحوادث وهذه الآية دليل قاطع على مخالفته تعالى لجميع الحوادث وهي أقمع آية للشيطان عند تعرضه للإنسان في مقام البحث عن ذات الله تعالى أو صفاته.

والواحد هو الذي لا ثاني له في العدد والأحد هو المعبود لذاته، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وقال جل جلاله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] وكل

---

[1] الاية رقم 11 من سورة الشورى.

[2] الاية رقم 1 من سورة الاخلاص.

كتاب أنزله الله أخبر فيه بوحدانيته واحديته إلا الإنجيل الصائر إليوم أربعة أناجيل باعتبار مفسريه، فإنه ليس فيه إلا الواحد وتكراره فيه كتكرار اسم الجلالة في القرآن ومع ذلك عميت بصائرهم، بإفراط حبهم في المسيح «عليه السَّلام عن مدلول هذا الاسم الشريف الكثير الذكر في الإنجيل وقالوا في الله ما قالوا –تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا–.

المطعم لمن يحتاج الغذاء من مخلوقاته الصّمد الغني عن الطعام، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾[1] وقيل: هو الذي تصمد إليه الخلائق. أي ترجع إليه الخلائق ويقصد في الحوائج ويتوجه إليها بها ورجح هذا القول ابن عطية[2] في تفسيره[3] وعليه فهو فعَل بفتح العين بمعنى مفعول كما قاله جار الله الزمخشري[4]–سامحه الله– وجاء في الحديث: «الصمد من لم يلد ولم يولد» .[5]

((المنزه)) أي المقدس والمبرأ ((عن الوالد)) يشمل الأب والأم، ((و)) عن ((الصاحبة)) هي الزوجة المفتقر إليها بعض المخلوقين من العباد وأما بعضهم فمستغن عنها كالملائكة الكرام وإن كانوا لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة والواجب الموجود أحق بالاستغناء عنها ووجوب اتصافه بالألوهية الحقية يوجب استغناءه عن كل سواه ضرورة.

---

[1] الاية رقم 14 من سورة الانعام.

[2] هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، مصدر سابق، (11/ 787).

[3] ينظر الى: ابن عطية ابو محمد عبد الحق الأندلسي المحاربي: تفسير ابن عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422 هـ، (5/ 536).

[4] هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري لانه ولد ببلاد زمخشر سنة 467ه لقب بجار الله العلامة، كبير المعتزلة زكان متفننا في علوم شتى كالفقه والاصول واللغة والادب وحتى الشعر. للمزيد ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، (20/ 151).

[5] رواه الترمذي (21219) وصححه الحاكم في المستدرك (3987).

((والولد)) قال تعإلى: «وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا» [1] وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾[2]، فكما لم ينفصل سبحانه وتعالى عن أحد لم ينفصل عنه أحد وسورة الإخلاص نفت جميع النقائص، حتى نفت أصل الكفر من العدد والنقص الذي هو الاحتياج والتقليل بالذات الذي هو البساطة والعلة والمعلول والشبيه والنظير وإن كانا شيئًا واحدًا، لأن قول ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ نفي الكثرة بمعنى التركيب والكثرة بمعنى العدد و﴿ٱلصَّمَدُ﴾ نفي النقص الذي هو الاحتياج والتقليل الذي هو البساطة، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ نفي المعلول ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفي العلة ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ نفي الشبيه والنظير.

وإنما وجب تنزهه تعالى عن هذه المذكورات، كما يتنزه عن الصديق والوزير والمعين لأنها من لوازم المخلوقات وهو تعالى منزه عن مشابهة المخلوقات وسئل سيدنا أحمد بن زكريا[3] عن المؤمنين إذا رأوا ربهم يوم القيامة وحجبوا عنه: هل يتخيلونه بعد ذلك؟

فأجاب بعدم جواز التخيل، لأن ما في الخيال مثل والله تعالى منزه عن أن يكون له مثل، أو يدرك بالوهم أو الخيال.

هذا ما تقتضيه ظواهر النصوص خلافًا لبحث بعض الشيوخ، فإن قلتَ: التنزيه عن المثل يقتضي نفي المثل له تعالى وهو معارض لقوله تعالى: ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [4].

قلتُ: المثل المثبت له تعالى غير المثل المنفي عنه، فإن المثل المنفي عنه بمعنى المماثل والمقيس «عليه والمثبت بمعنى الصفة، بدليل قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ

---

[1] الاية رقم 92 من سورة مريم.

[2] الاية رقم 91 من سورة المؤمنين.

[3] لم نعرف من يقصد.

[4] الاية رقم 27 من سورة الروم.

مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾[1] أي: لهم صفة النقص وهي الحاجة إلى الولد وبدليل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ[ص/30ب] ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي الوصف وهو الوجوب الذاتي والغناء المطلق والوجود الباقي والنزاهة عن صفات المخلوقين، فتبارك الله رب العالمين قاله السنوسي[2] في شرح الجزائرية[3].

ولما كانت صورة الإخلاص نافية لجميع النقائص وكان ما في المتن كالتفسير لها وإنما خبر الواجب الوجود والصدق جل جلاله قلنا ((تصديقًا للقرآن))[4] وزنه «فعلان» كعثمان، بمعنى مفعول من قرأت الشي قرآنًا جمعته ومن قرأت الكتاب قرأة وقرآنًا تلوته، لأنه مجموع ومتلوٌ.

كلام الله المنزه:

وحقيقة عند الفقهاء والقراء والأصوليين والعامة: اللفظ المنزل على سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» للإعجاز بأقصر صورة منه، المتعبد بتلاوته، المحتج بأبعاضه.

فخرج بقيد (اللفظ المنزل) الأحاديث غير القدسية، فإن الحق أن النازل فيها المعنى دون اللَّفظ وبقيد (على سيدنا محمد) التوراة، فإنها أنزلت على موسى «عليه السلام والزبور فإنه أنزل على داود «عليه السلام والإنجيل فإنه أنزل على عيسى «عليه السلام.

وبقيد (الإعجاز) الذي هو إظهار صدق النبي «صلى الله عليه وسلم» في دعواه الرسالة مجازًا، عن إظهار عجز المرسل إليهم عن معارضته الأحاديث الربانية ويقال لها

---

[1] الاية رقم 60 من سورة النحل.

[2] هو الامام العلامة ابو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي ولد بالمغرب الاقصى من اشهر علماء عصره كان موسوع العلم والف مؤلفات كثيرد في شتى العلوم منها: العقيدة الكبرى والوسطى والصغرى والشرح الكبير على الحوفية توفي سنة 895هـ.للمزيد ينظر الى:): التنبكتي احمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط1، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1989م، ص563.

[3] قام الشيخ محمد بن يوسف السنوسي بتإلبف شرح على المنظومة الجزائرية التي الفها الشيخ عبد الله الزواوي الجزائري وسماها المنهج السديد في شرح كفاية المريد. ينظر الى: السنوسي محمد بن يوسف: المنهج السديد في شرح كفاية المريد، تح: مصطفى مرزوقي، ط1، دار الهدى، الجزائر، 1994م.

[4] ينظر: الزبيدي: تاج العروس، مصدر سابق، (1/ 370).

القدسية كحديث: «أنا عند ظن عبدي في إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر»[1] فإنها نزلت للعمل والاحتجاج بمعانيها لا للإعجاز.

والاقتصار عن الإعجاز، مع أن القرآن أنزل لغيره لأنه المحتاج إليه في التعجيز ومعني كون هذا اللفظ كلام الله مع أنه محدث ومخلوق، أن الله تعالى تولى تإلىفه وجبريل رتب سوره كما ورد والنبي «صلى الله عليه وسلم» رتب الآيات، فترتيب سوره وآياته توقيفي.

والذي جمعه هو زيد بن ثابت بلا خلاف وذلك لأنه كان متفرقًا في صدور الرجال في زمان النبي «صلى الله عليه وسلم» ولم يجمعه من الصحابة سوى زيد بن ثابت وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وكتبه الناس في رفوف وصحف وجريد وخزف وأقتاب[2] وخفاف ورقاع وغير ذلك.

ولما وقع القتل في أهل إلىمامة زمن أبي بكر مع مسيلمة الكذاب وقتل من حملة القرآن في تلك الواقعة خلق كثير فأمر أبو بكر وعمر زيد ابن ثابت أن يتتبع القرآن ويجمعه، فقال زيد: «والله لو كلفاني بنقل جبل لكان أهون على مما أمراني به» [3] فجمع القرآن رضي الله عنه، أمر ووضعه أبو بكر رضي الله عنه في بيت حفصة حتى استخلف عثمان فكتب منه نسخًا وبعث بها إلى الأمصار.

---

[1] رواه أحمد (9076) وصححه ابن حبان (639).

[2] الأقتاب: هي الأمعاء واحدها قتب وتصغيرها قتيبة. ينظر: ابو الحسين ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، (59/5).

[3] أخرجه البخاري (4986).

والأقطار القراء من الصَّحابة سبعة رضى الله عنهم أجمعين: عثمان بن عفان وعلى ابن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبو هريرة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وكلهم أخذوا القرآن عن النبي «صلى الله عليه وسلم» واقرأهم أبي ابن كعب[1].

والمفسرون للقرآن خمسة: على ابن أبي طالب وعبد الله ابن مسعود وعبد الله ابن عباس وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأعلمهم بالتفسير عبد الله بن عباس والجميع أخذوا التفسير عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» .

وكلام الله متحد وإنما اختلفت أسماؤه باختلاف لغات المنزل «عليهم، فالنازل على سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» عبر عنه بلغات العرب، فيسمى قرآنا وفرقانًا[2] وذكرًا وفي التوراة عبر عنه بِدَابَارْاَمِيتْ بمهلة وموحدة مفتوحين بإشباع، فراء ساكنة، فهمزة وميم مكسورتين بإشباع، ففوقية ساكنة، معناه كلام الحق.

وكذلك اسم الفرقان في الزبور والإنجيل الأصلي، لأن الكتب الثلاثة باللسان العبراني، لأن موسى وداود وعيسى الثلاثة أنبياء بنى إسرائيل وما أرسلوا إلا بلسان قومهم كعادة الله في رسله.

الزبور كتاب الله:

وأما الزبور فمعناه المكتوب وهو لسان عربي، أعني لفظه زبور اسْمه بالعبرانية مزمور وهو مائة وخمسون سورة، ذكر فيه نبينا «صلى الله عليه وسلم» في ثلاثة وعشرين سورة منه، فتارة يذكره ببعض صفاته وتارة يذكر العرب ويقول: أحبهم لما يين أيديهم. يعني محمدًا «صلى الله عليه وسلم» أنه سيأتي وتارة يقول: يا أولاد إسماعيل، إذا بسطت أيديكم فلا تخربوا بيت العبادة –يعني بيت المقدس–، فاسمعوا قول كبيركم –يعني محمد

---

[1] هو ابي بن كعب الانصاري من بني معاوية توفي سنة 30 هـ وقد كان قارئ وكاتبا للقران العظيم و شهد بيعة العقبة الثانية، للمزيد ينظر الى الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (1/ 430).

[2] ينظر: ابن قتيبة: غريب الحديث، مصدر سابق، (1/ 241).

«صلى الله عليه وسلم» -. إلى غير ذلك من العبارات الدالة على بعثة نبينا محمد صلى الله على سيدنا وسلم.

وأما المزمور الثاني والسبعين فإنه كله ما تكلم فيه بشيء سوى الدعاء بالنصر والظفر لنبينا «عليه الصلاة والسلام وما غادر من شمائله الكريمة صفة لا يشاركه فيها غيره إلا ذكرها وأول هذا المزمور ما معناه: قل اللهم أنزل رحمتك ورضوانك على الملك ابن الملك، الذي لا يظلم المحي لما مات من ملة أبينا وأبيه إبراهيم، الذي يستفتح له ما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ويقيم شرائعك ويأمر بأمرك وينهي بنهيك الذي قدسته علىنا عندك وكلفت الركبان يحملون إليه الهدايا ويزورنه كل عام من صيق المشرق وطرشيش المغرب،وبلاد السودان[1] حتي تهدم الدنيا وأورثت أصحابه الأرض من بعدهم، تتصرهم حيث توجهوا الخ.

المزمور كله فيه «عليه الصَّلاة والسَّلام ومن رام الوقف على ما قلنا فليدع قارئًا من إليهود ويأمره بقرأة المزمور الثاني والسبعين ويطلب منه تفسير المفردات كلمة كلمة، يجد ما ذكرناه بحول الله.

وإليهود -قاتلهم الله- يقولون: دعاء داود في هذا المزمور لولده سليمان. هذا رأى يهود الشَّام ومصر والمغرب وحجتهم أن محمد «صلى الله عليه وسلم» لم يكن ملكًا ولا ابن ملك.

قلنا: لم يثبت عندنا أن سليمان «عليه السلام أحيا ما مات من ملة إبراهيم ولو كان مراد أبيه ايَّاه ما احتاج أن يقول: ملة أبينا وأبيه. والحال أنه ولده، فتكون لفظة أبينا صادقة «عليهما ولا معنى لزيادة (وأبيه) إلا إذا كان غير ولده ومن فخذ غير فخذه كما هو الحق ولو كان المراد ابنه ما قال: قدسته علىنا معلوم أن داود أفضل من ولده.

---

[1] ينظر الى: المنجم اسحاق بن الحسين: آكام المرجان فى ذكر المدائن المشهورة فى كل مكان، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1408 هـ، ص: 103.

وقوله: (كلفت الركبان يحملون إليه الهدايا ويزورونه كل عام من يمين المشرق وطرشيش المغرب وبلاد السودان حتى تهدم الدنيا): شهادة لنبينا «صلى الله عليه وسلم» لم يمكن ردها عقلا، لأنه لا نبي كلف الله الركبان بزيارته كل عام على هذه الصورة غيره «صلى الله عليه وسلم» .

وقوله: (وأورثت أصحابه الأرض من بعده تنصرهم حيث توجهوا): شاهد لنبينا «صلى الله عليه وسلم»، لأن سليمان لم يكن لأصحابه هذا الوصف وإلى هذه الجملة الإشارة بقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

وقوله: (طرشيش): بالطاء المهملة يعني إفريقية[2]، كان أسمها في القديم، طرشيش واليهود يفسرونه بها.

وقوله: (حتى تهرم -بالراء المهملة- الدنيا): يشير إلى آخر الزمان.

وأما الثامرية منهم وهم يهود سنانيك بالعجم ويهود العراق المشرقي يفسرونه بالمسيح بن داوود، الذي هو في الحقيقة المسيح ابن مريم ويعتقدون أنه سيأتي ويكون لهم به شأن ويموت وتزوره الركبان وقد جهلوا أنه جاء وكذبه آباؤهم وهموا بقتله ورُفع وكلتا الطائفتين منهم في ضلال مبين.

وبما قررناه تعلم أن قول النفراوي في شرح الرسالة: فالنازل على محمد عبر عنه بالقرآن والفرقان بلغة والذكر والنازل على موسى عبر عنه بالتوراة بلغته. صحيح.

وأما قوله: والنازل على داود عبر عنه بالزبور بلغته والنازل على عيسى عبر عنه بالإنجيل بلغته. غير صحيح، لأن الزبور اسمه المزمور بلغة داود وقومه ومعناه المنشد

---

[1] الاية رقم 105 من سورة الانبياء.

[2] ينظر الى: البكري ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي: المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 م، (2/ 671).

برفع صوت، لأن داود كان ينشده على رؤوس الجبال ولما تهودت طائفة من العرب سموه زبورًا بمعنى مكتوب.

وأطلق هذا الاسم «عليه عند العرب حتى نزل به القرآن والإنجيل ما ءامن به إليهود ولا ظهر له اسم عندهم حتى أخرج النصارى منهم نسخًا أربعًا، فسموه أَنْشِلُ بفتح الهمزة مشبعة، فنون ساكنة مجرو بين ثلثي شين وثلثه جيم مكسور فلام مضمومة، معناه بلغتهم اللَّطين النسخة.

ولما تنصرت طائفة من العرب كرهوا النطق بذلك الحرف المبعض، فحضوا الشين جيمًا وأشبعوها وتركوا المد لا يصار الاستفهام وكسر الهمزة تخفيفًا فتعرب وقالوا: إنجيل. فنزل القرآن بذلك.

وكلام النفراوي[1] يقتضي أن بني إسرائيل سموا الزبور بلغتهم العبرانية وأنهم يسمون ما أنزل على عيسى إنجيلًا بلغتهم وليس كذلك فإن الحق ما ذكرناه.

واعلم أن السبب في تعدد الأناجيل وهو في الحقيقة كتاب واحد، هو أنه لما قتل إليهود الذي شبه لهم وشاع الخبر بذلك، فرت أمه مريم «عليهما السلام ودخلت البيداء حتى قبضت فيها بعد ستة أشهر وفر أصحاب عيسى خوفًا على أنفسهم من شر إليهود واتفقوا لو قابز العيزار ويوحنا بن الليوي واشتياع خالة عيسى وهي زوجة زكريا وأم يحيى «عليهما السلام ومتَّى ابن إبراهيم ومارقوش بن فرايم ويعقوب بن خلفه وشمعون القباب والسبعة حواريون ركبوا البحر فدخلوا جزيرة قبرس.

قال أهلها: إنا لا نقدر أن نجيركم ونحن كما تعلمون محتاجون إلى أرض الشام وأنكم إن أقمتم عندنا وطلبكم إليهود بعثناكم إليهم بلا شك ولكن ها موكب لأهل رومة عندنا على جناح سفر، فاركبوا فيها واذهبوا قبل أن نكلف بكم. فركبوا فيه ونزلوا رومه، فاجتمع

---

[1] هوشهاب الدين احمد بن غانم ولد بمصر سنة1044هـ كان على المذهب المالكي وله مؤلفات عدة منها: «الفواكه الدواني على رسالة ابي زيد القيرواني» و» رسالة في التعلق على البسملة «توفي بمصر سنة 1126هـ ودفن بها. للمزيد ينظر الى: الزركلي: الاعلام، مصدر سابق، (1/ 465).

بهم أعيانها يسألونهم، قالوا: نحن من أصحاب المسيح وقد قتله إليهود فخشينا أن يلحقونا به.

قالوا: ما ذنبه وما كان فاعلًا؟ فأخبروهم أنه لا ذنب له وإنما جاء من خالق الدنيا يأمر بطاعة الوالدين وبالصدق وبالحياء وبذكر الله وبصلة الرحم وينهي عن الكذب والفاحشة والظلم إلى غير ذلك.

قال: النصر من نحق سمعنا به وبالكرامات التي برزت على يديه وبالمكائدة التي أنزلت «عليه، فلو كان فينا لأكرمناه وصدقناه وهل شرع لكم دينًا؟

قالوا: ها هو الكتاب الذي أنزل «عليه. فنظر النصري فإذا هو عبراني قلمًا ولغة.

قالوا: سنكتب ما فيه بلغتنا لنعمل به. فأملا «عليهم لوقا نسخة وأملا يوحنا أخرى وأملا مارقوش ثالثة وأملى متى رابعة، فكانت الأناجيل أربعة وكلها بلغة النصاري ذلك الوقت وهي المعروفة عندهم باللتيني بالتاء ووضع الطاء مكانها تحريف.

وهذه الأناجيل الأربعة تفاسير كما عرفت وأحسنها عند النصري إنجيل لوقا، لأنه أفصح في العبارة.

ومن النصاري رجل يعرف بسانجوان، كان كثير المبرة بخالة المسيح وهي إشتياع المذكورة وبالحواريين السبعة، فسأل يومًا عنه: ما نسبته من خالق الدنيا؟ يريد أهو خادم له أو عبده أو خليفته أو رسوله أو شريكه، فأجيب أنه ابنه، يعني عزيز «عليه، لجواز إطلاق هذا الاسم عند إليهود على مطلق يهودي، لقول الله تعالى في التوراة: ميبانيم معباة يا ولادي يا عبادي. ومن ثم معناه قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. ففهم هذا الغبي الأحمق سانجوان البنوة الحقيقية وكتب ذلك وأذاعه واعتمده من بعده وتنطعوا في الكفر إلى أن وصلوا غايته، نسأل الله تعالى العافية.

ثم ماتت اشتياع فدفنت هناك وجعلوا «عليها بناء عظيمًا ومات لوقا فدفن إلى جنبها وصارت هذه التربة عندهم منسكًا من مناسك دينهم وسموها ألبابه بموحدتين مفتوحتين مفخمتين، أولاهما مشبعة والثانية مثقلة.

وإذا علمت هذا عرفت أهل دين النصارى وأنهم بعيدون من المسيح ابن مريم دنيا وأخرى وما أطلنا الكلام هنا إلا لعظيم فائدة ما سمح بها أحد قبلنا فيما نظن وقد أطلعنا الله بفضله على كتب المتقدمين فعرفنا جمع ما فيها ورأينا نبينا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فيها أشهر من الشمس، فازددنا بذلك إيمانًا ولله الحمد والشكر.

ولنرجع إلى السيف القاطع والنور الساطع والحصن المحرز، النظم المعجز، الموصوف بالخبر والأمر والنهي وغير ذلك من الوعد والوعيد ونحومها، لأنه وإن كان صفة قائمة بذاته تعالى إن تعلقت، فطلب فعل المكلف تكون من تلك الجهة أمرًا وإن تعلقت بترك فعله تكون نهيًا وإن تعلقت بالإعلام تكون خبرًا وهكذا.

فكلامه تعالى صفة واحده لها تعلقات وقد اختلف في كيفية وصوله إلى جبريل ومنه له «صلى الله عليه وسلم» في الأرض، فقال ابن العربي: إن جبريل «عليه السلام فهم الكلام في العلو وأداه إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في الأرض. وقيل: إن جبريل «عليه السلام نقل ذلك من اللوح المحفوظ، نزل به على النبي «صلى الله عليه وسلم» .

وقيل: إن الملائكة المكرمين التقته من رب العالمين في ليلة واحدة ولقنته لجبريل في عشرين لية ولقنه جبريل للنبي «صلى الله عليه وسلم» في عشرين سنة على قدر الحاجة إليه بما سبق في علم الله وهي النجوم التي أقسم الله بها.

ألفاظ القران الكريم:

وهذا كله بناء على أنه نزل بلفظه وأما على أنه نزل بالمعنى فقيل: إن جبريل عبر عنه للنبي «صلى الله عليه وسلم» باللفظ الخاص.

وقيل: ألقى جبريل المعنى على قلب النبي «صلى الله عليه وسلم» والنبي «صلى الله عليه وسلم» عبر. فتلخص أن النازل فيه خلاف على قولين: قيل: اللفظ بنفسه. وقيل: المعنى. وعلى الثاني اختلف في المعبر هل جبريل أو النبي «عليهما الصلاة والسلام؟ ولا

يجوز أن يقال: القرآن مخلوق. مرادًا به اللفظ المنزل على محمد «صلى الله عليه وسلم» باتفاق السلف وقيده بعضهم بغير مقام البيان والتعلم وهذا بخلاف قولي أو نطقي بالقرآن مخلوق، فذهب البخاري جوازه المتأخرين وهو الراجح.

وقال العلامة القرافي[1]: اعلم أن أكثر الناس علماء الأصول في زماننا يعتقدون أن ألفاظ القرآن محدثة ومدلولها قديم مطلقًا وليس كذلك، بل الجواز في مدلولها تفصيلًا وهو أن مدلول ألفاظ القرآن قسمان:

مفرد: وهو قسمان أيضًا: 1- ما يرجع إلى ذات الباري سبحانه وصفاته كمدلول الله والسميع البصير، فهذا قديم. 2- وما لم يرجع إلى ذات الباري ولا إلى صفاته، فهو محدث كمدلول فرعون وهامان والسموات والأرضين والجبال.

وإسنادات: وهي قسمان أيضًا: حكايات وإنشاءات.

فالإسنادات: التي هي إنشاءات كلها قديمة، سواء كانت مدلولة للفظ الخبر وللفظ الأمر أو النهي، إذ هي قائمة بذاته وهي في نفسها صفه واحدة ترجع الى الكلام وتعددهما إنما هو بحسب تعلقاتها.

والمدلولات: التي هي حكايات قسمان: حكاية عن الله وحكاية عن غيره، فالأولى نحو -قوله تعالى- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[2] فالحكاية والمحكي في هذا قديمان، أي الإسناد الواقع فيهما قديم، لأنها خبر الله عن المحكي وأما المحكي فهو محدث أي الإسناد الواقع فيه محدث، فإنه إسناد محدث وإسناد المحدث محدث، بخلاف الإسناد في الأول فإنه وقع من الله تعالى فهو قديم، فبان لك بهذا أن ألفاظ القرآن محدثة وأما مدلولاتها ففيها تفصيل.

---

[1] هو الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصِّنْهَاجيّ البهشيمي، المعروف بالقرافي المالكي، ينظر: الحاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصدر سابق، (1/ 124).

[2] الاية رقم 34 من سورة البقرة.

القرآن عند المعتزلة:

تنبيه: تعرف منه ضلال المعتزلة القائلين بخلق القرآن ومنهم في مغربنا إباضية جربة وبني مزاب مستدلين على حدوثه بأمرين:

إحداهما: أنه علم بالضرورة حتى للصبيان والعوام أن القرآن هو اللفظ المنزل على محمد «صلى الله عليه وسلم»، المنتظم من الحروف المسموعة، المفتتح بالتحميد، المختوم بالاستعاذة وعليه انعقد إجماع السلف والخلف ولا شك في أن هذا حادث ومخلوق.

والأمر الثاني: أنه قد اشتهر وصفه بخواص، كالبلاغة والفصاحة والتقدم والتأخر وهذا أيضًا من عوارض الحوادث.

وأجاب أهل السنة عن هذا وعن الذي قبله بأن كل ما دل على الحدوث كالذي احتجوا به يجب حمله على اللفظ الدال على المعنى القائم بالنفس، المحكوم «عليه عندنا أنه قديم.

وحاصل النزاع بيننا وبينهم في إثبات الكلام النفسي ونفيه وأهل السنة تثبته والمعتزلة تنفيه.

أما دليلنا أهل السنة أن لا معنى للمتكلم إلا أن يكون متصفًا بالكلام واللفظ محال على القديم فتعين الكلام النفسي وأما المعتزلة لما لم يمكنهم إنكار كونه تعالى متكلمًا ذهبوا إلى أن معنى كونه متكلمًا أنه موجود للحروف والأصوات في غيره وهذا باطل، لأن المتكلم هو الذي قام به وصف الكلام لا من أوجده في غيره، كما أن القائم من قام به وصف القيام لا كم وجده في غيره ضرورة.

فائدة: من المعلوم أن سور القرآن مائة وأربعة عشر سورة وأما المفصل قصاره فتسعة وستون على الصحيح والفاتحة منه وآيته سبعة آلاف ومائتان وستة عشرة آية، منها ثلاث آلاف وتسعة عشرة آية مكية وأربع آلاف ومائة وسبع وتسعين آية مدنية وأما كلماته فقد

قال عطاء[1]: اثنان وعشرون ألفًا وستمائة وثمانون كلمة وهي عدد أيام حياة رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، من ضرب ثلاث وستين في اثني عشر ثم الخارج في ثلاثين وأما حروفه فألفا ألف وخمسمائة ألف وعشرون ألفًا وهي عدد أم الدنيا كلها، من ضرب سبعة آلاف في اثنتي عشر ثم الخارج في ثلاثين.

وروى الطبراني[2] في الأوسط عن ابن عمر القزان ألفا ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابرًا محتسبًا كان له بكل حرف زوجه من الحور العين[3].

ونصفه من الأحزاب بين ﴿نُّكۡرًا﴾ و ﴿قَالَ﴾ في الكهف ومن ﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ ﴿وَٱلۡجُلُودُ﴾ في الحج ومن {الآيات يأفكون} في الشعراء ومن السور ختام الحديد وهو اللغز الذي يقال ما شيء نصفه عشرة.

((المعجز)) ببلاغته وفصاحته والفرق بينهما أن البلاغة خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة يقال كلام فصيح ومتكلم فصيح وكلمة فصيحة وفصحاء.

والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بأن يدل على ما يقتضيه حال المتكلم أو المخاطب أو المحكي، من تنكير أو إطلاق أو تقديم، أو إضمارًا أو إيجازًا وفصل وضع كل ويوصف به ما عدى الكلمة فيقال: كلام بليغ ومتكلم بليغ. ولا يقال كلمة بليغة.

---

[1] هو عطاء بن أبى رباح: أسلم، القرشى الفهرى أو الجمحى، مولاهم، أبو محمد المكى، ينظر: العسقلاني ابن حجر: تهذيب التهذيب، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، هند، 1336هـ، (202/7).

[2] هوابو القاسم بن احمد ولد بمدينة عكا بفلسطين سنة 260هـ كان محدثا وحافظا لكتاب الله واشتهر بعمله بالتفسير والفقه من ابرز مؤلفاته تفسيره المسمى «تفسير الطبري» . للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (16/ 130).

[3] ينظر: الطبراني- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- في «المعجم الأوسط»، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، (6616) وقال: لا يروى هذا الحديث عن عمر رضي الله عنه إلا بهذا الإسناد، تفرد به حفص بن ميسرة «.

وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على إيراد الكلام البليغ، غير محتاج إلى تعقب أو استدراك وإيراد بقولنا: المعجز. تبعًا للأئمة والفصحاء البلغاء والشعراء من قريش وغيرهم والمتقدمين في السن والرؤساء في قوانين المعاني والبديع والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة والشجعان في مهام البلاغة أظهر وأعوار عجزهم عن المعارضة وتمنا عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، لأن قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وإن تعاطوه فقليل.

في ذكر قريش:

وقريش كان أعلى إربهم ومنتهي طلبهم التفنن في أفنية الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في أعاجيب الخطابة وأسإلبب البراعة، فدل عجزهم عنه مع ذلك على أنه إنما هو لكونه من أعلام نبوءته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة، إذ محال أن يلبثوا ثلاثًا وعشرين سنة عن السكوت عن معارضة آية منه، المستلزم لنقض أمره وتعريف أتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم «عليها وطلب منها المعارضة وقتل أكابرهم وسبى ذراريهم وهو لا يزداد إلا تقريعًا لهم بعجزهم حتى يكشف من بعضهم ما كان مستورًا وقال لهم: إن زعمتم أني افتريته لعلمي بأخبار الأمم فاتوا بمفتري مثله. فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر بنصيب ولم يوجد ذلك مع أن كثيرًا منهم هجاه وعارض الشعراء من أصحابه وخطباء خلفائه.

وهذا أوضح دليل على عجزهم بالمعجز وتخييرهم وانقطاعهم ومن ثم قال الخطابي[1]: قد كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أعقل خلق الله تعالى وقد قطع القول بأن ما أتى به من عند ربه كل عاقل معجز وأنهم لا يأتون بمثل أقصر سورة منه، فلولا أنه على

[1] هو حمد بْن مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم بْن خطاب، الْإِمَام أَبُو سُلَيْمَان الخطّابي البُسْتي الفقيه الْأديب، مصنف كتاب «معالم السنن» وكتاب «غريب الحديث» وغير ذلك من التصانيف، للمزيد ينظر الى: الذهبي: تاريخ الإسلام، مصدر سابق، (8/ 632).

بينة [ص/36] من ربه واضحة وإلا لم يقطع بشي من ذلك، على أنه لم يزل ينادي «عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ المعترض في مناقضته، فلم يستطع أحد منهم أن يناوبه ولا يرفع رأسه أن يجابه، بل رضيت همهم السوية وأنفسهم الأبية، إذ كانوا أقف شيء وأشده حمية بسفك الدماء وهتك الحرام.

أوجه ودلائل إعجاز القران الكريم وحفظه:

ولذلك قال العلماء: من أعلى وجوه إعجاز القرآن أن فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب، مع أنهم أتوا منهما ما لم يؤته غيرهم، لأنهم كانوا يأتون منهما على البداهة بالأمور الأعجب ويدلون بها إلى كل سبب، فيخطبون بديها عند شدة الخطب ويرتجزون بهما بين الطعن والضرب وينزهلون في أوديتها فيأتون منها بالسحر الحلال وينطقون من دورهما أجمل من سمح اللسان، فلا يشك عاقل أنهما طوع مرادهم وملك قيادهم، فما رغمهم إلا الرسول كريم، بكتاب﴿ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مقالًا وأشهي ما وجدوا في الخطابة والشعر مثلا صارخًا فيهم في كل حين، مقرعًا لهم على رؤوس الخلائق أجمعين، فأتوا بسورة من مثله وإلا فأنتم المردودون إلى أسفل سافلين.

ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه أحلاهم ويحط أعلامهم ويسب آلهتهم ويبيح نفوسهم وأموالهم وهم لا يزدادون إلا تقهرًا عن المعارضة، لم يأتوا بمقال صابرون، على الجلل والقتل والصغار والإذلال ناكصون، عن معارضته محجوبون، عن مماثلته مخادعون أنفسهم بالتشعيب والتكذيب والاعتراف بالافتراء في قولهم ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ و ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ و ﴿ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ و ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم:

-قوله تعالى-: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[1] و-قوله تعالى -﴿فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾[2]

والأول ادعيا مع ظهور غاية العجز «عليهم بقولهم ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ وقد قال لهم تعالى: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [3] فما فعلوا ولا قدروا، إذ لو مكنهم أدنى معارضة لفعلوا وبادوا إليها وأفحموا الخصم، لأنهم كانوا مجتهدين في إطفاء نوره وإخفاء أموره، مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد، بل أسلوا فأيسوا وقطعوا فانقطعوا.

هذا كله الآتي به إليهم مكث بين ظهرانيهم أربعين سنة أميًّا، لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرًا ولا أنشد شعرًا ولا تحفظ خبرًا ولا روى أثرًا، حتى أكرمه الله تعالى بالوحي المنزل والكتاب المفصل المفضل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ [4].

وروى البيهقي وغيره(5) أن عقبة ابن أبي ربيعة قام[6] في جمع قريش إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وهو جالس في المجلس وحده، فعرض «عليه المال وغيره ليكف عما هو «عليه، فقال: «اسمع مني» . وقرأ: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[فصلت/1-2] إلى أن بلغ السجدة، فسمع ما ما أبهره، فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «أنت وذلك» . وقام إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض:

[1] الاية رقم 88 من سورة البقرة.

[2] الاية رقم 5 من سورة فصلت.

[3] الاية رقم 24 من سورة البقرة.

[4] الاية رقم 48 من سورة العنكبوت.

[5] ينظر الى: البيهقي: دلائل النبوة، مصدر سابق، (204/2).

[6] هو عقبة ابن ابي ربيعة الانصاري ولد بمكة المكرمة قبل مجيء الاسلام وكان من وجهائها ومن سادة قريش اسلم عند ظهور الاسلام واصبح من رواة حديث الرسول صلى الله «عليه وسلم. للمزيد ينظر الى: ابن حزم محمد على الاندلسي جمهرة انساب العرب،

لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به. فقالوا: ما وراءك؟ فقال: سمعت قولًا ما سمعت مثله قط، فو الله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة، أطيعوني معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نباء ولما بلغ {فقد أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود} فسكت فمه وناشدته الرحمن أن يكف وقد علمتم أنه إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب.

وروى ابن اسحاق والبيهقي[1] أن الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه أن يقرأ «عليه، فقرأ «عليه: –قوله تعالى –﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[2]، فاستعاده إياها فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلوا ولا يعلى وما يقول هذا بشر وما فيكم أعلم مني بالشعر، فأجمعوا فيه رأيًا قبل ورود وفود العرب في الموسم، لئلا يكذب بعضكم بعضًا. فقالوا: نقول كاهن. فقال: والله ما هو بزمرته ولا بسجعه. قالوا: نقول مجنون. قال: والله ما هو بخفقه ولا بوسوسته. قالوا: نقول شاعر. قال: إني والله لعارف بالشعر كله، رجزه وهجزه وفرضيه وبسيطه ومقبوضه، فما هو بشاعر. قالوا: نقول ساحر. قال: والله ما هو بنفثه ولا بعقده وما أنتم فاعلون من هذا شيئًا إلا وأعلم أنه باطل.

وروى الحاكم[3] أن هذا الشقي لما أرق لقراءة القرآن «عليه جاءه الأشقى أبو جهل وقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا لأنك أتيت محمدًا للمال. قال: لقد علموا أني من أكثرهم مالًا. فقال: قل فيه ما يعلم به قومك أنك كاره له. فقال: ماذا أقول وذكر ما مر من مدح القرآن. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. فقال: عني حتى أفكر. فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر بنقله عن غيره.

---

[1] ينظر الى: البيهقي: دلائل النبوة، مصدر سابق (198/2)،وصححه الحاكم في المستدرك (3918).

[2] الاية رقم 90من سورة النحل.

[3] .ينظر الى: البيهقي: دلائل النبوة، مصدر سابق (198/2).

فتأمل رضى هؤلاء الأشقياء لأنفسهم بالعناء المحض والسفاسف القبيحة ولم يزدادوا الا ضلالًا وعناءً وطغيانًا وفسادًا وما أحسن ما قيل: لو وجد مصحف في فلات من الأرض لشهدت العقول السليمة أنه من عند الله واتحداهم بأقصر سورة منه فعجزوا.

هذا وقد علم مما قررنا تقرر وجوه إعجازه إجمالًا وأما تفصيلها فقد بينها الأئمة بما حاصله أنه ينحصر مقصود إعجازهم في أمورًا أربعة وعدها بعضهم أكثر من ذلك وهو يرجع إلى ما قلنا.

أحدهما: ما فيه من الإيجاز والبلاغة والتراكيب، بحيث وصل في كل منها وفي مراتب البلاغة فيها المرتبة العليا لفظًا ومعنى لمصدوره، ممن أحاط علمه بجميع مراتب الألفاظ ومعانيها، فلا يضع لفظه عقب لفظة.

تنوير البصائر منتهي تحقيق 03

إلا إذا لم يوجد غيرها أبلغ ولا أنسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثَم لما سمع أعرابي: –قوله تعالى –: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[1]الآية سجد وقال: سجدتُ لفصاحة هذا الكلام.

ولما سمع نصراني قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ﴾[2]الآية قال: جمعت هذه الآية ما أنزل على عيسى من أمر الدنيا والأخرة.

ولقد رام بعض سفهاء العقول محاكات بعض قصار المفصل، فأتى به من الهذيان بأعجب العجاب، كقول مسيلمة[3] الكذاب اللعين: يا ضفدع لم أعلاك تتقين الماء وأسفلك في الطين، لا الماء تكدرين ولا التراب تمنعين.

---

[1] الاية رقم 94 من سورة الحجر.

[2] الاية رقم 52 من سورة النور.

[3] الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي، «المنهاج في شعب الإيمان» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الفكر، 1399 هـ – 1979 م، (1/ 265).

وقوله: محاكيًا للنازعات والذاريات ما لفظه: والزارعات زرعًا والحاصدات حصدًا والذاريات قمحًا والطاحنات طحنًا والخابزات خبزًا واللاقمات لقمًا، لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر.

وقال آخر يحاكي سورة الفيل: الفيل وما الفيل وما أدراك ما الفيل، له ذنب وثيل وخرطوم طويل، ذلك من خلق ربنا القليل.

وقال أخر: ألم ترى كيف فعل ربك بالحبلى؟ أخرج من بطنها نسمة تسعى، من بين شراسيف وأحشى.

ثانيها: أنه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها، فحير عقولهم حتى لم يهتدوا إلى مثل شيء منها، إذ لا مثال له يحتذى ولا إمام يرجع عند الاشتباه إليه.

ولقد رام قوم من المتأخرين انتهت إليهم فصاحة وقتهم شيئًا من محاكاته، فاعترتهم هيبة فطمتهم عن ذلك ومنهم فصل كلامًا وجعله سورًا فسمع صبيًا يقرأ: – قوله تعالى –: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [1] فتاب ومحى ما عمل.

ثالثها: تأثيره في النفوس والقلوب، بحيث يجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا تجده عند غيره ومن ثم كان قارئه وسامعه لا يمله، بل كلما زاد تكريره زادت حلاوة واتضحت طلاوته.

رابعها: ما فيه من الإحاطة بعلوم الأولين والأخرين–قوله تعالى–: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾[2] ومن الأخبار بالمغيبات في ما كان وفي ما سيكون نحو–قوله عزو جل–: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾[3] ونحو–قوله

---

[1] الاية قم 44 من سورة هود.

[2] الاية رقم 38 من سورة الانعام.

[3] الايتين 2 و3 من سورة الروم. والاصح غلبت بتاء مفتوحة.

تعالى-: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1] ونحو: -قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾[3]فما فعلوا، -وقوله تعالى-: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ [4] فما تمن الموت يهودي وآيات كثيرة يطول جلبها وهذه أيضًا من أبهر المعجزات.

قال بعض المحققين: إعجازه من وجهين:

إما الذاتي من حيث لفظه ومعناه المخصوصين، إذ تإلىفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر، إذ لا يصح أن يقال له رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك.

وإما لصرف الناس عن معارضته والإعجاز في هذا ظاهرًا أيضًا إذا اعتبروا ذلك أنه ما من صناعة محمودة أو مذمومة إلا بينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جميع ولهذا تجد هذا يؤثر حرفة لا نشرح صدره مما وذلك يكرهها وينشرح صدره لأخرى وهكذا.

فلما دعى الله أهل الخطابة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم وبساطة إلى معارضة القرآن، فعجزوا عن الإتيان بمثله ولو بصرفهم عن ذلك وأي إعجاز أبلغ من ذلك أ هـ ملخصًا.

وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة، مع أنه للنظام في المعتزلة، لكن أفسدوه أئمة أهل السنة رحمهم الله بأن قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [5] دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لأنهم حينئذ بمنزلة اجتماع

---

[1] الاية رقم 33 من سورة التوبة.

[2] الاية رقم 9 من سورة الحجر.

[3] الاية رقم 24 من سورة البقرة.

[4] الاية رقم 7 من سورة الجمعة.

[5] الاية رقم 88من سورة الاسراء. ةالاصح تاتي بين مطتين.

الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن.

والقول بالصرفة يلزم إضافته إلى الله تعالى لا إلى القرآن وما يلزمه زوال الإعجاز بزوال الزمان التحدي وفيه خرْق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن ويلزم الصرفة أيضًا أنه لا فضيلة للقرآن على غيره.

فإن قلت: القول بعجزهم على بقاء قدرتهم فيه جمع بين النقيضين وهو محال.

قلت: معنى قدرتهم أن هممهم توجهت إلى المحاكاة لظنها القدرة «عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتواجهوا لمعارضته أصلًا، لقطعهم من نفوسهم بعجزها وأنه لا قدرة لهم «عليها البتة.

فإن قلت: توجه الهمم إليها مع العجز عنها في نفس الأمر لا يسمى قدرة.

قلت: ممنوع، بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولاشك أن أهل فن البلاغة لا يقطعون سلب القدرة عن المحاكاة أبدًا بل بعد الاختيار فتأمله لتعلم سقوطه.

فإن قيل: كيف يخاطبون بالتحري مع القطع بعجزهم عنه؟

قلت: نظير ذلك الخطاب من علم الله منه عدم الإيمان، فالإيمان كافي جعل وأي لهب نظرمقدرتي «عليه باعتباره والظاهر وإعراضًا عن النظر للغايات والعواقب.

ومن المفاسد أيضًا قول فريق ضلال إذا الكل قادرون عن الإتيان بمثله وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيبه لو تعلموه لوصلوا إليه به وآخرين لأن العجز إنما وقع من الوجودين وأما من بعدهم ففي قدرتهم الإتيان بمثله.

ومما يرد «عليهم أن جماعة ممن انتهت إليهم الرياسة في الفصاحة تعرضوا لمعارضته، كابن المقنع والمعرب والمتنبي ونظرائهم، فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتتنوا

«عليه الطباع ونادي «عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مُثلة وسخرية وضحكة في كل البقاع، إلى أن تاب أكثرهم وأظهر ندمه ونسكه، قاله ابن حجر [1].

«المحفوظ» عند المؤمنين بالحفظ الخاص في الأرض وعند الله سبحانه بالحفظ العام، قال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ [2] وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [3] يعني: من التبديل والتغيير وكيد الملحدين.

وحفظه رحمة، فسرت به-قوله تعالى -: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [4]، قال نوفل البكاتي فلما اختار موسى قومه سبعين رجلًا قال الله تعالى لموسى: قل لهم: إني جاعل الأرض طهورًا تصلون حيث أدركتم الصلاة، إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر واجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تقرئون التوراة على ظهر قلبكم، يقرأها الرجال والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير. فقال موسى ذلك لقومه، فقالوا: لا نريد نصلي إلا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع أن نقرأ التورية على ظهر قلوبنا ولا نريد أن نقرأها إلا نظرًا. قال الله تعالى: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [5] إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [6]، فيجعلها الله لهذه الأمة.

---

[1] هو ابن حجر شهاب الدين ابو الفضل المشهور بالعسقلاني ولد بمصر سنة773هـ كلن محدثا ومفسرا لكتب الله عز وجل اضافة الى اشتغاله بعلوم اخرى حتى الشعر ايضا من اشهر مءلفاته: «فتح الباري على شرح البخاري» توفي بمصر سنة 852.للمزيد ينظر الى: الزركلي خير الدين: الاعلام، مصدر سابق، (1 / 465).

[2] الايتين 21 و22 من سورة البروج.

[3] الاية رقم 9 من سورة الحجر.

[4] الاية 156 من سورة الاعراف.

[5] الايتين 156 و157 من سورة الاعراف.

[6] الاية رقم 157 من سورة الاعراف.

قال موسى: اجعلني نبيهم.

قال: نبيهم منهم.

قال: اجعلني منهم.

قال: إنك لن تدركهم.

قال: موسي رب إني أتيتك بوفد بني إسرائيل، فجعلت وفادتنا لغيرنا. فأنزل الله–قوله:

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[1] ورضي موسى «عليه السلام.

وما خلق الله أمة أناجيلها في صدورها غير هذه الأمة فضلًا من الله ورحمة وقال: التزم سبحانه حفظ القرآن بقوله:﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [2] مما وقع ولا يقع فيه تبديل ولا تغيير.

التوراة وحفظها:

قال بعض المفسرين: بخلاف التوراة، فإنه وكل حفظها إلى بني إسرائيل فقال: – سبحانه عزو جل–: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [3] ولم يكن حفظها إليه ومن أجل ذلك وقع فيها التبديل والتغيير.

قلت: المراد بالتبديل والتغيير: هو حمل اللفظ على غير ما وضع فيه، لأنه بزيادة في الأصل أو محو بعضها، فإنه محال من وجهين:

أحدهما: أن التوراة ذكر بصادق قوله–تعالى–: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾[4] والمفسرون كلهم على أن الذكر هنا التوراة ولا وجه لتخصيص القرآن بالحفظ دون التوراة مع اشتراكهما في مدلول الذكر.

---

[1] الاية رقم 159 من سورة الاعراف.

[2] الاية رقم 9 من سورة الحجر.

[3] الاية رقم 44 من سورة المائدة.

[4] الاية رقم 105 من سورة الاتبياء.

والثاني: أن التوراة تواتر والمتواتر يستحيل كتمانه كما هي القاعدة في الأصول، لا سيما بعد تدوينها بين يدي أنبياء كثيرين كانوا بين موسى وعيسى، منهم داود «عليه السلام وابنه وأشعيا وزكريا ويحيى وأرميا وإلسع وغيرهم.

ومعلوم في كتب المؤرخين أن بين موت موسى وبعثة داود «عليهما السلام خمسمائة سنة واثنان وسبعون سنة وثلاثة أشهر وبين موت داود وبعثة عيسى «عليه السلام أربعمائة وثلاث وعشرون سنة وهذه المدة كلها والتوراة تدون وتدرس بين الأحبار والأنبياء جيلًا بعد جيل ولا ناسخ لها وقد ملأت بها أقطار الأرض فيستحيل كتمان شيء منها أو تبديله بلا شك.

أما قول الله سبحانه في إليهود–قوله تعالى–: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[1]، فالمراد: يحرفونه عما وضع فيه وهو واضح الصدق بالعيان وأول محرف لها مفسر منهم يعرف براشي وهو عمدتهم في التفسير وتبعه جمع من كان بعده من أحبارهم المفسرين.

وموجب تحريف راشي وعدوله عن الظاهر للتأويل، طلبه تكذيب المسيح ابن مريم وأنه ليس المسيح الذي وعدهم الله به وكان راشي هذا بعد بعثة عيسى بنحو مائة وثلاثين سنة مقلدًا لمن كفر بعيسى قبله وبالغ في تحريف الكلم عن مواضعه قبحه الله ومزقه وأوقد النار في حفرته وأحرقه أمين.

ولولا راشي هذا ما توقف إليهود في صدق نبينا «عليه الصلاة والسلام، فسبحان من أضل من شاء بمن شاء وهدى من شاء بمن شاء.

نسأله سبحانه أن يوفقنا لطاعته ولا يحرمنا من متابعة سنة رسوله «صلى الله عليه وسلم» ولا من شفاعته أمين.

---

[1] الاية رقم 46 من سورة النساء.

«وعاية ورعاية» مصدران منكران وقعا حالًا من الضمير المستتر في اسم المفعول قبلهما من وعى الكلام يعيه وعيًا ووعاية، إذا عرف معلوله ومنه {وتعيها أذن واعية} ورعى الشيء ويرعاه رعيًا إذا حرسه وحفظه ورعاية إذا عظم اهتمامه به.

وقد دخل شاب صالح من الخوارج على الحجاج ابن يوسف بن معزون الثقفي[1] يومًا بنية الجهاد فيه باللسان، فلما قع بين يديه نظر يمينًا وشمالًا في عظم البنيان وإشادة الحيطان، ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ جهرًا: -قوله تعالى-: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ۝١٢٩﴾[2].

ففهم الحجاج أن مراده الشهادة، فقال: والله لو لا أني أبلغك مرادك، لعملت فيك ما بعد تخلدون ولكن أنت تحفظ القرآن يا شاب؟

فقال الشاب: يا جهول وكان منسيًا أو مهملًا حتى أحفظه؟!

قال: لعلك تجمع القرآن.

قال: يا جاهل وكان مفرقًا حتى أجمعه؟!

قال: لعلك تحصله.

قال: أو كان طائر حتى أحصله.

قال: ثكلتك أمك! ماذا عساني أقول؟

قال: قل لعل الله جعل صدرك واعيًا له.

---

[1] هو ابو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ولد بالطائف سنة 41هـ كان قائدا عسكريا وعرف بقسوته وانه دمويا كثير القتل للناس وتوفي في اواخر رمضان سنة 95هـ بمرض في بطنه. للمزيد ينظر الى: منصور عبد الحكيم: الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني امية، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2009م، ص ص 5-14.

[2] الايتين 128 و 129 من سورة الشعراء.

فقالها، ثم قال: أسمعنا شيئًا من كلام الله. فتعوذ رافعًا صوته بـ– قوله تعالى–: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾[1].

قال: ويلك! يدخلون أم يخرجون؟

قال الشاب: قد كانوا في زمن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يدخلون وإليوم في زمانك يخرجون وقد قلت لك وما قرأت لله.

فقال: اصفعوا في قفاه وأخرجوه عني، فإنه يريد أن يدخل الجنة على يدي والله ما دخلها.

فخرج قائلًا: قاتل الله الحجاج الظالم، قرعنا باب العزيز ببضاعة مزجاة، فمنعنا أن ندخل.

«و» تصديقًا «لحديث»: أي خبر «نبيك»: هو محمد «صلى الله عليه وسلم»، «الصادق» في دعوى الرسالة وفي كل خبر يَصدرُ عنه، بتصديق الله إياه بالمعجزة النازلة منزلة قوله عز وجل: صدق عبدي في كل ما يبلغه عني.

ويصح أن يكون نعتًا للمضاف، فيلزم تصديق موصوفه ضرورة ومن حديثه «صلى الله عليه وسلم» قوله ليلة العز: «الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا» رواه أحمد[2] في مسنده والطبراني في الأوسط عن سعد بن أنس رضي الله عنهما.

---

[1] الايتين رقم 1 و2 من سورة النصر.

[2] رواه أحمد (15634)، قال الهيثمي: رواه أحمد من طريقين في إحداهما رشدين بن سعد وهو ضعيف وفي الأخرى ابن لهيعة وهو أصلح منه. ينظر الى الهيثمي ابو الحسن: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد وتح: حسام الدين القدسي، د ط، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م، (7/ 144).

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد» [1].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: « أُعْبُدْ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شِيئًا». رواه الطبراني وابن حبان[2].

وعن ابن مسعود[3] رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: « أُعْبُدْ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شيئًا وَزَلَّ مَعَ الْقُرْآنِ أَيْنَمَا زَالَ » . رواه ابن عساكر.

والأحاديث في نحو هذا كثيرة مروية «رواية» يصح أن يكون حالًا من «تصديقًا»، أو تمييزًا لحديث، أو تمييزًا للصادق.

والرواية: هي أخذ الحديث بإسناده عمن أخذه، من مجاز بإسناد أيضًا، من غير نظر في مباحث أصل التخريج وإلا كان دراية ولهذا قال «ودراية» من دريت الشيء أدريه إذا عرفته وتعلق علمك بجزيه منه فضلًا.

وقد قصرت همم الناس عن الدراية في زماننا هذا ولا يقرؤن الحديث إلا رواية وربما انتصب إلى تدريسه من لا يعرف الدراية ولا الرواية ولا الإسناد، فضلًا عن التفرقة بين الأربعة وخمسين نوعًا منه ولكنه كان أبوه أوجده منسوبًا للمعرفة، فورثه هذا الابن وراثة من عدم إنصاف لا إله إلا أنت الله الواحد الأحد المطعم الصمد المنزه عن الوالد وعن الصاحبة والولد.

---

[1] ينظر الى: الدينوري أبو بكر أحمد: المجالسة، جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 1419هـ، (8/ 156) و ينظر ايضاالى: الخلعي أبو الحسن على بن الحسن: الفوائد الحسان الصحاح والغرائب، الطبعة الأولى، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، 2004م، (53/ 2) كما في «السلسلة الضعيفة» للشيخ الألباني (2/ 58) وقال الألباني: موضوع.

[2] ينظر: التميمي ابن حبان محمد البُستي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان،الطبعة 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408 هـ – 1988 م (2/ 283. وينظر ايضا الى: الطبراني: المعجم الكبير، مصدر سابق، (20/ 39)،

[3] ينظر الى: ابن الجعد على بن الجَعْد بن البغدادي: المسند، الطبعة1، مؤسسة نادر – بيروت، 1410هـ– 1990م، (ص: 326).

«تكذيبًا لمعتقد الذين قالوا» عندما يريدون أن يعرفوا بأنفسهم أو عند افتخارهم على من ليس منهم من الأمم: «إنا نصارى» هم بنوا الأصفر بن روم بن العيص بن عيسى وشقيق إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، كانوا على دين الصابئة إلى أن تنصر قسطنطين، فحملهم على الدين الذي يزعمون أنه دين المسيح.

وهذه غواية من الشيطان تسلط «عليهم ولهذا قلت «والغواية» ولولا أن الله خذلهم ويريد أن يغويهم لما سبق في سابق علمه من شقاوتهم ما رأوا ضلالتهم هداية والظلمة نورًا، نسأل الله العافية في ديننا حتى لا نعتقد غير ما جاءت به سورة الإخلاص من العقائد التي بها يكون الفوز والخلاص.

«و» نشهد «أن سيدنا» الإضافة لتعريف العهد الخارج إلى السيد المعين المعلوم عند أهل الملة وليس المراد أنه سيدنا معشر الإسلام فقط، بل سيد الأمم كلها، أو سيد البشر أو المخلوقات على كل تقدير.

بالإضافة بما قررناه تفيد سيادته على جميع المخلوقات وسيد أصله سيْوَد لأنه من ساد يسود اتفاقًا اجتمع فيه الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء لاجتماع المثلين والقاعدة أن المدغم هو الذي يقلب ويرد من جنس المدغم فيه، لكن لما كانت الياء أخف من الواو قلبت الواو ياء مطلقًا وهل وزنه فيعل بكسر العين أو فتحها وأبدلت الفتحة كسرة أو فعيل كطويل؟

ثلاثة أقوال أشهرها الأول ورجح الثالث بجمعهم له على فعائل فقالوا أسايد بالهمزة إذ لو كانت العين مؤخرة لما همزوه لما تقرر به في علم التصريف والسيد هو الذي يفزع إليه في الشدائد.

وقد ورد إطلاقه «عليه «صلى الله عليه وسلم» في أحاديث كثيرة صحيحة كما في حديث الشفاعة: «انطلقوا إلى سيد ولد آدم» وحديث الصحيحين: «أنا سيد الناس يوم

القيامة» [1] وحديث الترمذي: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» [2] والسيد هو الذي يسود قومه، أي: يتقدم «عليهم بما فيه من خصال الكمال والشرف التام.

وقيل: هو الكامل المحتاج إليه بإطلاق، أو العظيم المحتاج إليه وقيل: هو المالك الذي تجب طاعته ولهذا يقال سيد الغلام ولا يقال سيد الثوب وقيل هو الذي يرأس قومه وقيل هو السخي ويطلق على الزوج ومنه: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ هذا كله قول أهل اللغة في السيد.

وأما أهل التفسير فقال ابن عباس[3]: السيد: هو الكريم على ربه عز وجل وقال قتادة[4]: السيد: العابد الورع الحليم وقال عكرمة[5]: السيد الذي لا يغلب غضبه.

سيد الناس محمد صلى الله عليه وسلم وشفاعته ومن ينالها:

وسيادته «صلى الله عليه وسلم» أجلى وأظهر وأوضح من أن يستدل «عليها وهو سيد العالم بأسره من غير تقييد ولا تخصيص وفي الدنيا والآخرة وإنما قال في الحديث: «أنا سيد الناس يوم القيامة» [6] لظهور انفراده بالسؤدد والشفاعة فيه عن غيره، حين يلجاء إليه الناس في ذلك فلا يجوز سواه وجميع الخلائق مجتمعون أولهم وآخرهم وأنسهم وجنهم وفيهم الأنبياء والمرسلون، لأن تلك الدار دار الدوام والبقاء فهي المعتبرة.

---

[1] أخرجه البخاري (4712) ومسلم (194).

[2] رواه مسلم (2278) وأحمد (10972).

[3] ينظر: الجوزي جمال الدين أبو الفرج: زاد المسير في علم التفسير» ، ط1، دار الكتاب العربي – بيروت، 1422 هـ، (1/ 279).

[4] ينظر الى: ابن المنذر– أبو بكر ر النيسابوري: التفسير، ط1، دار المآثر – المدينة النبوية، 1423 هـ، 2002 م، (1/ 189).

[5] ينظر: ابن المنذر: التفسير، مصدر نفسه، (1/ 189).

[6] أخرجه البخاري (4712) ومسلم (194).

وقد كان «صلى الله عليه وسلم» معلوم السيادة نسبًا وطبعًا وخلقًا وأدبًا، إلى غير ذلك من المكارم قبل ظهوره بالنبوة، يعرف ذلك من اعتنى بالسير وتعرف أحواله من الصغر إلى الكبر صلوات الله «عليه وسلامه أهم من العباسي.

«و» أن «شفيعنا» فعيل بمعنى فاعل وشفاعته «صلى الله عليه وسلم» ثابتة لأهل الكبائر من أمته وواجب على كل مكلف شرعًا أن يعتقد ثبوتها وأنه «صلى الله عليه وسلم» شفع في عصاة أمته حتى يخرجوا من النار، فيقبل الله شفاعته.

والشفاعة لغة: الوسيلة والطلب.

وعرفًا: سؤال الخير للغير.

والدليل على أنه «صلى الله عليه وسلم» يشفع قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[2]، فقيل: إن معناهما الشفاعة.

وقوله «عليه الصلاة والسلام: «أدخر شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» [3].

ولأنه يجوز على الله غفران غير الكفر من الذنوب من غير توبة ولا شفاعة فالشفاعة أولى ولذا أجمع أهل السنة على ثبوتها له «صلى الله عليه وسلم» ولسائر المرسلين والملائكة والعلماء والشهداء، يشفع كل واحد على قدر جاهه عند الله تعالى.

ففي الصحيحين: «أنا أول شافع وأول مشفع» [4] وله «صلى الله عليه وسلم» شفاعات أعظمها وأكملها شفاعته «صلى الله عليه وسلم» لأهل الموقف، بعد أن يتكلم الأنبياء «عليهم الصلاة والسلام حين يجدون من شدائد الموقف وأهواله وطول القيام فيه

---

[1] الاية رقم 79 من سورة الاسراء.

[2] الاية رقم 5 من سورة الضحى.

[3] رواه أبو داود (4739) وأحمد (13222). وصححه الحاكم في «المستدرك» (1/ 139).

[4] رواه مسلم (2278).

لرب العالمين وزيادة الخلق تصاعد العرق ما يذيب الأكباد وينسي الأولاد مدة ثلاث آلاف سنة، فيترادونها من آدم إلى عيسى «عليه السلام خمسة آلاف نبي، بين سؤال كل وآخر ألف سنة كما قال القرطبي وابن حجر وغيرهما، فإذا انتهوا إليه «صلى الله عليه وسلم» قال: «أنا لها أنا لها أمتي أمتي» [1].

وكل ممن قبله لا يقول إلا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري فيَشفع فيُشفع وهذه مختصة به «صلى الله عليه وسلم» وتسمى الشفاعة العظمى وهي أول المقام المحمود خاصة به وعامة في جميع الخلق يوم الموقف للحساب وهذه مجمع «عليها راحة من طول الوقوف حتى يتمنوا الانصراف من موقفهم ولو إلى النار.

ومن شفاعته أنه يشفع في دخول جماعة الجنة من غير حساب ويشفع في قوم استوجبوا النار فلا يدخلونها وفي قوم دخلوها فيخرجون منها ويشفع لجماعة في رفع درجات ويشفع لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب بأن ينقل من غمرات إلى ضحضاح كما في الحديث[2].

والحاصل: أنه «صلى الله عليه وسلم» له شفاعات كثيرة وأنه أول شافع وأنه مقبول الشفاعة قطعًا كما أنه أول وارد الجنة وأول وارد الحشر وأول من تنشق عنه الأرض.

وإنما أنكر الشفاعة بعض المعتزلة متمسكين بظواهر الآيات منها: -قوله تعالى-: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [3] .

---

[1] أخرجه البخاري (7510) ومسلم (193).

[2] أخرجه البخاري (3883) ومسلم (209).

[3] الاية رقم 28 من سورة الانبياء.

ومنها: -قوله تعالى -: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [1] ومنها: «لا ينال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي» .

وأجاب أهل الحق والسنة بأن معنى ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ أي: ارتضاه للمشافعة له وهي أصل التوحيد والمراد بالظالم: الكافر والحديث موضوع باتفاق النقلة وعلى تسليمه يحمل على المرتدين.

قال بعض أئمتنا: وحقيق على من أنكرها ألا ينالها ويجوز للعبد أن يطلب من الله أن يكون ممن تناله شفاعة المصطفى ولو لم يكن مذنبًا، لما مر من أنها تكون لرفع الدرجات ولدخول الجنة من غير سبق عذاب ولا يلتفت إلى قول من يقول: إنها لا تكون إلا للمذنبين.

قال العلامة بن رشد[2]: ولا يا قف أحد أن يقول: اللهم اجعلني ممن تناله شفاعة المصطفى صلى الله «عليه وسلام. لأن السلف الصالح كانوا يسألونها وكان كل عاقل معترف بالتقصير ومستحق للعفو من عدم اعتداده بعمله وأيضًا الخاتمة مغيبة عنا لا يعلمها إلا هو وكل منا لا يدري أين يصير ومن أي فريق هو ولذلك فإن بعض الصوفية ينبغي لك يا أخي أن لا تخير نفسك على أحد فإنك لا تدري ما الخاتمة والله أسأل أن يوفقنا إلى الطاعة وأن يجعل لنا الحظ الوافر من شفاعة صاحب الشفاعة. آمين.

ولقد ذكر بعض العارفين أنه يشفع «صلى الله عليه وسلم» حتى في أبي لهب في كل يوم من أيام الإثنين لا يعذب فيها، لإعتاقه جاريته ثويبة فيه عندما بشرته بولادته «صلى الله عليه وسلم».

---

[1] الاية رقم 18 من سورة غافر.

[2] هو محمد بن احمد ابو الوليد ابن رشد ولد بالاندلس سنة 1126 م اشتهر في علوم شتى متل الفلسفة، الطب، الفقه، الفلك والقضاء ايضا اختص عن غيره بفلسفته للاسلام والامور الدينية توفي بالمغرب الاقصى سنة 1198م. للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (21 / 307).

« صَاحِبُ الْمِعْرَاجِ»[1] بكسر الميم اسم لألة العروج أي: الصعود والارتقاء وهو السُّلَّم بضم المهملة وفتح اللام مثقلين ولم يصعد «عليه في الدنيا يحسده أحد غيره «صلى الله عليه وسلم».

وقد أكرمه ربه تعالى بكرامة الإسراء وما تضمنه من العروج إلى السماوات والرؤية الخاصة به في الدنيا مع المناجات وإمامة الأنبياء «عليهم السلام» وما رءاه من الآيات، فقد روى ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: «أُوتِيتُ بِالبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمَارَةِ وَدُونَ البَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَي طَرَفِهِ قَالَ فَرِكَبْتُهُ فَسَارَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ فَرَبَطْتُهُ بِالحَلَقَةِ التِي يَرْبِطُ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَصَلَّيْتِ فِيه رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِناءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِناءٌ مِنْ لَبَنٍ فَاُخْتَرْتِ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ « عَلَيه السّلاَمَ اُخْتَرْتِ الْفِطْرَةَ الَّتِي أَتَيْتِ عَلَيهَا ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْأوْلَى فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقَيِّلَ: مِنْ أَنْتَ فَقَالٌ: جبريل قَيِّلَ: وَمَنْ مَعَكَ قَالً: مُحَمَّدٌ فَقَيِّلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيه قَالٌ: قَدْ بُعِثَ إِلَيه فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمِ « صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمُ » فَرَحَّبَ بِي وَدْعًا لِي بِخَيْرٍ ثَمَّ عَرَجِ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةَ وَاِسْتَفْتَحَ جبريل فَقَيِّلَ: مِنْ أَنْتَ قَالٌ: جبريل قَالٌ: وَمَنْ مَعَكَ قَالً: مُحَمَّدٌ قَيِّلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيه قَالٌ: قَدْ بُعِثَ إِلَيه فَفَتْحً لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمِ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا «صَلَّى اللهُ عَلَيهِمَا » فَرَحَّبَا بِي ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةَ فَذُكِرَ مِثْلُ الْأَوَّلِ فَفَتْحً لَنَا فَإِذَا أَنَا بيوسف « صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمُ » وَإِذَا هُوَ قَدْ أَعْطِي شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحْبً بِي وَدْعًا لِي بِخَيْرٍ ثَمَّ عَرَجِ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةَ وَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بإدريس « صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمُ » فَرَحَّبَ بِي وَدْعًا لِي بِخَيْرٍ قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾[2] ثَمَّ عَرَجِ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِهارُونِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمُ فَرَحْبً بِي وَدْعًا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ

---

[1] ينظر: البصري أبو الفداء: البداية والنهاية، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1424هـ / 2003م، (3/ 407).

[2] الاية رقم 57 من سورة مريم.

رَجَعَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسى « صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمُ » فَرَحَّبَ بِي وَدْعًا لِي بِخَيْرٍ ثَمَّ عَرَجِ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السّابعَةَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بإبراهيم « صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمُ » مُسْنَدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلَهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيه ثَمَّ ذَهَبٍ بِي إِلَى سَدِرَةِ الْمُنْتَهِي وَإِذَا وَرَقِهَا كَآذَانِ الْفِيلِ وَإِذَا ثَمَرِهَا كَالْقُلَلِ قَالَ فَلَمَّا غَشْيَتِهَا مِنْ أَمَرَ اللهُ مَا غَشْيَتُهَا تَغَيَّرَ فَمَا أَحُدُّ مِنْ خَلْقِ اللهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مَا أُوحَى وَفُرِّضَ عَلَى خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلٌّ يَوْمٍ وَلَيْلَةً فَرَجَعْتِ فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى مُوسى فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةَ وَأَخْبَرْتِهِ بِالْخُمْسَيْنِ صَلاَةً الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى أمتي كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قَالَ: اِرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلِهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بُنَّي إسرائيل وَخِبْرَتَهُمْ قَالٌ: فَرَجَعْتِ إِلَى رَبِّي فَقِلْتِ يا رَبٌّ خَفَّفَ عَلَى أمتي فَحُطَّ عَنِّي خُمُسًا فَرَجَعْتِ إِلَى مُوسى فَقُلْتِ حُطَّ عَنِّي خُمُسًا فَقَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاِسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتْكَ قَالَ فَلَمْ أَزُلْ أَرُجِعَ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسى وَيَحُطُّ عَنِّي خُمُسًا حَتَّى قَالٌ: يا مُحَمَّدٌ إِنَّهُنَّ خُمُسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةً بِكُلُّ صَلاَةِ عُشْرٍ فَتَكْتُبُ خَمْسُونَ صَلاَةً وَمِنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنَّ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عُشْرًا وَمِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تَكْتُبْ شيئًا فَإِنَّ عَمِلْتِ كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةُ وَاحِدَةُ قَالٌ: فَنَزَلْتِ حَتَّى اِنْتَهَيْتُ إِلَى مُوسى فَأَخْبَرْتِهِ فَقَالَ اِرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاِسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأَمُتُّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقَ ذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ « صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمُ »:« فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اِسْتَحْيَيْتُ مِنْه»[1] رواه الشيخان واللفظ لمسلم.

وفي أحاديث كثيرة وزيادة في بعضها على بعض، منها ما في حديث ابن شهاب(2)، عن أنس، عن أبي ذر من قول كل نبي: له مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح. إلا آدم وإبراهيم فقالا له: والابن الصالح.

---

[1] رواه مسلم (162) وأحمد (12505).

[2] أخرجه البخاري (349) ومسلم (163).

وما في حديث ابن عباس رضي الله عنه من قوله: «ثُمَّ عُرِّجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ»[1]. وفي حديث أنس ثم قال: هذا دخلت الجنة.

«مُحَمَّدًا» هو الاسم الشريف، علم على ذاته «صلى الله عليه وسلم»، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[3] وهو منقول من الصفة، إذ أصله اسم مفعول من حمد المضعف، ثم نقل وجعل علمًا «عليه «صلى الله عليه وسلم» وهو من صيغ المبالغة معير والثلاثي تضعيف عينه لقصد المبالغة، فكان الأصل محمودًا من حمد مبنيًا للمفعول، ثم ضعف فصار الفعل حمد بالتضعيف والمفعول محمدًا كذلك وذلك للمبالغة لتكرار الحمد له صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة.

فالحمد في اللغة: هو الذي يحمد حمدًا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدّح إلا من تكرر عنه الفعل مرة بعد مرة، فهو اسم مطابق لذاته ومعناه صلى الله «عليه وسلم، لأن ذاته محمودة على ألسنة العوالم من كل الوجوه حقيقة وأوصافًا وخلقًا وأعمالًا وأحوالًا وعلومًا وأحكامًا وعوالمه المتنزل بها والظاهر بها، فهو محمود في الأرض والسماء وفي الدنيا وفي الآخرة، في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة، وفي الآخرة بالشفاعة.

فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضيه اللفظ ومع ذلك فهو الحامد لله تعالى على الإطلاق وبالتحقيق وبحمده لله حمده الله على ألسنة عباده، فهو الحامد المحمود إلا أنه خُص من حيث تنزل الأمر ومبدأ الفاعلة بالأحمدية ومن حيث بلوغ الأمر ومنتهى

---

[1] أخرجه البخاري (349) ومسلم (163).

[2] الاية رقم 29 من سورة الفتح.

[3] الاية رقم 144 من سورة ال عمران.

المفعولية بالحمدية، فكان اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمدًا، فهو «صلى الله عليه وسلم» خير من حمد وأفضل من حمد في المخلوقات.

وعلى التحقيق لم يحمد ولم يحمد إلا هو وكيف لا ولواء الحمد بيده وهو صاحب المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، قاله الفاسي وأجاد صادقًا رحمه الله.

وقد سمى الله سبحانه هذا النبي الكريم والرسول الرحيم باسمه كثيرًا في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى ألسنة أنبيائه «عليهم الصلاة والسلام» وفي أحاديثه «صلى الله عليه وسلم» وفيما أطلقته عليه أمته مما اشتهر وتلقي بالقبول.

وكثرت الأسماء تدل على شرف المسمى، لا سيما وهي أوصاف مدح دالة على ذلك بمعانيها وأشرف أسمائه صلى الله «عليه وسلم محمد وبه سماه جده عبد المطلب وقد قيل له: لم سميت ابن ابنك محمدًا وليس هو من أسماء آبائك ولا أجدادك؟ فقال: إني لأرجو أن يحمده أهل السماء والأرض.

وهذا الكلام الصادر من عبد المطلب «عليه السلام» راغمًا أنف من لا يقول بإيمان أبائه «عليه الصلاة والسلام»، إذا الكافر الظالم الصدر ليس له نور يرى به مثل هذا.

وذكر أبو طالب العابد أنه أعني عبد المطلب إنما سماه محمدًا لرؤية رأها، كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كل منها شجرة على تلال ورقة منها نور، فإذا أهل المشرق والمغرب كل منهم يتعلقون بها، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتعلق به أهل المشرق وأهل المغرب ويحمده أهل السماء والأرض.

وقد سمعت أمه أمنة رضي الله عنها قائلًا يقول لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وضعتيه فسميه محمدًا. وأمرت به مرة أخرى أن تسميه أحمد.

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم الذي هو محمد قبل أن يخلق آدم «عليه السلام» وقبل أن يخلق الخلق بقدر ألفي عام ولم يسم أحد قبله بهذا الاسم إلا قرف منه ولتبشير أهل

الكتب بقربه، سمي قوم أولادهم به وعدتهم خمسة عشر رجاء النبوة لهم والله أعلم حيث يجعل رسالته.

وأما أحمد فلم يسمى أحد به قط قبله، كما في حديث مسلم والإمام أحمد والترمذي.

وقد تعرض قوم لتعداد أسمائه «صلى الله عليه وسلم» فمنهم من أطال ومنهم من اقتصر على حسب الوسع والاطلاع والاجتهاد.

وقال بعض الصوفية: لله تعالى ألف اسم وإن كان السماع تسعًا وتسعين وللنبي «صلى الله عليه وسلم» ألف اسم. حكاه ابن العربي في العارضة[1]، قاله الفاسي أيضًا.

وأما قول صاحب «دلائل الخيرات» مئاتان وواحد، فقد تبع فيه الشيخ أبا عمران الزناتي وتبعه في ترتيبه ولفظه ومن كلامه رحمه الله: قد اجهدت نفسي وأضنيت عيصي وأعملت فكري فيما مضى من عمري، طمعًا في جمع أسماء الرسول والإحاطة منها بالمنى والسول، فطالعت كتب من مضى وحديث من يختار نقلهم ويرتضى، فاجتمع لي بعد كد وجد وضر في عد وأبعد نجد مأتان وواحد ولعل بحيث ما جد فسيح بالكريم مساعد يظفر منها بعدد زائد ويربوا بذلك قدره على قدر فاقد ويستحق بذلك حمد حامد ودعا راكع وساجد.

ثم سردها كما أتى بها صاحب دلائل الخيرات نصًا سواء ولعله نقلها من كتابه رحمهما الله ورضي عنهما من مشغوفين بحب سيد الثقلين.

واسم النبي صلى الله «عليه وسلم في التوراة في السفر الثاني «عميم» بفتح المهملة وكسر الميم مثقلة مشبعة، فميم ساكنة، معناه عندهم العزيز وفي السفر الثالث فادرثرايتوا معناه: النزيه هو وفي السفر الرابع «القوب» القوب ومعناه المليح المليح أو الحسن الحسن وما في كتب بعض أئمتنا أنه طاب طاب تحريف الناسخين قديمًا.

---

[1] ينظر: ابن الماكي ابو بكر: عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترميذي، دط، دار الكتب العلمية، مصر، د ت، (10/ 281).

وفي السفر الخامس «هاف حويب عميم» معناه ذلك الحبيب العزيز وأحرف اللين في الكلمات الثلاثية ساكنة، جاءت بها حركات الأحرف التي قبلها أو أواخرها، أعني الثلاث سكون.

وأما السفر الأول فكله أخبار عن أول خلق الدنيا إلى زمن نزول الألواح وفيه أخبار الأنبياء الذين هم بين آدم وموسى وما وقع بينهم وبين من أرسلوا إليه، إلى غير ذلك من الأخبار عما مضى.

وأما الأخبار على المسيح «عليه السلام» وأنه سيأتي إليهم آخر أنبيائهم ففي السفر الثالث والرابع وأما نبينًا «صلى الله عليه وسلم» ففي الثاني والثالث وختم بها الخامس في آخر سورة من التوراة تعرف عندهم بويزون هبيرخا.

وأما الزبور فلم يذكر فيه «صلى الله عليه وسلم» إلا ضميرًا أو اسم إشارة أو أسم موصول وسماه في مزمور اثنين وسبعين «ملكًا» كما بيناه قريبًا وإن كان ذكر شمائله ونعوته في مزامير أخرى فيه كما قدمنا، لكن يسميه «ايتوا» وأيتوا عندهم ضميرًا لمجرد المذكر الغائب بمعنى هو.

وأما في الأناجيل الأربعة اسمه «باركليط» بالكاف، إلا أن مخرجها أعجمي بينجذب فيه اللسان إلى داخل الفم مما يلي الحلق مستجمعًا ويلي في اللهاء عند منتهي علل مما يلي الحلق والباء المعجمة أيضًا مخرجها اجتماع بعض باطن الشفة العليا ببعض ظاهر الشفة السفلى، مع إخراج النفس عند افتراقها، فليست باء خالصة ولا فاء خالصة ومعنى باركليط صاحب السيف.

«صلى الله عليه وسلم» الجملة خبرية والمراد منها الإنشاء امتثالًا أو عملًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[1].

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

[1] الاية رقم 56 من سورة الاحزاب.

واختلف العلماء في الأمر بالصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» في هذه الآية، فحمله بعضهم على الوجوب وحكى فيه ابن عبد البر[1] [2] الإجماع وشذ ابن جرير الطبري[3] فحمله على الاستحباب وادعى الإجماع وكأنه متمسك بأن الأمر في القرآن إذا لم يتكرر لا يكون واجبًا عينًا نحو: -قوله تعالى-: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[4] ونحو: -قوله تعالى-: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[5] ونحو: -قوله تعالى-: ﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾[6]، لكنه -أعني الطبري- لم يصب، لقول القاضي عياض[7] [8] فيه: لعله أراد ما زاد على الواحدة. وإلا فقد خالف الإجماع مع أن الإجماع منعقد على وجوبها في الجملة.

---

[1] هو ابو عم يوسف القرطبي النمري ولد سنة 368هـ بالاندلس عرف مؤرخا، اماما، محدثا وفقيها وكما كان مالكي المذهب له مؤلفات كثية منها: «الدرر في اختصار المغازي والسير» و «العقل والعقلاء» توفي سنة 463هـ. للمزيد ينظر: الزركلي: الاعلام، مصد سابق، (1 / 365).

[2] ينظر: القرطبي أبو عمر يوسف بن عبد الله: الاستذكار، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1421هـ – 2000م، (6/ 255).

[3] ينظر الى: الاملي محمد بن جرير الطبري أبو جعفر: تهذيب الآثار – الجزء المفقود، ط1، دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا، 1416هـ – 1995م، (ص: 224).

[4] الاية رقم 9 من سورة الجمعة.

[5] الاية رقم 195 من سوة البقرة.

[6] الاية رقم 222من سورة البقرة.

[7] هو عياض بن موسى ين عياض الايحصبي الاندلسي ولد سنة 476هـ وعرف بتفننه في علوم عدة وكثرة تإليفه نذكر منها «الاكمال في شح صحيح مسلم» توفي 544هـ.للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (20 / 212-213).

[8] ينظر الى: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى إلىحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409 هـ – 1988 م (2/ 140).

وقول الفاسي[1] في كبيره لشرح دلائل الخيرات: ولعله أراد بالاستحباب مطلق الطلب الصادق بالوجوب والندب يقيد لوجوب حمل الأسماء على حقائقها وخصوصًا إنقسام الحكم الشرعي، فإنها لا يوضع منها شيء موضع أخر باتفاق، فاعرف اللفظ الواجب، فإنه قد يكون وجوب السنن وبه جرت عبارات الحنفية.

حكم الصلاة على النبي صلى عليه وسلم:

وقد اختلف العلماء في الوجوب على تسعة أقوال:

أحدها: قول أبي بكر الرازي[2] من الحنفية، أنها تجب في العمر مرة كانت في الصلاة أو في غير الصلاة ككلمة التوحيد.

ثانيها: تجب في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره فيه مرارًا حكاه أبو عيسى الترمذي[3] عن بعض أهل العلم.

ثالثها: تجب كلما ذكر وهو للطحاوي[4] وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية[5] وقال به اللخمي من المالكية وابن بطة[6] من الحنابلة وقال ابن العربي من المالكية[1] وهذا هو الأحوط.

---

[1] هومحمد المهدي بن ابي العباس بن يوسف الفاسي ولد سنة 1033هـ بالمغب الاقصى عرف بنبوغه في علوم عديدة من مؤلفاته: «كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج واللواء والمعاج» توفي سنة 1109هـ. للمزيد ينظر الى: مخلوف محمد بن عم: شجرة النور الزكية: ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، (1/ 473).

[2] بينظر: العيني ابو محمد محمود بن أحمد: البناية شرح الهداية، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، 1420 هـ – 2000 م، (2/ 322).

[3] ينظر: «سنن الترمذي» (5/ 551).

[4] ينظر الى: الطحاوي الازدي أبو جعفر أحمد: مختصر اختلاف العلماء، ط2، دار البشائر الإسلامية – بيروت، 1417هـ، (1/ 219).

[5] ينظر الى النووي ابو زكريا محيي الدين: المجموع شرح المهذب، د ط، دار الفكر، (3/466).

[6] ينظر: برهان الدين ابراهيم بن محمد: المبدع في شرح المقنع، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1418 هـ – 1997 م، (1/ 414).

رابعها: قول أبي بكر بن بكير[2] من المالكية أنه يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد.

خامسها: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل، قاله بعضهم عز أبي جعفر الباقر رضي الله عنه.

سادسها: تجب في التشهد فقط وهو للشعبي[3]وإسحاق بن رهاويه[4].

سابعها: تجب في كل دعاء.

ثامنها: تجب في الجملة من غير حصر، لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة وهو ما «عليه جمهور شيوخ المالكية[5] وشهره القاضي أبو الحسن بن القصار[6]القيرواني عنهم.

تاسعها: تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحليل وهو للإمام الشافعي[7] ومن تبعه وقال به محمد بن الموان من المالكية[8] وصححه ابن العربي في أحكامه، لكن قال أبو محمد عبد الله بن اد زيد لعله يعني بن الموان يريد في الجملة لا في الصلاة.

---

[1] ينظر الى: ابن العربي محمد بن عبد الله: أحكام القرآن، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1424 هـ – 2003 م، (ص: 1937)

[2] هو ابو بكر محمد بن عمر بن بكير ولد سنة 346هـ ببغداد وكان من ابرز علماء عصره توفي سنة 432هـ للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة أعلام النبلاء، مصدر سابق، (7 / 473).

[3] ينظر: البيقهي: السنن الكبرى، مصدر سابق، (2/ 530).

[4] الحنبلي أبو محمد موفق الدين: المغني، د ط، مكتبة القاهرة، (1/ 388).

[5] ينظر: ابن خليل: مختصر خليل، مصدر سابق، ص: 33.

[6] هو: على بْن عُمَر بْن أَحْمَد، أَبُو الحسن الفقيه المالكي...، توفي فِي يوم السبت، السابع من ذي القعدة، سنة سبع وتسعين وثلاثمائة. ينظر: الخطيب ابو بكر احمد: تاريخ بغداد وذيوله، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (41/12).

[7] ينظر الى: المطلبي أبو عبد الله محمد: الأم، ج ط، دار المعرفة – بيروت، 1410هـ/1990م، (1/ 140).

[8] ينظر: القاضي عبد الوهاب: الإشراف على نكت مسائل الخلاف، تح: مشهور بن حسن ال سلمان، ط1، دار ابن القيم، 2008م، (1/ 252).

وحكي عن ابن الموان أيضًا أنه سنة في الصلاة وصححه ابن العربي في سراج المريدين وابن الحاجب في مختصره ثم ما زاد على الواجب من ذلك فهو مستحب غاية الاستحباب فينبغي الإكثار منه بغير حصر وقال ابن عطية في تفسيره[1]: الصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» في كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه انتهي وقد خصصت مواطن بالتنصيص على استحباب الصلاة «عليه فيها وهو يوم الجمعة وليلتها ويوم السبت والأحد والخميس لما ورد في جميع ذلك من النصوص وعند زيارة قبره «صلى الله عليه وسلم» وعند الصباح وعند المساء وعند دخول كل مسجد وعند الخروج منه وعند الصفا والمروة وفي التشهد الأول لذكر النبي فيه فتندب أو تجب لذكره ونص «عليه الشافعية» وفي التشهد الأخير قبل الدعاء عند المالكية وفي خطبة الجمعة وغيرها من الخطب وعقب إجابة المؤذن وعند الإقامة وأول الدعاء ووسطه وآخره وعقب دعاء القنوت عند الشافعية وأثناء تكبيرات العيد عندهم أيضًا وفي صلاة الجنازة وعند الفراغ من التلبية وعند كل اجتماع وكل افتراق وعند الوضوء وعند طنين الأذن وعند نسيان الشيء وبعد العطاس على أحد قولين وعند الوعظ ونشر العلم وقراءة الحديث ابتداء وانتهاء وعند كتابة السؤال والفتيا ولكل مصنف ومدرس وخطيب وخاطب ومتزوج ومزوج وفي الرسائل وما يكتب بعد البسملة ومنهم من يختم بها الكتاب أيضًا وبين يد سائر الأمور المهمة وعند ذكره أسماع لفظة اسمه أو كتابته عند من لا يقول بوجوبها لذلك ولو ذكر وأنت في صلاة نفل على ما روي عن الحسن البصري والشعبي وأحمد ابن حنبل في الصلاة عليه عند ذكر أحاديث كثيرة قال السخاوي[2]: وَالْأَظهرُ الْوُجُوبَ لِهُمْ وقال الكوشي: وَطَرِيقُ الْأَدَبِ وَالْإِحْتِيَاطَ أَنْ يَصْلَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ كُلَّمَا ذَكَرَهَا ثم إنما يصلى على النبي «صلى الله عليه وسلم»

---

[1] ينظر: ابن عطا الاسكندي: تفسير ابن عطية، مصدر سابق، (4/ 398).

[2] ينظر الى: السخاوي شمس الدين أبو الخير: القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، د ط، دار الريان للتراث، (ص: 218).

بنيه القربة والاحتساب وقصد التعظيم ورجاء الثواب ولهذا كره العلماء الصلاة عليه «صلى الله عليه وسلم» في سبعة مواضع وهي: الجماع وحاجة الإنسان وشهرة البيع والعثرة والتعجب والريح والعطاس على خلاف بين الثلاثة الأخيرة وذكر الشيخ يوسف الأكل بعد شهرة البيع وزاد الرصاع من يصدر من العوام في الأعراس ونحوها من إشهارهم أفعالهم بالنظر إليها بالصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» مع زيادة عدم الوقار والاحترام «عليه بل يضحك ويلعب وألحق بعض العارفين بالمواضع التي نهي عن الصلاة فيها الأماكن القذرة وأماكن النجاسة اهـ من الفاسي ببعض لفظه وباختصار وبعض زيادة والصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» معناها الرحمة والرضوان من الله والدعاء والاستغفار من الملائكة والناس.

وقيل: صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقيل: صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء والمراد الدعاء بالرحمة وقيل: معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة.

وقال جماعة الصلاة من الله رحمة مقرونة بالتعظيم ومن الملائكة استغفار ومن الآدمين تضرع لله ودعاء وقيل: صلاة الله على أنبيائه الثناء والعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة وقيل: صلاة الله على نبيه محمد «صلى الله عليه وسلم» زيادة تكرمة وتشريف وعلى من دونه رحمة وفرق بهذا بين صلاته تعالى على نبيه «صلى الله عليه وسلم» في سورة الأحزاب وبين صلاته على سائر المؤمنين فيها أيضًا ومن المعلوم أن القدر الذي يليق به «صلى الله عليه وسلم» من ذلك أرفع مما يليق بغيره والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي «صلى الله عليه وسلم» والتنزيه ما ليس في غيرها.

وقال الحليمي في الشعب[1] معنى الصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» تعظيمه بمعنى قولنا: اللهم صل على سيدنا محمد أعظم محمدًا والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره

---

[1] ينظر: الحليمي الحسين بن الحسن: المنهاج في شعب الإيمان، تح: حلمي محمد فودة، ط1، جار الفكر، 1979م، (2/ 133).

وإظهار دينه وإبقاء شريعته وفي الأخرة بإجزال مثوبته عنده وتشفيعه في أمته وإبداء فضائله في المقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى: ﴿صَلُّواْعَلَيۡهِ﴾[1] ادعوا ربكم بالصلاة «عليه.

فالصلاة تستعمل اسمًا وهي هذه التي اختلف في معناها وتكون بمعنى المصدر الذي هو صدورها ولهذا غاير بينهما في الصحاح[2] والقاموس[3]مؤلفاهما فراجعها إن شئت وعليه فيقال: صلى صلاة ولا يقال: تصلية.

ونقل الحطاب[4] في شرح مختصر خليل عن بعض المتأخرين أنه حذر من استعمال لفظ التصلية بدل الصلاة وقال أنه موقع في الكفر والعياذ بالله لأن التصلية الإحراق ثم ذكر أن العرب لم تفر قط في الصلاة الفعلىة ولا القولية صلى تصلية وإنما يقولون صلى صلاة وما نقله بعضهم عن النسائي وغيره كما نقله الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي[5] [6] عن ثعلب وابن عبد ربه أنهم قالوا: تصلية وقال إن صاحب القاموس تبع في ذلك الجوهري... الخ، فإن كان له أصل فالأحسن والمختار أن يقال صلاتي ولا يقال تصلية، فإنها تثقل باشتراك مدلولها فاعرفه وسأذكر بعض ما يتعلق بالصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» عند صلاتنا «عليه الأتية قريبًا إن شاء الله «عبده» أي عبد الله وسبب

---

[1] الاية رقم 56 من سورة الأحزاب.

[2] ينظر: الجوهري اسماعيل ابن حماد: الصحاح، تح: احمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، 1990م، (6/ 2402).

[3] ينظر: الفيروزآبادى مجد الدين أبو طاهر: القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1426 هـ – 2005 م، (ص: 1304).

[4] ينظر: الحطاب شمس الدين أبو عبد الله الطرابلسي: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط 3، دار الفكر، 1412هـ – 1992م، (1/ 17).

[5] هو ناصر الدين ابو سعيد ولد ببلاد فارس وبرز من اهم علماء عصرع وله كتابات كثيرة في عدة علوم من ابرزها كتابه» انوار التنزيل واسرار التاويل» وهو في التفسير. للمزيد ينظر الى: البيضاوي ناصر الدين: انوار التنزيل واسرار التاويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، ص ص 9-14.

[6] ينظر الى: الخفاجي شهاب الدين أحمد: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، د ط، دار صادر – بيروت، (1/ 224).

كمال عبوديته «صلى الله عليه وسلم» أنه أثنى «عليه باسم العبد وسماه به في أشرف مقاماته فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1] وقال تعالى-: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[2] وكان «صلى الله عليه وسلم» يقول: « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرُتِ النَّصَارَى عِيسَى وَلَكِنَّ قُولُوا عَبْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ» [3] فاستثبت ما هو ثابت له وأسلم لله ما هو له لا لغيره وليس للعبد إلا اسم العبد ولهذا كان عبد الله أحب الأسماء إلى الله تعالى ولما خير «عليه الصلاة والسلام» بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبينًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا، لأنه أتم وأحب إلى الله لأنه يضاف إليه تعالى فيقال عبد الله ولا يقال ملك الله وإن كان هو له في نفس الأمر قاله في أنموذج اللبيب الحافظ للسيوطي رحمه الله.

بما خص الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم:

وقول الفاسي ومن خصائصه «صلى الله عليه وسلم» أن سماه لجلته عبد الله ولم يطلقها على أحد سواه وإنما قال: -قال تعالى -: ﴿عَبْدًا شَكُورًا﴾[4] و- قال تعالى-: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ فيه نظر، لأنه إن أراد مطلق الناس فباطل با لمشاهدة وإن أراد الأنبياء فقد قال «صلى الله عليه وسلم» -قوله تعالى-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ وقال في زكريا: -قال تعالى -: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾[5] وأخبر عن نبيه وعبده عيسى: -قوله

---

[1] الاية رقم 1 من سورة الاسراء.

[2] الاية رقم 10 من سورة النجم.

[3] أخرجه البخاري (3445) وأحمد (154).

[4] الاية رقم 3 من سورة الاسراء.

[5] الاية رقم 2 من سورة مريم.

تعالى-: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠﴾[1] ولعله غفل والإنسان لا يخلوا من نسيان أو ذهول غالبًا.

تنبه: في هذه الآية التي أوردناها شاهدًا من تعظيم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ما لا يخفى على عاقل فإنه سبحانه وتعالى أضاف نفسه إلى نبيه سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» فقال ربك وأضاف زكريا إلى نفسه فقال عبده وبين الإضافتين ما بين المرتبتين فإنه في قوة قولك أنا لك وزيد لي تأمل وصل عليه كثيرًا وسلم «صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كثيرًا كثيرًا كثيرًا»، «و» أشهد أن سيدنا وشفيعنا صاحب المعراج محمدًا «رسول» أي رسول الله تعالى والرسول نبي أوحى الله إليه بشرع وأمره بالتبليغ إلى من شاء الله وقد خص الله تعالى سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» بمخاطبته باسم النبي واسم الرسول دون سائر الأنبياء الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام والنبي رجل خصه الله بسماع وحيه بواسطة قلد أو دعونه، وقيل هو رجل أوحي إليه بشرع معين وقال القرافي النبوة: ليست هي مجرد الوحي، محمد يعتقد كثير لجهله لمن هو ليس بنبي كمريم «عليها السلام» وليست بنبية على الصحيح بل النبوة عند المحققين إيحاء الله لرجل بحكم إنشائي أ هـ.

واختلف فيما يفترق فيه مع الرسول وفيما يزيده الرسول «عليه فقيل أن الرسول هو النبي المأمور بتبليغ ما أوحي إليه فهو أخص من مطلق النبي لزيادته «عليه بالأمر بالتبليغ وقيل إن حكم الإرسال والتبليغ يعمهما وإنما يفترقان في أمره آخر من كون الرسول يأتي بشرع جديد أو نسخ لبعض شرع من قبله أو له كتاب مخصوص والنبي إنما يأتي مؤكدًا بشرع غيره كيوشع فإنه بعث مؤكدًا لشرعية موسى «عليهما السلام ثم النبي والرسول إذا أطلقا في القرآن أو السنة أو في ألسنة الناس فالمراد بهما نبينا «صلى الله عليه وسلم» وهو الرسول لكافة الخلق من الأولين والآخرين ورسالته عامة ودعوته تامة

---

[1] الاية رقم 30 من سورة مريم.

ورحمته شاملة وامداداته في الخلق عاملة وكل من تقدم من الرسل قبله والأنبياء فعلى حسب النيابة عنه فهو الرسول على الإطلاق والمختار من الخلق الآتي بالحق من الحق «صلى الله عليه وسلم» أبدًا «الذي» اسم موصول صلة «رفع الله له» أي لأجله «من» جهة «وراء كتفيه» تثنية كتف وهو العضو المعروف «أحسن راية» وهي لغة آلة تحمل مع العظماء للإرهاب في الحرب وغيره سماها خرقة من ديباج أو غيره من ذراع في مثله إلى ثلاثة في أربعة يربط عرضها لطول رأس عصي وتحملها بعض أتباع العظيم سائر خلفه والريح تذروها ويقال البند وجمعها رايات وجمع البند بنود وكان «صلى الله عليه وسلم» تحمل معه الرايات وتلك الراية كانت تسمى العقاب[1] لأنها سود أو العقاب أسود وكانت من برد لعائشة رضي الله عنها كما ذكره أصحاب السير والحافظ الدمياطي وغيره ولم تعرف له «صلى الله عليه وسلم» الرايات إلا بخيبر[2] وقبلها كانت ألوية والألوية جمع لواء وهو العلم الضخم وقال القاضي عياض[3] في مشارقه اللواء هي الراية ولا فرق بينهما وراية النبي «صلى الله عليه وسلم» يوم خيبر كانت سوداء وأعطاها عليا كرم الله وجهه وأعطى اثنين رايتين غير راية على وذكر أهل السير أن عليا كرم الله وجهه هو الذي كان يحمل راية النبي «صلى الله عليه وسلم» في كل زحف وقال سعيد بن المسيب[4] [5] راية النبي «صلى الله عليه وسلم» كانت مرطًا سودًا ورأيت الأنصار كانت تسمى بالعقاب

---

[1] ينظر الى: الواقدي محمد بن عمر: مغازي الواقدي، ط 3، دار الأعلمي – بيروت، 1409/1989. (2/ 649).

[2] المصدر السابق,نفس الصفحة.

[3] ينظر الى: القاضي عياض بن موسى: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، د ط، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، (1/ 252).

[4] هو ابن حزن ابو محمد سعيد بن المسيب القرشي عالم اهل المدينة المنورة واحد رواة حديث الرسول صلى الله «عليه وسلم توفي سنة 95هـ. للمزيد ينظر: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، (4/ 218).

[5] ينظر: ابن عساكر أبو القاسم على: تاريخ دمشق لابن عساكر، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ – 1995 م، (42/ 73).

وفي هذا نظر لما ذكرناه أن الرايات لم تكن تعرف إلا من غزوة خيبر وأما تسمية راية الأنصار يوم أحد بالعقاب فلأن أصل اللغة أن كل راية تسمى عقابًا وهو أيضًا أصل تسمية رايته «صلى الله عليه وسلم» بالعقاب وكل ذي راية يخشى الهزيمة عند التقاء الصفوف في الحرب إلا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عقدها له ربه واطمأن بآية- قوله تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾[1] ولم تكن راية مثل رايته في الحسن وكفى بها حسنًا أن اختارها الله لمن اختاره من خلاصة عباده فإن الواجب اعتقاده أن كل نوع كان لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» من كتاب أنزل «عليه وكلام روي عنه وفعل صدر منه ونساء وموالى وخيل وبغال ونعم وثياب وآلة حرب ومسكن وقبر وأمة خير وأحسن من جنس ذلك النوع عند غيره «صلى الله عليه وسلم» وإنما خصصت الراية هنا بالذكر لأن القصد من هذا الكتاب التحريض على الجهاد وذكر ما ورد فيه من وعد رب العباد والراية من فصول هذا الباب وفي التعبير من وراء كتفيه أدب وجيه إشارة إلى أن أمته منصورون من بعد غيبوبة شمسه إلى الرفيق الأعلى عند ربه وهذا أيضًا من خصائصه «صلى الله عليه وسلم» إذ ما من نبي جاء وانتظم حال أمته وغاب عنهم إلا تفرقت كلمتهم وفسد نظامهم وانقطعت الخلافة بمعنى الملك منهم وأما نبينا «صلى الله عليه وسلم» فقد غاب بعد كمال الدين وإتمام النعمة ولا مؤمن إلا في جزيرة العرب فاستخلفه أبو بكر وجمع الله كلمة الإسلام به وجاء مسيلمة الكذاب لعنه الله فلما جاء فغزاه أبو بكر رضي الله عنه وهزم جنده وكسر بنوده وقطع رأسه وأخمدت في العذاب أنفاسه وفتحت اليمامة ببركة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وفي خلافة عمر فتحت العراق وخرب ملك كسرى وصار أهلها في دين الله وكذلك الشام وما وراءها وفتحت مصر وما وراءها لطرابلس.

ثم في خلافة عثمان فتحت إفريقية والروم وما ورائها بالمشرق إلى خوارزم.

---

[1] الاية رقم 67 من سورة المائدة.

وفي خلافة على فتحت بلخ وسمرقند وفي الستة أشهر التي هي تمام الخلافة فتحت كشعرة من بلاد العجم على يد الحسن بن على فوقع الفتح من أقصى المشرق إلى منتهي المغرب في ثلاثين سنة ببركة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وكون الإمداد الإلهية.

وكل خليفة تصير له راية رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أو سيفه وطلبها معاوية بن أبي سفيان فلم يظفر بها بشيء وطلبها من بعده ابنه إلىزيد فقيل له لو كانت عندنا لأعطيناكها فخلف بعض آل النبي «صلى الله عليه وسلم» «عليها عامله الله بعدله فحلفوا على بأنهم لا يدرون السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها ولهذا قلنا أحسن راية.

تنبيه: مثل ما قال إلا في الراية قالت عائشة في العصا التي هي الهراوة التي كانت تصحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» غالبًا وهي على الصحيح العصا التي هبط بها آدم من الجنة بارك الله فيها وتوارثها الخاصة من الأنبياء واحد بعد واحد وإذا كانت فترة رفعت حتى جاءت شعيب «عليه السلام فغرزها في البستان حتى جاء موسى كما أخبر الله عنه في كتابه وأنكحه إحدى ابنتيه واسمها صبورة وأعطاه العصا وهي التي سأله الله عنها: –قوله تعالى–: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾[1] سؤال عالم يرتب على الجواب ألقها ثم لم تزل تنقل من نبي لأخر حتى جاءت سليمان وهي المنسأة التي أكلتها أي أكلت منها دابة الأرض وهي الأرُضة بضم الراء المعروفة بالسوس وأفردها إما لاتحادها أو أراد الجنس وكان سليمان «عليه السلام» لا تفارقه وكان قد مات وهو متوكأ عليها والجن ترم في الحجر العظيم في أرض المقدس جاهلين موته فلما خر بانكسار العصا – قوله تعالى–: ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾[2]، ثم رجعت مشعبًا طرفها حتى جاءت عيسى بن مريم «عليه السلام» فكان يحملها في يده ويتوكئ «عليها أيضًا ويركب الحمار وهي معه إلى أن رفع فرفعت حتى بعث سيدنا وسيد

---

[1] الاية رقم 17 من سورة طه.

[2] الاية رقم 14 من سورة سبأ.

ما سوى الله تعالى الصادق محمدًا «صلى الله عليه وسلم»، فجاءته وكانت لا تفارقه غالبًا في حضره وفي سفره وعزوه وحجه إلى أن غاب فغابت ويقال إنها تعود لعيسى إذا عاد في آخر الزمان والله أعلم.

«و» الذي «نصره» الله سبحانه على أعدائه نصرًا عزيزًا شهد به أوليائه وأعدائه من الجن والإنس حتى أن أهل الكتاب في زمانه «صلى الله عليه وسلم» كتبوا لأهل ملتهم صورة دعوة الرسالة ومدة إقامته بمكة وصورة خروجه منها وهجرته وجهاده وسيرته كلها وأنه بلغه الله إلى ما صار إليه بلا مال ولا كثرة رجال ولهذا قلنا «بالرعب الشديد» يقر الله في قلوب أعدائه حتى لا يسعهم إلا الفرار ويموتوا أو يقولوا لا إلا الله ويبايعونه على ترك المحرمات التي حرمها الله لا يفعلونها وعلى الواجبات التي فرضها الله لا يتركونها والرعب الخوف قال الله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾[1] وبه تعلم أن المدد سماوي ومن جملة ما نصر به رسوله الرعب والآية نزلت في وقعة بدر وسنذكرها تبركًا بالآية وبمن سأذكره في سيرته من الصحابة، فنقول: روي عن ابن عباس وعروة ابن الزبير ومحمد بن إسحاق(ق/[2] رضي الله عنهم أن سفيان بن حرب أقبل من الشام في عير قريش في أربعين راكبًا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كثيرة على هي اللطيمة وهي الجمال التي تحمل العطر حتى إذا كانوا قريبًا من بدر بلغ النبي «صلى الله عليه وسلم» خبرهم فندب أصحابه إليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدد وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يلقى حربًا فلما سمع أبو سفيان بمسير رسول الله «صلى الله عليه وسلم» استأجر ضمضم بن عمر الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشًا يشعرهم ويخبرهم

---

[1] الاية رقم 12 من سورة الانفال.

[2] ينظر: «مغازي الواقدي» (1/ 31).

أن محمدًا في أصحابه قد عرضوا لعيرهم فخرج ضمضم سريعًا إلى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب وقد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة ليال أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني وخشيت على قومك منها شرًا ومصيبة قال لها وما رأيت قالت: رأيت راكبًا أقبل على بعير له ثم وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته، ألا انفروا يا الغدر لمصارعكم في ثلاثة فأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها بأعلى صوته ألا انفروا يا الغدر إلى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل رفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخل منها فلقة، فقال العباس: والله إن هذه لرؤيا فاكتميها ولا تذكريها لأحد، ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقًا للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه ففشي الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة، قال العباس: فعمدت أطوف بالبيت فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك أقبل إلينا وأبو جهل بن هشام في نفر من قريش فلما فرغت من طوافي أقبلت حتى جلست إليهم فقال لي أبو جهل يا بني عبد المطلب ما حدثت هذه البنية فيكم، قلت: وما ذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة، قلت: ما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجل لكم حتى تتنبأ نساؤكم لقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاثة فإن يك ما قالت حقًا فسيكون وأن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابًا بأنكم أكذب أهل بيت في العرب، قال: العباس فوالله ما كان إليه مني من كثير شيء إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون عاتكة رأت شيئًا ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقلنا أقررتم لبني العباس الخبيث أن يقع في رجالكم حتى تناول نساءكم وأنت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت، قال: قلت والله قد جعلت ما كان مني إليه من شيء وأيم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفينه، قال: فقدمت في

إليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا جدير بغضب أرى أني قد فاتني شيء أحب أن أدركه من قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله أني لأمر نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع فيه وكان أبو جهل رجلًا خفيفًا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر إذا خرج نحو باب المسجد يشتد قال: العباس فقلت في نفسي ما له لعنه الله أكل هذا فرقًا مني أن أشاتمه قال فإذا هو سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفًا على بعيره وقد جذع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولم أر أن تدركوها قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر قال فتجهز الناس سراعًا ولم يتخلف من أشراف قريش أحد إلا أبي لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، فلما اجتمعت قريش للمسيرة ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة من كنانة من الحرب فقالوا: نخشى أن يأتونا من خلفنا فكاد ذلك أن يثبتهم فتبدا لهم الشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من أشراف بني بكر فقال: أنا جار لكم وأن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سراعًا وخرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديًا يقال له دَقران فأتاه الخبر عن سير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار «صلى الله عليه وسلم» حتى إذا كان بالروحا أخذ عينًا للقوم فأخبره بخبرهم وبعث رسول الله «صلى الله عليه وسلم» له عينًا من جهينة حليفًا للأنصار يدعا أريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فنزل جبريل «عليه الصلاة والسلام وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ يريد إما العير وإما قريش وكانت العير أحب إليهم فاستشار رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر وقال فأحسن وقام عمر فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو وقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنوا إسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا

قَـٰعِدُونَ﴾ ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» له خيرًا ودعا له بخير ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أشيروا على أيها الناس وإنما يريد الأنصار وذلك لأنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برئاء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إلبنا فأنت في ذمامنا نمنعك بما نمنع ابنائنا ونساءنا فكان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يتخوف أن لا يكون الأنصار ترى «عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس «عليهم أن يسيروا معه إلى عدو من بلاد هم، فلما قال ذلك رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال أجل قال قد أمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطينا ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ولا يتخلف منا أحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وعدوك، إنا لصُبَّرٌ عند الحرب صدق في القاء ولعل الله عز وجل يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى، فسرَّ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم.

في ذكر غزوة بدر:

وعن أنس بن مالك[1] أن عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان يرينا مصارع أهل بدر بالأسر يقول: هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله تعالى قال: عمر فوالذي بعثه بالحق

[1] رواه مسلم (2873) وأحمد (182).

ما أخطأوا الحدود التي حدها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: فجعلوا في بير بعضهم على بعض فانطلق رسول الله «صلى الله عليه وسلم» حتى انتهي إليهم فقال يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقًا فإني قد وجدت ما وعدني الله حقًا، فقال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساد لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئًا فبذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ يعني طائفة أبي سفيان مع العير وطائفة أبي جهل مع النفير.

وروى عكرمة[1] عن أبي رافع مولى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: كنت غلام العباس بن عبد المطلب عم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وكان الإسلام قد دخل علدنا أهل البيت فأسلمت أم الفضل وكان العباس يدار به قومه ويكره خلافهم ويكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جائه الخبر عن مقتل أصحاب بدر كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزًا قال أبو رافع: وكنت رجلًا ضعيفًا وكنت أعمل القداح وأنحتها في حجرة زمزم فوالله إني لجالس أنحت القداح وعندي أم الفضل جالسة إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتى جلس على طبة الحجرة فكان ظهره إلى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم، فقال أبو لهب: إلى يا ابن أخي فعندك الخبر اليقين فجلس إليه والناس قيام «عليه فقال أبو لهب: يا بن أخي أخبرني كيف كانت أحوال الناس فقال: لا شيء والله إن كان إلا لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا وأيم الله ما لمت الناس لقينا رجالًا بيضاء على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما نطيق نقاومهم ولا يقاومهم شيء، قال أبو رافع: فرجعت طرف الحجرة بيدي وقلت ذلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب

---

[1] عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين «سيرة ابن هشام» ، الطبعة: الثانية، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375هـ - 1955 م(1/ 646).

وجهي ضربة شديدة فتناورته فاجتملني فضرب بي الأرض ثم برك على صدري وكنت رجلًا ضعيفًا فقامت إليه أم الفضل بعمود من عمد الحجرة فضربت به ضربة فلقت به رأسه شجة منكرة وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده فقام موليًا ذلك فوالله ما عاش سبع ليال حتى رماه الله بالعرصة فقتله الله.

وورى مقسم عن ابن عباس[1] كان الذي أسر العباس يوم بدر أبو البشر كعب بن عمرو أخو بني سلمة وكان أبو إلسر رجلًا مجموعًا وكان العباس رجلًا جسيمًا فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لأبي إلسر: «كيف أسرت العباس» قال: يا رسول الله قد أعانني «عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيبته كذا وكذا فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «لقد أعانك «عليه ملك كريم أدهم» ولا شك إن الملائكة يوم بدر أعانوا وثبتوا الذين أمنوا وقاتلوا بالفعل ولم يقاتلوا حقيقة إلا في هذا إليوم وأما يوم حنين فقد جاءوا رهابًا للكفار وتثبيتًا للمؤمنين ولم يقاتلوا على الصحيح.

وقد روي عن أبي داود المازني[2] وكان شهد بدرًا قال: إني لأتبع رجلًا من المشركين لأضربه فوقع رأسه في الأرض قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري.

وعن سهل بن حنيف[3] قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف أ هـ.

واعلم أن نصره «صلى الله عليه وسلم» بالرعب لا ريب فيه، لشهادة عدوه به كما مر في جواب أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب لسؤال عمه أبي لهب في قوله: والله إن كان أنا لقيناهم فمنحناهم أكتافنا إلخ وكفى بقول الله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال/12] شاهد صدق، ثم من كرامة رسول الله «صلى الله عليه وسلم»

---

[1] رواه أحمد (3310).

[2] رواه أحمد (23778).

[3] رواه الطبراني في «المعجم الكبير للطبراني» (6/ 74) وصححه الحاكم في «المستدرك» (3/ 463).

وكرامة أصحابه إذ أغشاهم النعاس في هذا إليوم وفي حالة الحرب أمنة منه كما أخبر سبحانه عن ذلك وفي ذلك دليل على حصول التثبيت لقلوب الصحابة لما تلقيه الملائكة فيها من الإلهام للصبر وعظيم الشجاعة، كما أن ما تلقيه الشياطين في قلب من سلطت «عليه يسمى وسواس كذلك ما تلقيه الملائكة يسمى إلهامًا وتثبيتًا ولولا حصوله حقيقة ما نعسوا على أقتاب ما ركبوه من المطايا لعظيم الأمنة الحاصلة لهم بفضل الله والنعاس النوم الخفيف.

قال عبد الله بن مسعود[1]: النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة خذلان من الشيطان واخْتُلِفَ في النعاس فقيل بعضهم ناعس وبعضهم يقاتل وإذا تنبه الناعس قاتل ونعس المقاتل قبله وقيل ألقى الله الناعس على الصحابة كلهم فنعسوا باخر الحرب وألقى الرعب على المشركين كلهم فهربوا وحصول النعاس دفعة واحدة لهذا الجمع العظيم مع الخوف الشديد وكون الصحابة أقل عددًا وعدة لأمر خارج عن العادة ولهذا عد معجزة عند بعضهم لأنه خرق العادة.

تنبيه: في يوم بدر هذا مات عدو الله ورسوله أبو جهل،[2] وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن عوف قال إني لواقف في الصف يوم بدر إذ نظرت عن يميني وعن شمإلى فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال لي: عم هل تعرف أبا جهل قلت: نعم فما حاجتك إليه يا ابن أخي قال: أخبرت أنه يسب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» والذي نفسي بيده لأن رأيته لا يفارق سواده سوادي حتى يموت الأعجل منا فتعجبت لذلك قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب إلى أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله

---

[1] رواه عبد الرزاق– أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري إليماني الصنعاني– في» التفسير» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. 1419هـ، (2/ 117).

[2] أخرجه البخاري (3141) ومسلم (1752).

«صلى الله عليه وسلم» فأخبراه فقال: «أيكما قتله» فقال كل واحد منهما: أنا قتلته فقال: « هَلْ مُسِحْتُمَا سَيْفَكُمَا» فقالا: لا فنظر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلى السيفين فقال: « كُلَاكُمَا قَتْلَهُ» وقضى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء.

وفي الصحيحين أيضًا عن أنس بن مالك[1] قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: « مَنْ يَنْظُرُ لَنَا مَا صَنْعٌ أَبُو جَهْلٍ» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفرا حتى برد قال: فأخذ بلحيته وقال: أنت أبو جهل.

وفي البخاري: أنت أبا جهل هكذا قاله أنس فقال: وهل فوق رجل قتلتموه أو قال قتله فسوق وفي رواية قال: أبو جهل فلو غيرك من قتلني.

وعن عبد الله بن مسعود قال: مررت فإذا أبو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت: يا عدو الله يا أبا جهل قد أخزى الله الأخر قال: ولا أهابه عند ذلك فقال: ابعد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طال فلم يقل شيئًا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد أخرجه أبو داود[2] وأخرجه البخاري[3] مختصرًا قال: إنه أتى أبا جهل يوم بدر وفيه رمق فقال: هل أعمر من رجل قتلتموه .

وورد أن أبا جهل قال يوم بدر حين التقى الجمعان: اللهم أينا كان أفجر نفسه ومحمدًا «صلى الله عليه وسلم» قاطعًا للرحم فاصنه إليوم وقيل أنه قال: اللهم أينا كان عندك خيرًا فانصره وقيل أنه قال: اللهم انصر أكرى الفئتين وخير الفريقين وأفضل الجمعين اللهم من كان أفجر وأقطع لرحمة الله فأحنه إليوم فأنزل الله: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ﴾ يريد أبا جهل ومن

---

[1] أخرجه البخاري (3962) ومسلم (1800).

[2] رواه أبو داود (2709).

[3] أخرجه البخاري (3961).

معه ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾ وهو خطاب مع المشركين عند أكثر المفسرين ومعناه إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء.

وقد روي أن عبد الله بن مسعود[1] قال: مررت على أبي جهل في القتلى وفيه رَمَقٌ فعرفته ووضعت رجلي على عنقه فقلت: هل أخزاك الله يا عدو الله قال: وبماذا أخزاني أعمر من رجل قتلتموه أخبز في الدجى قلت: لله ولرسوله قال فتنفس الصعدا.

وروي عن ابن مسعود أيضًا[2] أنه قال: قال لي أبو جهل وهو صريع لقد ارتقيت لهم يا رويعي مرتقا صعبًا ثم احتزرت رأسه ثم جئت به رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال: « اللهُ الَّذِي لَا إِلَهٌ إلّا اللَّهِ غَيْرَه» فقلت: نعم والذي لا إله غيره ثم ألقيته بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فحمد الله عز وجل وقد ذكر أهل التفسير والمغازي أن.

وقد ذكر أهل التفسير والمغازي: أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لما نزل بدرًا ووردت « عَلَيه أَخْبَارُ قُرَيْشٍ وَأَنَّهُمْ جاءوا فِي عَدَدٍ وَعُدَدً وَسَأَلَ عَنْ أَشْرَافِهُمْ وَعظمائِهُمْ ، فَقِيلَ لَهُ: جَاءَ عَتَبَةً بْنُ رَبِيعَةٍ وَشَيْبَةً بْنِ رَبِيعَةٍ وَأَبُو الْبُحْتُرِيَّ بْنُ هِشَامِ وَحَكِيمٌ بْنُ حِزَامٍ وَالْحَرَّابَ بْنِ عَامِرٍ وَطُعْمَةً بْنِ عِدَّيٍ وَالنَّضِرَ بْنِ الْحارِثِ وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هشامِ وَأُمِّيَّةٍ بْنِ خَلْفَ وَنَبِيهَةً بْنِ الْحُجَّاجِ وَمُنْتَبِهٌ وَسُهَيْلً بْنُ عَمْرٍو وَكَثِيرُونَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَفُرْسَانِهَا ، بَلْ لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهَا سِوَى أَبِي لَهَبِ ، اِسْتَخْلَفَ العاص مَوْضِعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –« صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم» – لأصحابه: « هَذِهِ مَكَّةٌ قَدْ أَلْقَتْ إليكم أَفَلَاذَ كَبِدِهَا»، فلما أقبلت قريش ورأها – «صلى الله عليه وسلم» – تصوب من العقنقل وهو الكثيب من الرمل وجاءت إلى الوادي قال: « اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٍ قَدْ أَقْبِلْتِ بَخِيلَهَا وَفَجْرُهَا تَجَادُلِكَ وَتُكَذِّبُ

---

[1] ينظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (3/ 85).

[2] المصدر السابق.

رَسُولَكَ[1] اللَّهُمَّ فَنَصْرُكَ الَّذِي وَعُدْتِنِي »، فجاء جبريل -«عليه السلام» - وقال له: خُذ قبضة من تراب فارمهم بها.

فلما التقى الجمعان تناول رسول الله -«صلى الله عليه وسلم» - كفًا من الحصباء «عليها تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال: «شَاهَتِ[2] الوُجُوهُ»[3]، يعني قَبُحَت الوجوه فلم يبق مشركًا إلا ودخل في عينيه ومنخريه وفمه من ذلك التراب شيء، فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم.

وقال قتادة[4]وابن زيد[5]: ذكر لنا أن رسول الله - «صلى الله عليه وسلم» - أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال: «شَاهَتِ الوُجُوهُ»، فانهزموا، فذلك قوله -عز وجل-: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، إذ ليس في وسع أحد من البشر يرمي بكف من حصا في وجوه قوم، فلا يبقيفيهم عين إلا وقد دخل فيها من ذلك شيء، فصورة الرمي صدرت منه -«صلى الله عليه وسلم» - وتأثيرها صدر من الله -عز وجل- فلهذا المعنى صح النفي والإثبات وقيل في معنى الآية: وَمَا رَمَيْتِ إِذْ رَمَيْتِ وَلَكِنَّ اللهَ بُلِغَ رَمِيَّتُكَ [6] وقيل: إن معنى الآية:

---

[1] ينظر: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية (537/2).

[2] قَالَ أَبُو عبيد: قَالَ أَبُو عَمْرو: يَعْنِي قَبُحَت الوُجوه. يُقَال شاهَ وَجهه يَشُوه وقد شَوَّهه الله ورجُلٌ أشْوَه وامرأةٌ شَوْهاءَ والِاسْم الشُّوهَة. «تهذيب اللغة» (190/6).

[3] أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري،» خلاصة سير سيد البشر» ، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - السعودية، 1418هـ - 1997م، (108).

[4] انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (429/4).

[5] رواه ابن أبي حاتم- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم، «تفسير القرآن العظيم» الطبعة: الثالثة، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، 1419 هـ، (8908).

[6] قال أبو عبيد: رَمى الله لك، أي نَصَرك وصنع لك. «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (2362/6)

وَمَا رَمَيْتَ بِالرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِم إِذْ رَمَيْتَ بِحَصْيَاتِكَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى بِالرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِم حَتَّى انْهَزَمُوا كَمَا رَأَيْت.[1]

تنبيه: كان جملة من أسر من المشركين في هذا إليوم سبعين رجلًا ومات أكثر من ذلك ولم يستشهد من المؤمنين إلا أربعة عشر، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين.

وأقام – «صلى الله عليه وسلم» – بعرصة[2] بدر ثلاثة أيام ثم ارتحل ومعه الأسارى من المشركين ولما وصل إلى الصَّفراء ضرب عنق النضر بن الحارث اللعين وعقبة بن أبي معيط الذي نزل فيه[3]: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

وكانت مدة غيبته – «صلى الله عليه وسلم» – عن المدينة تسعة عشر يومًا وعثمان –» عليه السلام– لم يشهد هذه، لكونه تخلف لمرض زوجته رقية–» عليهما السلام–[4].

«و» نصرته أيضًا «بالصِّبا» [5] وهو الريح الشرقية المباركة الميمونة التي من عادة الله أن يلقح بها الشجر وقال تعالى فيها: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ وتقابلها الدبور [1] والتي من

---

[1] ينظر: «معالم التنزيل في تفسير القرآن» للبغوي (340/3).

[2] عرصة الدار ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء والجمع عراص «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» (402/2).

[3] ينظر: «تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم» لابن أبي حاتم(15094).

[4] روى البخاري (3130) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّمَا تَغَيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ «عليه وَسَلَّمَ وكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ «عليه وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ» .

[5] (}والصَّبا)، بالفَتْح والقَصْر: (رِيحٌ) مَعْروفةٌ تُقابلُ الدَّبُورَ، سُمِّيت بذلكَ لأَنَّها تَسْتَقبلُ البيتَ وكأَنَّها تحِنُّ إليه. قالَ ابنُ الأَعرابِي: (مَهَبُّها من مَطْلَعِ الثّرَيَّا إِلَى بناتِ نَعْشٍ) تكونُ اسْماً وصفَةً.
وَفِي الصّحاح: مَهَبُّها المُسْتَوي أَنْ تهُبَّ من موضِعِ مَطْلَعِ الشمسِ إِذا اسْتَوَى اللّيْل والنهارُ «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي(409/38).

ناحية القطب شمال ويقال: شمال بفتح المعجمة وسكون الميم وتقابلها الجنوب وإنما نصره الله بالصبا لشرفها فهي أحق بنصرته، لأنه «صلى الله عليه وسلم» - بعث رحمة[2] وهي لم تفعل ما فعلت الدبور في عاد وقصاراها أن انقشعت بها الفساطيط[3] وتدكدكت[4] الإبل والخيل والحمر[5]فمن ناهض جافل بعقاله ومن صاهل أو ناهق نافر بشكاله وكثر منها العجاج حتى لا يمكن أحد من الأحزاب أن يفتح عينه فما وسعهم إلا الفرار.

«مسيرة شهر» هذا مقتبس من حديث «نصرت بالصبا مسيرة شهر»، لأنه ليس فيه كثير تحريف حتى يقال: تلميح والمراد بمسيرة الشهر: من المدينة إلى الجهات الأربع، لأن الأحزاب جاءوا من كل ناحية والشهر لكل ناحية من الجهات الأربع، فلا يقال: طرف إليمامة دون الشهر وهي لبني يمتم وهي تحت كفر مسيلمة الكذاب، كما لا يقال هو منصور في البيداء غربًا وشرقًا وشمالًا لا أكثر من شهر فكيف يقيد النصر بمسيرة شهر، لأنا نقول: السير مختلف بين جد وهوينا والشهر صادق لمن جد السير من المدينة غربًا أو شرقًا أو شمالًا، كما هو صادقأيضًا فيمن سار الهوين إلى الجنوب من ناحية مكة وإليمامة، على أنه يكفي في صدق الحديث مسيرة شهر إلى جهة واحدة وأحرى جهتين فكيف بأكثر.

---

[1] وَالدَّبُورُ: رِيحٌ تُقْبِلُ مِنْ دُبُرِ الْكَعْبَةِ. «معجم مقاييس اللغة» (325/2)

[2] روى مسلم (2599) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً» .

[3] قَالَ اللَّيْث: الْفسْطَاط: ضرب من الْأَبْنِيَة. والفسطاط أَيْضا، مُجْتَمع أهل الكورة حوالى مَسْجِد جَمَاعَتهمْ. يُقَال: هَؤُلَاءِ أهلُ الْفسْطَاط. «تهذيب اللغة» (238/12).

[4] تَدَكْدَكَت الجِبالُ: صارَتْ {دَكاواتٍ.} والدُّكُكُ، بضَمَّتَيْنِ: النُّوقُ المُنْفَضِخَةُ الأَسْنِمَةِ. {واندَكَّ الرَّمْلُ: تَلَبَّدَ. «لسان العرب» (424/10).

[5] حمن: الحَمْنانُ، الواحدةُ حَمْنانَةٌ: صِغارُ القِرْدان، «كتاب العين» للخليل (253/3).

وقال ابن حجر في شرحه على الهمزية: الصبا: من سهيل إلى القطب والجنوب وتسمى الأرنب وهي التي تهب من سهيل إلى المغرب والدبور هي التي تهب من المغرب، سميت بذلك لأنها تهب من ظهر الكعبة زادها الله شرفًا.

والحاصل أن الريح إن هبت من تجاه الكعبة بالصبا وهي حارة يابسة ومن ورائها فالدبور وهي باردة رطبة ويمينها فالجنوب وهي حارة رطبة، أو شمالها فالشمال وهي باردة يابسة وهي ريح الجنة التي تهب «عليهم رواه مسلم[1].

وقال في موضع آخر من الشرح المذكور: الصبا هي الريح التي مهبها مطلع الشمس عند الاستواء وهيمراد الحسن بقوله: فإذا جعلت ظهرك إلى باب الكعبة فالصبا مقابلك[2] وهو مستقبل الباب ويطلق «عليها من عن يمين هذا المطلع إلى قريب سهيل ويساره إلى قريب القطب الشمإلى.

وأخرج[3] الشيخ عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن ما بين مطلع الشمس والجدي يسمى صبا ويسمى شمالًا وبتسميته صبا صرح عثمان الأعرج[4]من السلف حيث قال: الصبا من مطلع الشمس على كرسيبنات نعشر[5] وفي القاموس الشمال: الريح التي تهب

---

[1] أخرجه «مسلم» (2833).

[2] ينظر: «الدر المنثور» للسيوطي (330/1).

[3]مستدركة.

[4] قال الذهبي: عثمان الأعرج، عن الحسن، حدث عنه عباد بن كثير. لا يعرف. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي،» ميزان الاعتدال» ،الطبعة: الأولى، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1382 هـ - 1963 م، (60/3).

[5] رواه أبو الشيخ– أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأَبِي الشيخ الأصبهاني –في «العظمة» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار العاصمة – الرياض، 1408هـ، (1335/4).

من قبل الحجر[1] يعني: حجر الكعبة، قال: والصحيح أن ما مهبه بين مطلع الشمس ونبات نعشر، أو من مطلع الشمس إلى سقط النسر الطَّاير هو الصبا ا.هـ.

والحاصل الأصح أن الصبا مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعشر والدبور: ريح يقابل الصبا والجنوب ريح يقابل الشمال مهبه من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ولهذه الريح أمر بين في نصرته «صلى الله عليه وسلم» في موقعة الخندق المسماة بالأحزاب وقد آن لنا أن نذكرها مختصرة بعبارة قليلة اللفظ، تجمع المعنى الوارد والصحيح فيها من كتب المفسرين والمحدثين تبركًا فنقول وبالله نستعين:

في ذكر غزوة الأحزاب:

غزوة الأحزاب هي المعروفة بغزوة الخندق، بلغ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» – تحزيب القبائل فحفر الخندق، قيل: بإشارة من سلمان الفارسي وفيها ظهرت له «صلى الله عليه وسلم» معجزات كثيرة منها:

ما رواه جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– اشتد «عليه كدية أي: صخرة، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بماء وجعله في فيه ثم مجه على الصخرة، فانهالت تحت المساحي[2].

ومنها أن ابنة أخت النعمان بن بشير بعثتها أمها بغداء ابنها بشير وخالها عبد الله بن رواحة وهو شيء قليل من التمر فمرت برسول الله «صلى الله عليه وسلم» – فقال: «هَاتِ مَا مَعَكَ»، قال: فصببت ذلك في كفيه فلما امتليا دعا بثوب ورد ذاك فيه،

---

[1] ينظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي(1020/1).

[2] عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي، «تاريخ ابن الوردي» ، الطبعة: الأولى، لناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، 1417هـ – 1996م، (115/1).

قال:لإنسان اصرخ في أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء، فجاءوا وجعلوا يأكلون وجعل يزيد حتى صدروا وأنه يسقط من أطراف الثوب[1].

ومنها ما رواه جابر من شبع أهل الخندق من شويهة[2] كانت قد اصطنعت له وحده[3].

ومنها ما روي عن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – أنه «صلى الله عليه وسلم» – ضرب بمعول على صخرة، فلمعت بكل ضربة لمعة فقال: «فتح الله على بالأولى إليمن والثانية الشام والمغرب وبالثالثة المشرق»[4].

وفرغ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» من الخندق وأقبلت قريش في أحابيشها ومن تبعها من كنانة في عشرة آلاف وغطفان ومن تبعها في جيوش كثيرة ونقض بنو قريظة العهد وصاروا مع قريش حزبًا من الأحزاب وحاقوا بالمدينة من كل جهاتها وذاك قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ وعظم الخطب وذاك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ وظهر النفاق وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾

وأقام المشركون بضعًا وعشرين يومًا ورسول الله «صلى الله عليه وسلم» – مقابلهم ولا قتال بينهم غير المرامات بالنبل، ثم خرج عمرو بن عبدود من ولد لؤي يريد المبارزة، فنزل إليه علي –كرم الله وجهه– فقال عمرو: وَاللهُ يا بْنُ أَخِي مَا أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَكَ، فقال

---

[1] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، «دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني» ، الطبعة: الثانية، الناشر: دار النفائس، بيروت، 1406 هـ – 1986 م، (15/2).

[2] الشاة من الغنم يقع على الذكر والأنثى فيقال: هذا شاة للذكر وهذه شاة للأنثى وشاة ذكر وشاة أنثى. وتصغيرها: شويهة والجمع: شاء وشياه بالهاء. «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» (328/1).

[3] ينظر: «السيرة النبوية، لابن هشام» (218/2).

[4] أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، «دلائل النبوة، للبيهقي» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1405 هـ، (496/3).

علي: لَكِنِّي وَاللهُ أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَكَ، فَتَحَامُلَا فَضَرِبُهُ عَلَى وَكُثْرُ الْعَجَاجِ ، فَسَمِعُوا التَّكْبِيرَ ، فَعَلِمُوا أَنَّ عليا قِتْلَهُ ، فَلَمَّا أُرْتُفِعَ الْعَجَاجُ[1] إِذَا عَلَى عَلِيٍّ صَدَّرَ عَمْرُوُ يَذْبَحُهُ[2].

وأرسل الله ريح الصّبا على قريش وكافة الأحزاب فأكفت قدورهم وأرمت[3] خيامهم وفساطيطهم وأجفلت الإبل ونفرت الخيل والبغال والحمير وأدفع الله بينهم الخلق فتفرقوا وأرحلت قريش وأكثرهم رجالًا لتبقور[4] خيلهم ومطاياهم وكذاك غطفان وبنوقريظة وأتباع كل وأصبح رسول الله «صلى الله عليه وسلم» – مؤيدًا منصورًا ودخل المدينة حامدًا ذاكرًا مكبرًا لله وشاكرًا.

«نصر النهاية» المراد: نهاية النصر بحيث لا نصر أعظم منه.

وكثيرًا ما يكون ويسمع مثله من كلام العرب يقولون: لولا سحاب مطر الخريف، لهلكت الماشية، يريدون: مطر سحاب الخريف ومنه علم إليقين وعينه وحقه فإن المراد: يقين العلم ويقين العين ويقين الحق وإنما كان نهاية النصر، لأن العادة جرت بأن النصر يكون لإحدى الطائفتين بعد القتال فتقع الهزيمة على الأخرى وأما نصر الله لرسوله «صلى الله عليه وسلم» – فالصبا وقع دون قتال وانهزموا عن آخرهم وهذا نهاية النصر بالمدد السماوي الذي به يعرف العاقل أن الرسول جاء من عند الله بجميع ما شرعه من الدين.

«حَتَّى كَانَ لَهُ» «صلى الله عليه وسلم» – «عَلَى الأَعْدَاءِ» جمع عدو وهو: ما شأنه الإذاية كانت حاصلة، أو مستحصلة وقيل: هو من شأنه الإذاية بسبب أو دونه فتدخل

---

[1] العَجُّ: رفع الصوت. وقد عَجَّ يَعِجُّ عَجيجاً «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (327/1).

[2] «الروض الأنف» (427/2).

[3] أُرِمْتَ مِنَ الأَزْمِ: الأكلِ، يُقَال: أَرَمَتِ السَّنَةُ بِأموالنا: أَيْ أَكَلَتْ كُلَّ شَيْءٍ «النهاية في غريب الحديث والأثر» (40/1).

[4] النعرة: صوت في الخيشوم. «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (832/2).

الحيَّات والعقارب والكلاب ونحوها والمراد به هنا: كل كافر جحد الحق وعاند إمَّا تكبرًا كأبي جهل أو حياء من العرب كأبي طالب، أو بغضًا للحق كأبي جهل وأمثاله، أو عنادًا كاليهود، أو جهلًا كالنصارى، أو خذلان كالمرتد –والعياذ بالله–.

«إليد» بمعنى الجارحة وجوبًا بدليل قوله «الطولى» فإنه من وصف الجارحة وأما إلىد بمعنى النعمة[1] فإنها توصف بالسعة والعرض والصبغ وهو من كلام العرب في القديم ورسول الله «صلى الله عليه وسلم» أحق مَن يوصف به صدق ولا شك أن يده «صلى الله عليه وسلم» طالت بالله – تعالى– على جميع الأعداء وأول أعدائه كفار مكة، فإنهم على ما قال ابن عباس وغيره من أهل التفسير والثقات العدول من أهل السير مما سمعوا بالأنصار، بايعوا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» – بالعقبة خافوا أن يتفاخم أمره «صلى الله عليه وسلم».

فاجتمع نفر من كفار قريش في دارالندوة، ليتشاوروا في أمره «صلى الله عليه وسلم» وما يكون منهم معه من حال وكانت رؤوسهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وأبو البحتري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف واعترضهم إبليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا له: من أنت قال: أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيًا ونصحًا فقالوا له: ادخل فدخل فقال أبو البحتري: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدًا وتحبسوه في بيت مقيدًا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كُوَّة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء.

فصرخ عدو الله إبليس وهو الشيخ النجدي وقال: بئس الرأي رأيكم، لئن حبستموه، ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم إلى أصحابه، فيوشك أن يثبوا عليكم فيقاتلونكم ويأخذونه من أيديكم، فقالوا: صدق الشيخ النجدي، فقال هشام بن عمر من بني عامر بن

---

[1] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (168/14).

لؤي، فقال: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع ولئن وقع وإذا غاب عنكم فقد استرحتم منه فقال إبليس: ما هذا لكم برأي تعمدون إلى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب، لما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك ذهب وأمال قلوب قوم آخرين، ثم يسير بهم إلىكم فيخركم من بلادكم قالوا: صدق الشيخ النجدي[1] فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره،إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا نسيبًا وسيطًا ثم يعطي كل فتى سيفًا صارمًا، ثم يضربوه جميعًا ضربة رجل واحد، فإذا قتل تفرق دمه في القبائل كلها.

ولا أظن أن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وأنهم إذا أرادوا ذلك قالوا: العقل، فتؤدي قريش ديته، فقال إبليس اللعين: صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيًا والقول ما قال لا أرى غيره[2]، فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون إليه، فأتى جبريل للنبي «صلى الله عليه وسلم» فأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله –عز وجل– له عند ذلك بالخروج إلى المدينة فأمر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عليا بن أبي طالب –كرم الله وجهه– أن يبيت في مضجعه وقال له: «تَشِيحُ[3] بِبَرْدِي فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ مِنْهُم أَمْرٌ تَكْرَهُهُ» .

ثم خرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله – تعالى– أبصارهم عنه، فخرج وجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ

---

[1] عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1419 هـ – 1998 م، (340/1).

[2] محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، «خاتم النبيين صلى الله «عليه وآله وسلم» ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، 1425 هـ، (455/1).

[3] الْوَاوُ وَالشِّينُ وَالْحَاءُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ الْوِشَاحُ. وَتَوَشَّحَ بِثَوْبِهِ، كَأَنَّهُ جَعَلَهُ وِشَاحَهُ وكَذَا اتَّشَحَ بِهِ. وَشَاةٌ مُوَشَّحَةٌ: بِجَنْبَيْهَا خَطَّانِ.» معجم مقاييس اللغة» (114/6)

أَغۡلَٰلٗا﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ ومضى إلى الغار من جبل ثور هو وأبو بكر وخلف على بمكة، حتى يؤدي عنه الودائع التي عنده وكانت الودائع توضع عنده «صلى الله عليه وسلم» لصدقه وأمانته وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يحسبونه محمد «صلى الله عليه وسلم» فلما أصبحوا أثاروا إليه فإذا هو على فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري فاقتفوا أثره وارسلوا في طلبه.

فلما رأوا الغار ورأوا على بابه نسج العنكبوت إلا قدر مدخل طير الحمام وقربوا من فم الغار فطار الحمام من مدخله وقالوا: لو دخله ما جاوره الحمام ولم يكن لنسيج العنكبوت على بابه أثر. فمكث في الغار هو وأبو بكر ثلاثة أيام وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ ثم لم يزل ربه يبارك له ويرفع قدره ويعظمه ويظفره في كل غزوة أو لأهل غزوة بدر وقد قدمنا ذكرها.

غزوة بني قينقاع:

الثانية: غزوة بني قينقاع كانت في العام الثاني من الهجرة خرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في منتصف شوال لهؤلاء وهم يهود نقضوا عهد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فحاصرهم «صلى الله عليه وسلم» ثم نزلوا على حكمه، فكتفوا للقتل وكانوا حلفاء الخزرج فشفع فيهم عبد الله بن أبي سلول المنافق وألح في ذلك، فشفعه «صلى الله عليه وسلم»(1) رعيًا لولده عبد الله –كان صادق الإيمان وكامله– وتركهم وغنم المسلمون أموالهم.

غزوة السويق:

---

1 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، «الفصول في السيرة» ، الطبعة: الثالثة، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، 1403 هـ، (142)

وفي هذه السنة كانت غزوة السويق وسببها أن أبا سفيان حلف لا يمس طيبًا ولا نساء حتى يغزوا محمدًا بسبب قتلى بدر، فخرج في مائتي راكب بعير وقد أمد رجال كثيرون وتوجه بهم إلى المدينة، فوصلوا إلى القريض وقتلوا رجلًا من الأنصار فخرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في طلبه فهرب هو ومن معه وألقوا أجربة السويق، تخفيفًا على أنفسهم ودوابهم لئلا يلحقهم النبي «صلى الله عليه وسلم» فلما لحق أثرهم بأصحابه وجدوا أجربة السويق ملقاة في الأرض فسميت لذلك غزوة السويق.

غزوة قرقرة الكدر:

وفي هذه السنة كانت أيضًا غزوة قرقرة الكدر والقول بأنها في السنة الثانية ضعيف[1] وسببها أنه بلغ النبي «صلى الله عليه وسلم» أن جمعًا من بني سليم وغطفان نزلوا بقرقرة الكرر وهي: موضع يلي جادة العراق إلى مكة، فخرج إليهم فلم يجدهم فاستاق المسلمون ما بها من النعم ورجعوا وفي هذه السنة مات عثمان بن مظعون في المدينة – رضي الله عنه– وفيها تزوج على –رضي الله عنه – بفاطمة – رضي الله عنها– وفيها هلك أمية بن الصلت[2] الذي رثى أهل القليب من مشركي قتلى بدر بالقصيدة المشهورة[3].

في ذكر غزوة أحد:

[1] ينظر: «الفصول في السيرة» لابن كثير (141).

[2] أمية بن الصلت بن أبى ربيعة بن عبد عوف بن عقدة بن غيرة. انظر ترجمته فى: الشعر والشعراء (ص 300).

[3] حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري، «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» ، الناشر: دار صادر – بيروت، (412/1).

وفي سنة ثلاث كانت غزوة أحد(1) اجتمعت قريش في سبعمائة دارع ومائتي فارس وقائدهم أبو سفيان ومعه زوجته هند بنت عتبة أم معاوية في خمسة عشر امرأة يضربن الدفوف ويحرضن على قتلى بدر، نزلوا بذي الحليفة نهار الأربعاء رابع شوال فرأى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن يكون قتالهم بالمدينة وكذلك عبد الله بن أبي سلول ورأى الصحابة الخروج إليهم، فخرج إليهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في ألف من أصحابه فلما صار بين المدينة وأحدًا، انخذل عنه عبد الله بن أبي سلول في ثلث الناس وقال أطاعهم وعصاني علاما نقتل أنفسنا ورجع بمن معه من أهل النفاق.

فنزل «صلى الله عليه وسلم» الشِعب من أحد وجعل ظهره إليه وكانت الوقعة نهار السبت وكانت عدة المسلمين سبعمائة في مائة درع وفرسين لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» ولا في بردة –رضي الله عنه– ولواء لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» يومئذٍ مع مصعب بن عمير وكان على ميمنة المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ولوائهم مع بني عبد الدَّار[2] فالتقى الفريقان وقاتل حمزة قتالًا شديدًا، فقتل أرطاة حامل لواء المشركين[3] وقتل سباعًا وأفراسًا آخر، فبينما هو مشغول بسباع غدره وحشي بحربته فقتله[4] وقتل مصعب بن عمير، فأعطى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الراية

---

[1] محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، «عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار القلم – بيروت، 1414هـ–1993م. (407/1).

[2] رفاعة رافع بن بدوي بن على الطهطاوي، «نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الذخائر – القاهرة، 1419 هـ، (254/1).

[3] «أرطأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف.» أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» ، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر. (244/1).

[4] أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، «أنساب الأشراف، للبلاذري» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الفكر – بيروت، 1417 هـ – 1996 م، (287/4).

لعلى –كرم الله وجهه–[1] وحمل على بالمسلمين وهزم المشركون، فطمعت رماة المسلمين بالغنيمة واشتغلوا بالسلب.

وكان مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» خمسون رجلًا أوصاهم ألا يغادروا مكانهم، فأتى خالد بن الوليد في خيل المشركين كارًا ونادى الصارخ: أن محمدًا قد قُتل، فانكشف المسلمون وأصاب منهم المشركون واستشهد من المسلمين سبعين رجلًا وشج خَدَّ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عتبةُ بن أبي وقاص[2] فقال «صلى الله عليه وسلم»: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَوَا وَجْهَ نَبِيِّهُمْ [3] وَهُوَ يَدْعُوهُم إِلَى رَبِّهِم» .

ومثلت هند بشهداء المسلمون واتخذت من أذانهم وأنوفهم قلائد وبقرت عن كبد حمزة ولاكته ولم تسغه وقتل من المشركين اثنين وعشرون رجلًا وانصرف أبو سفيان ومن معه مهزومًا، لكنه أكثر قتلًا وأقل قتيلًا[4] وكان قال يوم بدر: الحرب سجال والوعد العام القابل[5] وأمر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بحمزة فسجي ببردة وصلى «عليه فكبر سبع مرات وكلما جيء بشهيد صلى عليه مع حمزة حتى صلى اثنين وسبعين صلاة ثم دفن حمزة موضعه وأمر أن تدفن الشهداء حيث صرعوا.

وكان قد نقل بعضهم إلى المدينة وكانت ولادة الحسن بن على من فاطمة قبل هذه الواقعة بنصف شهر وموت كعب بن الأشرف إليهودي الذي قتله محمد بن مسلمة

---

[1] سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع، «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1420 هـ، (61/2).

[2] ينظر: «تاريخ ابن الوردي» (113/1).

[3] أخرجه «مسلم» (1791).

[4] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، «السيرة النبوية لمحمد بن اسحاق» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الفكر – بيروت، 1398هـ /1978م، (118).

[5] محمد بن يوسف الصالحي الشامي، «سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد،» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1414 هـ – 1993 م، (220/4).

الأنصاري قبلها بشهرين[1] ثُمَّ غزوة بني النضير من إليهود كانوا قتلوا قتيلين قتلهما بعض حلفائهم، فخرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يطلب منهم ديتهم لأولياء القتيلين فتواعدوا والنبي «صلى الله عليه وسلم» جالس إلى جنب جدار لبعض بيوتهم على أن يصعد واحد منهم ويلقي «عليه صخرة، ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال: والله ليُخبرن بما هممتم به ويكون نقض العهد وتخافون بعد ذلك.

فلما صعد الرجل لذلك أوحي إليه «صلى الله عليه وسلم» بذلك فورًا فقام مظهرًا أنه يقضي حاجة وترك أصحابه في مجلسهم ورجع إلى المدينة مسرعًا، فطلبه أصحابه ولحقوا به وأخبرهم ونزل في ذلك: –قوله تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ﴾[2].

وأمر «صلى الله عليه وسلم» بحربهم والسير إليهم فساروا وحاصرهم ست ليال، فتحصنوا بالحصون –قوله تعالى–: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3] فقطع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» النخل وحرقها وخرب المؤمنون بعض بيوت ولما وقع في نفس بعض المؤمنين من ذلك شيء نزل–قوله تعالى–: «ما قطعتم [ق/155]من لينة أو تركتموها...» [4] الآية واللينة[5]: أصناف التمر ما عدى العجوة والبوني، فإنه «صلى الله

[1] ينظر الى: القرطبي أبو محمد الأندلسي: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم،ط1، دار المعارف – مصر، 1900 م، (155).

[2] الاية رقم 11 من سورة المائدة.

[3] الاية رقم 2 من سورة الحشر.

[4] الاية رقم 5 من سورة الحشر.

[5] اللينة واللونة: النَّخْلَة.. ينظر الى: الزمخشري أبو القاسم محمود: الفائق في غريب الحديث والأثر، ط2، دار المعرفة – لبنان، (334/3).

عليه وسلم» ما قطع من نخلهم إلا ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة والبوني وفي الحديث: «العجوة من الجنة» [1] وتمرها يغذوا وأحسن غذاء والبوني كذلك.

وكان رهط من بني عوف منهم عبد الله ابن أبي بن سلول المنافق اللعين بعثوا إليهم أن يثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قاتلكم محمد، قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم، كما أخبر الله في كتابه فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم وفي رواية: أرسل إليهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدي وقد أجلتكم عشرًا فمن أري منكم بعدها ضربت عنقه.

فشرعوا في التجهيز فأرسل إليهم ابن أُبي المنافق أن تمنعوا ونحن ننصركم فعند ذلك قالوا: لا نخرج فكبر النبي وكبر المسلمون بتكبيره وساروا إليهم وعلى بن أبي طالب يحمل الراية فلما رأوه، قاموا على الحصون يرمون بالنبل وخذلهم ابن أبي وحوصروا خمسة عشرا يومًا، ثم قال لهم «صلى الله عليه وسلم»: « أُخْرُجُوا وَلَكُمْ دِماؤُكُمْ وَمَا حَمَلَتْ الْإِبِلُ إلّا الدُّرُوعَ» [2].

فنزلوا على ذلك فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ولحقوا بخيبر ثم إلى الشام والحيرة على ستمائة بعير ولا قاهر لهم إلا مجرد الرعب وقسم «صلى الله عليه وسلم» ما بقي من أموالهم بين المهاجرين، لأن الأنصار أغنياءوكانت مؤنة من هاجر على الأنصار، فقصد النبي «صلى الله عليه وسلم» رفع المؤنة «عليهم، فأعطى المهاجرين فقط ولم يعط لأحد

---

[1] ينظر الى: الترمذي، أبو عيسى: سنن الترمذي، الطبعة: الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395 هـ – 1975 م، (2066) وقال حسن صحيح.

[2] ينظر: ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مصدر سابق، (71/2).

من الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة كانوا فقيرين[1]،وكانت هذه الغزوة سنة أربع وحاصرهم في ربيع الأول منها وفيها نزل تحريم الخمر[2].

ثم غزوة ذات الرقاع غزا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» نجدًا فلقي جمعًا من غطفان فتقارب الفريقان ولم يقع قتال وذلك في جمادى الأول من هذه السنة وسميت ذات الرقاع، لأنهم رفعوا فيها راياتهم[3] وفي شعبان منها خرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لبعض غزواته وولد الحسين بن على –رضي الله عنهما–.

في ذكر غزوات الأحزاب وبني قريضة:

ثم غزوة الأحزاب التي ذكرناها كانت سنة خمس[4].

ثم غزوة بني قريظة وذلك أن النبي «صلى الله عليه وسلم» لما هزم الأحزاب بالصبا ومزقهم الله وتفرقوا دخل من الخندق إلى المدينة شاكرًا كما ذكرنا فلما دخل داره وقد نزعت رجل من الخف وبقيت أخرى وإذا براكب على بغلة فوقها وتحته ديباجة متنقبًا بسلاحه داخلًا المدينة وهو جبريل «عليه السلام» والناس لا يعرفونه سائرًا حتى قرع باب النبي «صلى الله عليه وسلم» وقت الظهر وقال: لَئِنْ كُنْتِ وُضِعَتْ سِلاَحُكَ فإنا لَمْ نَضَعْهُ[5] إِنَّ اللهَ يَقُولُ لَكَ: اِعْمَدْ بَنِي قُرَيْضَة

---

[1] ينظر: البيهقي: دلائل النبوة، مصدر سابق، (202/3).

[2] ينظر الى: السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن: الروض الأنف، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1412 هـ، (386/3).

[3] وقيل لأجل شجرة بذلك الموضع يقال لها: ذات الرقاع وقيل لما كانوا يعصبون على أرجلهم من الخرق إذ نقبت أقدامهم.ينظر الى: المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، د ط، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (249).

[4] ا ينظلر الى: الحميري محمد بن عمر الحضرمي: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ط1، دار المنهاج – جدة،1419 هـ،(68)

[5] ينظر: العصامي المكي: سمط النجوم العوالى في أنباء الأوائل والتوالى، تح: عادل احمد–على محمد عوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، (191/2).

فنادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: مِنْ كَانَ سَامِعًا وَمُطِيعًا فَلَا يُصَلِّي الْعَصْرَ إلّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ [1] وقدم علنا بالراية ثم نزل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» على بئر من آبارهم وتلاحق الناس فحاصرهم صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين يومًا ثم نزلوا على حكم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فسأل الأوس رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فيهم طمعًا أن يتركهم لهم كما ترك بني قينقاع لعبد الله المنافق فقال لهم: «أَلَا تَرْضُونَ بِحُكْمِ خَيْرِكُمْ سَعْدِ بْنُ عِبَادَةِ » قالوا: نَعَمْ هُوَ سَيِّدُنَا.

فأمر بسعد وكان قد جرح في الخندق فجاءوا به على حمار وكان رجلًا جسيمًا فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «قُومُوا لِسَيِّدِكُم» [2] قيل: عم الناس وقيل خصَّ الأنصار [3] فقاموا إليه وقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قد حكمك في موإلىك [4] فقال: أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «لَقَدْ حَكَمْتُ فِيهِم بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ» [5] فرجع بهم إلى المدينة وحفرت لهم الخناديق، فضربت فيها رقابهم وكانوا سبعمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلًا وقسم السبايا وأخرج الخمس واستبقى لنفسه ريحانة بنت عمرو وبقيت في ملكه إلى أن مات رحمه الله ورضي عنه [6].

غزوة ذي قرد:

---

[1] أخرجه «البخاري» (946) و» مسلم» (1770).

[2] أخرجه «البخاري» (3043) و» مسلم» (1768).

[3] ينظر: ابن كثير اسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، (139/4).

[4] ينظر: ابن الوردي عمر بن ظفر: تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمي، بيروت، 1996م، (116/1).

[5] ينظر الى: الحلبي على بن إبراهيم: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ط2، دار الكتب العلمية – بيروت، 1427هـ، (666/2).

[6] ينظر: النمري الحافظ يوسف بن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، ط2، دار المعارف – القاهرة، 1403 هـ (54).

ثم غزوة ذي قرد في سنة خمس أيضًا أغار عيينة بن حصن على لقاح رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بالغابة فخرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ووصل إلى ذي قرع وهو موضع على ميلين من المدينة فاستنقذها وعاد بعد خمسة أيام[1].

غزوة بني المصطلق وأخبارها:

ثم غزوة بني المصطلق ووقعت في شعبان من سنة خمس، جاءوا وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ولقيهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» على ما يعرف بالمريسيع فوقع القتال وانهزم بنوا المصطلق، فقَتَل منهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وسبا.

ووقعت بعد القسمة جويرية بنت قائدهم لثابت بن قيس فكاتبت على نفسها، فأدى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عنها وتزوجها فقال الناس: بنوا المصطلق أصهار رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فأعتقوا من أجلها أسارى كثيرين فكانت عظيمة البركة على قومها[2] وفي هذه الغزوة قال الشقي المنافق عبد الله بن أبي سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ولما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» مقالته غضب فقال عبد الله بن عبد الله المذكور وكان صحابيًا صالحًا من الكمل –رضي الله عنه–: يا رسول الله ائذن لي فأضرب لك رأس أبي فأريحك منه، فقد طالما أذاك وقلبي تفطر منه، فقال «صلى الله عليه وسلم»: «بَلْ أُوصِيكَ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَبُوكَ» [3] وفي هذه الغزوة برز الإفك من عبد الله بن أبي سلول في عائشة الطاهرة أم المؤمنين وتشدق به مسطح وحمنة بنت

---

[1] ينظر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، ط 1، المطبعة الحسينية المصرية، (137/1).

[2] ينظر: ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر: زاد المعاد في هَدْي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ /1994م، (223/3).

[3] ينظر: ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، مصدر سابق، (57).

جحش -أخت زينب وحسان- فأنزل الله براءتها وكذبهم وجُلدُوا حد القذف إلا عبد الله[1] كان عزيز القوم في صدر الإسلام فأخرج إلى فتح مكة وجلده بعده بوحي[2].

وفي هذه السنة نزلت آية التيمم[3] وفيها أيضًا خرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بنية أن يعتمر في ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، فلما وصل الحديبية أسفل مكة نزل بها فقالوا نزلت بنا يا رسول الله على غير ماء فأخرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» سهمًا من كنانة وأمره أن يغرسه ببعض تلك الأرض بين القوم، فجاء الماء ينبوعًا غزيرًا حتى ضرب الناس عنه[4].

فبعثت قريش عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف فقال: إن قريشًا قد لبسته جلود النمور وعاهدوا الله أن لا تدخل مكة عنوة[5]، فبعث عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فأعلمهم أنه لم يأت بحرب، بل زائرًا معظمًا لهذا البيت، فقالوا لعثمان: إن شئت الطواف فطف فقال: لا أفعل حتى يطوف رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فأمسكوه وحبسوه، فبلغ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ذلك وقيل: بلغه أنهم قتلوه فقال: «لَا نُبْرِحُ حَتَّى نُنَاجِزَهُم».

---

[1] ينظر الى: ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ – 1988 م، (33/2).

[2] ينظر الى: العسقلاني أحمد بن على بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، د ط، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ، (479/8).

[3] أخرجه «البخاري» (334) و» مسلم» (367).

[4] ينظر: القاضي عياض ابو الفضل: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م (288/1).

[5] ينظر الى: العواجي محمد بن محمد: مرويات الإمام الزهري في المغازي، ط 1، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، 2004م، (5767/2).

فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة بايع المسلمون كلهم على أن يقاتلوا مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كل القتال[1] وبايع التسعة المخصوصون على أن يموتوا أو يبلغوا مراد النبي «صلى الله عليه وسلم» ثم وضع على يمينه الأخرى – وكلتا يديه يمين – وقال: مبايعًا لنفسه نيابة بيده عن يد عثمان لغيبته هذه يد عثمان ولهذا يُعدَّ من العشرة أهل البيعة الخاصة –رضوان الله عليهم أجمعين– ولم يتخلف عن بيعة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» من أصحابه إلا الحر بن قيس استتز براحلته[2]، ثم بلغ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن عثمان لم يقتل، أو أنه أطلق من السجن فكانت قصة الصلح الواقع بينه «صلى الله عليه وسلم» وبين قريش فكتبوه بينهم على وضع الحرب عشر سنين ومن أحب أن يدخل في عهد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وعقده دخل ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل وشهد في عقد الصلح جماعة من المسلمين والمشركين ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم، هديه وحلق رأسه وفعل الناس ذلك معه وقال: «يَرْحَمُ اللهُ المُحْلِقِينَ» وبعد ثلاث قال: «وَالمُقَصِّرِينَ» ثم قفل إلى المدينة.

غزوة خيبر:

ثم غزوة خيبر كانت في سنة سبع خرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في منتصف المحرم على خيبر وفتحها حصنًا حصنًا وأخذ من سباياها صفية بنت حيي بن أخطب فتزوجها وجعل عتقها صداقها وهو من خواصه وفيها ظهرت مزية على وأن الله يحبه وقتل فيها عددًا كثيرًا وتترس بباب خيبر عجزت ثمانية أنفس عن أن يقلعوه إلا على فقلعه وحده –بعون الله– ولما فرغ من خيبر، فتح وادي القرى عنوة، فلما دخل المدينة قدم بقية المهاجرين من الحبشة منهم: جعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه– فقال رسول الله

---

[1] ينظر: ابن القيم: زاد المعاد في هَدْي خير العباد، مصدر سابق، (257/3).

[2] ينظر: البكري حسين بن محمد: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، د ط، دار صادر بيروت، د ت، (20/3).

«صلى الله عليه وسلم»: «مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أُسَرُّ بِفَتْحِ خَيْرٍ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ»[1] وقدمت معهم أم حبيبة بنت أبي سفيان وكان قد خطبها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وهي بالحبشة حين تنصر زوجها الذي هاجرت معه وأقام بالحبشة وهو عبد الله بن جحش فأمهرها النجاشي –رضي الله عنه– عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أربعمائة دينار وعقد عقدها عنده ابن عمتها خالد بن سعيد ابن العاص وبلغ أبا سفيان ذلك فقال: ذلك العجل الذي لا يجذع[2] أنفه[3].

وفي غزوة خيبر هذه أهدت إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» زينب إليهودية شاتًا مسمومة، فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قطعة منها فلاكها ولفظها وقال: «تُخْبِرُنِي هَذِهِ الشَّاةُ أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ» [4].

وفي هذه السنة بعث رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كُتبَه مع رسله إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فأرسل إلى كسرى أبو وين عبد الله بن حذافة فمزق الكتاب[5]. وأرسل إلى باذان عامله باليمن، فأرسل باذان إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» رجلين قد حلقا لحيَيْهما فقالا: إن باذان يشير علىك أن تسير إلى كسرى وإلا تهلك، فأصبح رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ودعى بهما وقال: « قَوَّلَا لِصَاحَبَكُمَا : إِنَّ رَبِّي

---

[1] ينظر: القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، مصدر سابق، (351/1).

[2] هذا فحلٌ لا يُقْدَعُ، أي لا يُضربُ أنفه وذلك إذا كان كريما. ينظر الى: الجوهري اسماعيل: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، (1260/3).

[3] ينظر الى: ابن الزبير مصعب: نسب قريش، ط 3، دار المعارف، القاهرة، (42).

[4] رواه أبو داود (4512) وصححه الحاكم (122/4).

[5] أخرجه البخاري (4424) وأحمد (2184).

أَخْبُرُنِي أَنَّ كِسْرَى ابروين قُتِلَهُ اِبْنَهُ شهرويه وَأَنَّ مَلِكَي سيعلوا عَلَى مَلِكِ كِسْرَى وَقَيْصَرًا فَارْجِعَا لَهُ وأمُرا باذَّانٍ أَنْ يُسَلِّمَ» فرجعا وأخبراه.[1]

وجاءه كتابُ شهرويه لقتل أبيه باذان في الحين وخلق كثير من فارس.

وأرسل دحية إلى قيصر ملك الروم فأكرمه ورده ردًا حسنًا[2].

وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر، فأكرمه وأهدى إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أربع جواري وقيل جاريتين: أحداهما مارية وبغله عظيمة شهباء أسمها دلدل وحمارًا اسمه يعفور[3].

وكان أرسل إلى النجاشي عمرو بن أمية بلا كتابهم كاتبه فأسلم على يد جعفر رضي الله عنه[4].

وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن شمر الغساني[5] فلما قرأ الكتاب قال: ها أنا سائر إليه وقال «صلى الله عليه وسلم»: «بَادَ مُلْكَهُ».

وأرسل سليط بن عميرة[6] إلى هوده ملك اليمامة فقال: إن جعل إلى الأمر من بعده سرنا إليه ونصرته وأسلمت وإلا حاربته، فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «لَا وَلَا كَرَامَة اللَّهُمَّ اِكْفَنِيه» فمات في ذلك الشهر[7].

---

[1] ينظر: الصالحي محمد بن يوسف: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، (362/11).

[2] أخرجه البخاري (2940).

[3] ينظر الى: الطحاوي أبو جعفر أحمد: مشكل الآثار، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1415 هـ، (134/11).

[4] ينظر: الحميري عبد الملك: سيرة ابن هشام، تح: عمر عبد السلام، ط3، دار الكتاب العربي، 1990م، (277/2).

[5] ينظر: الحميري: سيرة ابن هشام، المصدر السابق نفسه، (607/2).

[6] صوابه عمرو. ينظر: الحميري: سيرة ابن هشام، المصدر السابق نفسه، (256/1).

[7] ينظر الى: ابن الكثير عز الدين: الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1417هـ / 1997م، (95/2).

وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى ملك البحرين المنذر بن ساوي فأسلم هو ومن تحت حكمه من جميع البحرين[1]، ثم خرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في ذي القعدة من هذه السنة لعمرة القضاء وساق معه سبعين بدنة وأخرجت له قريش غنمًا واصطفوا عند باب الندوة، فدخل المسجد الحرام وطاف بالبيت ورمل في أربعة أشواط وسعى بين الصفا والمروة وتزوج في سفره هذا ميمونة بنت الحارث وهو محرم[2] وزوجها منه عمه العباس.

في ذكرغزوة مؤتة:

ثم غزوة مؤتة كانت في السنة الثامنة وفيها قدم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وأسلموا وكانت هذه الغزوة في جمادى الأولى بعث رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ثلاثة آلاف وأمَّر «عليهم زيدًا بن حارثة وقال: « إِنَّ قَتْلٌ فَالْأَميرَ جَعْفَرَ بْنُ أَبِي طَالِبٌ، فَإِنَّ قَتْلٌ، فَالْأَميرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَواحَةٍ»[3] فاجتمعت عليه الروم والعرب المتنصرة في نحو مائة ألف والتقوا فقتل زيد فأخذ الراية عليهم جعفر، فقتل، فأخذها عبد الله بن رواحة، فقتل، فاتفق الناس على خالد بن الوليد، فأخذ الراية ورجع الناس لا فتح لهم ولا هزيمة عليهم، بل مات من الجمعين خلق كثير ولم يبلغ أحدهما مراده ورجع الناس إلى المدينة وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» حين رجع رسوله الذي أرسله إلى قيصر ملك الروم قتله عمرو ابن شرحبيل ولم يقتل لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» رسولٌ غيره[4].

نقض قريش للصلح والحرب مع الرسول صلة الله عليه وسلم:

---

[1] ينظر: الحميري: سيرة ابن هشام، مصدر سابق، (576/2).

[2] ينظر: ابن الاثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، (105/2).

[3] ينظر: ابن جزم: جوامع السيرة، تح: عبد الكريم سامي الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، (ص174).

[4] ينظرالى: المسعودي أ بو الحسن على: التنبيه والإشراف» ، د ط، دار الصاوي – القاهرة، د ت، (ص230).

وفي هذه السنة كان نقض قريش للصلح وذلك أن بني بكر كانوا في عقد قريش فقتلوا من خزاعة وبني نايل أنفارًا وكانت خزاعة وبنوا نايل في عقد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأعانهم على ذلك قريش، فانتقض بذلك عهد قريش وقدم إلى المدينة أبو سفيان بن حرب ليجدد العهد ودخل على ابنته حبيبة زوج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأراد أن يجلس على فراش رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقالت له: أتجلس على فراش رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأنت مشرك والمشركون نجس وصدته عنه ثم أتى رسول الله –صلى الله «عليه وسلم– وتكلممعه فلم يرد «عليه شيئًا وأتى كبار الصحابة كلهم فلم يردوا «عليه شيئًا، فرجع خائبًا وأخبر قريشًا[1].

وأراد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن يغزوا قريشًا فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إليهم بذلك مع سارة مولاة بني هاشم، فأطلع الله رسوله على ذلك، فأرسل عليا بن أبي طالب والزبير بن العوام إليها، فأحضرا الكتاب وأحضر حاطب فاعتذر وقبل منه رسول الله «صلى الله عليه وسلم» العذر لعظيم حلمه «صلى الله عليه وسلم» وقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنقه فمنعه رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وقال[2]: « مَا يَدْرِيكَ أَنَّ اللهَ قَدْ اِطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ وَقَالَ : اِعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» [3].

فتح مكة:

ثم خرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لعشر مضين من رمضان في عشرة آلاف فارس، فلما قرب من مكة جاءه أبو سفيان وناشده القربى أن يرجع فأبى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلا أن ينصر خزاعة وبني نايل، لأنه قال لما بلغه أنهم خدعوا: « لَا نَصُرْ فِي اللهِ إِنَّ لَمْ أَنْصُرْكُمْ» وفي رواية: أنه قام وهو يجر ردائه ويقول: « لَا نَصَرْتُ إِنَّ

---

[1] ينظر: الحميري: سيرة ابن هشام، مصدر سابق، (396/2).

[2] أخرجه البخاري (3007) ومسلم (2494) وأحمد (600).

[3] ينظر:: الحميري: سيرة ابن هشام، مصدر سابق، (398/2).

لَمْ أَنْصُرْكُمْ بِمَا أَنْصُرُ بِهِ نَفْسِي »[1] ثم طُلب الأمان لأبي سفيان فأمنه إن أُمِن، ثم أحضره بالغداة وقال: «يا أبا سفيان أما آن لك أن لك تشهد أن لا إله إلا الله» قال: بلى قال: «ويحك ألم تعلم أني رسول الله» قال: بأبي أنت وأمي أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس عم النبي وكان صديقًا له: ويحك تشهد قبل أن تضرب عنقك، فتشاهد بعد جهد جهيد[2] وأسلم معه حكيم بن حزام ونفيل بن ورقة وارتحلوا وكر «صلى الله عليه وسلم» على مكة بأمر ربه وقال: «لا تقتلوهم فإن قاتلوكم فاحصدوهم حصدًا»[3].

وأمر «صلى الله عليه وسلم» الزبير بن العوام أن يدخل مكة ببعض الجيوش من كداء[4] بلا فتح ولا مد وأمر سعد بن عبادة سيد الخزرج أن يدخل من ثنية الكدى[5] ثم بلغه أن سعدًا قال: النوم يوم الملحمة إلىوم تستحل الحرمة، فأمر علىا أن يأخذ الراية منه ويدخل بها وفي رواية: أعطاها لابنه قيس وأمَر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة ونهي عن القتال، فلم يقاتل إلا خالد بن الوليد، تعرضه جماعة رموه بالنبل فقاتلهم وقتل منهم ثمانية وعشرين رجلًا ومات من المسلمين رجلان[6].

وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان، قال الإمام أبو حنيفة: إنما فتحت مكة صلحًا وقال الإمام الشافعي: إنما فتحت قهرًا بالسيف وكان مالك يقول: فتحها الله

---

[1] ينظر الى: ابن العباس أبو عبد الله محمد: أخبار مكة، ط 2، دار خضر – بيروت، (66/5).

[2] ينظر:: الحميري: سيرة ابن هشام، مصدر سابق، (398/2).

[3] ينظر: البيهقي: دلائل النبوة، مصدر سابق، (55/5).

[4] ينظر: الحموي ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، د ط، جار صادر، بيروت، 1993م، (439/4).

[5] ينظر: المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة.

[6] ينظر: ابن حزم: جوامع السيرة، مصدر سابق، (ص183).

لنبيه بما أراه صلحًا أو عنوة[1] وكان «صلى الله عليه وسلم» يقول يوم الفتح: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن» [2]، فلما دخل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال لقريش: «ما تروني صانعًا فيكم أو قال بكم» فقالوا: نراك أخًا كريمًا وابن أخ كريم تجازي بالسيئة منا الحسنة منك، فقال «صلى الله عليه وسلم»: «لكني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته {لا تثريب عليكم إليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين} اذهبوا فأنتم الطلقاء» [3].

وطاف رسول الله «صلى الله عليه وسلم» سبعًا بالبيت على راحلته ودخل الكعبة وطمس ما بها من الصور وصلى فيها وأمر بتكسير الأصنام المعلقة على ظهرها وكان أهدر دم ستة رجال على الصحيح وقال: «اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة»[4] وهم عكرمة بن الشقي أبي جهل، فاستأمنت له زوجته أم حكيم وهو مختفي وقدم عكرمة وأسلم فأمنه «صلى الله عليه وسلم» وهبار بن الأسود لكنه خرج هاربًا من مكة إلى الجبال وعبد الله بن مسعود(5) بن أبي السرح، كان أخًا لعثمان من الرضاعة فأتى به عثمان بن عفان إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وسأله فيه العفو، فسكت «صلى الله عليه وسلم» طويلًا ثم أمنه فأسلم وقال «صلى الله عليه وسلم» لأصحابه: «إنما صمت ليقوم له أحد منكم فيقتله»، قالوا: هلا أشرت إلىنا، قال: «إن الأنبياء لا

---

[1] ينظر الى: النووي ابو زكريا: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، (130/12): وقد اختلف العلماء فيها فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد وجماهير العلماء وأهل السير فتحت عنوة وقال الشافعي فتحت صلحا وادعى المازري أن الشافعي انفرد بهذا القول.

[2] ينظر: الحميري: سيرة ابن هشام، مصدر سابق، (403/2).

[3] ينظر: ابن واقد السهمي: مغازي الواقدي، تح: مارسدن جونس، ط3، دار الاعلمي، بيروت، 1989م، (835/2).

[4] ينظر: ابن حزم: جوامع السيرة، مصدر سابق، (ص184).

[5] صوابه: سعد.

تكون لهم خائنة الأعين»[1] وهذا عبد الله قد أسلم قبل الفتح وكتب الوحي على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وكان يبدل القرآن، ثم التحق بكفار مكة مرتدًا وقال كلامًا لا يسعه إلا حلم الله ورسوله وكذب كذبة ما كذبها ولا يكذب مثلها كاذب، لكنها ظهرت حتى لكفار مكة فعرفوها وأيقنوا ببطلانها وذلك أنه قال: كنت أكتب الوحي برأيي فيصدقني محمد وقد عفا عنه رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وتاب وحسنت توبته وكان يذكر للناس ذنبه ويعترف بجريمته كلما عاش وقد عاش إلى خلافة عثمان وولاه مصر وعلى يديه كان فتح إفريقية وأحوازها ومن الستة نفيلة بن خباية الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ وارتد والتحق بكفار مكة والخامس بن هلال وكان قد أسلم ثم قتل مسلمًا وارتد وسادسهم الحويرث ابن نفيل كان يوذي رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ويهجوه فلقيه على بن أبي طالب يوم الفتح فقتله.

وكان «صلى الله عليه وسلم» أهدر دم أربعة نسوة على الصحيح، إحداهن: هند بنت عتبة زوج ابي سفيان أم معاوية، التي أكلت من كبد حمزة ومثلت بشهداء أحد، كانت تعلم عظيم ذنبها، فتنكرت مع نساء من قريش وجاء النساء يبايعن النبي «صلى الله عليه وسلم» قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ ﴾[2] الآية وكلما تقدمت واحدة منهن للنبي «صلى الله عليه وسلم» وهو في الحرم مد لها الهراوة فتمسك طرفها فتبايع وتنصرف وتتقدم التي ورائها، حتى جاءت هند متنكرة فمد إليها «صلى الله عليه وسلم» الهراوة فسقطت من يده ثم أخذها فمدها أخرى فسقطت للثالثة فقال: «من أنت» فرفعت البرقع عن وجهها وقالت: أنا المجرمة هند بنت عتبة، قتل أصحابك الوليد أخاها وعتبة أباها وشيبة عمها ففعلت ما فعلت يوم أحد، باحتراق دمها وانشقاق رحمها وبلغني عنك أنك أهدرت دمي ودم نساء من قريش وأنت ابن بيت هو أكرم مَنْ شرب الماء وأظله

---

[1] رواه أبو داود (2683) وصححه الحاكم (47/3).

[2] الاية رقم 12 من سورة الممتحنة.

السماء، أترضى يا رسول الله على كمالك والحميدة خصالك أن تتقع سيفك الكريم فينا وهل نحن إلا نساء أعإلبنا ثدي وأسافلنا دماء، نشهد أنك رسول الله وإن رَضيت قَتْلَنا وأَذَنَك ربك فافعل، فقال «صلى الله عليه وسلم»: «الإسلام يجب ما قبله عفى الله عنكن كلكن» ولما جاء وقت الظهر يوم الفتح أذن بلال على ظهر الكعبة، فقال الحارث بن هشام: ليتني مت قبل هذا وقال خالد بن أسيد: لقد أكرم الله إلى من لم ير هذا إلىوم وكلاهما قال ذلك سرًا، فدعاهما رسول الله «صلى الله عليه وسلم» باسمًا في وجهيهما وذكر لهما ذلك الصادر من كل واحد منهما، فقال الحارث بن هشام:أشهد أنك رسول الله، فوالله ما سمعتني غير نفسي ولا سمعني أحد فأقول أخبرك.

ومن النساء المهدرات الدم سارة مولاة بني هاشم التي حملت كتاب حاطب.

وفي هذه السنة كانت غزوة حنين وادي بينه وبين مكة ثلاثة أميال وذلك أنه لما فتحت مكة تجمعت هوازن بحريمهم وأموالهم وكان مقدمهم مالك بن عوف النظري وانضمت إليه ثقيف أهل الطائف وبنو سعد بن بكر مع بني جشم، منهم دريد بن الصمت شيخ فاني جاوز المائة وأنشد:

يا ليتني فيها أجدع *** أخب فيها واضع[1] .

فلما سمع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» باجتماعهم خرج في ستة من شوال وكان يقصر الصلاة في مكة إلى حين خرج في اثنا عشر الفًا من أهل مكة والعشرة التي كانت معه وكان صفوان بن أمية مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ولم يكن أسلم لكنه سأل أن يمهل بالإسلام شهرين فأجيب واستعار منه النبي «صلى الله عليه وسلم» مائة درع وحضرها مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أيضًا جماعة من المشركين وانتهي رسول

---

[1] والأصل هو: يا لَيتَني فيها جَذَع ----أَخُبُّ فيها وَأَضَع
أَقودُ وَطفاءَ الزَمَع______كَأَنَّها شاةٌ صَدَع
قصيدة للشاعر دريد بن الصمة صنفها القارئ على أنها قصيدة عامة ونوعها عموديه من بحر مجزوء الرجز
ينظر: الزمخشري: الفائق في غؤيب الحديث، مصدر سابق، (138/1).

الله «صلى الله عليه وسلم» إلى حنين والمشركون بأوطاس وركب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بغلته الدلول وقال شخص من المسلمين لما رأى كثرة المسلمين: لن يغلب هؤلاء من قلة.

فلما التقى الجمعان انكشف المسلمون، لا يلوي أحد على أحد، فجاوز رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ذات إليمين في نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته وأظهر أهل مكة ما في نفوسهم من الحقد، فقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وكانت الأزلام معه في كنانة وصاح بكلدة: الآن بطل السحر وهو أخو صفوان بن أمية لأمه وكان صفوان يومئذٍ مشركًا، فقاله له صفوان: اسكت فض الله فاك، لإن يرثني رجل من قريش أحب إلى من أن يرثني رجل من هوازن واستمر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ثابت ورجع المسلمون واقتتلوا قتالًا شديدًا وقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لبغتله دلول: «البدي البدي»، فوضعت بطنها إلى الأرض وأخذ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» حفنة من تراب ورمى بها في وجوه المشركين، فكانت الهزيمة ونصر الله المؤمنين وانحتوا في المشركين قتلًا وسبيًا وكان في السبي أخت النبي «صلى الله عليه وسلم» من الرضاع وهي الشيماء بنت حليمة السعدية المرضعة له «صلى الله عليه وسلم» ولما شقوا «عليها عند سبيها قالت:أرفقوا بي فوالله إني لأخت صاحبكم، فاتوا بها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقالت: يا رسول الله إني أختك الشيماء قال: «وما علامة ذلك»، قالت: عضة منك في ظهري فعرفها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأخذ رداءه من على ظهره وفرشه لها في الأرض لتجلس عليه[1].

ولما هزم «صلى الله عليه وسلم» هوازن ومن معهم قصد الطائف وأمر أن يجعل سبي هوازن وغنائمهم في الجعرانة حتى يأتي إليهم وكان السبي وهو النساء والذراري ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرون ألفًا والغنم فوق أربعين ألفًا وأربعة آلاف أوقية فضة ولما

---

[1] ينظر: ابن واقد: مغازي الواقدي، مصدر سابق، (913/3).

لحق «صلى الله عليه وسلم» ثقيفًا إلى الطائف اغلقوا باب مدينتهم فحاصرهم نيفًا وعشرين يومًا ورماهم بالمنجنيق وقطع المسلمون أعناب ثقيف وارتحلوا عنهم ولما رجع «صلى الله عليه وسلم» من الطائف انتظر هوازن بضع عشر يومًا ليقدموا «عليه مسلمين فتأخروا خوفًا، فأخذ «صلى الله عليه وسلم» في قَسْمِ الغنائم، فجاءوا من غدٍ مسلمين وقالوا: يا رسول الله إنا أهل وعشرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف علىك، فَامْنُن علىنا منَّ الله علىك وقام رجل من فخذ حليمة فقال: يا رسول الله، إن في الخطائر عماتك وخالاتك يعني من الرضاع لأنهن قرابات حليمة وحاضناتك اللاتي كن يكنفنك ولو أنا ارضعنا الحارث بن أبي سمرة أو النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل الذي نزلت فيه رجونا عطفه وأنت خير المكفولين فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «إن أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب إلىكم أم اموالكم» فقالوا: ابناؤنا ونساؤنا فقال: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وإذا صليت الظهر بالمسلمين فقولوا إنا نشفع برسول الله «صلى الله عليه وسلم» للمسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم»، ففعلوا ذلك فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»، فقال المهاجرون:وما كان لنا فهو لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» وقالت الأنصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مدراس من بني سليم، فوعدهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في أول سبي يصيبه، فطابت به نفوسهم فردوا من بقي عندهم من السبايا[1] وأعطى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أخته الشيماء كل ما سألته، ثم قدم مالك بن عوف لاحقًا برسول الله «صلى الله عليه وسلم» فأسلم وحسن إسلامه واستعمله على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل.

---

[1] ينظر: ابن واقد: مغازي الواقدي، مصدر سابق، (3/949، 950).

وأعطى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» للمؤلفة قلوبهم مثل أبي سفيان وولديه يزيد ومعاوية الصغير وأما الكبير فليس هو من المؤلفة قلوبهم والأقرع بن حابس وسهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وعمه الحارث بن هشام وصفوان بن أمية وعيينة بن حصر الذبياني ومالك بن عوف وأمثالهم لكل واحد من أشرافهم مائة من الإبل ومن دونهم أربعين أربعين وأعطى العباس بن مرداس أباعر لم يرضها فأنشد قطيعه المشهور أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عينية والأقرع الخ فقال: «صلى الله عليه وسلم»: «أقطعوا عني لسانه»، فأراد عمر قطعه حقيقة، فقال على: المراد قطعه بالمال، فزاده «صلى الله عليه وسلم» ما أرضاه[1] ثم اعتمر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وعاد إلى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وعمره دون العشرين سنة وترك فيها معاذ بن جبل يفقه الناس ويعلمهم دينهم الحق وفي هذه السَّنة ولد إبراهيم بن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وفيها مات حاتم الطائي[2]الجواد المعروف.

وفي سنة تسع قدم عروة بن مسعود الثقفي عظيم الطائف، أحد الرجلين الذين أخبر الله من قريش أنهم قالوا:{لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم}، هو من قرية الطائف والوليد بن المغيرة في قرية مكة وجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأسلم وسأل أن يكون داعيًا قومه إلى الإسلام، فقال له صلى الله «عليه وسلم-: «إنهم قاتلوك»، فاختار المضي ومضى إليهم فقتلوه وفيها قدم كعب بن زهير الذي كان «صلى الله عليه وسلم» أهدر دمه بسبب أبيات بعثها إلى خيبر وامتدح رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقصيدته المشهورة التي طالعها:

بانت سعاد فقلبي إلىوم متبول[3]

---

[1] ينظر الى: العليمي عبد الرحمن بن محمد: الأنس الجليل، د ط، الناشر: مكتبة دنديس – عمان، (210/1، 211).

[2] ينظر: «السيرة النبوية» لابن كثير (107/1).

[3] البيت من االبحر البسيط وتكملته كالتالى: مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ*** بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي إلىوْمَ مَتْبولُ

فأسلم وعفا عنه «صلى الله عليه وسلم» وأعطاه بردته فاشتراها معاوية في خلافته من أهل كعب بأربعين ألف درهم وتوارثها الخلفاء[1]الأمويون كلهم والعباسيون حتى أخذها التتار من العجم.

في أخبار غزوة التبوك:

وفي رجب من هذه السنة كانت غزوة تبوك، أُعلم «صلى الله عليه وسلم» بقصدهم وكان قبل ذلك يوري بغيره وكان الحر شديد ولذلك سمي جيش العسرة وأمر «صلى الله عليه وسلم» المسلمين بالنفقة، فأنفق أبو بكر –رضي الله عنه– جميع ماله وكان «صلى الله عليه وسلم» إذا جاءه أحد بمال يقول: «ما تركت لأهل بيتك» فمن قائل يقول النصف وآخر الربع وآخر الثلث وهكذا ولما جاء أبو بكر بما عنده قال له «صلى الله عليه وسلم»: «ما تركت لأهلك» قال: الله ورسوله[2]، لأنه لم يترك شيئًا غير الله يرزقهم بفضله ورسوله يدعوا الله أن يرزقهم وأنفق الصحابة كلهم –رضوان الله «عليهم– ما قدروا «عليه وأما عثمان فقد أنفق هذه الغزوة ما لم ينفقه أحد، فقد صح أنه جاء بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها[3] ووثرها موقرة طعامًا وجاء بألف دينار وألقاها بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وكان «صلى الله عليه وسلم» لا يشتغل بِعَدّ دراهم ولا يمسها إلا تشريعًا وأما دراهم عثمان هذه صار «صلى الله عليه وسلم» يحركها بأصبعه الكريمة ويقول: «ما على عثمان ما يفعل بعد إليوم» [4] وفي رواية: «ما يضر عثمان ما صنع

---

[1] ينظر الى: العبيدي، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، «إمتاع الأسماع» ، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1420 هـ – 1999 م، (265/2).

[2] رواه الترمذي (3675) وقال: حسن صحيح.

[3] رواه الترمذي (3700) وقال: غريب.

[4] رواه الترمذي (3700) وقال: غريب.

بعد اليوم» [1] وتخلف عبد الله بن أبي المنافق والثلاثة الذين تاب الله «عليهم، كعب بن مالك وفزارة بن الربيع وهلال بن أمية واستخلف رسول الله «صلى الله عليه وسلم» علىا على أهله، فقال المنافقون: إنما استخلفه استقلالًا له، فلحق برسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقال: «كذبوا، إنما خلفتك على أهلي فارجع، أما ترضى أن تكون منزلتك مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» [2] وكان مع النبي «صلى الله عليه وسلم» ثلاثون ألفًا منهم عشرة آلاف فارس ووجدوا في الطريق شدة من العطش ونهاهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عن ورود الحجر وهي أرض ثمود وأمرهم أن يهرقوا ماءه وأن يطعموا عجينه الإبل[3].

ووصل إلى تبوك وأقام بها عشرين ليلة وقدم «عليه بها يوحنا صاحب إيلة فصالح على الجزية فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار[4] وصالح أهل درج على مائة دينار في كل سنة وأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان نصرانيًا من كندة فأخذه خالد وقتل أخاه وأخذ منه ديباجًا مخوصا بالذهب فجعل المسلمون يتعجبون منه وقدم أكيدر إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فحقن دمه وصالحه على الجزية[5].

وعاد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلى المدينة في شعبان وقدم «عليه ثقيف وسألوه الإسلام وأن يعفوهم من الصلاة ويترك لهم اللات والعزى ثلاث سنين ثم نزلوا إلى شهر، فأبى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وقال: «لا خير في دين لا صلاة فيه»، ثم

---

[1] رواه الترمذي (3701) وقال: حسن غريب.

[2] أخرجه البخاري (4416) ومسلم (2404) وأحمد (1532).

[3] أخرجه البخاري (3378) ومسلم (2981) وأحمد (5984).

[4] ينظر: المقريزي: إمتاع الأسماع، (65/2، 66).

[5] ينظر: ابن واقد: مغازي الواقدي، مصدر سابق، (1025/3، 1026).

رضوا وأسلموا وأرسل معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب ليهدوا اللات والعزى[1]، فهدمها المغيرة وخرج نساء ثقيف حسرى يبكين «عليها.

وفي هذه السنة بعث النبي «صلى الله عليه وسلم» أبا بكر ليحج بالناس ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» ، ثم بعث علىا على أثره يقرأ سورة برأة ويؤذن يوم الأضحى: أن لا يحج بعد إليوم مشرك ولا يطوف بالبيت عريانًا، فكان أبو بكر أمير الموسم وعلى مبلغًا[2] رضي الله عنهما.

وفي هذه السنة مات الشقي عبد الله بن أبي بن سلول[3] المنافق[4] وما ورد من تكفين النبي «صلى الله عليه وسلم» له في قميصه وصلاته «عليه، فإنما ذلك جبرًا لخاطر الرجل الصالح والصحابي الناصح ولده عبد الله «عليه السلام وما يغني عنه ذلك من الله شيئًا بإجماع المحققين والفقهاء والمحدثين خلافًا لبعض المرجئة الذين لا يعتد بقولهم.

وفي سنة عشر دخل الناس في دين الله أفواجًا وأسلم أهل اليمن وملوك حمير وبُعث علىا –كرم الله وجهه– إلى إليمن فاستسلم من بها وأخذ صدقات نجران وجزية الكافر منهم وعاد فلقي رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في حجة الوداع والأظهر عند الفقهاء أنه كان قارنًا وفيها عَلَّم الناس مناسك الحج وخطب الناس بعرفة خطبة بيّن فيها الأحكام، منها: أن النسيء زيادة في الكفر وأن الزمان قد استدار يأتي كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا[5] وأنزل الله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ

---

[1] ينظر: ابن واقد: مغازي الواقدي، مصدر سابق، (968/3).

[2] ينظر: الحميري عبد المالك: سيرة ابن هشام، مصدر سابق، (545/2).

(3) عبد الله بن أبي بن سلول كان من سادة قبيلة الخزرج وقد عرف بانه من اكبر المنافقين واعداء الاسلام ورسول الله صلى الله «عليه وسلم وتوفي سنة 631هـ، للمزيد ينظر الى:

[4] ينظر الى: العامري يحيى بن أبى، «بهجة المحافل وبغية الأماثل، د ط، دار صادر – بيروت، (68/2).

[5] أخرجه البخاري (4406) ومسلم (1679) وأحمد (20386).

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾[1] وأنزل الله: -قوله تعالى-: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ﴾[2] [3] ونادى معاوية بن أبي سفيان وهو على سطح عرفة: يا معاوية إن الله سيوليك أمر أمتي فاتق الله فيها[4] وسمعه أكثر أهل الموسم ولهذا كان معاوية -رضي الله عنه حريصًا- على أن يكون خليفة خوفًا أن تخترمه المنية وقد سمع الناس ما قاله النبي فخاف على سخيف العقل أن يرتاب وقد صدق الله رسوله بالغيب فلم يتول أحد من الصحابة ولايته، لأنه كان من خلافة عمر وهو على الشام عاملًا، ثم لم تزل الكلمة له على طائفة حتى خلصت له الخلافة فكان أول ملكًا في الإسلام وسميت هذه الحجة حجةالوداع لأنه -صلى الله» عليه وسلم- لم يحج بعدها وفي هذه الحجة نعى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» نفسه للمسلمين واستحل منهم وأوصى بالأنصار وقال وهو باسم: «إن عبدًا خير بين الدنيا يبقى فيها ما شاء وبين ما عند الله فاختار ما عند الله» يعني بالعبد نفسه[5] وقال لعمر بن الخطاب وعثمان: «إذا فتحتم مصر فأرفقوا فإن لنا فيهم نسبًا» [6]، يعني هاجر أم إسماعيل جدة العرب كانت قبطية، ثم رجع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلى المدينة ولما قدمها

---

[1] الاية رقم 3 من سورة المائدة.

[2] الاية رقم 3 من سورة المائدة.

[3] ينظر: ابن الوردي زين الدين: تاريخ ابن الوردي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، (128/1).

[4] رواه أحمد في «المسند» (16933) من حديث أبي هريرة بلفظ: أن معاوية، أخذ الإداوة بعد أبي هريرة يتبع رسول الله صلى الله «عليه وسلم بها واشتكى أبو هريرة، فبينا هو يوضئ رسول الله صلى الله «عليه وسلم رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ، فقال: «يا معاوية، إن وليت أمرا فاتق الله عز وجل واعدل» ، قال: فمازلت أظن أني مبتلى بعمل لقول النبي صلى الله «عليه وسلم حتى ابتليت.

[5] أخرجه البخاري (3904) ومسلم (2382) وأحمد (11134).

[6] رواه مسلم (2543) من حديث أبي ذر وفيه: إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما» أو قال ذمة وصهرا.

توفي ولده إبراهيم من مارية[1] ولا ولد له من غير خديجة غيره –» عليه السلام– وعمره سنة وعشرة أشهر وقيل سنة ونصف.

وليعلم الواقف على هذه المغازي المختصرة في هذا الكتاب أني ما ذكرت فيها إلا ما ثبت في الكتب الصحاح الستة المجمع «عليها وما «عليه الجد منها، فهذه نخبة الصحيح ذكرتها تبركًا بها ولأنها حاملة على ما وضع كتابنا هذا إلا جلة من التحريض على الجهاد وكفى بالاقتداء برسول الله «صلى الله عليه وسلم» حجة لطالبها والله الموفق.

صفات الأنبياء:

«و» كانت له «على الأنبياء» جمع نبي فعيل بمعنى فاعل أو مفعول من النبا يهمز وقد لا يهمز تخفيفًا وهو الخبر، لأنه مخبر من الله ومخبر عن الله –تعالى–، أو من النبوة فلا يهمز لأنه مرتفع أو مرفوع الرتبة على غيره من الخلق ونهيه «صلى الله عليه وسلم» عن المهموز بقوله: «لا تقولوا يا نبي الله» أي بالهمز لأنه قد يرد بمعنى الطريد، فخشى «صلى الله عليه وسلم» في الابتداء أن يسبق هذا المعنى إلى بعض الأذهان فنها عنه، فلما قوي إسلامهم وتواترت به القراءة نسخ النهي عنه لزوال سببه وهو أعني النبي: ذكرٌ حرٌ من بني آدم سالمٌ من مُنَفِّر كعمي وما وقع ليعقوب وشعيب على نبينا و» عليهما الصلاة والسلام لم يكن عمى حقيقيًا وكذا بلاء أيوب لم يستقر بل صار بدنه بعده أجمل منه قبله، أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإن أُمر فرسول أيضًا وإن لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على الأشهر، فالرسول أخص مطلقًا من النبي ولا يطلق على غير الأدمي صلى كالملك بفتح اللام والجني إلا مقيدًا ومنه: –قوله تعالى–: ﴿

[1] ينظر الى: الخركوشي عبد الملك: شرف المصطفى، ط 1، دار البشائر الإسلامية – مكة، 1424 هـ، (52/2).

جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾[1]-وفوله تعالى-: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[2] على أن معنى الإرسال فيهما غيره في الأول، إذ هو إيحاء ما يتعبد به هو وأمته وفيهما مجرد الإرسال للغير بما يوصله إليه والمراد بالأنبياء هنا ما يشمل الرسل وقد صرح العلامة المحقق الكمال بن الهمام[3] في مسايرته بأن المحققين على ترادف النبي والرسول، «السابقة الأولى» عندما يركبون مطايا الكمال ويستبقون إلى أوفر حض من الكبير المتعال لأنه المنفرد بغاية كمال الشرف والرفقة إجماعًا، أما الأول فواضح لأنه حسي وأما الثاني فكذلك عند من تأمل أي القرآن وما اشتملت «عليه تصريحًا وتلميحًا من الإشارة إلى أنافة قدره العلى عند الله وعند الخلق وأنه لا مجد يساوي مجده.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾[4]: يعني محمدًا «صلى الله عليه وسلم» ، قال جار الله الزمخشري: وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة، لأنه العلم الغر الذي لا يحاول والدري الذي لا يطاول ومن تلك الدرجات أن آياته ومعجزاته أكبر وأبهر، إذ ما من معجزة لنبي إلا وله مثلها أو أكبر منها كما بينه الأئمة وقد بيناه في معنى المعجز فراجعه وزاد نبينا علهم بمعجزات لم يقع نظيرها لأحد منهم وناهيك بكتابه القرآن فإنه لا تتناهي معجزاته ولا تنقضي آياته وأن أمته أزكى وأكثر وخير وأطهر من بقية الأمم بنص: -قوله تعالى-: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾[5] وخيرية الأمم تستلزم خيرية نبيها وأفضلية دينها إذ لا شك أن خيرتهم بحسب

---

[1] الاية رقم 1من سورة فاطر.

[2] الاية رقم 75 من سورة الحج.

[3] ابن الهمام العلامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم الكندري. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، 1387 هـ - 1967 م، (474/1).

[4] الاية رقم 253 من سورة البقرة.

[5] الاية رقم 110 ن سورة ال عمران.

كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وأن صفاته أعلا وأجل وذاته «صلى الله عليه وسلم» أفضل وأكمل كما يصرح به قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [1]، لأنه تعالى وصف الأنبياء بالأوصاف الجميلة، ثم أمره أن يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم أن يأتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة، فاجتمع فيه ما تفرق فيهم.

وفي حديث الشفاعة العظمى وانتهائها إليه بعد تبري كلٌ منها واعترافه أنه ليس أهلًا لها، التصريح بذلك أيضًا وكذلك الحديث الصحيح: «أنا سيد ولد آدم» [2] وفي رواية: «أنا أكرمهم على ربي» وفي حديث الترمذي[3]: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر ما من نبي آدم ومن سواه إلا تحت لوائي» وهو صريح في دخول آدم كحديث البخاريوفيه: «أنا سيد الناس يوم القيامة» وحديث: «أنا سيد العالمين»، صححه الحاكم[4] واعترض.

وبذلك تعلم أفضليته على الملائكة لأن آدم أفضل منهم بنص الآية ويؤيده الحديث الآتي: «ليس أحد من الملائكة»[5] وحديث الترمذي الحسن كما بينه البلقيني في فتاويه ردًا على الترمذي: «وأنا أكرم الأولين والآخرين» [6] وهذا صريح في شموله الأنبياء والملائكة جميعهم وحديث: «قال آدم يا رب أسألك بمحمد «صلى الله عليه وسلم» إلا ما غفرت لي» الحديث وفيه أنه تعالى قال: يا آدم كيف عرفته ولم أخلقه، قال: يا رب لما خلقتني بيدك الباهرة ونفخت فيَّ من روحك العجيب الذي لا يعلم حقيقته أحد غيري، رفعت رأسي

---

[1] الاية رقم 90 من سورة الانعام.

[2] أخرجه البخاري (4712) ومسلم (2278) واللفظ له.

[3] رواه الترمذي (3148) وقال: حديث حسن.

[4] لم أقف «عليه في المستدرك وعزاه العجلوني للبيهقي في «كشف الخفاء» (231/1).

[5] يأتي تخريجه.

[6] رواه الترمذي (3616) وقال: غريب.

فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لا تضف إلى نفسك إلا أحب الخلق إليك، قال الله –تعالى–: صدقت يا آدم، إنه أحب الخلق إلى وإذا سألتني بحق محمد فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» صححه الحاكم[1] واعترض، لكنه صح عن ابن عباس –رضي الله عنهما– وله حكم المرفوع: «لولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت» عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» [2] وفي روايات أخرى: «لولاه ما خلقت السموات ولا الأرض ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نار ولا شمسًا ولا قمرًا» وصح: «أنا أول من تنشق عنه الأرض، فألبس الحلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الملائكة يقوم ذلك المقام غيري» [3] وفي رواية ذكرها السراج البلقيني في فتاويه: أنه تعالى قال: لقد مننا عليك بسبعة أشياء:

أولها: أني لم أخلق في السماوات والأرض أكرم على منك.

وفي أخرى ذكرها أيضًا أن جبريل قال له: أبشر فإنك خير خلقه وصفوته من البشر، حباك الله بما لم يحب به أحد من خلقه، لا ملك مقربًا ولا نبيًا مرسلًاالحديث وصح عن بحيرا وهو من علماء أهل الكتاب الذين لا يقولون شيئًا إلا عنه: هذا سيد العالمين وصح عن عبد الله بن سلام الصحابي[4] الجليل الكامل إمام أهل الكتاب بشهادته» صلى الله عليه وسلم» ، أنه ذكر بالمسجد يوم الجمعة أمور منها: وأن أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم «صلى الله عليه وسلم» فقيل له: فأين الملائكة فضحك وقال السائل: يا ابن أخي هل تدري ما الملائكة؟ إنما الملائكة خلق، كخلق السموات والأرض والرياح والسحاب

---

[1] رواه الحاكم (672/2) وصححه.

[2] رواه الحاكم (671/2) وصححه.

[3]رواه الترمذي (3616) وقال: حسن غريب.

[4] هو عبد الله بن سلام ابو الحارث الاسرائيلي لقب بالامام الحبر وكان من صحابة رسول الله صلي الله «عليه وسلم توفي سنة 43هـ للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (2 / 414).

والجبال وسائر الخلق التي لا تعصي الله شيئًا وتسبحه وأن أكرم الخلق على الله أبو القاسم «صلى الله عليه وسلم» [1]، قال السراج البلقيني: ولهذا الحديث حكم المرفوع، قال ابن حجر: وهو كذلك، فإنه من أجل الصحابة فلا يقوله إلا عنه «صلى الله عليه وسلم» أو عما صح من التوراة، قال: واختيار أبي بكر الباقلاني والحليمي أفضلية الملائكة يمكن حمله على غير نبينا «صلى الله عليه وسلم» وبهذا جزم بعض أجلاء تلامذته كالبدر الزركشي، أو على تفضيل في نوع خاص، أي: لأنه قد يوجد في المفضول مزية أو مزايا لا توجد في الفضائل، ثم قال: ولا يظن بأحد مزايا المسلمين أنه يتوقف في أفضلية نبينا على جميع الملائكة وسائر الأنبياء وأطال في الرد على من توقف في ذلك وعلى من زعم أن هذا ليس مما كُلفنا بمعرفته، ثم قال: وهذا الزعم باطل، فإن هذا من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف والبيان بسوق أدلتها وإيضاحها على كل من تأهل لذلك.

وقد صح في الحديث المشهور: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» [2] وتأمل قوله مما سواهما تجده ظاهرًا صريحًا في كل ما ذكرناه وبالجملة فعامة العلماء على جواز تفضيل نبينا «صلى الله عليه وسلم» على سائر الأنبياء والملائكة وأما قوله تعالى: «والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم» وقوله تعالى: «لا نفرق بين أحد من رسله» فهو باعتبار الإيمان وما أنزل إليهم من الأمر بعبادة الله وتوحيده وأما الأحاديث الصحيحة: «لا تفضلوا بين الأنبياء» [3]، «لا تفضلوني على الأنبياء» [4]، «لا تخيروا بين الأنبياء» [1] فهي إما قبل فعله بالتفضيل وأنه أفضلهم

---

[1] رواه الحاكم (612/4) وصححه.

[2] أخرجه البخاري (16) ومسلم (43) وأحمد (12002).

[3] رواه النسائي في الكبرى (11394).

[4] ينظر: الطحاوي: معاني الآثار، مصدر سابق، (315/4).

وإما محمولة على التواضع لتصريحه بالتفضيل، أو على تفضيل يؤدي إلى تنقيص، أو إلى غض من مقام أحدهم و» عليهما يدل سياق الحديث، أو على التفضيل في ذات النبوة والرسالة، فإنهم كلهم مشتركون في ذلك لا يتفاوتون فيه وإنما يتفاوتون في زيادة الأحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات وزعم حملها على التفضيل بأرائنا ليس في محله، لأن تفضيل ذلك بالرأي المحض مجمع على منعه وبالدليل الدال «عليه لا وجه لمنعه.

وأما حديث: «لا ترفعوني» [2]، أو قال: «لا تفضلوني على يونس» [3] الحديث وحديث «ما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس» [4] الحديث، فهما وإن كانا صحيحين فمحمولان على نفي توهم التفاوت بينهما في القرب من الحق لاختلاف محلهما الصوري، فرفع نبينا «صلى الله عليه وسلم» إلى قاب قوسين أو أدنى ونزول يونس –» عليه السلام– إلى قعر البحر، أي: لا تتوهموا من هذا التفاوت الصوري تفاوتًا في القرب والبعد من الله، بل نسبة كلٌ إليه واحدة وإن تفاوت مكانهما لتعاليه سبحانه على الجهة والمكان، فهو نهي عن تفضيل مقيد بالمكان لا مطلقًا وأراد «صلى الله عليه وسلم» إعلام الناس أن الله ليس في السماء كما يعتقد الجهال واليهود.

وقولنا: الأنبياء شامل لمن عرف منهم ومن لم يعرف، قال تعالى: {منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك}[الغافر/78] واختلف العلماء في عدد من عرف منهم، المشهور فيه ما في حديث أبي ذر –رضي الله عنه– ، عند ابن مردويه في تفسيره قال: قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا» قلت: يا رسول الله كم

---

[1] أخرجه البخاري (2412) ومسلم (2374).

[2] لم أقف على لفظه.

[3] أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، «بحر الفوائد» ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، 1420هـ – 1999م، (80/1).

[4] أخرجه البخاري (3395) ومسلم (2377).

الرسل منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير»، قلت: يا رسول الله من كان أولهم، قال: «آدم، ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيت ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر

ذكر لبعض أنبياء الله عليهم السلام:

وأول نبي من بني إسرائيل من بعد أولاد إسرائيل وهو يعقوب «صلى الله عليه وسلم» موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك» وروى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان[1] [2]، في كتاب الأنواع والتقاسيم وصححه، لكن خالفه ابن الجوزي فذكره في موضوعاته واتهم به إبراهيم بن هشام، قال الحافظ بن كثير[3]: ولا شك أنه تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث والله أعلم وقد قال الحافظ بن حجر في شرح خطبة المنهاج: حديث كون الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا وحديث كون الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر صحيحان فاعلمه وروى أبو يعلى[4] [5]: «كان فيمن خلا من إخواني الأنبياء ثمانية آلاف ثم نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت أنا» .

---

[1] هو ابو حاتم محمد ابن حبان البستي ولد بخرسان وكان حافظا، محدثا، قاضيا وايضا مؤرخا ويعتبر من كبراء ائمة في الحديث والجرح والتعديل له مؤلفات عديدة منها: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء «و» الجروحين «تةفي سنة 354هـ. للمزيد ينظر الى: الذهبي:: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (16 / 93).

(2) ينظر: ابن حبان: صحيح ابن حبان، مصدر سابق، (76/2).

(3)ينظر: ابن كثير: تفسير ابن كثير، (470/2).

[4] هو ابو يعلى احمد بن على بن هلال التميمي الموصلي ولد بها سنة 210 هـ قد كان محدث الموصل وصاحب المسند والعجم ز ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (14 / 175).

[5] ينظر الى التميمي أبو يعلى أحمد: مسند أبي يعلى، ط1، دار المأمون للتراث – دمشق، 1404هـ – 1984م، (131/7).

«بسابق العناية» أي: بالعناية الإلهية السابقة قبل إيجاد هذا العالم بأسره، لأن نوره «صلى الله عليه وسلم» متقدم على جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق يرويه عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قلت: يا رسول الله أخبرني عن أول نبي خلقه الله قبل الأشياء، قال جابر: إن الله قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله –تعالى– ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم ومن الجزء الثاني اللوح ومن الجزء الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول السماوات ومن الثاني الأرض ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله –تعالى– ومن الثالث نور إنسهم وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله» الحديث وصح حديث: «أول ما خلق الله القلم» [1] وجاء بأسانيد متعددة: «أن الماء لم يخلق شيئًا قبله» ولا ينفيان ما في الأول من نور نبينا، لأن الأولية في غيره نسبية وفي نوره «صلى الله عليه وسلم» حقيقية فلا تعارض في حديث عند ابن القطان: «كنت نورًا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام» [2] وفي الخبر: «لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره، فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره» الحديث وصح خبر: متى كنت أو كتبت نبيًا قال: «وآدم بين الروح والجسد» [3] وليس المراد من ذلك التقدير لأن غيره كذلك بالإشارة إلى كون روحه العلية ثبت لها ذلك الوصف دون غيرها في عالم الأرواح، إذ ورد أن الأرواح

---

[1] رواه الترمذي (3319) وقال: حسن صحيح.

[2] ينظر: العجلوني اسماعيل عبد الهادي: كشف الخفاء، تح: عبد الحميد بن احمد، ط1، المطتبة العصرية، مصر، 200م، (303/1).

[3] رواه الترمذي (3609) وقال: حسن غريب.

خلقت قبل الأجساد بألفي عام وفي حديث عبد الرزاق السابق تأييد لما قيل أنه لما خلق نور نبيه محمد «صلى الله عليه وسلم» أمره أن ينظر إلى نور الأنبياء –»

عليهم الصلاة والسلام– فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به وقالوا: يا ربنا مَنْ الذي غشينا نوره، فقال: هذا نور محمد بن عبد الله، إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، قالوا: أمنا به وبنبوءته، فقال الله –تعالى–: أشهد عليكم، قالوا: نعم، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ﴾ [1] إلى: – قوله تعالى–: ﴿ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [2] وفي هذه الآية كما قال التقي السبكي[3] [4]: من التنويه بقدرة العلى ما لا يخفى وفيها مع ذلك أنه على تقدير فحينه في زمنهم يكون مرسلًا إليهم وإلى أمتهم فتكون رسالته عامة لجميع الخلق، فهو نبي الأنبياء، فبذلك يكونون كلهم يوم القيامة تحت لوائه «صلى الله عليه وسلم» .

بعض من صفات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

«وقلدته» من القلادة[5] وهي ما يوضع من الثمين في سلك ويعلق في الرقبة واستعمل عند العرب باطراد، يقول أحدهم: تقلدت سيفي وتقلد زيد سيفه، إذا أدخل حميلته في عنقه، «سيف الاقتدار» منك وبك بحيث لا يعجزه حرب محارب ولا يرهبه تخويف كاذب

---

[1] الاية رقم 81 من سورة آل عمران.

[2] نفس الاية السابقة.

[3] هوابو الحسن تقي الدين على بن عبد الكافي السبكي ولد سنة 68» هـ كان حافظا، مفسرا، محدثاومتكلم نحوي وايضا اشتهر في الادب من مؤلفاته: «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل» ، «الذرة المضيئة في الرد على ابن تيمية» توفي سنة 756هـ، للمزيد ينظر الى: السبكي تقي الدين: ابراز الحكم من حديث رفع القلم: تح: كيلاني محمد خليفة، ط1، دار البشائر الاسلامية، بيروت، 1992م، ص ص_–15.

[4] ينظر السبكي تقي الدين: فتاوى السبكي، د ط، دار المعارف، (38/1).

[5] ينظر : الازهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق، (47/9).

واستصغر المشركين بمجرد سماعه أول آية أرسل بها {يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر}[المدثر/1]، فأُيقن حق إلىقين أنه لا كبير غير الله.

«بعد تكرر الفضل بالأعذار» مصدرًا عذر[1] المعذر للمعتذر يعذره إذا قطع عذره وأما اعتذر المرء يعتذر اعتذارًا فبعيد مما قصدناه ولا تقارب بينهما في المعنى وإن كانت المادة واحدة فإن كثيرًا ما تتفق المادة وتختلف المعاني كالاحبا والاحتباء، فإن الأول معناه الإعطاء والثاني فعل هيئة من جلوس خاص «على ألسنة» جمع لسان[2] والمراد الكلمات الصادرة من «رسلك» جمع رسول[3] وقد مضى الكلام في معنى الرسالة.

«الأخيار» جمع خير[4] ولا شك أنهم – عليهم الصلاة والسلام– أخيار الناس وأشرفهم لكون الله – سبحانه– اختارهم لرسالته وحمل أمانته واجتباهم وما أحد بعد نبينا «صلى الله عليه وسلم» مثلهم، فضلًا عن أن يكون خيرًا منهم وإنما أعذر الله للناس بإرسال الرسل ليبلغوا لهم الأحكام الإلهية ويوضحوا لهم بيان الحلال والحرام ومن الأمور الشرعية ليقطعوا بذلك حجتهم ويريحوا عنهم عللهم في ما قصرت عن إدراكه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[5] فلولا أعذار الله –سبحانه وتعالى– إليهم وقطع عنهم على ألسنة المرسلين وإقامة الحجة «عليهم ببعثة الرسل الأخيار إليهم، لتوهموا أن لهم عذرًا وحجة، قال الله تعالى: «ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلىنا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل

---

[1] مصدر نفسه (183/2).

[2] ينظر: الازهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق (295/12).

[3] ينظر: الخليل بن احمد الفراهيدي: كتاب العين، مصدر سابق، (241/7).

[4] مصدر نفسه، (301/4).

[5] الاية رقم 165من سورة النساء.

ونخذى»[1]، لا سيما وقد جعلت أجسامنا تقبل السهو والغفلة وسلطت علىنا الشياطين والشهوة والهوى، فإهمالك إيانا من غير إرسال من يعلمنا بما يجب علينا، أو يحرم إغراء لنا على جعل القبائح وترك الواجبات، لا سيما مع رغبة النفوس إلى مشتهاها وإن كان موجبًا لهلاكها ورداها وإنما قلنا تكرر الفضل بالإعذار للإشارة إلى أن إرسال الرسل من الجائزات العقلية، خلافًا لبعض فرق المبتدعة قالوا:إنه واجب على الله وقول بعض الكفار منهم أنه عبث لإغناء العقل عنه ولم يقل بأنه محال إلا المجوس كلمة عناد وتقليد بلا نظر ولا تفكر ومذهبنا الأشعرية أن بعثة الرسل جائزة عقلًا واجبة سمعًا وشرعًا وقد قدمنا أن نبينا أفضل المرسلين واعلم أنه إنما يليه في الفضل أولوا العزم، أي: الصبر على المشاق كإبراهيم ونوح وموسى وعيسى وإسماعيل، لصبر إبراهيم على النار ونوح على أذية قومه وإسماعيل على الذبح، لأنه الذبح على مذهب أهل السنة لا إسحاق وعدتهم عشرة وقيل خمسة ولشدة صبرهم وعظمتهم عند ربهم كان يوحى إليهم في النوم واليقظة بخلاف غيرهم، إنما كان يوحى إليهم في النوم دون اليقظة ويلي الأنبياء مطلقًا في الفضل الملائكة وهذه طريقة الأشاعرة وفيها تفضيل عوام الملائكة وهم غير الرسل على عوام البشر كالعلماء والأولياء كأبي بكر وعمر وغيرهما من أهل الفضل ومقابلها طريقة الماتريدية واعتمدها جماعة ففضلوا خواص البشر وهم الرسل على سائر الملائكة وفضلوا خواص الملائكة وهم رسلهم كجبريل وميكائيل على عوام البشر كأبي بكر وعوام البشر على عوام الملائكة.

القرآن بين المذاهب والعلماء:

وفي منهاج الأصلين للسراج البلقيني عند الحنفية، المختار أن الخواص من الملائكة أفضل من الأنبياء غير الرسل والأنبياء غير الرسل أفضل من الملائكة غير الرسل

---

[1] الاية رقم 134من سورة طه.

والتفضيل حيث قيل عند الأشاعرة[1] وعند إخواننا الماتريدية[2] يكون باعتبار كثرة الثواب والعمل والإجماع عندنا على أفضلية نبينا على الكل[3] لأنه لم يكن لأحد من الأنبياء معجزات كمعجزاته كمية ولا كيفية ولا نزل «عليه جبريل كعدد نزوله «عليه

فإنه قيل: أنه نزل «عليه أربعًا وعشرين ألف مرة وقيل: ستًا وعشرين ألف مرة كما نقله السيوطي ولم يبلغ أحد هذا المبلغ وجبريل أول من سجد من الملائكة لآدم لنور محمد في جبينه وسجوده وسجود سائر الملائكة لله تعالى وإنما آدم جعله الله لهم قبلة وحكمة سجودهم أنهم لما كانوا مستغرقين في عبادتهم يصلون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون وتكلموا سهوًا –قال تعالى–: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾[4] الآية لزمهم السجود لإصلاح صلاتهم كذا قاله ابن عربي الحاتمي في الفتوحات المكية.

تنبيهات:

الأول: قدمنا أن الإرسال لتبليغ الشرائع و» عليه أن من مات ولم تبلغه دعوة نبي، لا عقاب «عليه ولا ثواب له لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾[5] ويكون قراره

---

[1] الأشاعرة: أتباع أبي الحسن الأشعري، كان معتزليًا ثم ترك الاعتزال واتَّخذ مذهبًا بين الاعتزال ومذهب أهل السنة والجماعة، ثم رجع وتاب ووافق أهل السنة والجماعة وأتباعه إلىوم مرجئة في الإيمان، مؤوّلة في الصفات. انظر مثلا: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني، التدمرية، ط6، مكتبة العبيكان – الرياض، 1421هـ / 2000م، (ص 45) و تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ط7، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1999م، (41/1) وكلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية.

[2] الماتريدية: فرقة كلامية تنسب إلى محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي، أبي منصور الحنفي السمرقندي. انظر: غالب بن على عواجي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط 4، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة،1422 هـ – 2001 م، (1227/3).

[3] انظر: ابن تيتية: مجموع الفتاوى، مصدر سابق، (344/4).

[4] الاية رقم 30 من سورة البقرة.

[5] الاية رقم 15 من سورة الاسراء.

في الجنة لأنه غير مكلف كالأبله[1] والمجانين ومن ولد أكمه[2] أعمى أصم لأن دخول الجنة لا ينال بعمل وإنما هو بمحض فضل الله تعالى لكن الثواب لهم، لأن الثواب إنما يكون في نظير الأعمال المقبولة وأيضًا النار إنما يخلد فيها الكفار وليس أهل الفترة ومن ذكر معهم بكفار وقيل هو كل في المشيئة وقيل يبعث لهم يوم القيامة نذير فإن أطاعوه دخلوا الجنة وإن عصوه دخلوا النار[3].

الثاني: ما يجب اعتقاده على كل مؤمن أنَّ أباء النبي في كل فترةِ من لدن آدم كلهم مؤمنون وكذلك أمهاته كلهن مؤمنات لحديث البيهقي: «ما ولد في إلا نكاح الإسلام» الحديث[4] وروى ابن سعد وابن عساكر، عن محمد بن السائب بن الكلبي، عن أبيه قال كتبت للنبي «صلى الله عليه وسلم» مائة أم فما وجدت فيهن سفاحًا ولا شيئًا مما كان في أمر الجاهلية[5] وروى الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء» [6] وأبو

---

[1] جمع أَبْلَه وهو ضعيف العقل الذي تغلب «عليه الغفلة، انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار): المعجم الوسيط ا دار الدعوة (70/1).

[2] كَمِهَ الرجل: عمي أو صار أعشى، فهو أكمه وهي كمهاء. مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، المصدر السابق، (799/2).

[3] ينظر: الطبراني: الأوسط، مصدر سابق، (7955)، (57/8).

[4] رواه البيهقي في سننه (14456) (419/2) بلفظ: «ما ولدنى من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدنى إلا نكاح كنكاح الإسلام» وهو ضعيف، انظر: شمس الدين بن عبد الهادي: التحقيق، ط1، أضواء السلف – الرياض، 1428هـ – 2007 م، (2753) (360/4).

[5] ينظر: ابن سعد أبو عبد الله بن منيع الهاشمي: الطبقات الكبرى، ط2، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، 1408هـ، (50/1) و ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، (760) (403/3) والحديث ضعيف، انظر: ابن الملقن سراج الدين: البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، 1425هـ–2004م، (637/7).

[6] ينظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، (757) (402/3) وضعَّفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (13820) (214/8).

نعيم: «لم يلتق أبواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفىً، مذهبًا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما» [1]

وابن مردويه: قرأ «صلى الله عليه وسلم»: –قوله تعالى–: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾[2] أي: بفتح الفاء

وقال: «أنا أنفسكم نسبًا وصهرًا وحسبًا ليس في آبائي من لدن آدم سفاحًا كلنا نكاح»[3].

وأحاديث كثيرة مصرحة بهذا لفظًا في أكثره ومعنى في كله أن أباء النبي صلى الله «عليه وسلم وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافرًا، أما النساء فمؤمنات كلهن،

وأما الرجال فإما مؤمن فقط وإما مؤمن ولي وإما مؤمن نبي فقط وإما مؤمن نبي رسول، لأن الكافر لا يقال في حقه أنه مختار والأحاديث صريحة في أن أباءه «صلى الله عليه وسلم» مختارون، ولا يقال في حقه: كريم والنصوص صريحة في تسمية آبائه كرماء ولا يقال فيه طيب وقد عرفت حديث أبي نعيم: ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة[4] ولا يقال فيه طاهر والأحاديث منصوصة بأنهم طاهرون والقرآن يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[5] والنجس لا يقال فيه مختار ولا كريم ولا طيب ولا طاهر وأيضًا فهم على إسماعيل كانوا من أهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص الآية الآتية وكذا من بين

---

[1] ينظر: أبي نعيم الأصبهاني: دلائل النبوة، مصدر سابق، (15) (57/1). وضعَّفه الألباني في إرواء الغليل (323/6).

[2] الاية رقم 128 من سورة التوبة.

[3] ينظر الى: جلال الدين السيوطي، الخصائص الكبرى،د ط، دار الكتب العلمية – بيروت، (66/1).

[4] تقدم قبل قليل.

[5] الاية رقم 28 من سورة التوبة.

كل رسولين وأيضًا قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[1] على أحد التفاسير أن المراد: نقل نوره من ساجد إلى ساجد[2].

وإذا كان هذا في البعيد عنه من آبائه، فأمه الحقيقية أمنة وأبوه الحقيقي عبد الله من أهل الجنة بلا شك ولا ريب، لأنهما أقرب المختارين له «صلى الله عليه وسلم» لا سيما أنه جاء حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولا التفات على من طعن فيه: «أن الله أحياهما له فآمنا به[3] خصوصية لهما وكرامة له «صلى الله عليه وسلم» »

فقول ابن دحية[4] يرده القرآن والإجماع ليس في محله، لأن ذلك ممكن شرعًا وعقلًا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قرآن ولا إجماع وكون الإيمان لا ينفع بعد الموت محله غير الخصوصية والكرامة وقد صح أنه «صلى الله عليه وسلم» ردت «عليه الشمس بعد مغيبها حتى صلى به على –كرم الله وجهه– العصر[5] أداءً كرامة له –صلى الله «عليه– وسلم فكذا هنا وطعن بعضهم في صحة هذا الحديث مما لا يحذر أيضًا.

وخبر أنه –تعالى– لم يأذن لنبيه «صلى الله عليه وسلم» في الاستغفار لأمه، إما كان قبل إحيائهما له وإيمانها به، أو أن المصلحة اقتضت تأخير الاستغفار لها عن ذلك

---

[1] الاية رقم 219 من سورة الشعراء.

[2] أبو حيان بن حيان أثير الدين: البحر المحيط، د ط، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ، (198/8).

[3] قال ابن كثير في «البداية والنهاية» و مصدر سابق، (243/2): «وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد، عن عروة، عن عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله –صلى الله «عليه وسلم– سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما وآمنا به فإنه، حديث منكر جدًا وإن كان ممكنًا بالنظر إلى قدرة الله تعالى، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله أعلم» .

[4] هو عمر بن الحسن أبو الخطاب بن دحية الأندلسي المحدث ولِدَ سنة 542 هـ ومات سنة 633 هـ من مؤلفاته: «الابتهاج في احاديث المعراج» . ينظر: أبو الفضل بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ط 2،: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، 1390هـ /1971م.

[5] ينظر: الطبراني: المعجم الكبير، مصدر سابق، (390) (147/24). وايضا: ملا على القاري: مرقاة المفاتيح، (2602/6): «وقال شيخنا –يعني العسقلاني– قال أحمد: لا أصل له وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض» .

الوقت، فلم يؤذن له فيه، أو أنه تعريف من الله لنبيه بعظيم مقامه لديه، فرد الاستغفار لها تحصيل الحاصل فنهاه وكثيرًا ما يقع النهي من المحب إذا أوصاه الحبيب بأحد خيرًا

فيقول: لا توصيني بهذا إذا كان أجنبيًا، فكيف بأبويه «صلى الله عليه وسلم» اللذان هما أقرب كل قريب إليه، بل هو على جلالته جزء منهما،

وقد قال العلماء: المشهور أن الأرض أفضل من السماء لكون النبي «صلى الله عليه وسلم» منها فما بالك بأبويه -» عليه و» عليهما الصلاة والسلام- فإن قلت: إذا كان الأمر كذلك، فما فائدة الأحياء للإيمان به.

قلت: تظهر فائدته بإتحافهما بكمال زائد لم يحصل لأحد من أهل الفترة ولا لأبوين من أباء النبيين الذين سلفوا، لا للسلامة من العذاب، فإن من مات في الفترة غيرهما كلهم سالمون من العذاب بصادق خبر -قوله تعالى-: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[1]

وأما هما «عليهما السلام فمقامهما عند الله قبل الإحياء، يعرفه من نور الله قبله بمعرفة مقام ولدهما عند ربه جل جلاله

ثم لا يرد علنا في وجوب اعتقاد إيمان آبائه «صلى الله عليه وسلم» من لدن آدم، أن آزر أبو إبراهيم وأنه كافر بنص القرآن وذلك لأن أهل الكتابين التوراة والإنجيل أجمعوا على أنه لم يكفر أباه حقيقة وإنما كان عمه وسمي في القرآن أبًا لأن العرب تسمي العم أبًا.

وقد جاء نحوه في القرآن أيضًا وهو قوله تعالى: ﴿ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾[2] مع أن إسماعيل عم يعقوب لأنه أخو إسحاق وإسحاق أبو يعقوب وأما أبو

[1] الاية رقم 15 من سورة الاسراء.

[2] الاية رقم 133 من سورة البقرة.

إبراهيم الحقيقي كان اسمه تيرح بمثناة فوقية مكسورة مشبعة فراء مهملة مفتوحة فحاء مهملة ساكنة ولا التفات إلى من أخذ بظاهره من المفسرين كالبيضاوي[1] [2].

ولا إلى ظاهر حديث مسلم قال رجل: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قفا دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار» [3] فإن هذا الخبر تأويله لكثرة ما يعارضه قال الحافظ ابن حجر: وأظهر تأويل له عندي أنه أراد بأبيه عمه لما تقرر من استعمال العرب لذلك ولا شك أن عمه هو الذي كفله بالله بعد جده عبد المطلب أو أنه إنما قصد بذلك تطييب خاطر ذلك الرجل خشية أن يرتد لما قرع سمعه ولأن أباه في النار بدليل أنه إنما قاله بعد أن ولى، أو كان ذلك قبل أن ينزل «عليه: –قوله تعالى–: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا»

كما وقع له أنه سئل عن أطفال المشركين فقال: «هم مع آبائهم» [4] ثم سئل عنهم بعد مدة فذكر أنهم في الجنة[5]

وأما قول النووي في شرح مسلم: أن من مات في الفترة على ما كانت «عليه العرب من عبادة الأوثان فهو في النار وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإنهم قد بلغتهم

---

[1] هو ناصر الدين ابو سعيد البيضاوي الشيرازي قلد ببلاد فارس كان قاضيا وعالما ومتصوفا من مؤلفاته: «منهاج الوصول الى علم الاصول «توفي سنة 685هـ. للمزيد ينظر الى: البيضاوي ناصر الدين: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، ص 12.

[2] ينظر: البيضاوي ناصر الدين: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، (169/2).

[3] «صحيح مسلم» 347 – (203).

[4] ينظر: الطبراني: الكبير، مصدر سابق، (10893) (16/11). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وثَّقه أحمد وضعَّفه الجمهور وبقية رجاله رجال الصحيح» .

[5] رواه البخاري (7047) ومسلم111– (1433).

دعوة إبراهيم وغيره من المرسلين «عليهم الصلاة والسلام[1] أهم فبعيد جدًا للإتفاق على أن إبراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة إسماعيل إليهم انتهت بموته إذ لم يعلم لغير نبينا «صلى الله عليه وسلم» عموم بعثة بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على عباد الأوثان الذين ورد فيهم أنهم في النار وبهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب من كلام النووي قاله ابن حجر ثم قال ورأيت إلا في شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بأن كلامه متناف فإنه حكم بأنهم أهل فترة وبأن الدعوى بلغتهم ومعلوم أن بلغتهم الدعوة ليسوا أهل فترة لأنهم الأمم الكائنة بعد أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني ثم قال: ولما دلت القواطع على أن لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أن أهل الفترة غير معذبين اهـ.[2] وهو موافق لما قررناه

وما أحسن قول بعض الموفقين في هذه المسألة: الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فإن ذلك قد يؤذيه «صلى الله عليه وسلم» لخبر الطبراني: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» [3] [4] أ هـ.

واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من أهل الفترة فلا يردون نقض مما «عليه الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء أن أهل الفترة لا يعذبون، سبب

---

(1) ينظر: النووي ابو زكريا: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ، (79/3).

[2] ينظر: القسطلاني احمد بن محمد: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، مصدر سابق، (107/1).

[3] ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: «المعجم الكبير» بلفظ: «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء» ورواه بلفظ المصنف هناد في «الزهد» (561/2). قال ابن حجر في «المطالب العالية» (878/11): «وفي إسناده برد بياع الحرير ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (422/2) وسكت «عليه ولم أرَ من وثّقه وروى عنه غير واحد، فهو مستور وحبيب بن أبي ثابت تقدم أنه كثير التدليس ولم يصرح بالسماع هنا» .

[4] ينظر: القسطلاني احمد بن محمد: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، مصدر سابق (111/1).

ذلك أننا عهدنا في الغلام الذي قتله الخضر[1] أنه حكم بكفره مع صباه لأمر يعلمه الله فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وإن لم تبلغهم الدعوة لأمر يعلمه الله ورسوله، فلا يرد هؤلاء نقضًا على ما استفيد من الآية ومشى «عليه أولئك الأئمة أن أهل الفترة لا يعذبون وهذا الذي ذكرته في الجواب أولى من الجواب فإن أحاديثهم أخبار أحاد[2] فلا يعارض القطع بأن أهل الفترة لا يعذبون أو بأن التعذيب المذكور في الأحاديث مقصور على من بدل أو غير من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع وكان قائل هذا ممن يرد وجوب الإيمان بالعقل والذي «عليه أكثر أهل السنة والجماعة أنه لا يجب توحيد ولا غيره إلا بعد إرسال الرسول إليهم[3] ومن المقرر أن العرب لم يرسل إليهم رسول بعد إسماعيل «صلى الله عليه وسلم» وأن إسماعيل انتهت رسالته بموته، فلا فرق بين من غيَّرَ ومن بدل وغيَّره ما عدى من صح تعذيبه فيقصر ذلك «عليه لأنه لا قياس في ذلك وقول أبي حيّان أن الرافضة هم القائلون: أن آباء النبي «صلى الله عليه وسلم» مؤمنون مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[4] فلك رده، فإن مثل أبي حيّان إنما يرجع إليه في علم النحو وما يتعلق به وأما المسائل الأصولية فهو عنها بمعزل، كيف وفحول الأشاعرة وأئمتهم ومن ذكر معهم في ما مر أنفًا على أنهم مؤمنون ونسبة ذلك للرافضة وحدهم مع أن هؤلاء الذين هم أئمة الدين وقدوة أهل السنة والجماعة أفلا يكون به قصور وتساهل؟ وأي تساهل نسأل الله العافية والتوفيق ومعرفة قدر أفضل الخلق على التحقيق والعجب كل العجب من أبي حيّان هذا وابن دحية وممن وافقهما كيف ساغ لهم

---

[1] المذكور في قوله تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا } [الكهف: 74].

[2] الآحاد ما ليس بمتواتر وهو ما رواه واحد أو اثنان أو ثلاثة. انظر: الحافظ ابن حجر: نزهة النظر، ط3، مطبعة الصباح، دمشق، 2000م، (ص 200). وهو حجة عند كثير من المحققين.

[3] ينظر: السفاريني شمس الدين: لوامع الأنوار البهية، ط2، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، 1982م، (105/1).

[4] الاية رقم 219 من سورة الشعراء.

اعتقاد ضد الإيمان في أبوي النبي «صلى الله عليه وسلم» الموجب لدخول النار والخلود فيها، مع النصوص الواردة في والدي مطلق مؤمن يحمل القرآن أنهما يتوجان بتاجين من نور ويحليان بحليتين من حلل الجنة ويقال هذان والدا فلان أكرمهما الله لولدهما يحمل القرآن[1] وفي كبش إسماعيل وناقة صالح وكلب أصحاب الكهف وحمار عزير ونملة سليمان أنهم يدخلون الجنة ولا نسبة بينهم وبين من دخلوا لأجله الجنة إلا مطلق إضافة على معنى الاستحقاق، أو على معنى الملك وكمال إسماعيل والعزيز وصالح وأصحاب الكهف وسليمان إنما كان من سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم»، فكيف بعبد الله المسمى باسمه الطاهر وأمته الذين يجوز لهما عقلًا وشرعًا أن ينادي كل واحد منهما أفضل المخلوقات وسيد أهل الأرض والسماوات يا ولدي حقيقة ويا كبدي ويا بضعة من فؤادي فو حقه «صلى الله عليه وسلم» .

ولا أقول غير الحق أنهما لأجدر بالنعيم وأبعد من الجحيم من كل من عدى الأنبياء «عليهم الصلاة والسلام وأما المنقول عن الإمام الأعظم أبي حنيفة في كتابه المسمى بالفقه الأكبر من أن أبوي النبي «صلى الله عليه وسلم» ماتا كافرين[2] فزور «عليه وحاشى مقامه الجليل أن يعتقد هذا، أو يقوله بلسانه فضلًا عن أن يكتبه في كتابه،

والحق أنه قال: ما ماتا كافرين كما وجد ذلك في بعض نسخ هذا الكتاب ويؤيده قوله بعد وأبو طالب مات كافرًا لو كان مراده أنهما ماتا كافرين ما ساغ له مع عظيم معرفته بأسإلىب تركيب الجمل وجودة قلمه وسعة صدره لفصاحته وبلاغته أن يقول: وأبو طالب

---

[1] بعض حديث رواه أحمد في المسند (15645) بلفظ: «ومن قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه، ألبس والديه يوم القيامة تاجا هو أحسن من ضوء الشمس في بيوت من بيوت الدنيا، لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به» . قال الهيثمي في المجمع (11643) (162/7): «روى أبو داود بعضه. رواه أحمد وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف» وقال محققوا المسند: «حديث حسن لغيره دون قوله: «ومن قرأ القرآن فأكمله...» وهذا إسناد ضعيف كسابقه» .

[2] ونص العبارة: «ووالدا رسول الله صلى الله «عليه وسلم ماتا على الكفر» ، ينظر: الهروي أبو الحسن نور الدين: أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول «عليه الصلاة والسلام، ط 1، مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية، 1413هـ – 1993هـ، (ص 62).

مات كافرًا، إذ كان يغنيه عن ذلك ماتا كافرين وكذلك أبو طالب وتكرير لفظة الكفر دليل على أن الأول منفي والثاني مثبت وكان شيخنا العارف بالله تعالى أبو العباس المعروف بسيدي أحمد العالم الورغمي[1] رحمه الله تعالى تكلمت معه سنة 1135 في هذا المعنى ببلد فنزل قابس فقال: لعل الناسخ في الصدر الأول رأى ما مكررة، فظنها زائدة بجهله وأسقطها هون وخرجت النسخ من هذه وشاعت وإلا فمقام الإمام أبي حنيفة يأبى هذا وكنت ما لقيت متهومًا بعلم إلا تكلمت معه في هذان وأكثرهم يقولون: دَلس «عليه –والله أعلم– قلب المعنى المراد، لمحو لفظة «ما» قبل ماتا بعضُ حاسديه فلا يعجبني ولا أتعقله، لأن ما عد مثل هذا ضار لنفسه لا للإمام حتى القى الله في قلبي وذهني يومًا احتمال أن يكون فاعل هذا منافقًا من الذين أسلموا ظاهرًا وأسروا الكفر باطنًا وتعلموا القلم العربي أو،لم يسلموا كبعض إليهود الماصرين بقلمنا لا يبعد أن يكون ذلك منهم ولم أنزل من ذلك في ريب حتى تكلمنا مع الولي الصالح والشيخ الناصح شيخنا أبي عمران موسى بن عمر الجمني[2] نزيل بلدنا .

فأجابني: أن بعض أهل الخير رأى الإمام أبا حنيفة رحمه الله في المنام وسأله عن هذا، فقال: والله الذي أنا جاره ونزيله ما قلته، قال: قال الرائي: وأنساني الله أن أقول له ومن ذا الذي حرفه، ثم الذي أظنه أن الرائي هو شيخنا المذكور ولكنه كان صوفيًا ويكره نسبة الكمالات لنفسه فقال: إن بعض أهل الخير رأى الإمام... الخ ولم يقل: رأيت– رحمه الله– ونفعنا به آمين.

تنبيه: فمن جاء أنه كان نبيئًا في الفترة حنضلة بن صفوان وكان من ولد إسماعيل «عليهما السلام وهو المرسل لأصحاب الرس وقد غلط القائل أن بينهم خالد بن سنان، لأن حنضلة كان غير بعيد من إسماعيل وخالد كان موته قبل عام الفيل بخمس سنين كما

---

[1] ورد تعريفه في قسم الدراسة هنا. ينطر للصفحة رقم

[2] ورد تعريفه في قسم الدراسة هنا. ينطر للصفحة رقم

سنذكره قريبًا إن شاء الله وأصحاب الرس قبيلتان يقال لإحداهما قرمان والأخرى رعوائل ويقال: رعوئل وذلك بإليمن، فقام فيهم بأمر الله تعالى فقتلوه، فأوحى الله إلى نبي من بني إسرائيل من سبط يهوذا أن يأمر بختنصر ملك بابل أن يسير إليهم وكانت له مكانة عنده فامره فسار إليهم وأتى «عليهم بسطوة عظيمة فذلك قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴾[1] إلى قوله: -تعالى- ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾[2]

وقيل: إن القوم كانوا من حِمْيَر وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في مرثية لهم فقال:

بكت عيني لأهل الرس *** رعويل وقرمان

وأسلم وابن ذي زرع *** نكال الحي قحطان[3]

وممن اختلف فيه جرجيس العرب أدرك بعض الحواريين وأمره أن يذهب إلى بلاد الموصل يدعوهم إلى الله فاعتذر، فذهب بنفسه فقتله الملك وأجتباه الله وبعثه إليه ثانية فقتله وأحياه الله فأمر بنشره في الثالثة وأن يحرق ويذرى في دجلة، فأهلك الله ذلك الملك وجميع أهل مملكته ممن تبعه ورضي بفعله، قاله ابن منبه في سيرته: وكان في الفترة أيضًا خالد بن سنان العبسي وهو: خالد بن سنان بن غيث بن معمر بن غيث بن عبس وقد ذكره النبي «صلى الله عليه وسلم» فقال فيه: «ذلك نبي أضاعه قومه[4] وذلك أن نارًا ظهرت في جبال العرب فافتتنوا بها وكانت تنتقل من جبل إلى جبل حتى بلغت جبال بني عبس بين مكة وإلينبع البحري إلى البزوة في الشمال وكادت العرب أن تتمجس فأخذ خالد

---

[1] الاية رقم 12 من سورة الانبياء.

[2] الاية رقم 15 من سورة الانبياء.

[3] البيتان من بحر البسيط و المقصود: بكَتْ عيني لأهل الرَّس ... رَعْويل وقدمان وَأسلَمَ من أبي زَرْع ... نكال الْحَيِّ قَحْطان.ينظر:المسعودي:مروج الذهب,(1\21).

[4] ينظر: بن شبة عمر: تاريخ المدينة، تح: فهيم محمد شلتوت، ط خ، جدة، 1399هـ، (4173) (421/2): قال سماك بن حرب: سئل عنه رسول الله صلى الله «عليه وسلم فقال: «نبي أضاعه قومه» . فهو مرسل وينظر: الذهبي: «ميزان الاعتدال» (233/2): «وقال أحمد: سماك مضطرب الحديث» .

هراوة ودخلها وهو يقول: بدا بدا كل هدا مؤذي بلا رب فلا حكم جلا إلى الله الأعلى لأدخلنها وهي تلظى ولأخرجن وثيابي تندى وهو يضرب النار بالهراوة حتى أطفأها، فلم تكن من بعد، فلما حضرته الوفاة قبل ولادة نبينا «صلى الله عليه وسلم» بخمس سنين قال لأخوته ومَن حضر: احرسوا بعدي بيت ابن إبراهيم مِن فأج بذي الخراطيم وإذا هزم وولَّى فالبدر تجلَّى[1] وإذا دفنتموني فإنه ستجيء بعدي عانة من حِمْيَر يقدمها عِيرٌ أبتر فيضرب قبري بحافره، فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فإني سأخرج فأخبركم بجميع ما هو كائن، فلما مات ودفنوه بأرضهم رأوا ما قال بعد نحو عامين وأرادوا أن يُخرجوه فكَرِه ذلك بعضهم وقالوا: نخاف أن تَسُبُّنا العرب بأنَّا نبشنا ميتًا لنا فتكون فينا سُبَّة أبدًا[2] وصحَّ أن بنته جاءت إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» مؤمنة به فسمعته يقرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ} [الإخلاص: 1، 2]

فقالت: كان أبي[3] يقولها وتفسير الكلمات بدا بدا: ظهر ظهر يعني الحريق وكل فعلٍ ماضٍ يريد به الدعاء من الكَلّ الذي هو الضعف والعجز عن القدرة وهدى كذلك من المصدر وعدم الزيادة ومعنى موذي بلا رب واضح وكذلك حكم جلا الخ

وقوله: ابن إبراهيم يعني: إسماعيل جَدُّ العرب وقوله: من فاج: جار ومجرور متعلق باحرسوا والفاجي: اسم فاعل من فجا العدو يفجأ إذا دهم أرضًا[4] ويعني بذي الخراطيم: الفيل يشير إلى أن أَبْرُهَة سيغزو مكة بالفيل ويعني بالبدر: نبينا «صلى الله عليه وسلم»، لأنه وُلِدَ عام الفيل على الصحيح وظاهر هذا الخبر أنه لم يولد إلَّا بعد أن هزم الله أصحاب الفيل وهو حسن.

---

[1] يقصد ولادة نبينا محمد صلى الله «عليه وسلم تكون في العام الذي يَهزِم الله فيه أبرهة الحبشي وهو عام الفيل.

[2] أي: عار تُعَيِّرُنا به العرب.

[3] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، «المعارف» ، الطبعة: الثانية، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 م، (ص 62).

[4] ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط» ، مصدر سابق، (647/2).

في وصف حملة صالح باي لصحراء الجزائر:

ومن العجائب الاتفاقية الربانية أني لما بلغتُ من شرح هذا الكتاب هذا المحل ورد أمير المؤمنين ومُحب العلماء والصالحين ومطعِم الفقراء والمساكين أبي الالية صالح باي[1] قسمطينة من ناحية الزيبان وقد بلغ في صحراءها أيضًا قط ما وصلها من العجم افراط ولا ضربتُ فيها لهم قط فسطاط[2] وأمر الجفات من بادية تلك الناحية بأنواع من المعروف ونهاهم عن كثير من المنكر ولما رجع آيبا إلى وطنه مرَّ بالمقام المعروف عند الناس بالنبي لسيدي خالد ووجد قريبا منه كما يفة اتخذوا سدرة هنالك منسكًا يطوفون بها ويتبركون بمائه تبرك الحاج بزمزم، فنهاهم عن ذلك وأوعدهم بالعقوبة إن عادوا إلى مثله وسألني عن نبوة السيد خالد فأجبته: إن كان نبيًّا عند الله وكان قبل بعثة نبينا وغير خالد بن سنان العبسي، فجائز عقلًا ولأن لم يثبت شرعًا وإن كان المراد به خالد بن سنان فباطل محض، لِما علمت من ثبوت وفاته ودفنه في أرض بني عبس واستظهر كاتب دولة هذا الملك الفقيه الحافظ النزيه، أبو عبد الله محمد بن كوجك على[3] بقصيدة معزوة

---

[1] هو أحد بايات بايلك الشرق، او بايلك قسنطينة وتم تعيينه من قبل باشا الجزائر محمد باشا ولِد في تركيا بأزمير في 1725م وتوفي سنة 1792م. انظر: القلي أحمد باي بن محمد الشريف بن أحمد: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبو ضربة، تح: محمد العربي الزبيري، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م، (ص 6).

[2] قام صالح باي بحملات عسكرية كثيرة لاخضاع قباءئل المتمرة حيث قام بمحاولة جريئة و شجاعة ضد "تقرت"1او هي مقر حكم وادي الريغ2الواقعة في أقصى جنوب المقاطعة ، إذ كانت لا تدفع منذ سنين إلا ضريبة زهيدة للحكومة التركية و ذلك بسبب بعدها الكبير عن السلطة و الصعوبات الكثيرة للوصول إليها عبر الكثبان الرملية التي تحاصرها و تحميها ،ورغم المحاولات التي قام بها صالح باي و استعماله لكل وسائل الصلح ابتداءا من 1788م,كما قام صالح باي مواجهة القبائل المتمردة ناحية الجلفة و بوسعادة في بايلك التيطري5،حيث أرغم صالح باي أولاد نايل على طاعته بعد أن استولى على الجلفة و بوسعادة 6،و في طريق عودة صالح باي من القضاء على تمرد أولاد نايل ،مر على أراضي زمول جنوب قسنطينة و عسكر بها ،و عاقب بعض العصاة من أولاد زايد الذين حاولوا اقتحام معسكره للسرقة و النهب.ينظر: محمد الصالح العنتري ،المصدر السابق ،ص 79. ناصر الدين سعيدوني،دراسات و أبحاث....، المرجع السابق ،ص 61.

[3] هو الحسين بن على بن كوجك ابو عبد الله قليلة هو الكتب التي ترجمت له، قال عنه ابن عساكر انه حدث بطرابلس سنة 359هـ.للمزيد ينظر الى: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، (14 /261).

إلى الفاضل العارف بالله الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن الصغير المعروف بالأحضري[1] مضمونها يقينه بثبوت نبوته، لكن لم يستند فيها إلى نص، فلا يُقضى بها لأن قصارى أمرها أنها شهادة عدل واحد، لا سيما وهو من علماء القرن العاشر وأفريقية وأحوازها فُتِحَتْ في خلافة عثمان «عليه السلام واستوطنها من العرب لعذوبة أنهارها وكثرة خصْبها وثمارها غير قبيلة منهم كهذيل وبني حازم وبني صدق وبني مدحج وبني نايل وبني كعب وهمدان وبيوت من الأنصار فما قالوا ولا سُمِعَ منهم أن هذا خالد بن سنان ولو صح لنقله العلماء وأثبتوه ورسمه المؤرخون منهم وبيَّنُوه كما بيَّنُوا أمراء جيوش الفتح كعقبة بن عامر ورفاعة بن الأخرش وأبي زمعة البلوي[2] فإنك تجدهم في غير كتاب من كتب المؤرخين مذكور سيرهم وصورة موتهم ومحل ترتبهم على أن علماء الصدر الأول في إفريقية أكثر من علماء كل أقليم عددًا وأوسعهم حفظًا ومددًا.

وحديث العامة أنه لما مات وُضِع على ناقة وسارت به إلى المغرب ودُفِنَ حيث بَرَكَت به يردُّه السَّمْع المتقدم من أنه دُفِن في أرضه وأوصى إلخ وأيضًا لو سلمناه وبارك الله في الناقة وأغناها عن الأكل والشرب وطوى إليها الأرض حتى بلغت من طرف الحجاز إلى هذا المحل المتكلَّم فيه ودُفِنَ في ذا الذي أُخبر به أنه خالد بن سنان والحال أنه ميت والناقة لا تتكلم وبالجملة فالمقام مبارك بشهادة الشيخ الأخضري المذكور وشهادة غيره.

---

[1] هومحمد الصغير بن محمد بن عامر الاخضري المعروف بالبسكري نسبة لمدينة بسكرة بالجزائر التي ولد فيها في عام 918هـ من مؤلفاته: «شرح السلم المرونق» و» الجوهر المكنون في الثلاثة فنون» ومات في 983هـ. ينظر: الزركلي: الأعلام، مصدر سابق، (331/3) وايضاي ينظر الى: يوسف بن حسين خنفر: العلامة محمد الصغير الاخضري البسكري حياته واثاره، مجلة الذاكرة، جامعة ورقلة، عدد جويلية 2016، ص ص 31−51.

[2] هو ابو زمعة عبيد بن ارقم من صحابي،و ممن بايع النبي صلى الله «عليه وسلم بيعة الرضوان، تحت الشجرة. شهد فتح بمصر ع عمرو بن العاص وشارك في حملة فتح بلاد المغرب او إفريقية مع معاوية بن حديج، توفي سنة 34 هـ بالقيروان بتونس ولازال مقامه بها الى يومنا الحإلى. ينظر: الزركلي: الأعلام، مصدر سابق، (49/3).

ثم كونه وليًّا من أولياء الله، أو نبيًّا من أنبياء الله غير خالد بن سنان العبسي، غير بعيد والله ينفعنا به وبكل منسوب لله من أوليائه وأنبيائه وملائكته وأصفيائه من أهل أرضه وسمائه وعلى جميعهم السلام ورحمة الله وبركاته.

وأَلْبَسْتَه دِرْعَ الوقايةِ يصادف قولك أنهم لن يضروك شيئًا وبقولك: –قال تعالى–: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: 67] وإذا كان الناس يتقون بأس الحديد بدرع منه فيأمنوا من ضرَّه فكيف يخاف مَن أَلْبَسَه اللهُ مِن الوقاية الإلهية دِرعًا متينًا ولهذا قال صاحب البردة:

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ مِن الأَطَم[1]

والوقاية مصدر وَقَاه وَقْيًا ووقايةً: صانه والوقا ويسكَّن[2] والوقاية مثلثة[3] ما وقيت به والوقية الكلاءة والحفظ ولا شك أنه «صلى الله عليه وسلم» وقاه الله شر أعدائه، فلم يقدروا على التحكم فيه بشيء وكلما همُّوا أن يصلوا إليه، أو إلى إبطال دعوته، أو إلى تفريق كلمته وتنفير الناس عنه قبض الله أيديهم فلم تصل أمدادا وألسنتهم وقد كانوا حدادًا وطالما أراموا بكلماتهم كفرًا وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا خذلانًا وعنادًا فما وصلوا إلى مرادهم وماتوا غيظًا بعنادهم.

((وقلتَ)) في كتابك المنزل بالحق ((له)) «صلى الله عليه وسلم» –قوله تعالى–: {يَاأَيُّهَا النَّبِي} تعظيمًا له «صلى الله عليه وسلم»، فأن الله سبحانه ينادي جميع أنبياءه

---

[1] وتكملتها كالتإلى:

عناية الله أغنت عن مضاعفة... من الدروع وعن عال من الاطم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت... على خير البرية لم تنسج و لم تحم

إن كنت احببيت بعد الله مثلك...في بدو وحضر ومن عرب ومن عجم لبيت للبوصيري. ينظلر الى: الزبيدي: تاج العروس، مصدر سابق، (226/40). وينظر الى: محمد يحيى حلو: البردة شرحا واعرابا وبراغة: ط3. دار البيروتي، دمشق، 1426هـ،

[2] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، (401/15).

[3] مثلثة يعني تصح بضم الواو وفتحها وجرها.

بأسمائهم نحو: {يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة: 35] و–قوله تعالى –: {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عليكَ} [هود: 48] و–قوله تعالى–: {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [هود: 76] وياموسى {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ} [طه: 14] و {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} [ص: 26] و–قوله تعالى–: {يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ} [المائدة: 116]،

وأما نبينا «صلى الله عليه وسلم» يُنوِّه باسمه تشريفًا له على ما هو معلوم عند أهل المعاني والبديع فلم يدعُه إلَّا بنحو –قوله تعالى–: {يَاأَيُّهَا النَّبِيّ}[الأنفال: 64] و–قوله تعالى–: «يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» [المزمل: 1] و –قوله تعالى–: «يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» [المدثر: 1] و –قوله تعالى–: «يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ» [المائدة: 41] و–قوله تعالى–: «يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ «عليه الذِّكْرُ» [الحجر: 6] وليست جملة: {يَا أَيُّهَا} محكية القول، لأن المراد بالخبر أنهم قالوا: –قوله تعالى–: «إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» [الحجر: 6]، بدليل أنه لا يقولها كافر ولو قالوها لزمهم الإقرار برسالته فلا يسعهم –قوله تعالى–: «إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» وبه تعلم–قوله تعالى–: «يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ «عليه الذِّكْرُ» كلام الله غير قاصد به الحكاية.

جهاد المنافقين:

((جاهد)) أي: أبلغ الجهد بالقول والفعل ((الكفار)): جمع كافر وهو مَنْ غطَّى الحق من البيِّنات وجحده ويريد به كفار مكة وهم المشركون ونزولها في خاص أُريد به العام.

((و)) جاهد ((المنافقين)): جمع منافق وهو من أظهر الإسلام وأبطن الكفر وأكثرهم من أهل المدينة، أما جهاد الكفار فظاهر

وأما جهاد المنافقين فقد اختلف العلماء فيه كما اختلف فيه المفسرون

قيل: سبب اختلاف المفسرين أنه لمَّا كان المنافق هو الذي يُبطن الكفر ويُظْهِر الإسلام

قال ابن عباس: «إظهار الإسلام يحقن دمُ صاحبه» وقد أمر الله نبيه أن يجاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وإذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك أيضًا[1].

وقال ابن مسعود: يُجاهدهم مثل الكفار بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فإن لم يستطع فليكفرَّه في وجهه[2].

وقال الحسن وقتادة: يُجاهد المنافقين بإقامة الحدود «عليهم إذا تعاطَوا أسبابها[3].

قيل وهذا فيه بُعْد، لأن إقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق وإنما قال الحسن وقتادة هذا، لأن غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتُقام «عليهم في زمن النبي «صلى الله عليه وسلم» المنافقون.

قال الطبري: وأولى الأقوال قول ابن مسعود، لأن الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد، فلا بد من دليل متصل وقد دلت الأدلة على أن الجهاد مع الكفار إنما يكون بالسيف ومع المنافقين إنما يكون بإظهار الحجة «عليهم تارة وبترك الرفق بهم أخرى وبالانتهار تارة وهذا قول ابن مسعود[4].

{«وَاغْلُظْ «عليهمْ»} [التوبة: 73] يعني: اشدد «عليهم بالجهاد والإرهاب وذلك لأن لله أشرار من خلقه لا ينفع معهم اصطناع المعروف وكلما أحسنت قابلوا بالإساءة من خُبث نفوسهم وهم مع ذلك مسلمون، فكيف بالذين كفروا بالله وبرسوله، فهم أولى بالغلظة «عليهم، ثم لا فرق بين الكفار والمنافقين في المعنى، لأن كلهم كفار، غير أن المنافقين

---

[1] ينظر: الطبري ابن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (359/14).

[2] المصدر السابق نفسه(358/14).

[3] المصدر السابق نفسه (359/14).

[4] ونص كلام الطبري: «وأَوْلَى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب، ما قال ابن مسعود: من أنّ الله أمر نبيَه صلى الله «عليه وسلم من جهاد المنافقين، بنحو الذي أمرَه به من جهاد المشركين» . ينظر: الطبري ابن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (359/14).

لمَّا أظهروا الإسلام وأشهدوا بكلمة التقوى حُقِنَتْ دمائهم شرعًا وأُطْلِقَ «عليهم اسم المسلمين، لإذعانهم في الظاهر وانقيادهم للأحكام الشرعية ظاهرًا

ومنه: –قوله تعالى–: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} [الحجرات:14]، لأن الإيمان كمال التصديق بجميع ما جاء به الشرع وهذا ليس لهم منه نصيب، أما الإسلام اللغوي الذي هو الإذعان فقد حصل، فهم مسلمون لغةً غير مؤمنين لا لغةً ولا شرعًا.

وقوله: ((الآية)) أي: اتبع الآية أي: تمامها، لتعرف مقامهم عند الله وقد جرت عادة المؤلفين إذا ذكروا شاهدًا من القرآن كتبوا أوله ثم يقولون: الآية أي: اتبع تمامها وكذا المحدثين إذا ذكروا شاهدًا من حديثٍ يطول جلبه يقولون: «الحديث» يعنون: اتبع لفظ الحديث في الأمهات، أو تمامه منها وقد ناسب ذكر الآية فقرة السَّجع فكان لها وتمام الآية: –قوله تعالى–: {وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [التوبة: 73] يعني أن جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم إليها.

فإن قيل: لِمَ ترك «صلى الله عليه وسلم» الجهاد في المنافقين بالسيف مع صدق الآية «عليه هنا من حيث ظاهرها؟ ولِمَ تَرَكَهم بين أظهر أصحابه مع علمه بهم وبسوء حالهم؟.

قلتُ: عملًا بقوله تعالى: –قوله تعالى–: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} [المائدة: 13] ولأنهم كانوا لا يُظهِرون نفاقهم والنبي «صلى الله عليه وسلم» إنما أُمِرَ بالجهاد في المنافقين الثابت نفاقهم شرعًا بإقرارهم ولم يقل أحد منهم إني منافق وإلا جاهده «صلى الله عليه وسلم» وإنما المنافق هو مبطن الكفر وإذا تكلم بكفره في السر واطّلع «عليه أنكره ورجع عنه وقال: إني مؤمن والنبي «صلى الله عليه وسلم» كلَّفه ربه أن يحكم بالظاهر وهو –سبحانه– يتولى السرائر

وقد كان «صلى الله عليه وسلم» في صدر الإسلام أمره الله أن يدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة[1] وباللين، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159] وقال: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا} إلى: {عَظِيمٍ} [فصلت: 34، 35] وقال: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: 13] وآيات كثيرة في هذا المعنى ولما طال الأمر وتمحَّضت سعادة السعداء وشقاوة أكثر الأشقياء منهم نزل قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التوبة: 73] الآية.

فضل الصلاة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

((«صلى الله عليه وسلم»)) ظاهر الجملة الخبر والمراد به الإنشاء وقد مضى الكلام في حكم الصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» .

واعلم أن وجه الاهتمام بالصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» في حق مريد القرب من مولاه من وجوه:

الأول: ما فيها من التوسل إلى الله سبحانه بحبيبه ومصطفاه «صلى الله عليه وسلم» وقد قال تعالى: {وَابْتَغُوا إليه الْوَسِيلَةَ} [المائدة: 35] ولا وسيلة إلى الله أقرب ولا أعظم من رسوله محمد «صلى الله عليه وسلم» .

الثاني: أن الله تعالى أمرنا بها وحضَّنا «عليها، تشريفًا له وتكريمًا وتفضيلًا لجنابه الرفيع وتعظيمًا ووعد المصلي «عليه حسن المآب والفوز بجزيل الثواب وهي مِنْ أنجح الأعمال وأرجح الأقوال وأزكى الأحوال وأعم القربات وأَتَمِّ البركات وبها يُتَوَصَّل إلى رضا

[1] يشير إلى قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل: 125].

الرحمن وتُنال سعادة الرضوان وبها تظهر البركات وتُجاب الدعوات ويُرتقَى إلى أرفع الدرجات وينجبر صَدْع القلوب ويُعفَى عن عظيم الذنوب

وقد أوحى الله إلى موسى «عليه الصلاة والسلام: «أتريد أن أكون أقرب إلىك من كلامك إلى لسانك ومن وسواس قلبك إلى قلبك ومن روحك إلى ثوبك ومن نور بصرك إلى عينيك؟ قال: نعم يارب قال: فأَكْثِر الصلاة على محمد «صلى الله عليه وسلم» [1].

الثالث: أنه «صلى الله عليه وسلم» محبوب لله –عز وجل– عظيم القدْر عنده وقد صلى «عليه هو وملائكته، فوجبت محبة المحبوب والتقرب إلى الله –تعالى– بمحبته وتعظيمه والاشتغال بحقه والصلاة «عليه والاقتداء بصلاته وصلاة ملائكته «عليه.

الرابع: ما ورد في فضلها ووعَدَ «عليها من جزيل الأجر وعظيم الذِّكْر وفوز مستعملها برضا الله وقضاء حوائج آخرته ودنياه.

الخامس: ما فيها مِنْ شُكْرِ الواسطة في نِعَم الله علىنا المأمور بشكره وما مِن نعمة لله علىنا سابقة ولاحقة مِن نِعَم الإيجاد والإمداد في الدنيا والآخرة إلا وهو السبب في وصولها إلىنا وإجرائها علىنا فنِعَمِهِ علىنا تابعة لِنِعَمِ الله ونِعَمِ الله لا يَحْصُرُها عدد، كما قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [إبراهيم: 34]، فوجب حقه علىنا ووجب علىنا في شكر نعمة الله أن لا نفتر على الصلاة «عليه من دخول كل نَفَس وخروجه.

السادس: ما فيها من القيام بالعبودية.

السابع: أجرها في تاثيرها بالله والنفع بها في التنوير ورَفْع الهمة حتى قيل: أنها تغني وتكفي عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه حسبما حكاه الشيخ السنوسي[1] في شرح صغرى صغراه[2] وكذلك الشيخ زروق[3] صرَّح بهذا في عدة من تاليفه.

---

[1] ينظر الى: الاصبهاني أبو نعيم: حلية الأولياء، ج ط، السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ – 1974م، (32/6) ضمن حديث طويل رواه كعب الأحبار قال: «أوحى الله تعالى إلى موسى «عليه السلام في التوراة... الحديث» .

الثامن: ما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله، ففي الصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» ذِكْر العبد ورسوله ولا كذلك عكسه ولذلك كانت المثابرة على الأذكار والدوام «عليها يحصل بها الانحراف وتكسب نورانية تخرق الأوصاف وتُثير وهجًا ربانيًا وحرارة في الطباع والصلاة على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» تُذْهِب وهج الطباع وتقوي النفوس، لأنها طالما فكانت تقوم مقام شيخ التربية أيضًا من هذا الوجه.

وفي كتاب ابن فرحون القرطبي[4]: «واعلم أن في الصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» عشر كرامات:

إحداهن: صلاة المَلِك الجبار.

والثانية: شفاعة النبي المختار.

والثالثة: الاقتداء بالملائكة الأبرار.

والرابعة: مخالفة المنافقين والكفار.

والخامسة: محو الخطايا والأوزار.

والسادسة: العون على قضاء الحوائج والأوطار.

والسابعة: تنوير الظواهر والأسرار.

---

[1] أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، عالم تلمسان في عصره، له تصانيف كثيرة ولِد في عام 832 هـ وتوفي في 895 هـ. ينظر: الزركلي: «الأعلام» (154/7).

[2] وهو شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد.

[3] هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، زرُّوق: فقيه محدث صوفي، من أهل فاس بالمغرب ولِد عام 846 هـ وتوفي في تكرين بطرابلس الغرب عام 899 هـ، له تصانيف كثيرة منها كتاب «شرح مختصر خليل» في فقه المالكي. ينظر: الزركلي: الأعلام، (91/1).وينظر ايضا الى: ابو العباس احمد زروق: شرح عقيدة الامام الغزالي، تح: محمد عبد القادر نصار، ط1، دار الكرزة للنشر والتوزيع، مصر، 2007م، ص ص9-22.

[4] هو ابراهيم بن على بن محمد إلىعمري ولد بالمدينة ولكنه من اصل مغربي كام مالكي المذهب و اشتغل كقاضب بها وتقفي وعمره 70 عاما في سنة 799هـ، للمزيد ينظر الى: التنبكتي: نيل الابتها ج بتطريز الديباج، مصدر سابق، ص 34.وينظر الى: مخلوف محمد بن عمر: شجرة النور الزكية، ط1، دار الكتب العلمية، 2003م، (222/1).

والثامنة: النجاة من دار البوار.

والتاسعة: دخول دار القرار».

والعاشرة: كلام الرحيم الغفار [1].

ثم فصَّلها وذكر دليلها بالبرهان والحجة فصلًا فصلًا

ونقل الفاسي في دليله كبيره على دلائل الخيرات من كتاب «حدائق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار» ما نصُّه:

«الحديقة الخامسة: الثمرات التي يجتنيها العبد بالصلاة على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» والفوائد التي يكتسبها ويقتنيها:

الأولى: امتثال أمر الله بالصلاة «عليه، «صلى الله عليه وسلم» .

الثانية: موافقته –سبحانه وتعالى– في الصلاة «عليه «صلى الله عليه وسلم» .

الثالثة: موافقة الملائكة في الصلاة «عليه، «صلى الله عليه وسلم» .

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله تعالى على المصلي «عليه، «صلى الله عليه وسلم» .

الخامسة: أنه يُرفَع له عشر درجات.

السادسة: يُكتَب له عشر حسنات.

السابعة: تُمحَي عنه عشر سيئات.

الثامنة: تُرجَى له إجابة دعوته.

التاسعة: أنها سبب الشفاعة منه «صلى الله عليه وسلم» .

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب وستر العيوب.

الحادية عشر: أنها سبب لكفاية العبد ما أَهَمَّه.

الثانية عشر: أنها سبب لقرب العبد منه، «صلى الله عليه وسلم» .

---

[1] توجدُ هذه العشر نصًا، للمزيد ينظر الى: الجوزي جمال الدين أبو الفرج: بستان الواعظين ورياض السامعين، ط 2، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان، 1419هـ – 1998م، (ص 297).

الثالثة عشر: أنها تقوم مقام الصدق.

الرابعة عشر: أنها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشر: أنها سبب لصلاة الله وملائكته على المصلي.

السادسة عشر: أنها سبب زكاة المصلي والطهارة له.

السابعة عشر: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

الثامنة عشر: أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

التاسعة عشر: أنها سبب لردِّه «صلى الله عليه وسلم» على المصلي «عليه.

الموفية للعشرين: أنها سبب لتذكر ما نسيه المصلي، «صلى الله عليه وسلم» وقد جُرِّبَ فصحَّ.

الإحدى والعشرون: أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود على أهله حسرة يوم القيامة.

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفْي الفقر عن المصلي، «صلى الله عليه وسلم» .

الثالثة والعشرون: أنها تنفي عن العبد اسم البخيل إذا صلى «عليه عند ذكره وتُثْبِته إن لم يصلِّ «عليه، «صلى الله عليه وسلم» .

الرابعة والعشرون: أنها تأتي بصاحبها يوم القيامة على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها.

الخامسة والعشرون: أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يُذكَر فيه اسم الله ولا اسم رسوله «صلى الله عليه وسلم» .

السادسة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتُدِأ بحمد الله والصلاة على رسوله «صلى الله عليه وسلم» .

السابعة والعشرون: أنها سبب لفوز العبد بالجواز على الصراط.

الثامنة والعشرون: أنه يُخرِج العبد عن الجفاء بالصلاة «عليه، «صلى الله عليه وسلم» .

التاسعة والعشرون: استجلاب مودته وهي أعظم ما يرغب العاقل فيه ؟؟؟.

الثلاثين: أنها سبب لإلقاء الله –تعالى– الثناء الحسن على المصلي «عليه، «صلى الله عليه وسلم» بين السماء والأرض.

الإحدى والثلاثون: أنها سبب رحمة الله –عز وجل–.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لحصول البركة.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبته «صلى الله عليه وسلم» وزيادتها وذلك عقد من عقود الإيمان وأي عقد هو إذ لا يتم إلا به.

الرابعة والثلاثون: أنها سبب لمحبة الرسول «صلى الله عليه وسلم» للمصلي «عليه، «صلى الله عليه وسلم» .

الخامسة والثلاثون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه.

السادسة والثلاثون: أنها سبب لعرض صلاة المصلي «عليه وذِكْره عنده، «صلى الله عليه وسلم».

السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم.

الثامنة والثلاثون: تأدية الصلاة «عليه لأقل القليل من حقه علىنا «صلى الله عليه وسلم» وشكر نعمة الله التي أنعم بها علىنا.

التاسعة والثلاثون: أنها متضمنة لذكر الله –تعالى– وشكره ومعرفة إنعامه.

الموفية للأربعين: أن الصلاة «عليه من العبد دعاء من ربه –عز وجل– فتارة يدعو لنبيه «صلى الله عليه وسلم» وتارة يدعو لنفسه ولا يخفَى ما في هذا من المزية للعبد.

الإحدى والأربعون: من أعظم الثمرات وأجل الفوائد المكتسبات بالصلاة «عليه «صلى الله عليه وسلم» انطباع صورته الكريمة في النفس.

الثانية والأربعون: أن الأكثار من الصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» يقوم مقام الشيخ المربي» اه

وقد جاء أن الصلاة تكسب الأزواج والقصور وأنها تعدل عتق الرقاب وقد قال بعض المتهتكين الفانين في حب سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين:

«لقد ظن أصحاب محمد «صلى الله عليه وسلم» أنهم سبقونا إليه بكونهم آووا ونصروا فَوَحَقِّه علىنا و» عليهم –وإليمين صادقة– لتزاحمنَّ أكتافنا أكتافهم «عليه يوم القيامة بكثرة الصلاة «عليه»

قلتُ: وقد شاهدت أفرادًا من أخواننا المعتكفين على دلائل الخيرات[1] بشائر الجنة على وجوههم وهم أَخَفُّ على النفوس مِنْ شَمِّ الرياحين وقد استغرق بعض الفضلاء أيامًا في الصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» لاتشغله عنها إلا المكتوبة وقضاء الحاجة فلما كان إليوم الثالث والأربعين من أول يوم استغراقه، فاضت داره بريح المسك وغشي الجيران وتُتُبِّع فوُجِدَ خارجًا من فيه وفي هذا كفاية لمن له بإصلاح عاقبته عناية.

تنبيه: قال الحطاب[2]: «أغرب القاضي أبو بكر بن العربي[3] في العارضة[4] فقال:

«الذي أعتقده أن قوله «صلى الله عليه وسلم»: «مَن صلى على صلاةً صلى الله «عليه بها عشرا» ليست لمن قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وإنما هي لمن توجَّه بها ابتداءً وقصدها اعتناءً

وفي شرح الوغليسية للشيخ زروق: «قال ابن العربي: «ولا تجري بغير لفظ مروي عنه «عليه السلام» «اهـ وقد نحى الشيخ تقي الدين ابن السبكي ما لابن العربي فقال: «إن

---

[1] ويقصد بـه كتـاب «دلائل الخيرات» لمحمد بن سليمان الجزولي مليء بالشركيات والمخالفات الشرعية والأحاديث الضعيفة والمكذوبة. وللمزيد عن فضل الصلاة على الرسول صلى الله «عليه وسلم ينظر الى: ابن قيم الجوزية: جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ط 2، دار العروبة – الكويت، 1407 – 1987م.

[2] هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعينيّ، أبو عبد الله، المعروف بالحطاب: فقيه مالكي، من علماء المتصوفين. أصله من المغرب. ولد عام 902هـ واشتهر بمكة ومات في طرابلس الغرب سنة 954هـ. ينظر الى: الزركلي: الأعلام، مصدر سابق، (7/ 58).

[3] هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من علماء الأندلس ومن حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية عام 468هـ وتوفي سنة 543هـ. ينظر: الزركلي: المصدر السابق (6/ 230)

[4] ابن العربي ابو بكر: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،

أحسن ما يُصلَّى به على النبي «صلى الله عليه وسلم» الكيفية الواردة في التشهد عنه «صلى الله عليه وسلم»، فمن أتى بها فقد صلى «عليه «صلى الله عليه وسلم» بيقين وكان له الجزاء الوارد في الصلاة «عليه بيقين وكل من جاء بلفظ غيرها فهو في شكٍ من إتيانه بالصلاة المطلوبة، لأنهم قالوا: «كيف نصلي علىك؟ فقال لهم: قولوا: اللهم» فجعل الصلاة «عليه من قوله ذلك لهم» .

وقد استحب النووي وغيره أن يلتزم في الدعوات والأذكار ما ورد عنه «صلى الله عليه وسلم» قال النووي: «وكذلك الصلاة «عليه «صلى الله عليه وسلم» من باب أَوْلَى» .

ووسع غيرهم في ذلك، لاختلاف الروايات في الكيفية المأمور بها وتنويعها واختلاف طُرُقِها بالزيادة والنقص مِن ذكر النبوة والأُمِّيَّة والعبودية والرسالة[1] في أوصافه «صلى الله عليه وسلم» في ذكر من يصلي «عليه من الآل والذرية والأولاد ومخالفتها.

وقد ورد عن الصحابة والسلف الصالح من الألفاظ في الصلاة «عليه «صلى الله عليه وسلم» أنواع في الكيفيات كثيرة إنشائية وعبارات المحدثين والمؤلفين والمفسرين والفقهاء وغيرهم في الصلاة «عليه «صلى الله عليه وسلم» كثيرة الأنواع كيفية، حتى كاد يكون ذلك إجماعًا على سعة القول فيها.

ثم لتعلم أن السلام «عليه «صلى الله عليه وسلم» حكمه حكم الصلاة في حقنا ولا ينبغي إفراد الصلاة عن السلام، لعطفه «عليه في الآية.

والسلام لغة: التحية التي يحصل بها الأمان[2]

وشرعًا: تحية مطلقة لكنها تعظم في رسول الله وكافة الأنبياء والملائكة وتكون أمانًا في الجملة وصِلةً في ما بين الناس.

---

[1] أي: النبي الأمي عبد الله ورسوله.

[2] انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، مرجع سابق، (446/1).

((و)) صلى الله وسلم ((على آله)) إنما قلنا: «وعلى» لعدم جواز عطف الظاهر الصريح على المضمر وللرد على الشيعة القائلين بأنه لا يجوز الفصل بين النبي وآله بلفظة: «على» واحتجوا على ذلك بحديث غير صحيح.

وآل الرجل في اللغة: أهله وعياله ويُطلق على الأتباع[1] ولا يقال إلَّا في الشريف القدْر ولو دَنِيًا كآل فرعون.

واختُلِفَ في تفسير آله «صلى الله عليه وسلم» على أقوال كثيرة منها في مذهبنا المالكي سبعة أقوال مشهورها أنهم بنوا هاشم ما تناسلوا وهو قول عبد الرحمن بن القاسم[2] والإمام مالك نفسه و» عليه أكثر أصحابه

قيل: وبنوا المطلب وهو قول قوي في المذهب.

وقيل: هم ذو قرابته الذين حُرِّمَتْ «عليهم الصدقة وعُوِّضوا عنها بالفيء وخُمس الغنيمة وهو مذهب جمهور العلماء وقال به أهل الرأي من العراقيين المهرة ونصَّ «عليه الشافعي واختاره الباجي[3] من المالكية.

وقيل: هم جميع أمته أي: أمة الإجابة[4] ويُنسَب هذا أيضا لمالك وأكثر العلماء قال الزهري: «وهو أقرب للصواب» واختاره النووي[5].

قال: وما آل فرعون الذين قال الله فيهم {وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ} [البقرة: 50] إلا أمته

---

[1] انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المصدر السابق نفسه، (33/1).

[2] هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقيّ المصري، أبو عبد الله ويعرف بابن القاسم، فقيه ولد بمصر سنة 132هـ ومات فيها سنة 191هـ. وقد جمع بين العلم ةالزهد. للمزيد ينظر: الزركلي: الأعلام، (3/ 323). وينظر ايضا الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (121/9).

[3] هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي، من كبار فقهاء المالكية ومن رجال الحديث ولد سنة 403هـ وتوفي سنة 474هـ، انظر: الزركلي: الأعلام، المصدر السابق (3/ 125).

[4] أي: المستجيبون لدعوته والمتبعون لأمره صلى الله «عليه وسلم.

[5] ينظر الى: ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، د ط، دار الحديث – القاهرة، 1425هـ – 2004 م، (53/2).

قلتُ: وهذا الخلاف إنما هو في مدلول الآل لغة، ثم مِن أجل اجتهاد الأئمة في الشرعيات رأى كل منهم ما رآه باجتهاده وإلا فآل النبي أهل بيته من زوجاته وأولاده «صلى الله عليه وسلم» وهم المرادون بقول الله –سبحانه– {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33].

قيل: ومنهم كل بني هاشم والمطلب وشمس وأكثر المفسرين أنها نزلت في على وفاطمة والحسين رضي الله عنهم.

وقيل: نزلت في نساءه ونُسِب لابن عباس وكان مولاه عكرمة ينادي به في السوق[1] ورُدَّ بتذكير ضمير {عَنْكُمُ} وما بعده.

وقال جَمْعٌ: نزلت فيه «صلى الله عليه وسلم» وفي على وفاطمة والحسين[2] ورجح جَمْعٌ بأنهن سبب النزول، فيدخلن قطعًا ويدل له ما صح عن أم سلمة: «قلت: يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله» [3].

وقيل: على وفاطمة والحسن والحسين كما في خبر مسلم: «أنه دخل أولادي الأربعة في الكساء وقرأ الآية» [4].

وصح أنه «صلى الله عليه وسلم» جَعَلها كل تحت الكساء وقال: «اللهم هؤلاء هو كل أهل بيتي وخاصتي أَذْهِبْ عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا» [5]

---

[1] ينظر: ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، مصدر سابق، (267/20).

[2] ينظر: ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، المصدر السابق نفسه، (263/20).

[3] رواه الحاكم في المستدرك (3558) (451/2) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه» وقال الذهبي: «على شرط مسلم» .

[4] ولفظه: قالت عائشة: «خرج النبي صلى الله «عليه وسلم غداة و» عليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» [الأحزاب: 33]» . صحيح مسلم (4/ 1883).

[5] رواه الترمذي (3871). وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» .

وفي حديثٍ حسنٍ أنه «صلى الله عليه وسلم» اشتمل على العباس وبنيه بملاءة وقال: «يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملائتي هذه فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين ثلاثًا» [1].

فَعُلِمَ أن المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت مسكنه وهن أمهات المؤمنين وأهل بيت نَسَبِه وهم مؤمنوا بني هاشم وبنو المطلب وصح هذا عن زيد بن أرقم[2].

ثم الأشهر أن هؤلاء هم آله المذكورون في قوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد». وفي الآية مِنْ اعتناء الله بهم لأجل حبيبه «صلى الله عليه وسلم» ما لا يخفى، لأنها إفادة لحصر إرادته –تعالى– إذهاب الرجس عنهم وهو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به ويطهرهم من سائر الأخلاق والأقوال والأفعال المذمومة، بمعنى أنه لا يُجريها «عليهم اعتقادًا ولا عملًا وقد جاء في أحاديث متعددة تحريمهم على الناروهي فائدة ذلك التطهير إذ منه الإقامة إلى الله وإدامة الأعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت مُلْكًا عَضوضًا[3]. ولذا لم تتم للحسن عُوِّضوا عنها الخلافة الباطنة، حتى ذهب قومٌ إلى أن قطب الأولياء في كل زمان لا يكون إلا منهم، بل هذا مسطور في كل كتاب من كتب القوم وصرَّح

---

[1] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (584) (263/19)، قال الهيثمي في المجمع (15479) (270/9): «وإسناده حسن».

[2] هو زيد بن قيس بن الحلرث ويقال له ابو عمرو ويحكى انه اراد الجهاد في بيسل الله عز وجل فجاء للرسول على الله «عليه وسلم لكنه رده لصغر سنه توفي سنة 66هـ بالكوفة. للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (166/3).

[3] يشير إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله «عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عنوة وجبرية وفسادًا في الأرض، يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبدًا حتى يلقوا الله» . رواه أبو داود الطيالسي (225) (184/1) وصحح إسناده البوصيري–ينظر الى: البوصري أبو العباس شهاب الدين: إتحاف الخيرة، ط 1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1420 هـ - 1999 م، (7552) (93/8).

به أكابر أولياء الله كالجيلي[1] وابن أدهم[2] ومحي الدين بن عربي الحاتمي[3] وغيرهم وهذه هي الخلافة العظمى وناهيك بها شرفًا وحكمة.

وختم الآية بتطهير المبالغة في وصولهم لإعلاه وفي رفْع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير المشير إلى أنه تطهير بليغ ليس من جنس ما يُتعارَف ذلك ويؤلف.

ثم أكد «صلى الله عليه وسلم» بقوله وقد جعل على على وفاطمة والحسين كساءً وقرأ الآية: «اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهِبْ عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» [4] .

وفي رواية: «إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد» [5]

وفي أخرى: «اللهم أذهِبْ عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا» [6] .

وصح حديث: «إن أهل بيتي مثل سفينة نوح مَن ركبها نجا ومَن تخلَّف عنها هلك» [7] وحديث: «خيركم خيركم لأهلي مِن بعدي» وفي أخرى «لأهلي من بعدي» [8] وحديث:

---

[1] هو مؤسس الطريقة القادرية، عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي، من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان سنة 471ﻫ وتوفي ببغداد عام 561ﻫ.: ينظر: الزركلي: الأعلام، مصدر سابق، (47/4).

[2] هو الزاهد المشهور إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق ولد سنة مائة من الهجرة، رحل إلى بغداد وجال في العراق والشام والحجاز، مات ودفن في سوفنن عام 161ﻫ. ينظر: الزركلي: الأعلام، المصدر السابق نفسه، (31/1).

[3] هو محيي الدين بن عربي، محمد بن على بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، فيلسوف، من أئمة المتكلمين ولد في مرسية بالأندلس عام 560ﻫ، أنكر «عليه أهل الديار المصرية طامات صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه، توفي في دمشق عام 638ﻫ. ينظر: الزركلي: الأعلام، المصدر السابق (281/6).

[4] رواه الترمذي (3205). وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» .

[5] ينظر: الطحاوي: شرح مشكل الآثار، (769) (241/2).

[6] ينظر: الطحاوي: شرح مشكل الآثار، المصدر السابق نفسه، (770) (242/2).

[7] رواه الحاكم في «المستدرك» (3312) (373/2) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وقال الذهبي: «مفضل خرج له الترمذي فقط ضعفوه» .

[8] رواه الحاكم في «المستدرك» (5359) (352/3) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرط الشيخين» وقال الذهبي: «على شرط مسلم» .

«سألتُ ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إلى أحد من أمتي إلَّا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك» [1] .

وحديث: «وأحبوا مَن يحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي» [2] .

وحديث: «أنا حرب لمن حاربهم وسِلْمُ لمن سالمهم» [3] قاله لعلى وفاطمة وولديها وحديث: «إن لكل نبي عُصْبة ينتمون إليها إلَّا بنوا فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وهم عُترتي وخُلِقوا مِن طينتي ويل للمكذبين بفضلهم مَن أحبهم أحبه الله ومَن أبغضهم أبغضه الله تعالى» [4] .

وحديث: «والذي نفسي بيده لا يبغض أهل البيت أحد إلا أكبَّه الله في النار» [5].

((و)) صلى الله وسلم على ((أزواجه)) هن حَلائِله «صلى الله عليه وسلم» وسواء التي بنى بها والتي لم يبنِ بها وافترقا وهي في عصمته.

ذكر لزوجات ونساء بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

واختلف الرواة في عدد أزواجه: فقيل: ثلاثون وقيل أكثر وقيل أقل ولا خلاف في أن المدخول بهن إحدى عشرة فقط، أولاهن خديجة بنت خويلد القُرَشية الأسدية وهي أول

---

[1] رواه الحاكم في «المستدرك» (4667) (148/3) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال الذهبي: «صحيح» .

[2] رواه الترمذي (3789). بلفظ: «وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي» وضعَّفه الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» .

[3] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (5031) (184/5).

[4] لم أقف «عليه بهذا السياق ورواه الحاكم في «المستدرك» (4770) (179/3)، بلفظ: «لكل بني أم عصبة ينتمون إليهم إلا ابني فاطمة، فأنا وليهما وعصبتهما» وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه « وقال الذهبي: «ليس بصحيح» . ورواه ابو نعيم في الحلية (86/1) بلفظ: عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله «عليه وسلم: «من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علىا من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلما. وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، للقاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي» .

[5] رواه الحاكم في «المستدرك» (4717) (162/2)، بلفظ: «لا يبغضنا» وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وقال الذهبي: «واه» .

الناس رجالًا ونساءً إيمانًا برسول الله «صلى الله عليه وسلم» وهي التي سَلَّم «عليها رب العالمين، إذ في الصحيحين أن جبريل قال: «يا محمد هذه خديجة قد أتت بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب فإذا هي أتت فاقرأ «عليها السلام من ربها ومني وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب –أي: لؤلؤ مجفوف– لا صَخَب فيه ولا نَصَب» [1].

كان «صلى الله عليه وسلم» تزوجها بعد زوجين وَلَدَت لكل منهما ولها يوم تزوجها أربعون سنة وأشهر وله «صلى الله عليه وسلم» خمس وعشرون سنة عند الأكثرين وكانت قد عرضت نفسها «عليه لما رأت من كمالاته وديانته وحيائه وكراماته.

وأولاده «صلى الله عليه وسلم» كلهم منها إلَّا إبراهيم –» عليه السلام– فإنه من مارية المصرية واختُلِفَ في عدتهم وجملة ما اتُّفِقّ «عليه منهم ستة: القاسم وُلِدَ قبل الرسالة وبه كان يُكنَّى ومات بعد سنتين على خلاف فيه وأربع بنات: زينب وهي أكبرهن وماتت سنة ستة من الهجرة عند زوجها أبي العاصي بن الربيع وولدت منه عليا كان رديفه «صلى الله عليه وسلم» على البغلة يوم الفتح ومات قبل البلوغ وأُمامَة التي حَمَلَها «صلى الله عليه وسلم» في صلاته، تزوجها على بعد فاطمة رضي الله عنهما، ثم رقية توفيت وهو «صلى الله عليه وسلم» ببدر ولأجل مرضها تخلَّف زوجها عثمان عن بدر ولمَّا عُزِّيَ «صلى الله عليه وسلم» فيها قال: «الحمد لله دفن البنات من المكرَمات» [2] ثم أم كلثوم وتوفيت سنة تسع من الهجرة، تزوجها عثمان بعد ابنَي أبي لهب، ثم فاطمة الزهراء البتول

قال ابن عبد البر: «وُلِدَت سنة إحدى وأربعين من مولده «صلى الله عليه وسلم» » والذي رواه ابن إسحاق أنها وُلِدَت قبل الرسالة

---

[1] رواه البخاري (3820) ومسلم 71 – (2432). وأحمد (7156).

[2] رواه الطبراني في «الأوسط» (2263) (372/2) وقال الهيثمي في «المجمع» (4006) (11/3): «وفيه عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف» .

وقال ابن الجوزي: قبلها بخمس سنين والصحيح أنها ما سميت زهراء لكونها وُلِدَت بعد مبدأ الوحي والتنزيل وسُميَّت بتولًا، لأن الله قطعها عن النساء حسنًا وفضلًا وقيل: لانقطاعها إلى الله تعالى.

واختُلِف: هل وُلِد له «صلى الله عليه وسلم» غير أولئك؟

فقيل: الطيب والطاهر وعبد الله وقيل: الأول كان لقب للثالث ومات صغيرًا وهو الأصح وقيل: عبد مناف وقيل: المطهَّر.

وأما إبراهيم فلا خلاف أنه من مارية القبطية وُلِدَ في الحجة سنة ثمان بعد فتح مكة بشهرين ونصف وسماه إبراهيم باسم الخليل أبيه قبل السابع وفيه روايتان وجُمِعَ بأنهما وقعت قبله مخفية ثم أظهرت بينهما فيه، ثم توفي وله سبعون يومًا

وقيل: عام وستة أشهر وقيل غير ذلك ولم يصلِّ «عليه بنفسه «صلى الله عليه وسلم» ولكنه أمر الناس بالصلاة «عليه، فصلُّوا «عليه ودُفِنَ بالبقيع

وفي الحديث: «لو بقي لكان نبيًّا لكن لم يبقَ، لأن نبيكم آخر الأنبياء» [1] وبالغ النووي في بطلان هذا الحديث ورُدَّ بأنه وارد من طُرُق ولا إشكال فيه، لأن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع والإمكان.

توفيت خديجة -رضي الله عنها- قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودُفِنَت بالحجُون عن خمس وستين سنة وتزوج بعدها سَوْدة بنت زمعة القريشيَّة العامرية، بعد موت ابن عمها -رضي الله تعالى عنهما- بمكة، لما أن رجِعا من الحبشة بعد عقده على عائشة ودخل بها قبل عائشة على ما جُمِعَ به الخلاف في ذلك وأراد طلاقها لمَّا فما لما نبات فوهبت نوبتها لعائشة فأمسكها وتوفيت -رضي الله عنها- بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين من الهجرة.

---

[1] لم نجده بهذا اللفظ ورواه أحمد (12358) بلفظ: «لو عاش إبراهيم ابن النبي صلى الله «عليه وسلم، لكان صديقا نبيا» وقال الهيثمي في المجمع (14953) (162/9): «ورجاله رجال الصحيح» .

ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- القريشية التميمية كان عقد «عليها بمكة في شوال سنة عشر من البعثة ودخل بها في المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج «صلى الله عليه وسلم» بِكرًا غيرها وكان يحبها «صلى الله عليه وسلم» أكثر من بقية نسائه ولمَّا فقدَها «صلى الله عليه وسلم» في بعض أسفاره قال: «واعروساه» أخرجه أحمد[1].

تنبيه: إظهار النبي «صلى الله عليه وسلم» محبته في نساءه، إعلام للناس أنه بشر بعثه الله وأن ما أُجْرِيَ على ي7ديه من المعجزات إنما فعلها الله وحده وفرار مِنْ نسبة ذلك إليه وخوفٌ على أمته أن يعتقدوا فيه ما اعتقده النصارى في عيسى لكونه كان حصورا لم يتزوج، فاستدلوا ببغضه للنساء على أن حلَّه اللاهوت تعالى الله عن قولهم.

وكانت عائشة فقيهة، عالمة، حافظة، فصيحة ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة ودُفِنَت بالبقيع بإجماع المحدثين وحفَّاظ المؤرخين وما يقوله أهل المدينة: في التابوت المجاور للشباك في الروضة الشريفة أنه قبرها فالله أعلم بحقيقة ذلك القول.

وكان «صلى الله عليه وسلم» يُكَنِّيها بأم عبد الله، بابن أختها عبد الله بن الزبير لا بسقط[2] أسقطته منه «صلى الله عليه وسلم»، لأن ذلك لم يثبت وهي وخديجة أفضل أمهات المؤمنين.

ثم الأصح أن خديجة أفضل، لما صح عن عائشة لما قالت: (رزقك الله خيرًا منها قال: «لا والله ما رزقني خيرًا منها آمنتْ بي حين كذَّبني الناس وأعطتني مالها حين

---

[1] مسند أحمد (26112). وقال الهيثمي في المجمع (15291) (228/9): «وفيه أبو شداد ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح» .

[2] السَّقْط: هو الجنين النازل من بطن أمه قبل تمامه، ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، (435/1).

حرمني الناس» [1] ولأنه «صلى الله عليه وسلم» أَقْرَأَ عائشة السلام من جبريل[2] وأَقْرَأَ خديجة من الله تعالى[3].

والأصح أيضا أن فاطمة أفضل من خديجة، لما فيها من البضعة الكريمة[4]، التي لا يعادلها شيء والخبر المقتضي لخيرية خديجة أجيب عنه أنه من حيث الأمومية لا السيادة وممن قال هذا الإمام المجتهد التقي السبكي فإنه قال: «الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة» واختار أيضًا أن مريم أفضل من خديجة، للاختلاف في نبوتها[5].

ثم تزوج «صلى الله عليه وسلم» حفصة بنت عمر بن الخطاب القُرَشيَّة العدوية سنة ثلاث من الهجرة، بعدما رجعت من هجرة الحبشة وموت زوجها بعد غزوة بدر وكان طلَّقها «صلى الله عليه وسلم»، فأوحى الله إليه أنْ راجعها، فإنها صوَّامة قوَّامة وأنها زوجتك في الجنة[6]، توفيت سنة خمس وأربعين من الهجرة ودُفِنتْ بالبقيع.

ثم أم سَلَمَة بنت أبي أمية بن المغيرة القريشية المخزومية، تزوجها بعد موت زوجها أبي سَلَمَة –رضي الله عنه– سنة أربع وكانت من أكمل النساء، ماتت سنة تسع وخمسين ودُفِنَتْ بالبقيع.

---

[1] مسند أحمد (24864). وقال الهيثمي في المجمع (15281) (224/9): «وإسناده حسن» .

[2] رواه الطبراني في «الكبير» (310) (127/25). وقال الهيثمي في المجمع (15323) (243/9): «وفيه يعقوب بن حميد وهو ضعيف» .

[3] أخرجه البخاري (3820). ومسلم 71 – (2432). وأحمد (7156).

[4] لحديث: «فاطمة بضعة مني» ، أخرجه البخاري (3714) ومسلم 94 – (2449). وأحمد (16123).

[5] ينظر الى: التقي الدين السبكي: قضاء الأرب في أسئلة حلب، تح: محمد عالم عبد الرحيم، د ط، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1413هـ، (231/1–228).

[6] رواه الطبراني في «الكبير» (306) (188/23). وقال الهيثمي في المجمع (15333) (245/9): «وفيه جماعة لم أعرفهم» .

ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب، تزوجها «صلى الله عليه وسلم» بعد أن مات زوجها عبد الله بن جحش بالحبشة مرتدًا –والعياذ بالله– سنة ست زوَّجها منه النجاشي لعمرو بن أمية الضمري وكيله «صلى الله عليه وسلم» وأصدقها عنه أربعمائة دينار وبعثها إلى النبي «صلى الله عليه وسلم»، فدخل بها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» سنة سبع، ماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين ودُفِنَتْ بالبقيع.

وتزوج زينب بنت جحش الأسدية أسد خزيمة، بعد زيد، زوَّجه الله إياها فدخل «عليها بغير عقد، كما دلَّت «عليه الآية[1] وكانت تفتخر بذلك عن أمهات المؤمنين[2] لسنة خمس وقيل: ثلاث ولهذا لم نقل ثم وهي أول مَن ماتت منهن بعده وصح عن عائشة: (لم تكن امرأة خيرًا منها في الدين ولا أتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأوسع صدقة) الحديث رواه مسلم[3] ماتت –رحمها الله– بالمدينة سنة عشرين.

وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية العامرية وكانت تسمى في الجاهلية أم المساكين، لإطعامها إياهم سنة ثلاث وماتت بعد ثلاثة أشهر عنده مثل خديجة.

وتزوج ميمونة بنت الحارث بن أبي ضرار الهلالية العامرية، سنة سبع بعد فتح خيبر بتصوف وبنى بها في سفره وهو حلال.

ورواية: «مُحْرِما» [4] معناها أنه في الحَرَم على أن من خصائصه «صلى الله عليه وسلم» أن له أن ينكح وهو مُحْرِم وماتت سنة إحدى وخمسين فيه وقبرها به مشهور يُزار ويُتَبَرَّكُ به[5].

---

[1] قال الله تعالى عنها: { فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} [الأحزاب: 37].

[2] ينظر الى: البيهقي: دلائل النبوة، مصدر سابق، (465/3).

[3] صحيح مسلم 83 – (2442).

[4] رواه البخاري (1837). ومسلم 46 – (1410) وأحمد (2273).

[5] الصحيح أن التبرك بغير آثار النبي صلى الله «عليه وسلم غير مشروع واعلم أيها القاريء الكريم أن التبرك بالقبور قد يؤدي إلى الاستغاثة بأصحابها، فيؤدي إلى الشرك الأكبر.

وتزوج بعدها جويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وكاتبها وجاءت تسأل النبي «صلى الله عليه وسلم» وعرَّفته بنفسها وهو أعرف «صلى الله عليه وسلم» فقال لها: «هل لك إلى ما هو خير لك من ذلك عند الله أودي عنك كتابك وأتزوجك؟» قالت: نعم قد كنت غنمت فغنمت) فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما في أيديهم وقالوا: (أصهار رسول الله لا تملك) قالت عائشة: (فما رأينا امرأة كانت على قومها أعظم بركة منها أعتق في سببها أكثر مائة أهل بيت من بني المصطلق) أخرجه أبو داود[1].

وعن أبي شهاب أنه اختارها من السبي وقَسَمَ لها وكانت بنت عشرين سنة توفيت سنة خمسين.

وتزوج «صلى الله عليه وسلم» صفية بنت حيي بن أخطب، من نسْل هارون صلى الله على نبينا و» عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وهي من سَبْي خيبر وقد كان «صلى الله عليه وسلم» أَذِنَ لدحية في أَخْذِ جارية فأخَذها فقيل له: «أعطيته سيدة قريظة والنضير ومَن مِنَّا أَخَذَ مثله» [2] فخشي «عليهم الفتنة فأعطاه جارية أخرى وأعتقها «صلى الله عليه وسلم» فبعثت له تقول: «إني مِن نسل هارون وكان الله يُرِيَنْي في المنام أنك بعلى»

وقال الناس أنها لا تصلح إلا لك يارسول الله، فتزوجها «صلى الله عليه وسلم» وبنى بها وهو راجع إلى المدينة وفي رواية قال لها «صلى الله عليه وسلم» عندما رغبته أن يكون زوجها: «ما لك فِيَّ؟» فقالت: يارسول الله إني كنت أتمنى ذلك في الكفر[3] وكان

---

[1] سنن أبو داود (3931). وحسَّنه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» .

[2] رواه البخاري (371) وأحمد (11992).

[3] رواه تمام في «الفوائد» (1701) بلفظ: «الشرك» بدل «الكفر» .

بعينيها خُضْرة فسألها عن ذلك، فقالت أنها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم في حِجْرِها فرأت قمرًا وقع في حِجْرِها ففزعت وأخبرته فلطمها وقال: تمنين مَلِكَ يثرب[1].

ماتت في رمضان سنة خمسين ودُفِنَتْ بالبقيع.

فهذه أزواجه «صلى الله عليه وسلم» المتفق «عليها واختُلِفَ في ريحانة القريظية فقيل: هي زوجة نكحها بعد جويرية وقيل: هو اسم لأم حبيبة وقيل: سُرِّية واختُلِفَ: هل ماتت في حياته «صلى الله عليه وسلم» بعد أن رجع من حجة الوداع، أو بقيت بعده؟

والتسع البواقي كلهن بقين بعده «صلى الله عليه وسلم» وقد عَقَدَ «صلى الله عليه وسلم» على نساءٍ غيرهن، تعرض بهنَّ أولياؤهن فيقول باسمًا: «ما تدرون ماذا يفعل الله ويعقد وغاب ولم يبنِ بواحدة غير اللواتي ذكرنا.

وأما سراريه «صلى الله عليه وسلم» فأربع: مارية -بتخفيف إلياء- وهي أم إبراهيم ولده «صلى الله عليه وسلم» وريحانة المتقدمة وأخرى أصابها في بعض السبْي اسمها: جميلة وأخرى وَهَبَتْها له زينب بنت جحش.

واعلم أن كل زوجة من أزواج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» محكوم بها شرعا، أنها أم لكل المؤمنين في الاحترام والتحريم واستحقاق المبَرة والتعظيم وما عدا ذلك هنَّ كالأجنبيات مثل وجوب حجبهنَّ عن الرجال وتحريم النظر فيهن بل هنَّ -كما قال البيضاوي- أشد حُرْمَة مِنْ مطلق أجنبية وكذلك هن كالأجنبيات في غيره من الأحكام نحو الميراث وتزويج أمهاتهن وبناتهن ونحو ذلك.

وهل كما هن أمهات المؤمنين أمهات المؤمنات أيضًا؟

فقيل: لا وإلَّا حَرُمَ نكاحهن «عليه، أعني نكاح غير مَنْ كانت في عِصمته بعد نزول الآية وقيل: نعم هن أمهات المؤمنات أيضًا في وجوب إكرامهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوب التشبيه.

---

[1] رواه الطبراني في «الكبير» (177) (67/24). وقال الهيثمي في «المجمع» (15373) (251/9): «ورجاله رجال الصحيح» .

((و)) صلى الله وسلم على ((خلفائه)) الذين استخلفهم الله لإقامة الدين بعد غيبوبة شمس نبوته وهم خمسة رضي الله عنهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن وسأذكر كل واحد في حديقة تشتمل على تعريف نَسَبِه وحميد خِصاله وعظيم حَسَبِه وما جاء في فضله وما فعل في أيام خلافته كل ذلك في عبارة مختصرة كافية جامعة شافية.

أخبار خلافة أبي بكر الصديق:

الحديقة الأولى: في الخليفة الأول هو: أبو بكر المعروف بالصِّدِّيق وبالعتيق ابن أبي قحافة القرشي، من بني مخزوم وهو أفضل الصحابة بل أفضل البشر ما عدا الأنبياء كما صح في حديث: «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر» [1].

وصح من طرق كثيرة بل اشتهر وتواتر –ولذلك لم تتكره المبتدعة– أن الناس كانت تقتدي به في حياة رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، فمن ذلك أنه لما اشتد مرضه «صلى الله عليه وسلم» قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت عائشة: يارسول الله إنه رجل قلبه رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس فقال: «مري أبا بكر فليصل بالناس» فعادت فقال: «مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن كلكن صواحب يوسف» [2] فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله «صلى الله عليه وسلم».

وفي رواية أنها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة: قولي له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال: «مروا أبا بكر» [3] والحامل لعائشة على ذلك تشاؤم الناس به بقيامه مقام رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في مرضه الذي مات فيه.

---

[1] رواه أبو نعيم في «الحلية» (325/3).

[2] رواه البخاري (664) ومسلم 101 – (420) وأحمد (19700).

[3] رواه البخاري (7303) وأحمد (26323).

وفي أخرى أنه أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبًا فتقدم عمر –رضي الله عنه– فكبَّر وكان صيِّتا فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بعد أن أخرج رأسه من تحت الخدر مغضباً: «لا يأبى الله ورسوله إلا أبا بكر»[1].

وفي رواية أنه في فجر يوم الإثنين يوم موته «صلى الله عليه وسلم» كشف ستر حجرته «صلى الله عليه وسلم» وجلس فرأهم في صلاة الصبح وأبو بكر يصلي بهم فتبسم ضاحكاً فنكص أبو بكر عن عقبه ظانًا أنه يريد الخروج إليهم وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا به «صلى الله عليه وسلم»، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر فتوفي ضحى[2].

وقال العلماء: في هذا أوضح دليل على أنه أفضل الصحابة مطلقاً وأحقهم بالخلافة وأَوْلاهم بالإمامة ومن ثم أجمعوا على ذلك[3]، لأن تقديمه بحضرة المهاجرين والأنصار مع قوله: «يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله»[4] أي: أعلمهم بالقرآن صريح بأنه أعلمهم مطلقًا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحقُّ بالخلافة، قال على –كرم الله وجهه–: «قد أمره «صلى الله عليه وسلم» أن يصلي بالناس وأني لشاهد وما أنا بغائب ولا في مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي «صلى الله عليه وسلم» لديننا» [5]

---

(1) ينظر: الآجري– أبو بكر محمد: الشريعة، ط 2، دار الوطن – الرياض / السعودية، 1420 هـ – 1999 م، (1291) (1830/4).

(2) رواه البخاري (680) ومسلم 98 – (419) وأحمد (12666).

(3) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (17/7): «ونقل البيهقي في الاعتقاد بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على» .

(4) رواه مسلم 290 – (673) وأحمد (17063).

(5) ينظر الى: الخلال– أبو بكر أحمد: السنة، ط1،: دار الراية – الرياض، 1410هـ – 1989م، (333) (273/1).

وما أحسن قول مَن قال: «صلَّى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت الله –بمعنى: لم ينهَ– وسكت رسوله وسكت المؤمنون» [1].

ومن الظواهر الصريحة على خلافته –أيضًا– ما أخرجه مسلم أنه «صلى الله عليه وسلم» قال لعائشة –رضي الله عنها– في مرض موته: «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ أو يقول قائل: أنا أَوْلَى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» [2]

وفي رواية: «أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف «عليه أحد» ثم قال: «دعيه، معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر» [3].

وصح أن قوما سألوا إنسانًا أن يسأل لهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلى مَنْ يدفعون إليه زكاتهم بعده، حين سمعه ينعي نفسه للمهاجرين والأنصار ويقول: «إني ذاهب إلى ربي هذا العام» فسأله فقال: «إلى أبي بكر»

وأخرج الشيخان أن امرأةً أتته «صلى الله عليه وسلم» فأمرها أن ترجع إليه قالت: «أرأيتَ إنْ جئتُ فلم أجدك» كأنها تقول: بعد الموت فقال: «إن لم تجديني فأتِ أبا بكر»[4] ومنها ما أخرجه الشيخان من عدة طرق «أنه «صلى الله عليه وسلم» رأى أنه على بئر لم تصو يُفْرِغ منها بدلو، فأخذ الدلو من يده أبو بكر ففرغ منها دلوا أو دلوين ثم أخذها عمر من أبي بكر، فاستحالت غربًا إي: دلوًا كبيرًا فاستقى منها حتى ضرب الناس

---

(1) رواه ابن عدي في «الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث» (41/5).

(2) رواه مسلم 11 – (2387) وأحمد (25133).

3 ينظر الى: الطيالسي– أبو داود سليمان بن داود: مسنده، ط1، دار هجر –مصر، 1419 هـ – 1999 م، (1611) (104/3). قال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (1/6532) (147/7): «ورواته ثقات» .

4 رواه البخاري (3659)، 10 – (2386) وأحمد (16755).

بعطن» [1] أي: حتى رووا قال العلماء: هذه إشارة إلى خلافة أبي بكر وقِصَر مُدَّته وطول مدة عمر وكثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمنه.

وفي الصحيحين عن عمر أنهم لما دفنوا النبي «صلى الله عليه وسلم»، تخلف على والزبير ومن معهما في بيت فاطمة وتخلفتْ الأنصار بأجمعهم في سَقِيْفَة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقال لهم عمر: «انطلقوا بنا إلى الأنصار» فذهبوا إليهم فلما جلسوا، قام خطيبهم فخطب فأثنى على الله، ثم مدح الأنصار وأطنب بحيث لم يترك آية وخبرًا جاء فيهم إلا ذكره، ثم ذكر أن قومًا يريدون أن يستبدُّوا بالأمر «عليهم، ثم سكت فأراد عمر أن يخطب بما زوَّره -أي: جمعه- في قلبه فأشار إليه أبو بكر بالسكوت، ثم خطب وأثنى على الأنصار، ثم بَيَّنَ أن الخلافة لا تكون إلا في قريش، ثم قال: قد رضيتُ لكم إما عمر، أو أبا عبيدة وأخذ بيديهما وقال: بايعوا مَنْ شئتم منهما، فقام الخَبَّاب بن المنذر وتحمس وترفع ثم قال: منَّا أمير ومنكم أمير وكثر اللغط وخيف الفتنة، فبادر عمر وقال لأبي بكر: ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرين، ثم الأنصار فقال قائل: قتلتم سعد بن عُبادة، أي لأنه كان به بعض مرض فقال عمر: قتله الله[2] أي أن الاجتماع عنده ربما كان سبب للفتنة، فساغ لعمر باجتهاده -لأنه بالنسبة إليه كالشيخ بالنسبة إلى تلميذه، يؤدبه بما يراه- أن يقول فيه.

وصح أن عمر احتج على الأنصار بإمامة أبي بكر، فرجعوا عما كانوا فيه وقال: نعوذ بالله أن يتقدم أحد أبا بكر صعد من غدٍ على المنبر فقام عمر وتكلم قبله فحمد الله وأثنى على أبي بكر، ثم قال: قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعته العامة[3] فخطب أبو بكر ثم قال: «وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم فإن أحسنتُ فأعينوني وإن سأتُ فقوّموني أطيعوني

---

[1] رواه البخاري (3633) ومسلم 17 – (2392) وأحمد (4814).

(2) رواه البخاري (3668).

(3) رواه البخاري (7219).

ما أطعتُ الله ورسوله فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم يَرَ الزبير فدعا به فجاء فتكلم «عليه فقال: لا تثريب ياخليفة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فبايعه ثم نظر فلم يَر علىا فدعا به فتكلم «عليه فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه» [1].

واستدل كل منها على أحقيته بالخلافة بأنه صاحب الغار[2] وبتقديمه للإمامة وحكى ابن مسعود وغيره أن الصحابة أجمعوا على خلافة أبي بكر ولم يتخلف منهم أحد ثم تبعهم من بعدهم من أهل السنة والجماعة إلى الآن[3].

وقد قال أبو هريرة –رضي الله عنه–: «لولا أبو بكر ما عُبِدَ الله بعد محمد «صلى الله عليه وسلم» أبدًا» [4]

وأيضًا فكلهم يوم وفاته «صلى الله عليه وسلم» طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة إلا أبا بكر، فإنه كان غائبًا فلما حضر دخل وكشف عن وجهه الكريم «صلى الله عليه وسلم» فقبَّلَه وقال: «لقد طِبْتَ حيًا وميتًا لا يجمع الله عليك بين موتتين ثم خرج فتلى على الناس: –قوله تعالى–: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (4457) (80/3) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه « وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(2) قال الله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ «عليه وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعلىا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 40].

(3) ينظر الى: الحاكم: المستدرك، (4465) (83/3) رواه بإسناده قال: عن عبد الله قال: «ما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه» وقال بعده: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال الذهبي: «صحيح» .

(4) ينظر الى: البيهقي أحمد بن الحسين: الاعتقاد، ط1، دار الآفاق الجديدة – بيروت، 1401م، (336/6). وينظر ايضا الى: المتقي الهندي– علاء الدين على: كنز العمال، ط 5، مؤسسة الرسالة،1401هـ/1981م (14066) (602/5).

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} [آل عمران: 144] إلى: –قوله تعالى–: {الشَّاكِرِينَ} فلما سمعوها ردَّت إليهم عقولهم فتلوها[1].

وقد قيل: حتى عمر أنكر موت النبي وقال: ذهب إلى ربه فأسكته أبو بكر فسكت فأقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومَن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» ثم تلا الآية وزاد: –قوله تعالى–: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق: 19] فقالوا: كأننا لم نسمعها إلا حين تلاها فكان أبو بكر هو المثبت لهم وإلَّا لم يجتمع لهم شمل.

وأيضا اختلفوا في محل دفنه «صلى الله عليه وسلم» اختلافًا شديدًا حتى كان أن يُفضي إلى الفتنة فروى لهم الحديث «أن كل نبي يُدفن في المحل الذي توفي فيه» [2] فرجعوا وزال ما كان بينهم.

وأيضا اختلفوا في إرثه اختلافًا شديدًا حتى روى لهم الحديث المشهور: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة» [3] فرجعوا إليه.

وبهذا عُلِمَ أنه كان أحفظهم للسُنَّة وإنما سبب قلة الرواية عنه قِصَر مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين كمسيلمة ومانعي الزكاة كبني يربوع،وكان كبيرهم مالك بن نويرة وكان فارسًا عظيمًا منطيقا شاعرًا صحابيًا قَدِمَ على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وآمن به، فولَّاه صدقة قومه فأرسل إليه أبو بكر خالد بن الوليد –رضي الله عنه– فقال مالك: إنا نأتي الصلاة دون الزكاة، فقال خالد: أما علمتَ أن الصلاة والزكاة معًا دين الله تعالى، فقال مالك: أما لو كان صاحبكم يقول ذلك فنعم، ثم أعاد هذه الكلمة مرة أخرى، فقال له خالد: أَوَ ما تراه لك صاحبًا يا حمق ثم التفت إلى ضرار بن الأزور فأمره بضرب

---

[1] ينظر: الطبري: تاريخ الملوك والأمم، مصدر سابق، (201/3).

[2] ينظر: ابن ماجه: صحيح ابن ماجه، (1628). وضعَّفه ابن الملقن في «البدر المنير» .

[3] ينظر: الطبراني: الأوسط، مصدر سابق، (4578). وضعَّفه جاسم الدوسري: الروض البسام بترتيب وتخريج أحاديث تمام، (94/3).

عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال فقال خالد: بل قتلك رجوعك عن الإسلام فقال مالك: أنا مسلم فقال خالد: أتؤدي الزكاة؟ قال: لا، فقال خالد: اضرب عنقه يا ضرار فضرب عنقه وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي[1]:

ألا قل لحي أوطؤا بالسنابك... تطاول هذا الليل من بعد مالك

قضى خالد بغياً «عليه بعرسه... وكان له فيها هوى قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف... عنان الهوى عنها ولا متمالك

فأصبح ذا أهل وأصبح مالك... إلى غير أهل هالكاً في الهوالك[2]

فلما بلغ أبا بكر وعمر –رضي الله عنهما– ذلك قال عمر لأبي بكر: إن خالدًا قد زنى فارجمه، فقال: لا فإنه متأول فأخطأ، قال: فإنه قد قتل مسلمًا فاقتله، قال: لا إنه قد تأول فأخطأ، ثم قال: ياعمر ما كنت لأغمد سيف سَلَّه الله «عليهم[3].

ورثى مالكًا أخوه تميم[4] بقصائد عدة ومن قصائده العينية المشهورة منها

وكنا كندماني جذيمة حقبة... من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا... أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول... اجتماع لم نبت ليلة معا[5]

---

[1] ينظر: الواقدي: الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، مصدر سابق، (ص 107).

[2] ينظر الى: محمد رضا: ابو بكر الصديق اول الخلفاء الراشدين، تح: خليل شيحا، ط1، دتر الكتاب العربي، 2004م، ص ص4» –44.

[3] ينظر: ابي الفداء عماد الدين إسماعيل بن على: المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، د ت، (158/1).

[4] هو متمم بن نويرة ين شداد من تميم كان فارسا وشاعرا قبل الاسلام وبقي كذلك حتى بعد اسلامه من اهم شعره قصيدته في رثاء اخيه ةالتي اعتبرها الشعراء ام المراثي. للمزيد ينزر الى: الاصفهاني: الاغاني، ج5، د ط، مؤسسة جمال للنسر والتوزيع، القاهرة، د ت، ص165.

[5] هذه الابيات من قصيدة لمتمم بن نويرة إلىرعوبي تتكون من 51 بيتا مطلعها:

لعمري وما دهري بتابين مالك ولا جزع مما اصاب فاوجعا

وقد قال ابن الجوزي: أجمع المفسرون على أن قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى* الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} [الليل: 17، 18] إلى آخر السورة نزلت في حق أبي بكر وفي الآية التصريح بإنفاقه لماله وبأنه الأتقى وهو الأكرم، بدليل: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13] والأكرم هو الأفضل كما صرح به الحديث الصحيح: «ما صحب النبيين والمرسلين أجمعين إلا صاحب يس –أي: الرجل المذكور في سورة يس وهو حبيب النجار– أفضل من أبي بكر» [1]

وصح حديث أنه «ليس أحد من الناس أَمَنُّ على في نفسه وماله من أبي بكر ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتَّخذتُ أبا بكر خليلًا ولكن خِلَّة الإسلام أفضل، سدُّوا عني كل فُرْجة في هذا المسجد إلا خوخة أبي بكر» [2]، لأنه سيصير خليفة يحتاج إلى ملازمة المسجد.

وأخرج الترمذي حديث: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر» [3]

والطبراني: «ما أحد عندي أعظم يدًا من أبي بكر واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالًا من ماله وما نفعني مالٌ في الإسلام ما نفعني مال أبي بكر» [4].

والقصيدة نظمت لغرض رثاء موت اخيه مالك وهي من البحر الطويل للمزيد ينظر الى: المفضل الضبي بن محمد: المفضليات، تح: احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط1، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص ص 263–270.

[1] ينظر الى: الشيباني أحمد أبو عبد الله: فضائل الصحابة، ط 1، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1403هـ – 1983م، (152/1) من حديث أبي الدرداء بلفظ: «ما طلعت الشمس ولا غربت، على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر» .

[2] أخرجه البخاري (3904) ومسلم (2382).

[3] رواه الترمذي (3661) وقال: حسن غريب.

[4] روا ه الطبراني في «المعجم الكبير» (191/11) (11461) بشطره الأول وشطره الأخير في «المعجم الأوسط» (95/6).

ولا ينافيه حديث البخاري «أنه «صلى الله عليه وسلم» لم يأخذ منه الراحلة إلى الهجرة إلا بالثمن» [1] لاحتمال أنه أبرأه منه وصح أنه وقع بينه وبين عمر شيء، فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقال لعمر: «إن الله قد بعثني إليكم فقلتم: كَذَب وقال أبو بكر: صدقت وأمسكتم الأموال وجاء لي بها ووآساني واتَّبعني» .

وأخرج أحمد وغيره عن جماعة من الصحابة، أنه «صلى الله عليه وسلم» قال: «ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مالُ أبي بكر، فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومإلى إلا لك يا رسول الله»

وفي رواية عن ابن المسيب مرسلًا: «وكان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقضي من مال أبي بكر كما يقضي من مال نفسه» [2].

وورد «أنه أسلم وله أربعون ألف درهم[3] فأنفقها على رسول لله «صلى الله عليه وسلم» »

وصح عن عمر: «أمرنا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي فقلت: إليوم أسبق أبا بكر، مع أني ما سبقته يومًا فجئت بنصف مإلى فقال [ص/96ب] رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: ما أبقيتَ لأهلك ياعمر؟ قلت: النصف يا رسول الله، فجاء أبو بكر بما عنده فقال له: ما أبقيتَ لأهلك يا أبا بكر؟ فقال: لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسبقه لشيء أبدًا» [4].

---

[1] أخرجه البخاري (2138).

[2] أخرجه البخاري (3661).

[3] ينظر: ابن أبي شيبة العبسي: المصنف، ط 1، مكتبة الرشد – الرياض، 1409م، (12/7).

[4] رواه الترمذي (3675) وقال: حسن صحيح.

وصح أنه أعطي ثمن محل مسجد النبي «صلى الله عليه وسلم» كما جاء في حديث الهجرة «أنه «صلى الله عليه وسلم» لما وصل قباء وأقام به بضعة عشر يومًا، ركب ناقته ونهي أن يأخذ أحد بزمامها وقال: دعوها فإنها مأمورة فاستمرت إلى أن بركَتْ محل مسجده «صلى الله عليه وسلم»، ثم سارت وهو «عليها حتى بركَت على باب دار أبي أيوب الأنصاري، من بني النجار أحد أخوال جد النبي «صلى الله عليه وسلم» عبد المطلب وكان دارهم أوسط دور الأنصار وأفضلها، ثم قامت وبركَت في مبركها الأول وألقت باطن عنقها إلى الأرض، ثم صوَّتَتْ من غير أن تفتح، فاها فنزل «صلى الله عليه وسلم» عنها وقال: «هذا المنزل إن شاء الله تعالى» ثم ساوم بني النجار في تلك البقعة، فاشتراها ودفع ثمنها أبو بكر عنه» [1]، لأنه كان خرج بماله كله وكان من السبب في ذلك المسجد الأعظم ما اقتضى وصول ثوابه إلى حدٍ لا يُقَدِّر قَدْره ولا يعلمه إلَّا الله.

وكان –رضي الله عنه– اشترى –أيضًا– جماعة أسلموا فعذبهم أهل مكة العذاب الإلىم منهم بلال[2] وأعتقهم وفي أيام خلافته –رضي الله عنه– ادَّعت سَجَاح بنت الحارث بن سويد التميمية النبوة وأطاعها بنو تميم وإخوانها من بني تَغْلِب وتعصب بها مُسَيْلَمَة الكذاب على أبي بكر واجتمعتْ به وزنى بها وكان مسيلمة قد قَدِمَ إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» وآمن، ثم ارتدَّ وادَّعَى النبوة بإليمامة، فجهز إليه أبو بكر خالد بن الوليد – رضي الله عنهما– في جيش ودار بينهم حروب عظيمة ثم احتال وحْشِي قاتل حمزة حتى وصل إلى مسيلمة فطعنه بالحَرْبَة التي قتل بها حمزة –رضي الله عنه– وهربت سجاح

---

[1]ينظر الى الجوزجاني سعيد بن منصور: السنن، ط 1، الدار السلفية – الهند، 1403هـ –1982م، (400/2) بمعناه وليس فيه أن أبا بكر هو الذي دفع الثمن، لكن قال ابن حجر في «فتح الباري» (246/7): ذكر بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري أن النبي صلى الله «عليه وسلم أمر أبا بكر أن يعطيهما ثمنه.

[2] ينظر الى: الازدي معمر بن راشد: الجامع، ط 2، المجلس العلمي بباكستان وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، 1403 هـ،(234/11) عن سعيد بن المسيب بمعناه.

وأقامت في قومها، فلمَّا كثُر إسلامهم هربت إلى أخوالها بني تَغْلِب حتى أتت معاوية عام بويع فيه فأسلمت وحَسُن إسلامها.

وفي أيام أبي بكر جُمِعَ القرآن وكان مفرَّقًا بين الصحابة، فوضعه مجموعًا في مكتوب بخط جامعه زيد بن ثابت عند حفصة، فلمَّا وُلِّيَ عثمان كتب بها نُسَخًا وفرَّقها في الأمصار.

وفي أيام أبي بكر فُتِحَت الحيرة بالأمان على الجزية وفي أيامه فُتِحَت أطراف العراق وأرض الشام وفي أيامه كانت وقعة إلىرْمُوك ولمَّا بلغ هِرقل وهو بحِمْص هزيمة الروم من إلىرموك، هرب من حمص إلى الرها فلمَّا فرغ خالد وأبو عبيدة من إلىرموك قَصَدا دمشق.

وتُوفي أبو بكر –رضي الله عنه ورحمه– ليلة الأربعاء لثمان بقين من جُمادَى الآخرة سنة ثلاثة عشر، فكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام وعمره ثلاثة وستون سنة وغسَّلته زوجته أسماء بنت عُمَيْس وحُمِلَ على السرير الذي حُمِلَ «عليه رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وصلَّى «عليه عمر –رضي الله عنه– في المسجد بين القبر والمنبر ودُفِنَ إلى جنب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» حسب وصيته إلى عهده[1] وكان قد عَهِدَ لعمر –رضي الله عنهما– بالخلافة.

وكان موته قيل بالسمِّ، سَمَّتْهُ يهودية في أَرُز وقيل في حسوة أكلها هو والحارث بن كَلَدَة، فمات الاثنين بعد السنة.

وعن عائشة –رضي الله عنها– أنه اغتسل بماء بارد في يوم بارد فَحُمَّ خمسة عشر يومًا –رضي الله عنه– ومات.

وكان حسن القامة، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، أبيض اللون.

---

[1] ينظر الى: أبو بكر الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، تح: ابو عبيد مشهور بن حسين، ط1، جمعية التربية الاسلامية –دار ابن حزم، بيروت، 1998م، (18/2) بمعناه.

خلافة عمر رضي الله عنه:

الحديقة الثانية: في الخليفة الثاني أبي حفص عمر بن الخطاب القرشي العدوي الملقب بالفاروق وسبب لقبه به ما رواه أبو نعيم[1] في الدلائل وابن عساكر[2] عن ابن عباس أنه سُئِل عن سبب تسميته بالفاروق، فذكر أن حمزة أسلم قبله بثلاثة أيام وأنه خرج فسَبَّ أبو جهلٍ النبيَ «صلى الله عليه وسلم»، فأُخْبِر حمزة فأخذ قوسه وجاء فضرب بها أحد صدغي أبي جهل فقطعه فسالت الدماء، فأصلحت بينهما قريش مخافة الشر والنبي «صلى الله عليه وسلم» مختف بدار الأرقم، فانطلق حمزة فأسلم وبعده بثلاثة أيام أنكر عمر على مَنْ أسلمَ، فقيل له أن أختك وخَتَنَك أبي سعيد بن زيد –أحد العشرة المبشرين بالجنة– قد أسلما فجاء فضرب رأس أخته وأدماه، فقالت له: كان ذلك على رغم أنفي فاستحى أن يزيدها حين رأى الدماء وجلس وسألها أن تُرِيَه الكتاب فقالت: –قال تعالى–: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة: 79] فأسلم واغتسل وقال: لا أمسُّه ولكن أسمعني فأسمعوه صحيفة فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

–قال تعالى–: {طه * مَا أَنْزَلْنَا علىكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [طه: 1، 2] الآيات فعَظُمَت في صدره، فقال خَبَّاب وكان قد أرسله النبي «صلى الله عليه وسلم» لتعلم أخته وزوجها: إني لأرجو أن يكون الله قد ضمَّك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس يقول: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن هشام بن أبي جهل أو بعمر بن الخطاب» فقال: دُلَّني «عليه فتوشَّح سيفه وذهب إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» فضرب الباب فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا له: عمر قال: وعمر افتحوا الباب، فإن أقبل قبلناه وإن أدبر قتلناه،

---

[1] ينظر الى: أبو نعيم: دلائل النبوة، مصدر سابق، (ص241).

[2] ينظر الى: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، (29/44).

فسمع النبي «صلى الله عليه وسلم» ذلك فخرج فتشهد عمر فكبَّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت: يارسول الله ألسنا على الحق؟ قال: بلى قلت: ففيمَ الإخفاء؟ فخرجنا صفَّين، أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرتْ قريش إلى وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة شديدة فسمّاَني رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الفاروق يومئذ وفرَّق الله لي بين الحق والباطل.

وصح أنه لما أسلم نزل جبريل -» عليه السلام- وقال: يا محمد قد استبشر أهل السماء بإسلام عمر وأن المشركين قالوا: قد انتصف القوم إليوم منا ونزل: -قوله تعالى-: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين} [الأنفال: 64] وأن ابن مسعود قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر [1] وقال أيضًا: كان إسلامه فتحًا وهجرته نصرًا وإمامته رحمة ولقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصل إلى البيت لما أسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا[2]

وأن حذيفة قال: لما أسلم كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قوة، فلما قُتِل كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا ضعفًا[3]

وقد كان «صلى الله عليه وسلم» يقول له: يا بن الخطاب «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قَطُّ سالكًا فَجًّا [4] إلا سلك فَجًّا غير فَجّكَ» [5]

وقد صح حديث: «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وأنه ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال إلا أنزل القرآن على نحو ما قال» [1]

---

[1] أخرجه البخاري (3684).

[2] ينظر الى: النووي أبو زكريا محيي الدين: تهذيب الأسماء واللغات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (4/2).

[3] ينظر الى: ابن أبي شيبة: المصنف، مصدر سابق، (359/6) بمعناه.

[4] الْفَجُّ الطريق الواسع ويُطْلَقُ أيضًا على المكان الْمُنْخَرِقِ بين الجبلين. ينظر: النووي: شرح النووي على مسلمو مصدر سابق، (15/ 165).

[5] أخرجه البخاري (3683) ومسلم (2396) وأحمد (1472).

وحديث: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» [2]

وحديث: «إن الله وَضَعَ الحق على لسان عمر يقول به» [3]

وحديث: «إن الشيطان ليَفِرَّ منك يا عمر» [4]

وفي رواية: «إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فَرّوا من عمر» [5]

وفي أخرى: «أتاني جبريل «عليه السلام فقال: أَقْرِأ عمر السلام وقل له أن رضاه حكم وأن غضبه عز» [6] وفي أخرى: «الحق بعدي مع عمر حيث كان»[7]

وفي أخرى: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خَرَّ لوجهه» [8] وفي أخرى «الصدق بعدي مع عمر حيث كان» [9] وفي أخرى: «عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر»

وحديث: «ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر» [10]

---

[1] رواه الترمذي (3682) وقال: حسن صحيح.

[2]) رواه الترمذي (3686) وقال: حسن غريب.

[3] رواه أبو داود (2962) وصححه الحاكم (93/3).

[4] رواه ابن حبان (315/15) وصححه.

[5] رواه الترمذي (3691) وقال: حسن صحيح.

[6] ينظر الى: ابن أبي شيبة: المصنف، مصدر سابق، (359/6) وفيه: رضاه حكم.

[7] ينظر الى: الطبراني: المعجم الكبير، مصدر سابق، (280/18 رقم 718) وضعفه الهيثمي في: مجمع الزوائد، مصدر سابق، (26/9).

[8] ينظر الى: الطبراني: المعجم الكبير، المصدر السابق نفسه، (305/24 رقم 774) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (70/9).

[9] ينظر: المتقي الهندي: كنز العمال، تح: بكري حياني وصفوة السقا، ط5، مؤسسة الرسالة، السعودية، 1981م، (574/11).

[10] رواه الترمذي (3684) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وروى أحمد وغيره أنه «صلى الله عليه وسلم» قال له: «يا أخي أَشْرِكْنَا في صالح دعائك ولا تنسنا» [1] وروى الشيخان أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: «بَيْنَا أنا نائم شربت لبنًا حتى انظر إلى الري يجري في اظفاري فناولته عمر» فقال ما أولته يا رسول الله قال: «الدين» [2]

وصح أنه من الملهمين الذين ينطق الحق على لسانهم[3] ولما بُويع عمر رضي الله عنه بالخلافة سُمي أمير المؤمنين وهو أول من تَسَمّى بهذا الاسم.

وعزل خالد بن الوليد عن الأمر وَوَلّى أبا عبيدة عامر بن الجراح[4] وكتب له يكون خالد معك لاكن من تحت نظرك هو والجيش وسار أبو عبيدة ونزل دمشق من باب الجابية ونزل خالد باب توما ونزل عمرو بن العاص من ناحية أخرى وحاصرها نحو سبعين ليلة وفتح خالد ما يليه بالسيف، فخرج أهل دمشق وصالحوا أبا عبيدة من الجانب الآخر فاتتهم ودخل فالتقى هو وخالد وسط البلد وفي أيام عمر رضي الله عنه فُتحت العراق وفي سنة أربعة عشر أمر عمر رضي الله عنه بالبصرة فاختطت ورُسم صورها وشرع الناس في البناء وفيها توفي أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وعمره سبع وتسعون سنة وفي سنة خمسة عشر فُتحت حِمْص وصالحهم أبو عبيدة على صلح دمشق، ثم سار إلى حماة فخرجتْ إليه الروم الذين كانوا بها فصالحوه ووضع الجزية على رؤوسهم والخراج على أراضيهم وجعل كنيستهم العظمى مسجدًا وهو الذي بالسوق الأعلى إلىوم وغير رسم بنائها ثم سار إلى شيرز والمعرة فصالحوه، ثم ساروا إلى

---

[1] رواه أحمد (5229) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (279/3).

[2] أخرجه البخاري (82) ومسلم (2391) وأحمد (5554) وفيه: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم» .

[3] رواه مسلم (2398) وأحمد (24285) بمعناه.

[4] ابو عبيد بن الجراح الفهري القرشي ولد بمكة المكرمة واسم مبكرا هو احد العشر المبشرين بالجنة كما كان قائدا عسكريا الى جانب خالد بن الوليد وقد شارك في غزوات عدة منها غزوة احد. للمزيد ينظر الى: محمد حسن شراب: ابو عبيدة عامر بن الجراح، ط1، دار القلم، دمشق، 1887م.

اللاذقية ففتحها عُنْوَة وفتح جبلة وأنطرسوس، ثم نازل هو وخالد قنسرين المملكة الحلبية وكانت المملكة فيها لعظمها وكانت حلب من جملة أعمالها وكان بينهم قتال شديد نحو شهرين وانتصر المسلمون وصالحوهم بشرط تخريبها فُخربت إلى إلىوم، ثم فتح أبو عبيدة حلب وأنطاكية وفنج ودلوك وسرمين وتيزين وغسران واستولى على الشام وسار خالد إلى مرعش فأجل أهلها وخَرَّبها وفتح الحديثة وذلك كله في أثناء سنة خمس عشر فأيا سر هرقل من الشام وسار من الرها إلى قسطنطينية، ثم فتحت قيسارية وسطبطية وبها قبر يحيى بن زكريا «عليهما الصلاة والسلام ونابلس وأرد يافا[1] وملك البلاد جميعها وعصا بيت المقدس فطال حصاره وطلب أهلها الصلح على يد عمر بن الخطاب وقالوا: نحن جِيرة بيت الله يأتينا الخليفة الأكبر، فركب إليهم عمر بنفسه واستخلف على المدينة عليا رضي الله عنهما وفُتحت له،

وفي هذه السنة وضع عمر رضي الله عنه الدواوين وفرض العطاء للمسلمين، فبدأ بالعباس رضي الله عنه ففرض له خمسة وعشرين ألفًا، ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وفرض لأهل بدر خمسة آلاف ومن بعدهم إلى الحديبية، إلى بيعة الرضوان أربعة أربعة ولمن بعدهم ثلاثة ثلاثة إلى أهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ولمن بعد القادسية واليرموك ألفًا ألفًا وللروادف خمسمائة خمسمائة، ثم ثلاثمائة ثلاثمائة إلى مائتين وخمسين درهمًا،

وفي هذه السنة كانت وقعة القادسية[2] وكان كبير المسلمين سعد بن أبي وقاص الزهري وكبير العجم رستم وطالت محاربتهم فَهَبَتْ ريحٌ عاصفة، فحار الغبار في وجوه

---

[1] مدينة يافا وتقع بفلسطين على ساحل البحر المتوسط تبعد عن مدينة القدس حوإلى 55كلم من جهة الغرب، تعود تسميتها للكنعانيين وهم اول من سكنها حيث سموها يافي بمعنى الجميل فتحها عمرو بن العاص.للمزيد ينظر الى: http: //mawdoo3.com مقالة نظرت يوم: 02-03-2018، على الساعة: 01: 43.

[2] القادسية هي معركة بين المسلمين والفرس بقيادة رستم فرخزاد ويقال انها كانت في اخر سنة16هـ ودامت القادسية اربعة ايام الاول يوم أرماث وليلة أرماث تدعى الهدأة وإلىوم الثاني يوم أغواث وليلة أغواث تدعى السواد وإلىوم الثالث يوم عماس وليلة إلىوم الرابع تدعى ليلة الهرير وإلىوم الرابع يوم القادسية.

المشركين، فانهزموا بإذن الله وانتهي القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم، فهرب فلحقه هلال بن علقمة فأخذ برحله وقتله وصعد إلى السرير ونادى ورب الكعبة قتلت رستمًا، فتمت الهزيمة على العَجَم وقُتل منهم ما أحصى الله عدده ورحل سعد بنحو مدائن كسرى ونزل على نهر ثبير من دجلة ودخل المسلمون المدائن وقتلوا كل من وجدوه مقاتلًا وهرب يزجرد،

ونزل سعد بإيوان كسرى واحتاط على الأموال من الذهب والفضة والآنية والثياب، ما يخرج عن الإحصاء من جملتها بساط طوله ستون ذراعًا في ستين، على هيئة روضة، حكى فيها كل نوع من الزهر بمثله من الذهب والجواهر، استوهب ما يخص أصحابه منه فوهبه إياه وبعثه إلى عمر فقطعه عمر وقسمه بين أقارب النبي «صلى الله عليه وسلم»، فباع على رضي الله عنه القطعة التي خصته بعشرين ألفًا وأقام سعد بالمدائن وأرسل جيشًا إلى حلولا وكان بها جند عظيم من الفرس فقتل المسلمون ما أحصاه الله وكان يزدجرد بحلوان، فلما علم بالمسلمين أنهم قاصدوها هرب منها إلى داخل العجم بالمشرق

وجاء المسلمون حلوان فحاصروها واستولوا «عليها عُنْوَة وكبر المسلمون وقالوا {هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله} وفتح المسلمون بعد ذلك تكريت والموصل، ثم ما سندان ثم قرقيسيا[1] وهذا كله بين أواخر عام خمسة عشر وأوائل عام ستة عشر،

وفي عام ستة هذا قدم إلى عمر بن الخطاب جبلة بن اللائهم جاء مؤمنًا وتلقاه المسلمون والنجائب بين يديه وأصحابه في الدِيْبَاج، فآمن وحج مع عمر رضي الله عنه، فَوطِئ رجل من فَزارة طرف ردائه فقام فلطمه، حتى أَدْمَتْ خَيَاشِيْمُه، فشكى إلى عمر

قال ابن الأثير في التاريخ: وسميت ليلة الهرير بذلك لتركهم الكلام إنما كانوا يهرون هريرا وانتهت هذه المعركة بانتصار المسلمين بعد ان قتل هلال بن علقمة قائده الفرس رستم. للمزيد ينظر الى: ابن الكثير ابو الفداء، البداية والنهاية، تح: على شيري، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988م، (51/7).

[1] هي مدينة قرقيسيا او كركسيوم وتقع بسوريا حاليا في منطقة حدودها مع العراق وإلىوم عي عبارة عن اطلال بالقرب من مدينة دير الزور السورية تم فتحها للاسلام بالحملة التي فتحت مدينة هيت على يد عمر بن مالك في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتم فتحها يوم1 رمضان 17هـ. للمزيد ينظر الى: الطبري: تاريخ الطبري، مصدر سابق، (4/ 38-37). ينظر ايضا الى: الحموي ياقوت: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، (328/4).

فدعاه وقال: افْتَدِ نفسك بشيء تعطيه لهذا الرجل الذي لطمته وإلا أمرته بلطمك فقال جبلة: وكيف ذلك وأنا ملك وهو سَوقَةٌ فقال عمر رضي الله عنه: إن الإسلام جمعكما وَسَوَّى بين الملك والسَوقَة في الحد فقال: انظرني ليلتي هذه فأنظره فسار من ليلته تلك إلى الشام بخيله وَرَجْلِه، ثم علم أن الشام لا يحميه، فسار إلى قسطنطينية ومعه أكثر من خمسمائة من قومه فتنصروا جميعًا ثم ندم على فعله وأنشد:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة *** وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني فيها الجوج ونخـــــوة *** وبعت بها العين الصحيحة بالعور [1]

فياليت أمي لم تلدني وليتني *** صرت[2] على القول الذي قاله عمر[3]

وأرسل جبلة مع رسول المسلمين إلى حسان بن ثابت هدية لما شَان، فأوصلها عمر رضي الله عنه إلى حسان رضي الله عنه فامتدحه بقصيدة منها:

إن ابن حفنة من بقية معشر *** لم تعدهم آباؤهم باللوم

لم ينسني بالشام إذ هو بها *** كلا ولا متنصرًا بالروم

يعطي الجزيل ولا يراه عنده *** إلا كبعض عطية المذموم[4])

---

[1] القصيدة من البحر الطويل وتكملتها: تنصرت الأشراف من عار لطمةٍ * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها اللجاج ونخوةٌ * وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني * رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرةٍ * وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ * أجالس قومي ذاهب السمع والبصر .
ينظر الى: الصفدي صلاح الدين: الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، د ط، دار احياء التراث العربي، 200م، (1503/1).

[2] صوابه: صبرت من أجل الوزن الطويل.

[3] ابن عبد ربه أبو عمر، شهاب الدين: العقد الفريد، ط 1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1404 هـ، (314/1).

[4] والأبيات من قصيدة لحسان بن ثابت رضي الله عنهى وتكملتها : إنّ ابنَ جَفْنَة مِنْ بَقِيَّة مَعْشَرٍ--- لـم يَغْـذُهُمْ آباؤهُمْ باللُّومِ

وفي سنة سبعة عشر أُختطت الكوفة وتحول سعد إليها واعتمر عمر رضي الله عنه وَوَسَّعَ المسجد الحرام وهو منازل قوم أَبَوا أن يبيعوها، فأرضاهم بزيادة الثمن من بيت المال وفيها تزوج أم كلثوم بنت فاطمة من على رضي الله عنهم

وفيها كانت واقعة المغيرة بن شعبة، كان عمر قد ولاه البصرة وكان بعلنة تقابلها «عليه فيها جماعة، منهم أبو بكر مولى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأخوه لأمه زيد بن أمية ونافع بن كلدة وشبل بن سعيد، فرفعت الريح ستر الكوة عن علنة المغيرة، فنظر ثلاثة وهو على أم جميل بنت الأرقم أبي عامر بن صعصعة، فكتبوا إلى عمر بذلك فعزل المغيرة وَوَلَّى البصرة أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وشهد أبوبكر ونافع، على المغيرة بالزنى ووافقهم زياد بن أمية[1] لكنه لم يفصح الشهادة وكان عمر قد قال قبل أن يشهد زياد: أرى رجلًا أرجو أن لا يفضح به رجل من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقال زياد: رأيته جالسًا بين رجلي امرأة ورأيت رجلين مرفوعين كأذني حمار ورأيت نفسًا يعلوا واستاثموا عن ذكر ولا أعرف ما وراء ذلك، قال عمر: هل رأيت الميل في المكحلة، قال: لا فقال: فهل تعرف المرأة، قال: لا ولكن أشبهها، فقال عمر للثلاثة: اطلبوا رابعًا من جماعة العلنة لقو المغيرة بالقتل وإلا جُلدتم للقذف، قال بقية الجماعة: ما رأينا شيئًا من هذا فجلد الثلاثة للقذف واتفق أن اليوم الذي جُلدوا فيه صباحًا فتحت فيه الأهواز وتستر بالعشي وكان ملكها الهُرمزان عظيم الفرس نزل من قلعته على حكم عمر، فأرسل به إليه مع أنس بن مالك والأحنف بن قيس وجماعة، فلما وصلوا إلى المدينة ألبسوه كسوته من الدِيْبَاج المُذهب والتاج المكلل بأنواع إلىواقيت المثمنة ودخلوا به فوجدوا

لمْ ينسني بالشامِ، إذْ هوَ رَبُّها--- كلا ولا منتصراً بالرومِ

يعطي الجزيلَ، ولا يراهُ عنده--إلا كبعضِ عطية المذمومِ

ينظر: ابن عبد ربه أبو عمرشهاب الدين: العقد الفريد، المصدر نفسه، (314/1).

[1] هو عبيد الله بن زياد بن عبيد المعروف بزياد ابن ابيه زلد سنة1هـ بالطائف كان قائدا عسكريا وسياسيا داهية تولى ولاية البصرة تم الكوفة عاصر دولة الامويين حيث يعتبر من اكب نت سها في تثبيت اركانها. للمزيد ينزر الى: ابن الكثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، (8/ 216).

عمر بالمسجد في زي فقير غريب لابسًا مرقعته وكان متكئًا فجلس وقال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشباهه وأمره أن ينزع ما «عليه ويلبس خشنًا ومراده، قتله وطلب الهُرمزان ماء فأوتي به، فقال أخاف أن تقتلني وأنا أشرب، فقال عمر لا بأس علىك حتى تشرب فألقى الإناء من يده فانكسر وقال: أمنتني حتى أشرب فأنا لا أشرب، فَتبَّسم عمر وقال: كان ذلك، فقال الناس وجب «عليه العفو يا عمر، قال: قد عفوتُ فقال الهرمز: إن هذا هو الدين وهذا هو الحق وأنتم رجاله فأنا أشهدكم أني مسلم وأسلم وفرض له عمر ألفين كل عام.

وفي سنة ثمانية عشر حصل قَحْطٌ عظيم بالحجاز وأرسل عمر إلى سائر الأمصار يستعينهم لأهل الحجاز، فجاء أبو عبيدة من الشام بأربعة آلاف راحلة من الزاد ولما اشتد القحط استسقى المسلمون وعمر بالعباس عم النبي «صلى الله عليه وسلم» فسقوا من ليلتهم وجعل الناس يتمسحون وجوههم بأذيال العباس وفي هذه السنة كان طاعون عمواس بالشام، مات به فيها أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وسماه رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أمين الأمة واستُخلِف معاذ بن جبل، فمات أيضًا بالطاعون بعد أبي عبيدة بنحو عشرين يومًا واستُخلِف عمرو بن العاص ومكث بالشام والطاعون شهرًا واحدًا مات فيه خمس وعشرون ألفًا وزيادة وكان في البصرة مثله وفيها فُتحت حران ونصيبين وشمسياطا ونيسابور.

ودخلت سنة تسعة عشر فما وقع فيها فتح وإن كانت الحروب فيها كثيرة.

وفي سنة عشرين فتحت مصر والإسكندرية[1] على يد عمرو بن العاص والزبير بن العوام رضي الله عنهما واختص عمرو مصرًا وهي المعروفة إليوم بمصر العتيق وبنى الجامع المعروف بها الآن موضع فُسْطَاطِه وفي هذه السنة تُوفي بلال بن حمامة وحمامة

---

[1] للمزيد عن فتح مصر ينظر الى: ابن الكثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، (10/93-90).

اسم أمه وهو مولود بالحبشة مات رحمه الله بالشام ودفن بالباب الصغير وفيها تُوفي أبو الهيثم بن السمان، أحد النقباء وأُسَيْد بن حضير وأم المؤمنين زينب بنت جحش.

وفي سنة إحدى وعشرون تُوفي خالد بن الوليد ودُفِنَ بحِمْص[1] .

وفي سنة اثنين وعشرين فُتحت أذربيجان وحرجان وقزوين وزنجان وطبرستان من بلاد العجم وفيها سار عمرو بن العاص إلى بُرقَة وصالح أهلها على الجزية وسار إلى مدينة طرابلس المغرب وفتحها من النصارى عُنْوَة وما رجع حتى تكرر بها الأذان وأُقيمت الجمعة وفي هذه السنة سار أبو حنف بن قيس إلى خراسان[2] وافتتح هراة عنوة، ثم سار إلى مروز وكان ازدجود هاربًا فيها فلما سمع به هرب إلى بلخ ولحقه المسلمون، فعبر نهر جيحون واختلف «عليه عساكره وانضم أكثرهم للمسلمين وفيها تُوفي أبي بن كعب بن قيس من ولد مالك بن النجار وكان يُكنى بالمنذر[3] رضي الله عنه.

وفي سنة ثلاثة وعشرين تُوفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهيدًا، طعنه عبدُ المغيرة بن شعبة واسمه فيروز ويُكنى أبو لُؤلؤة بخنجر في خاصرته وهو يصلي في نافلة، لست بقين من ذي الحجة وتُوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة ودُفن يوم الأحد مستهل المحرم سنة أربع وعشرين وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام ودُفن عند النبي «صلى الله عليه وسلم»، رأسه عند رجلي أبي بكر رضي الله عنهما وكان عمره

---

[1] تم الاجماع تقريبا بين المؤرخين ان سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه توفي سنة21هـ ودفن بحمص بسوريا ولايزال ضريحه هناك للان. للمظيد ينظر الى: ابن الكثير: البداية والنهاية، مضدر سابق، (129/10). وينظر الى: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، (282/16). وينظر ايضا: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (366/1).

[2] هو التابعي الجليل الاحذف بن قيس ابن معاوية بن حصين شارك في الفتوحات الاسلامية حيث فتح مرو الروذ وغيرها من البلاد توفي سنة 67هـ بالكوفة بالعراق. للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام الانبلاء، مصدر سابق، (87/4-88).

[3] هو ابن قيس بن عبيد بن معاوية ابن النجار الصحابي الجليل وكان من رواة لبحديث النبوي وايضا كاتبا ومقرءا للقران الكريم شهد غزوة بدر والعقبة توفي سنة30هـ.للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (390/1).

خمس وخمسين سنة وقيل ستين وقيل ثلاثًا وستين وهو الأصح وكان رحمه الله ورضي عنه أبيض، أَشْيَب، أَصْلَع، طويل القامة، حسن الوجه وهو أول من نهي عن بيع الأمهات دون الأولاد وأول من جمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنازة وكانوا يكبرون أربعًا وخمسًا وستًا وأول من جمع الناس لصلاة التراويح في رمضان جماعة وأول من عس بالليل وحمل الدرة.

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

الحَدِيقَةُ الثالثة: في الخليفة الثالث عثمان بن عفان هو ثاني أبي بكر في السبق للإسلام ولم يسبقهما ذكر إلا زيد بن حارثة وعلى قبل الكل لكنه صبي لم يبلغ رضي الله عنه، كان عثمان اشترى من رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الجنة مرتين، الأولى قال «صلى الله عليه وسلم»: «من حفر بئر رومة فله الجنة» فحفرها عثمان[1] والثانية قال «صلى الله عليه وسلم»: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزه عثمان[2]

وصح أيضًا أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: «من يشتري هذا المربد ويزيده في مسجدنا وله الجنة وأجره في الدنيا ما بقي درجات له» فاشتراه عثمان بعشرين ألف درهم وزاده في المسجد[3]

---

[1] أخرجه البخاري معلقا (2778).

[2] المصدر نفسه.

[3] ينظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، (333/39).

و» عليه فقد اشترى الجنة منه «صلى الله عليه وسلم» ثلاث مرات وقد زوجه «صلى الله عليه وسلم» ابنته ماتت الأولى، فزوجه بالثانية فماتت، فقال له: «لو كانت لي ثالثة لزوجتكها» [1]

وكان رضي الله عنه كثير الحياء من عظيم ديانته، فإنه عام بعثه «صلى الله عليه وسلم» لأهل مكة يستأذنهم في أن يخلوا بين النبي وبين الكعبة ليزورها، قال المشركون: لا يدخلوها ولا يطوف بها وأما أنت يا عثمان فطف، فقال عثمان: لا أفعل إلا بإذن النبي «صلى الله عليه وسلم» وقد صح عنه «صلى الله عليه وسلم» أنه قال في حقه –وقد استحى منه لما دخل «عليه فجمع ثيابه–: «إلا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[2]

وروي من غير طريق: «أشد أمتي حياء عثمان بن عفان» [3] وورد: «أحيا أمتي وأكرمها عثمان» [4] وورد: «أن الملائكة تستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله» [5] وصح: «إنما تشبه عثمان بأبينا إبراهيم» [6] وورد: «عثمان وليي في الدنيا ووليي في الآخرة» [7]

وصح حديث: «لو أن لي أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة، حتى لا تبقى منهن واحدة وما زوجتك إلا بالوحي من الله»

---

[1] ينظر الى: عبد الله بن أحمد: فضائل الصحابة، تح: وصي الله بن محمد، ط1، جامعة ام القرى، سعودية، 1983م، (481/1).

[2] رواه مسلم (2401) وأحمد (24330).

[3] رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (587/2).

[4] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (56/1).

[5] رواه أبو يعلى في «المسند» (379/12).

[6] ينظر : الحنظلي إسحاق بن راهويه المروزي: المسند،ط1، دار الكتاب العربي، 1423 هـ – 2002م، (450/2).

[7] ينظر الى: التميمي أبو يعلى: المسند، تح: حسين سليم اسد، ط1، دار المامون للتراث، دمشق، 1984م، (44/4).

وصح أنه «صلى الله عليه وسلم» ذكر فتنة فقر بها فمر عثمان فقال: «هذا يومئذٍ على الهدى» وأنه قال: «يا عثمان إن الله مقمصك قميصًا» –أي موليك الخلافة– فإذا راودك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» [1] وفي رواية: «تراود على خلعه فلا تخلعه أو تموت» [2]

وصح في ذلك إليوم: «تفطر عندي» [3] ولذلك قال لهم يوم الدار: أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عهد إلى عهدًا وأنا صائر إليه[4].

وفي البخاري: أن بعض أعدائه جاء إلى ابن عمر ورمى عثمان بأنه فر يوم أحد وأنه تغيب عن يوم بدر وعن بيعة الرضوان، فرد «عليه ابن عمر: بأن الله غفر له وعفا عنه ما وقع منه يوم أحد بنص القرآن وبأن تغييبه يوم بدر إنما لمرض زوجته رقية بنت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وماتت به،

وصح أنه قال له «صلى الله عليه وسلم»: «إن لك أجر من شهد بدرًا وسهمه» وبأن غيبته عن بيعة الرضوان إنما كانت في طاعة رسول الله، لأنه لما كان أعز أهل مكة أرسله «صلى الله عليه وسلم» لحاجته، فكانت بيعة الرضوان لأجله وضرب «صلى الله عليه وسلم» إحدى يديه على الأخرى وقال: «هذه لعثمان» [5] .

وقد قال العلماء: لا يعرف أحد تزوج ابنتي نبي غير عثمان منذ كانت الدنيا ولهذا سُمي ذو النورين وقد قال وهو محصور يرى قتله: الحمد لله إن لي عند ربي عشرًا أني رابع أربعة –يعني في السبق للإسلام لأنه ما سبقه إلا على وزيد وأبو بكر– وأنكحني

---

[1] رواه أحمد (24466) وصححه الحاكم (106/3).

[2] ينظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، (290/39).

[3] ينظر: المصدر السابق.

[4] رواه ابن ماجه (113) وصححه الترمذي (3711) بلفظ: (فأنا صابر «عليه).

[5] أخرجه البخاري (3698) وأحمد (5772) بمعناه.

النبي «صلى الله عليه وسلم» ابنتيه ولا تغنيت ولا غنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وما مرت لي جمعة إلا أعتقتُ فيها رقبة –وعد الناس ذلك فوجدوا ألفين وأربعمائة رقبة تقريبًا– لا زنيتُ ولا، سرقت في جاهلية ولا إسلام[1] وجمعتُ القرآن على عهد رسول الله «صلى الله عليه وسلم».

ولما مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه بُويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة، لثلاث من المحرم بايعه عبد الرحمن بن عوف[2]، ثم الناس فرقًا فرقا على المنبر وحمد الله وتشهد ثم أرتج[3] «عليه فقال: إن أول كل أمر صعب وأن أعشر فسنأتيكم بالخطب على وجهها، ثم نزل وأقر ولاة عمر سنة، لأنه كان قد أوصى بذلك ثم عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة ووَلَّاها سعد بن أبي وقاص، ثم عزله وَوَلَّاها عبد الله بن عقبة بن أبي معيط وكان أخاه لأمه أروى.

وفي سنة خمس وعشرين تُوفي أبو ذر الغِفَاري رضي الله عنه واسمه جُندب بن جُنادة تُوفي بالرِّبْذَةِ وكان عثمان نفاه إليها، لما شكى منه معاوية وهو بالشام أنه ينكر «عليه كَنْز الذهب والفضة ويتلوا «عليه كل يوم: –قوله تعالى–: {والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها} [4] الآية.

وفي سنة ست وعشرين فتحت بلدان بالمشرق.

---

[1] ينظر الى: الطبراني: المعجم الكبير، مصدر سابق، (85/1 رقم 124) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (86/9).

[2] هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف القرشي احد العشر المبشرين بالجنة اسلم على يد ابي بكر الصديق شارك في اغلب غزوات الرسول صلى الله «عليه وسلم عرف بكثرة تصدقه بالمال لكونه كان تاجرا غنيا توفي سنة 32هـ. للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (81/1). وينظر ايضا الى: ابن الكثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، (138/7–138).

3 ينظر الى: المؤيد ابو الفداء عماد الدين: المختصر في اخبار البشر، ذ1، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، د ت، (166/1).

[4] الاية رقم 34 من سورة التوبة.

وفي سنة سبع زاد الفتح من كل جهة.

وفي سنة ثمان وعشرين عزل عمرو بن العاص من مصر ووَلَّاها عبد الله بن أبي سرح[1]، أخاه من الرضاع وفتح الله على يد عبد الله إفريقية ووَجّه لها رفاعة بن الأخرش وأبا زمعة البلوي وعقبة بن عامر وأسسوا القيروان بعد مشورتهم لابن أبي سرح واستشار هو عثمان فأذن فيها فاختطت[2] وشرع الناس في بنائها وسار عبد الله من مصر في عسكر عظيم إلى قُبرص ولحق معاوية بعسكر آخر من الشام وحاصروا قُبرص وفتحوها صُلحًا على عشرة آلاف دينار كل سنة وقيل: سبعة وقتلًا وسبيًا.

وفي سنة تسع وعشرين عزل أبا موسى الأشعري رضي الله عنه عن البصرة وولاها ابن خالته عبد الله بن عامر بن كرز وعزل عبد الله بن عقبة عن الكوفة بسبب أنه يشرب الخمر وصلى بالمسلمين المغرب أربعًا وسلم ثم التفت وقال: هل أزيدكم، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا معك في زيادة منذ إليوم.

وفي سنة ثلاثين سقط من عثمان خاتم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في بئر أرمين[3]

وفي سنة إحدى وثلاثين هلك يزدجرد آخر ملوك الفرس، قيل نزل بمرو هاربًا من الإسلام فثار أهلها «عليه وفيها مات أبو سفيان بن حرب والد معاوية.

---

[1] هو ابو يحيى عبد اللع بن ابي سرح صحابي وهو اخ من الرضاعة لعثمان بن عفان رضي الله عنه وولاه في عهده ولاية مصر. للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (33/3).

[2] قام عبد الله بن ابي سرح بعدة محاولات لفتح افريقية منها سنة 27هـ وسنة30هـ واخرها سنة33هـ والتي تمكن وفتحها ودخل تونس حإلنا وكان معه بعض الصحابة مثل رفاعة بن الأخرش وأبا زمعة البلوي وتم بناء مدينة القيروان. للمزيد ينظر الى: ابن الاثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، (231/2).

[3] ينظر الى: ابن الجوزي عبد الرحمن: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. مح: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، (45/5).

وفي سنة اثنين وثلاثين تُوفي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وجاء في بعض الروايات أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وصاحب هذه الرواية يسقط أبا عبيدة من العشرة.

وفي سنة ثلاث وثلاثين تكلم جماعة من الكوفة في حق عثمان وأنكروا «عليه ولاية جماعة من أقاربه لا يصلحون لها وقال الناس في عثمان ما لا يعيبه شرعًا.

وفي سنة أربع وثلاثين اقطع عثمان مروان بن الحكم فدك صدقة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ولم تزل في يد مروان وبنيه إلى أن ردها عمر بن عبد العزيز صدقة وفيها تُوفي المقداد بن الأسود رضي الله عنه وكان الأسود قد تبناه فلما دعى الناس أن أبائهم كما أمر الله سمي المقداد بن عمرو وكان عمره سبعين سنة.

وفي سنة خمس وثلاثين قدم المدينة من مصر جمع دون الألف وكذلك من الكوفة وكذلك من البصرة وجاء محمد بن ابي بكر الصديق من الطائف ومكة بجمع، فلما جاءت الجمعة وعلم عثمان أنهم جاءوا للفتنة، قام على المنبر وقال: أيها الناس الوافدون يعلم الله وأهل المدينة أنكم ملعونون على لسان محمد «صلى الله عليه وسلم» فقال محمد بن سلمة وأنا أشهد بذلك وقام الناس بأجمعهم وكثر الهرج وحُصِبَ عثمان وجُذِبَ حتى سقط من على المنبر مغشيًا «عليه وحُمل إلى داره وقاتل عنه يومئذٍ سعد بن أبي وقاص والحسن بن على وزيد بن ثابت وأبو هريرة وأعيان من الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين وبعث لهم عثمان من داره يأمرهم بالتسليم والانصراف فانصرفوا وصلى عثمان بعد ذلك إليوم ثلاثين يومًا بالناس، ثم منعوه ولَزِمَ أهلُ المدينة بيوتهم وعثمان محصور في داره رضي الله عنه ودام ذلك الأمر نحو أربعين يومًا وهم ينقمون عنه بما لا عيب فيه، ثم وقع الاتفاق على ولاية محمد بن أبي بكر[1] مصر وعزل عبد الله بن أبي سرح عنها وتوجه

[1] هو محمد ابن الصحابي الجليل ابي بكر الصديق ولد عام حجة الوداع تولى ولاية مصر بعد عبد الله بن ابي سرح توفي سنة 658م وقيل انه قتله معاوية بن خديج انتقاما منه لان محمد بن لبي بكر قيل انه ممن شارك في التحريض على الردة ضد عثمان بن عفان وقيل ايضا انه شارك حتى في قتله. للمزيد ينزر الى: ابن الكثير البداية والنهاية،

محمد بن أبي بكر في عدة من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فبينما هم في أثناء الطريق فإذا براكب على هجين يجهده فقيل له: إلى أين؟ فقال: إلى عامل مصر فقالوا: هذا عامل مصر، يعنون محمدًا بن أبي بكر فقال: بل العامل الآخر فمسكوه فوجدوا عنده كتابًا بخط مروان بن الحاكم كاتب عثمان و» عليه خاتم عثمان يقول فيه: إذا جاءكم محمد بن أبي بكر ومن معه يقولون أنك معزول فاصلبهم عن جذوع النخل، فرجع محمد ومن معه إلى المدينة والكتاب معهم وجمعوا الناس وأوقفوهم على الكتاب، فاعترف عثمان بالختم وحلف أنه لم يأمر بذلك ولا علم له به فصدقوه وطلبوا منه أن يسلم إليهم مروان، فأبى أن يسلمه إليهم، لأنه رأى أن الهم بمعصية لا توجب القتل شرعًا، فجدوا في قتاله وأقام على كرم الله وجهه ابنه الحسن يذب عنه وأقام الزبير ابنه عبد الله يذب عنه وأقام طلحة ابنه محمد يذب عنه، فتسورت الجموع على عثمان ونزل جماعة منهم فقتلوه في داره بعد حبس الماء عنه أيامًا وكان حين قُتل رضي الله عنه صائمًا، لأن النبي «صلى الله عليه وسلم» أوصاه بذلك ولما دخلوا «عليه جرد عبيده سيوفهم للقتال، فقال: مَنْ أَغْمَدَ منكم سيفه فهو حر، فأغمدوا سيوفهم ولم يلتفت من بعد إلا إلى المصحف بين يديه يقرا القرآن وكان مقتله رضي الله عنه لثمان عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت مدة خلافته اثني عشر سنة إلا اثني عشر يومًا وكان عمره خمسًا وسبعين سنة وقيل اثنين وثمانين وقيل تسعين سنة ومكث ثلاثة أيام لم يُدفن، ثم أمر على بدفنه وصلى «عليه هو وخلق كثير ودُفن بالبقيع على المشهور، وكان معتدل القامة، حسن الوجه، به أثر جدري، عظيم اللحية، أسمر اللون، أَصْلَع، يصفر لحيته بالحناء وكان قاضيه زيد بن ثابت رضي الله عنهما.

مصدر سابق، (393/7). وينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (482/3). وينظر الى: عبد الحميد العبادي: صور وبحوث من التاريخ الاسلامي، ط2، المكتبة الانجبو مصرية، مصر، 1993م، ص30.

خلافة علي كرم الله وجهه:

الحديقَة الرابعة: في الخليفة الرابع على بن أبي طالب رضي الله عنه، كان أحب أقارب النبي للنبي «صلى الله عليه وسلم» ويكفي في قُربه أنه قال فيه «صلى الله عليه وسلم»: «من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» [1] رواه ثلاثون صحابيًا

وحديث: «اللهم إن علىا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي» [2]

وحديث: «لا يحب علىا إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق» [3]

وورد: أن من سبه فقد سب النبي «صلى الله عليه وسلم» وأنه يقاتل على القرآن كما قاتل النبي «صلى الله عليه وسلم» على تنزيله[4] وأنه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبهت[5] وأن قاتله اللعين بن ملجم أشقى الآخرين

وصح أنه لما خَلَّفَه على المدينة خليفة في غزوة تبوك قال له: يا رسول الله خَلَّفْتَنِي مع النساء والصبيان، فقال له «صلى الله عليه وسلم»: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» [1]

---

[1] رواه الترمذي (3713) وقال: حسن غريب.

[2] رواه الترمذي (3712) وقال: حسن غريب.

[3] رواه عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (648/2).

[4] رواه أحمد في «المسند» (11289) وصححه الحاكم (132/3).

[5] رواه أحمد (1376) وصححه الحاكم (132/3).

وحديث: «على مني كهارون من موسى أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري» [2] .

وقال «صلى الله عليه وسلم» فيما أخرجه أحمد[3] والترمذي[4] والنسائي[5] وابن ماجه[6]: «على مني وأنا منه ولا يؤدي عنه إلا على» والترمذي: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» [7] والخطيب: «على مني بمنزلة رأسي من بدني» [8] وابن عدي: «على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين» [9] .

والنسائي[10] والحاكم[11]: «أن كل نبي أعطي سبعة نجباء وأعطيت أنا سبعة عشر: على والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر» الحديث وأحمد: «أنت أخي وأبو ولدي تقاتل على سنتي» [12] الحديث ولم يكن أحد من الصحابة نزلت فيه ثلاثمائة آية في القرآن إلا هو[13] قاله ابن عباس وقد صح أنه «صلى الله عليه وسلم» آخا بين

---

[1] أخرجه البخاري (3706) ومسلم (2404) وأحمد (1532)،

[2] ينظر الى: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، (52/42).

[3] رواه أحمد (17505).

[4] رواه الترمذي (3719) وقال: حسن غريب صحيح.

[5] رواه النسائي في «السنن الكبرى» (8091).

[6] رواه ابن ماجه (119).

[7] رواه الترمذي (3720) وقال: حسن غريب.

[8] رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (462/7).

[9] رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (429/6).

[10] لم نجده عند النسائي ورواه الترمذي (3785) وقال: حسن غريب.

[11] رواه الحاكم (220/3) وصححه.

[12] رواه أبو يعلى في «المسند» (402/1) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (122/9).

[13] رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (185/7).

الصحابة فجاءه على تدمع عيناه وقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخي بيني وبين أحد، فقال «صلى الله عليه وسلم»: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» أخرجه الترمذي[1].

ومن المعلوم حديث: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» وزاد في رواية: «فمن أراد العلم فليأت الباب» [2] وفي أخرى عند الترمذي[3]: «أنا دار الحكمة وعلى بابها» .

وفي أخرى عند ابن عدي[4]: «على باب علمي» [5] واختلفوا في حكم هذا الحديث فجماعة منهم النووي[6] على أنه موضوع والحاكم[7] صححه وصوب بعض الحفاظ المطلعين أنه حديث حسن وصح أنه «صلى الله عليه وسلم» أرسله إلى أهل إلىمن ليقضي بينهم قال: لا أدري ما القضاء فضرب صدره بيده الكريمة وقال: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه» قال على: فوالذي فلق الحبة ما شَكَكْتُ في قضاء بين اثنين[8].

وقيل له: مالك أكثر الصحابة حديثًا فقال: إني كنت إذا سألته أنباني وإذا سكت ابتدأني[9] .

---

[1] رواه الترمذي (3720) وقال: حسن غريب.

[2] رواه الحاكم (137/3) وصححه.

[3] رواه الترمذي (3723) وقال: غريب.

[4] ينظر الى: الجرجاني ابو احمد ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، تح: عادل احمد عبد الموجود وعلى محمد عوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، (429/6).

[5] ينظر الى: السخاوي شمس الدين أبو الخير: المقاصد الحسنة، ط1، دار الكتاب العربي – بيروت، 1405 هـ – 1985م، (170/1).

[6] ينظر: النووي: تهذيب الأسماء واللغات، مرجع سابق، 348/1).

[7] صححه الحاكم (137/3).

[8] رواه ابن ماجه (2310) وضعفه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (42/3).

[9] ينظر الى: ابن سعد ابو عبد الله: الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م (258/2).

وكان عمر يتعوذ من معضلة ليسه لها أبو الحسن[1] يعني عليا ولم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلا على.

وذُكِرَ عند عائشة فقالت: أنه أعلم من بقي بالسنة[2] وقال مسروق: انتهي علم الصحابة إلى عمر وعلى وابن مسعود.

وقال على مرة: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إن الله وهب لي قلبًا عقولًا ولسانًا ناطقًا[3] .

وقال: سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل[4] .

وقد أخرج الطبراني[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت لعلى ثمانية عشر منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة.

وأبو يعلى[6] عن عمر أُعطي على ثلاث لأن تكون لي خصلة منها أحب إلى من أعطي حُمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد وأعطاه الراية يوم خيبر.

وصح عن ابن عمر[7] نحو ذلك وحديث الطبراني[1] والخطيب[2] أن الله تعالى جعل لكل ذرية من صلبه وجعل ذريته من صلب على بن أبي طالب.

---

[1] ينظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مضدر سابق، (406/42).

[2] ينظر الى: الباغندي الكبير محمد بن سليمان: الأمإلى، ط1، مؤسسة قرطبة، مصر، 1417 هـ - 1997 م، (ص47).

[3] ينظر الى: ابن سعد ابو عبد الله: الطبقات الكبرى، المصدر السابق، (257/2).

[4] ينظر: المصدر نفسه.

[5] ينظر الى: الطبراني: المعجم الاوسط، مصدر سابق، (212/8).

[6] ينظر الى: أبو يعلى: المسند، مصدر سابق، (452/9) من حديث ابن عمر.

[7] ينظر: المصدر نفسه.

وما أحسن قول حكيم له لما دخل الكوفة: والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي أحوج إلبك منك إليها .

وقول أحمد وقد سأله ولده عن على ومعاوية: أعلم أن علىا كثير الأعداء، ففتش له أعداءه شيئًا فلم يجدوا، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيدًا منهم له[3] .

وصح خلافًا لمن نازع فيه أن النبي «صلى الله عليه وسلم» نام في حجره وهو يوحى إليه فغربت الشمس ولم يصل العصر، فلما سرى عنه «صلى الله عليه وسلم» وعلم أنه لم يصل، دعى الله أن يرد الشمس فعادت حتى ظهر ضوءها على الحيطان، فصلى ثم غابت[4] وفي هذا كرامة باهرة وصح مما لا خلاف فيه قول النبي «صلى الله عليه وسلم»: «أقضاكم على» [5].

وليعلم بما قدمناه أن الحقيق بالخلافة بعد الأئمة الثلاثة بالإجماع ولا التفات ولا أكتراث بمن زعم أنه لا إجماع على رضي الله عنه وهو أول من أسلم قال بعض الحفاظ: أي من الصبيان واعتُد بإسلامه ح لأن الأحكام آن ذاك كانت منوطة بالتمييز.

ويكفي من فضله أنه لم يعبد وثنًا قط ومن ثم اختص بكرم الله وجهه والحق به الصديق في ذلك وآخا النبي «صلى الله عليه وسلم» وزوجه فاطمة بالوحي وهو أحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطباء المعروفين وحفظ القرآن وعرضه

---

[1] ينظر الى: الطبراني: المعجم الكبير، مصدر سابق، (43/3 رقم 2630) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (172/9).

[2] ينظر الى: المصدر نفسه.

[3] ينظر الى: الاصبهاني صدر الدين، أبو طاهر: الطيوريات، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1425 هـ - 2004 م، (1386/4).

[4] نظر الى: الطبراني: المعجم الكبير، مصدر سابق، (147/24 رقم 390) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (297/8).

[5] ينظر: العجلوني اسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ومزيل الالباس، ط1، مكتبة القدسي، القاهرة، 1351هـ، (183/1).

على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» واختفى بعد موته «صلى الله عليه وسلم» وكتب كتابًا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين: لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله ولما هاجر «صلى الله عليه وسلم» أمره أن يقيم بعده بمكة، حتى يؤدي بعد عنه ودائعه، لأنه كان «صلى الله عليه وسلم» معروفًا عند الناس بالصادق الأمين قبل الوحي وكانوا يضعون عنده الودائع وأوصاه أن إذا رددت ودائع الناس فالحقني بأهلي إلى المدينة ففعل وأرسله «صلى الله عليه وسلم» في السنة التاسعة وكان الأمير فيها على الحج أبا بكر وأَذَنَ في الناس بالموسم في منى بسورة براءة، لأن العرب لا يقتدون بما جيء على لسان النبي إلا إذا كان الرسول فيه من أهله ومن ثم جاء حديث رجاله ثقات إلا واحد فمختلف فيه أنه «صلى الله عليه وسلم» خطب وهو محاصر الطائف عقب فتح مكة فكان مما قال: «أوصيكم بعترتي خيرًا وأن موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتأتن الزكاة، أو لأبعثن إليكم رجلًا مني، أو كنفسي يضرب أعناقكم» ثم أخذ بيد على وقال: «هو هذا» [1].

وشهد معه «صلى الله عليه وسلم» المشاهد كلها وكان له فيها إليد البيضاء إلا تبوك فإنه استخلفه «صلى الله عليه وسلم» على المدينة وورد أنه كان عند النبي «صلى الله عليه وسلم» طير في الطعام فقال «صلى الله عليه وسلم»: «اللهم اتني باحب خلقك إليك يأكل معي هذا» فجاء على فأكل رواه الترمذي[2] قال الحاكم في المستدرك[3]: روى هذا الحديث عن أنس أكثر من ثلاثين نفسًا .

---

[1] ينظر الى: البزار العتكي أبو بكر أحمد: المسند، ط1، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، 2009م، (258/3) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (163/9).

[2] رواه الترمذي (3721) وقال: غريب.

[3] ينظر: «مستدرك الحاكم» (141/3).

واعلم أن ظاهر هذا الحديث إذا كان يفهم منه أنه أحب إلى ربه حتى من نبيه «صلى الله عليه وسلم» يجب تأويله بناء على أن المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وأنه عام مخصوص فاعرفه.

ولما مات عثمان رضي الله عنه بُويع على رضي الله عنه بالخلافة، يوم قُتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وفيهم طلحة والزبير، فأتوا علىا وسألوه البيعة فامتنع مرارًا وأتى المسجد فبايعوه وأول من بايعه طلحة بن عبد الله وكانت يده شلاء من نوبة أحد، فقيل لا يتم هذا الأمر لأن أول يد بايعته شلاء وتأخر عن البيعة سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وبايعه الأنصار إلا نفر قليل منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وسلمة بن مخدل وأبو سعبد الخدري والنعمان بن بشير ومحمد بن سلمة وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وزيد بن ثابت واعتزل عن البيعة سعيد بن زيد وعبد الله بن سلام وصهيب وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة وسموا هؤلاء المعتزلة لاعتزالهم عن بيعة على، ثم فارقه طلحة والزبير ولحقا بمكة واتفقا مع عائشة رضي الله عنها على قتال على ومحمد أخيها وكان عبد الله بن عباس بمكة لما قُتل عثمان فجاء إلى المدينة فقال له على كرم الله وجهه: إن المغيرة بن شعبة أشار على بإقرار معاوية وغيره من عمال عثمان رحمه الله إلى أن يبايعوا ويستقر الأمر فأبيت ثم جاءني الآن وقال: إن الرأي ما رأيته فقال: عبد الله نصحك في الأولى وغشك في الثانية وأنا أشير علىك باستمرار معاوية فقال على: والله لا أعطيه إلا السيف ثم أنشد متمثلًا:

وما ميتة إن متها غير عاجز *** بعار إذا ما غالت النفس غولها[1]

فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين أنت شجاع وأنا صاحب رأي فقال على: إذا عصيتك فأطعني فقال عبد الله: أفعل أيسرها عندي طاعتك وخرج المغيرة ولحق بمكة.

---

[1] والبيت من البحر الطويل : فما مِيتَة إنْ مِتُّهَا غَيرَ عَاجِزٍ___بعارٍ، إذا ما غالتِ النّفسَ غولها.وهذا البيت من قصيدة للأعشى وتنتمي للعصر الجاهلي وتتكون من 28 بيت. ينظر: الأ زهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق(169/8).

وفي سنة ست وثلاثين أرسل على عماله إلى البلاد، فبعث عمارة بن شهاب إلى الكوفة وكان من المهاجرين وَوَالَّى عثمان بن غيث الأنصاري مصر وسهيل بن حنيف الشام، فرجع من الطريق لما سمع بعصيان معاوية وكذلك عمارة لقيه طلحة بن خويلد الذي كان ادعى النبوءة في خلافة أبي بكر فقال له: إن أهل الكوفة لا يستبدلون بأبي موسى الأشعري بي، فرجع ولما وصل عبد الله إلى إليمن، خرج الذي كان بها من قبل عثمان وهو يعلى ابن المنبه بما بها من الأموال إلى مكة وسار مع عائشة وطلحة والزبير وجمعوا جمعًا عظيمًا وقصدوا البصرة ولم يوافقهم عبد الله بن عمر وأعطي على بن أمية لعائشة رضي الله عنها جملًا كان اشتراه بمائة دينار اسمه عسكر فوصلوا البصرة واستنزلوا «عليها بعد قتال عظيم مع عثمان بن حنيف وقُتل من أصحاب عثمان هذا أربعون رجلًا وأمرتُ عائشة بنتف لحيته وسجنه، ثم أطلقته وبلغ ذلك علىا وسار في أربعة آلاف من المدينة فيهم أربعمائة ممن بايع تحت الشجرة وحامل رايته يومئذٍ ابنه محمد بن الحنفية وعلى ميمنته الحسن وميسرته، الحسين وعلى الخيالة، عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر أخو عائشة رضي الله عنهم أجمعين، إذ كلهم مجتهد في الدين وعلى مقدمته عبد الله بن عباس واجتمع إلى الكوفة وإلى عائشة جمع عظيم والتفوا بمكان يقال له الخريبة في نصف جمادى الأخيرة وكانت وقعة الجمل الذي كان «صلى الله عليه وسلم» أُوحِيَ إليه بواقعتها ونهي عن التبليغ تصريحًا فصار يدخل من سقيفة داره إلى صواحباته «عليهن السلام وعائشة معهن ويقول: «أيتكن أيتكن صاحبة الجمل الأورف الدب» فيقلن كلهن: لا جمل لنا لا أورفه ولا أدب ويرجع إلى السقيفة ويعود إليهن مسرعًا مغضبًا قائلًا: «أيتكن أيتكن صاحبة الجمل الأورف الأدب» فيقلن ما قلن أولًا ويرجع ويعود ثلاثًا وأربعًا في كل مرة يقول: «أيتكن» ويجاب بالجواب الأول فلما كانت الأخيرة قال: «يقطع على زمامه ثلاثمائة وبضع يد» فسكت الصواحبات وعلمن أنه يوحى إليه «صلى الله عليه وسلم» وكان الجمل الذي أعطى على بن أمية لعائشة المذكور، لونه

أورف بياض بسواد أي بعض وبره أبيض وبعضه أسود وكان أدبًا والأدب[1] هو طويل الوبر وركبته عائشة رضي الله عنها في هذا إلىوم والذي كان على ما تعلق به علم الله وحكمته وانتصر على بن أبي طالب ورمى مروان بن الحكم طلحة الخير بسهم فقتله وكلاهما من أصحاب عائشة رضي الله عنها ولم يزل الجمل كالقنفد بين النشاب وتسابق الفريقان إلى الجمل، فما مدت إلى زمامه يد من فريق إلا قطعها الفريق الآخر، ثم قطعت على زمامه ما أخبر به النبي «صلى الله عليه وسلم»، ثم قال على كرم الله وجهه لما رأى إذاية المسلمين عظمت، اعقروا الجمل لا رحم الله أمه فَعُقر وَخَرَّ إلى الأرض بالهودج وهرب الزبير «عليه السلام نحو المدينة كارهًا محاربة على لما ذَكَرَّه حديثًا كان قاله رسول الله «صلى الله عليه وسلم» للزبير منه: «تقاتل علنا وأنت ظالم» [2] ففر بنفسه رضي الله عنه، فقال الأحنف بن قيس: جمع الزبير بين العارين قتال على والهزيمة فسمعه الزبير فقال: والله ما قاتلته ولا هُزمت ولكني لا أرضى أن أكون ظالمًا ولما وصل وادي السباع استظل تحت شجرة، فجاءه قاصدًا رجل من أصحابه اسمه عمرو بن جرموز فوجده نائمًا، فقتله فمات شهيدًا رضي الله عنه ولما عُقر الجمل بقيت أم المؤمنين في الهودج إلى الليل، فادخلها أخوها محمد البصرة ليلًا وطاف على بالقتلى قال: إنا لله وإنا إيه راجعون يعني على أن أرى يا طلحة هاكذا والله كقد كنت أكره أن أرى مؤمني قريش صرعى أنت والله يا طلحة كما قال الشاعر:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه *** إذ[3]ما هو استغنى ويبعده الفقر[4]

---

[1] ينظر: لأزهري: تهذيب اللغة، مصدر، (55/14).

[2] رواه الحاكم وصححه (413/3).

[3] صوابه: إذا. من أجل الوزن

[4] القصيدة للشاعر ابو ليلى قيس بن الجعدي وهي من البحر الطويل.ينظر: البكري ابو عبيد: فصل المقال في شرح كتاب الامثال، تح: احسان عباس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1971م، ص 111 وينظر ايضا الى: ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، (71/5).

وصلى «عليه وعيناه تدمعان وأمر عائشة أن تعود فسارت إليها مستهل رجب وجهزها وأحسن إليها وسار أولاده معها يومًا يشيعونها فتوجهت إلى مكة وحجت، ثم عادت إلى المدينة قيل: كانت عدة القتلى يوم الجمل نحو عشرة آلاف وكلهم رضي الله عنهم مجتهدون، فمن رأى أن الحق مع عائشة وجب «عليه نصرها وإلا كان مقصرًا في طاعة الله وحاشاه من ذلك ومن رأى أن الحق مع على وجب «عليه نصره وإلا كان مقصرًا في طاعة الله أيضًا وحاشاه ومن اشتبه عنده الحال وجب «عليه أن لا يقاتل مع أحد وكثير من الناس تأخر عنهما ثم إن عليا كرم الله وجهه، استعمل على البصرة عبد الله بن عباس وانتظم الأمر لعلى في العراق ومصر وإفريقية والحرمين واليمن وخراسان ولم يبق خارجًا «عليه إلا الشام فقط وأقام على بالكوفة وأرسل جرير بن عبد الله ليأخذ البيعة على معاوية فماطله معاوية إلى أن وصل إليه عمرو بن العاص من فلسطين واتفق على قتال على وعاد جرير فأعلم عليا، فسار من الكوفة نحو معاوية وسار معاوية نحوه، فكانت وقعة صفين ودخلت سنة سبع وثلاثين والجيشان بها وفي صفر وقع القتال قيل كانت تسعتين وقعة قتل فيها من أهل الشام نحو خمس وأربعين ألفًا ومن أهل العراق نحو خمس وعشرين ألفًا فيهم عمار بن ياسر وكان عمره تسعين سنة وتقاتلوا ليلة سميت ليلة الهرير [1] تشبيهًا لها بليلة القادسية وكانت ليلة جمعة استمر القتال فيها إلى الصبح، قيل كبر فيها على أربعمائة تكبيرة وكان إذا كبر قتل رجلًا ولما عجز معاوية رفع المصاحف في رؤوس الرايات وقال: (بيننا وبينكم كتاب الله) فقال على لقومه: (كفوا عنهم فقد هربوا إلى الله وترجعو إلى أن يهديهم الله) واختلف على على طائفة سموهم الخوارج وكتب بينهم أعني بين قوم على ومعاوية مفاضلات مؤخرة إلى رمضان والحكمان فيها من جهة على هو عبد الله بن قيس المعروف بأبي موسى الأشعري ومن جهة معاوية عمرو بن العاص

---

[1] كانت ليلة الهرير في ليلة 11صفر سنة38هـ في وقعة صفين وسميت بالهرير لكثرة اصوات الناس فيها للقتال فقيل يهرون هريرا وكانت بين معوية ضد اهل العراق. للمزيد ينظر الى: ابن الاثير عز الدين: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، (312/2).

وسار على إلى العراق واعتزلت عنه المعتزلة، ثم بعث إلى الموعد أربعمائة فيهم أبو موسى الأشعري وبعث معاوية أربعمائة فيهم عمرو بن العاص، فغدر عمرو بأبي موسى الأشعري وقال يا أبا موسى نتفق على خلع معاوية وعلى معًا ويولي الناس من يختارونه لتذهب الفتنة فقال أبا موسى الأشعري أحسنت فلما اجتمعوا بالقوم قال أبو موسى: تكلم يا عمرو قال: بل أنت أكبر فتشهد أبو موسى وقال: أيها الناس أنا لم نر إلا صلح لهذه الأمة إلا أن نخلع علىا ومعاوية وأني قد خلعتهما وجلس، فقام عمرو وقال بعد أن تشهد: سمعتم ما قاله صاحبي وأنا قد قررت خلع على وأثبت معاوية، فإنه ولي عثمان وأحسن الناس وأحقهم بمقامه، فقال أبو موسى: مالك لا وفقك الله غدرت ولحق بمكة حياء من الناس ومن هذا إليوم أخذ على في الضعف ومعاوية في القوة وقاتل على المعتزلة وكانوا أربعة آلاف بحرورا فقتلهم عن آخرهم ولم يفلت منهم إلا سبعة أنفس وجهز معاوية في سنة ثمان وثلاثين عمرو بن العاص إلى مصر ليقاتل محمد بن أبي بكر الصديق، فأرسل إليه على نجدة بن الأشتر ينذره فسقاه الخوارج سمًا في عسل فمات قبل بلوغه لمحمد وأخذ عمرو مصر وهرب محمد بن أبي بكر فلحق معاوية بن خديج من أصحاب عمرو بن العاص فقتله وأحرقه في جوف حمار وبث معاوية سراياه على عمال على وجعل كل منهما يقنت ويدعوا على الآخر في قنوته، ثم اجتمعت ثلاثة من الخوارج وهم عبد الله بن ملجم المداري وعمرو بن بكر التيمي والحاج بن عبد الله التيمي فقال عبد الرحمن أنا أكفيكم علىا وقال الحجاج وأنا أكفيكم معاوية وقال عمران: أنا أكفيكم عمرو بن العاص واستصحبوا سيوفًا مسمومة وتواعدوا لسبعة عشر خلت من رمضان سنة أربعين ليقع الموت الثلاثة في ليلة واحدة، فوثب الحجاج على معاوية فجاءت الضربة في طرف إلىته خفيفة فأمسك الحجاج، فقال لمعاوية أطلقني وأبشرك أن علىا قتل فقال: لعله سلح وقتله وأما عمرو بن العاص، فكان أخرج عامل شرطته خارجة ليصلي بالناس عوضه، فوثب «عليه عمرو بن بكر فقتل خارجة وقال: أردت عمرًا وأراد الله خارجة ووثب عبد الرحمن بن ملجم على على وقد خرج للصلاة فضربه في يافوغه فوق حاجبه وأُمسك

وأُحضر بين يديه مكتوفًا وحضر ولداه الحسن والحسين وقال أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على ذهابي عنكما ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله، حتى قبض يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وعمره ثلاثة وستون سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر واختُلف في موضع قبره والأصح أنه حيث يزار إليوم بالنجف وقطع عبد الله بن جعفر، يد عبد الرحمن بن ملجم ورجله وفقأ عينيه وأحرق بالنار جثته، لعنه الله وكان على كرم الله وجهه شديد الأدمة، حسن الوجه، معتدل القامة، كبير اللحية، عظيم البطن، أجمل فارس تراه راكبًا صورة وفعلًا وكان زاهدًا في الدنيا، أبدًا ما رأيت في يده دراهم ولا يشتغل بقبضها ولا بعدها،

وكان من عظيم ديانته إذا ركب على فرسه يركب من فوق حجرة أمام داره وتتحرك تحت رجله عند الركوب، حتى يكاد يسقط، فأصلحها خادمه قنبل بأربعة دراهم جصًا، فلما ركب «عليها بعد إصلاحها قال: إن هذه الحجرة كانت ترقل وإليوم لا ترقل قال قنبل: قد أصلحتها، أصلح الله أمير المؤمنين، بأربعة دراهم جص قال: من أين أصبتها قال: من الوكيل فقال: تضع على بيت مال المسلمين أربعة دراهم لحجرة ترقل تحت رجل على والله لترعون إبل أهل الكوفة يومًا ولتردن على بيت مال المسلمين ما اتلفته، فرعى قنبل إبل أهل الكوفة يومًا ورد ذلك لبيت المال وكان رحمه الله ورضي عنه وكرم وجهه سمع من رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «يضرك يا على أشقى الأخرين في يافوغك فتبتل هذه دمًا» يعني لحيته ولم يسأل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أي إليافوغين المضروب ولما غاب رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، صار على يقول إذا نظر وجهه في المرآة: «ألا ليت شعري أي إليافوغين أنت»

وصح أنه لم ينم ليلة الضربة وهو بين صلاة وذكر ويخرج تارة إلى سوط الدار ينظر إلى السماء وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت وأنها الليلة التي وعدت.

وقيل: نام هجعة قليلة ثم قام وجدد الوضوء وقال لابنه الحسن: أي بني إني رأيت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الساعة وشكوت إليه ما لقيت من أمته بعده وقلت له: ادع الله لي فقال: أبدلك الله خيرًا منهم وأبدلهم شرًا منك وكان عنده في طرف الدار أوز متى خرج لا

يصرخن ولما خرج إلى الصلاة كعادته صحن صيحة واحدة بأجمعهن، فأطردته عنه فقال: دعوهن فإنهن نوائح وقيل: لم يمت إلا ليلة أطعدو له رضي الله عنه أسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان وقد أخبر «صلى الله عليه وسلم» بشهادة الثلاثة والزبير وطلحة وهم معه على جبل أحد كما قدمنا[1] واستشهد الخمسة رضي الله عنهم أجمعين.

خلافة الحسن بن على بن أبي الخطاب رضي الله عنهما:

الحديقة الخامسة: في الخليفة الخامس الحسن بن على بن أبي الخطاب رضي الله عنهما ولد في نصف شعبان سنة ثلاث من الهجرة ومن فضائله رضي الله عنه أنه كان يحمله «صلى الله عليه وسلم» على عاتقه ويقول: «اللهم إني أحبه فأحببه» [2].

وصح: «من أحبني فليحبه وليعلم الشاهد الغائب اللهم إني أحبه ومن أحب من يحبه» [3] ثلاث مرات وفي رواية: فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول ذلك[4].

وفي أخرى: «من أحبني وأحب هاذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» [5]

وصح أن الحسن حج خمسًا وعشرين حجة ماشيًا على رجليه وأن الجنائم تقاد بين يديه[6] وخرج عن ماله مرتين في سبيل الله وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات[7].

---

[1] رواه مسلم (2417).

[2] أخرجه البخاري (3749) ومسلم (2422).

[3] صححه الحاكم (190/3).

(4)رواه أحمد (10891) وصححه الحاكم (185/3).

[5] رواه الترمذي (3733) وقال: حديث غريب.

[6] ينظر: ابن الكثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، (42/8).

[7] ينظر الى: الاصبهاني ابو نعيم احمد: حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1974م، (37/2).

وأما كرمه فأمر باهر تواتر ولم تسمع منه كلمة فحش إلا مرة عن مخاصمة قال: ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه واستغرب الناس هذه منه على أنها ليست بشيء وجاء من طرق كثيرة أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال وهو على المنبر: «إن ابني هذا – يريد الحسن– سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1].

وقد حقق الله له ذلك فإن أباه رضي الله عنهما لما تُوفي، تولى الحسن الخلافة بمبايعة أهل الكوفة، فكان الحسن آخر الخلفاء الراشدين، بشهادة جدة «عليه الصلاة والسلام لقوله في الحديث الصحيح: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[2].

فكانت مدة خلافته هي الستة أشهر الباقية من الثلاثين سنة ولهذا قلنا الخلفاء خمسة وعند مضيها سار إلى معاوية في أربعين ألفًا، فلما ترأى الجمعان علم الحسن «عليه السلام أنه لن تغلب إحدى الطائفتين، حتى يذهب أكثر الأخرى فرضي بالنزول لمعاوية عن الخلافة، شفقة على الأمة المحمدية بشروط اشترطها على معاوية:

الأول: أن يقيم حدود الله ولا يترك منها شيئًا.

الثاني: أن لا يدع أحدًا من بني أمية يسب بني هاشم.

الثالث: أن يترك لبني عبد المطلب بيت المال بالكوفة.

الرابع: أن يترك خراج يجرد لموالِى بني هاشم.

الخامس: أن لا يجلس في الأرض أموي عند مرور هاشمي إلا قام له.

السادس: أن يبعث ما لأمهات المسلمين وموالِى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» من الخراج بيده مع أمين ولا يحوجهم إلى أن يبعثوا مستقض.

السابع: أن لا يتبع أصحاب على مما كان منهم من ولاية على وبغض معاوية وأن يجعلهم في حل.

---

[1] أخرجه البخاري (2704).

[2] رواه الترمذي (2226) وقال: حديث حسن.

فكتب هذه الشروط السبعة وبعث بها إلى معاوية فارتضاها بعد أن قرئت «عليه وعلى أهل خاصته جهرًا بأرفع صوت ومهر على ذلك الكتاب بمهره فنزل الحسن لبيعته وترجل معاوية ذاهبًا إليه فالتقيا وصافح الحسن في البيعة ودخل معاوية الكوفة وسار الحسن إلى المدينة وقد رفرفت على رأسه رايات الخلافة الباطنية وصار قطبًا ولم تزل الأقطاب من آل الحسن والحسين إلى أن تقوم الساعة ولا خلافة للدنيا والأخرى مثل هذه وأقام بالمدينة إلى أن تُوفي رضي الله عنه في ربيع الأول سنة تسع وأربعين وكان «عليه السلام مطلاقًا وَوُلِدَ له خمسة عشر ولدًا ذكرًا وثمان بنات وكانت وفاته بسُمٍ سمته به زوجته جعدة بنت الأشعث الكندية، قيل: فعلت ذلك بأمر معاوية وضعف هذا القول وقيل: بأمر يزيد وشهر وهو الأصح وكانت عائشة أم المؤمنين تقول: إن موضع القبر الباقي في السهوة الشرقية لا يدفن فيه غيري، فقال لها الحسن: يا أماه إذا أنا مت قبلك أتوثريني به، قالت: نعم فلما علم أنه ميت لا محالة، أوصى أخاه الحسين «عليهما السلام بوصايا، منها إذا أنا مت فأبلغ سلامي أمنا عائشة وقل لها يقول لك الحسن انجزي وعدك، فلما قضى ذهب إليها الحسين وبلغها ذلك فقالت: اللهم إني قد أثرته، فحلف مروان بن الحكم وهو وقتئذٍ عامل المدينة يمينًا لا يدفن فيه فخاف الناس الفتنة فقالوا للحسين: ما ضرك أن تبر والدتك في البقيع بدفنه لجنبها فترضى عنك روحها فأجاب ودُفن بالبقيع لجنب أمه رضي الله عنهما.

((و)) صلى الله وسلم على ((سائر)) أي بقية لأن سائر تستعمل في كلام العرب بمعنى بقية ((الصحابة)) من رجال ونساء يقال صحابة وأصحاب وأصاحيب وصحبان وصحاب وصحب، والمراد بالصاحب[1] لغة الملازم.

وشرعًا[1] هو المجتمع مع النبي «صلى الله عليه وسلم» يقظة بعد النبوة وقبل وفاته مؤمناً به وإن لم يرو عنه ولم يطل اجتماعه به ولم يجالسه، أو لم يره، لمانع كعمى، أو

[1] ينظر الى: الحدادي زين الدين محمد: التوقيف على مهمات التعاريف،ط1، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة، 1410هـ-1990م، (ص211).

جاءه مؤمنًا به ولم يره النبي «صلى الله عليه وسلم»، أو كان صبيًا، أو وقعت له ردة لم يلق النبي «صلى الله عليه وسلم» بعدها ثم مات مؤمنًا ((نجوم الهداية)) هو من باب التشبيه البليغ بحذف الأدات منه والأصل قوله «عليه الصلاة والسلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» [2] رواه جماعة وهو في قوة المتواتر.

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «سألت ربي ما يختلف فيه أصحابي من بعدي فأوحى إلى يا محمد إن أصحابك عندي كالنجوم بعضها أضواء من بعض فمن أخذ بشيء مما هم «عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى» رواه السنجري في الإبانة[3] وابن عساكر[4] .

((وعلى التابعين)) قال ابن أم عطية: قد لزم هذا الاسم الطبقة التي رأت من رأى النبي «صلى الله عليه وسلم» .

((و)) على ((من تبعهم من العلماء)) وهم الأئمة الذين استغلوا بحفظ الحديث وجمعه والفقه وتفصيل مسائله أصولًا وفروعًا والتفسير ونقل الوارد عن الصحابة فيه بأمانة وديانة ولهذا قال ((بإحسان)) أي معه وبشرطيته وهو قيد في التابعين ومن تبعهم ليخرج من تبع بغير إحسان، فإنه غير مقصود.

واعلم أن العلماء من هذه الأمة وردت فيهم أخبار وأحاديث يجب على كل عالم أن يشكر الله لأجلها حق شكره وإن كان لا يصل إلى ذلك، لكنه ينبغي بل يجب أن يشكر الله جهده وفوق الجهد.

---

[1] ينظر الى: السخاويشمس الدين أبو الخير: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ط1، مكتبة السنة – مصر، 1424هـ / 2003م، (85/4).

2 ينظر الى: العكبري ابن بطة– أبو عبد الله عبيد: الإبانة الكبرى، د ط، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، (564/2)،وينظر ايضا الى: الزيلعي جمال الدين أبو محمد: تخريج أحاديث الكشاف، ط1، دار ابن خزيمة – الرياض، 1414هـ، (230/2)..

[3] ينظر: الزليعي ابن بطة: الإبانة الكبرى، المصدر السابق، (563/2).

[4] ينظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، (383/19).

منها قوله «عليه الصلاة والسلام: «العالم أمين الله في الأرض» رواه ابن عبد البر عن جابر رضي الله عنه.

وحديث: «العالم والمتعالم شريكان في الخير وسائر الناس لا خير فيه» رواه الطبراني في الكبير [1] عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

وحديث: «العالم سلطان الله في الأرض فمن وقع فيه فقد هلك» رواه الديلمي في الفردوس عن أبي ذر رضي الله عنه .

وحديث: «العلماء أمناء الله على خلقه» رواه القضاعي[2] وابن عساكر[3] عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وحديث: «العلماء أمناء أمتي» رواه الديلمي[4] عن عثمان رضي عنه .

وحديث: «العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتي وورثة الأنبياء» رواه ابن عدي[5] عن على بن أبي طالب رضي الله عنه .

وحديث: «العلم أفضل من العبادة وملاك الدنيا الورع» رواه الخطيب[6] وابن عبد البر[7] عن ابن عباس رضي الله عنهما.

---

[1] ينظر الى: الطبراني من حديث أبي أمامة في «المعجم الكبير» (220/8 رقم 7875) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (122/1). وينظر ايضا: أبو القاسم الطبراني: مسند الشاميين، ط1، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1405هـ – 1984م، (263/3).

[2] ينظر الى: القضاعي أبو عبد الله المصري: مسند الشهاب، ط2، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1407هـ – 1986م، (100/1).

[3] ينظر الى: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، (267/14).

[4] ينظر الى: الهمذاني شيرويه بن شهردار: الفردوس بمأثور الخطاب. ط1،: دار الكتب العلمية – بيروت، 1406 هـ – 1986م، (76/3).

[5] ينظر: العجلوني: كشف الخفاء، مصدر سابق، (76/2).

[6] رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (124/6).

[7] رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (112/1).

وحديث: «العلم حياة الإسلام وعماد الإيمان ومن علم علما أتم الله له أجره ومن تعلم بعلم علمه الله مالم يعلم»[1] رواه أبو الشيخ[2] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وأحاديث كثيرة وكفى بهذا فضلا من الله على من فتح بصيرته لتحصيل العلم ونور سريرته بالعمل به.

قال العلماء: وكفى بالعلم شرفًا أن كل أحد يدعيه وكفى بالجهل قبحًا أن كل أحد يتبرأ منه وقد جاء في الأثر: «ليس منا من لم يتعاظم بالعلم» [3] وقال على رضي الله عنه: «لا يحل الفخر لأحد إلا للعالم بعلمه لأن العلم نور العالم وروح فيه فإن تعاظم به، أو أن افتخر فيحق له ذلك، لأنه لباس ظاهر» [4] ولا يحل الفخر لغير العالم لأنه يفتخر بأمر باطن لا تعلم حقيقته فيصير مدعيًا وإياك أن تفهم أن معنى التعاظم رؤية النفس مرتفعة على الغير بحيث يحتقر سواه، فإن هذا منهي عنه بإجماع المسلمين وأما قوله «عليه الصّلاة والسّلام في الأثر المتقدم: «ليس منا من لم يتعاظم بالعلم» فمعناه ليس منا من لم يعتقد أن الله جعله عظيمًا بالعلم حيث جعله محلًا له وموصوفًا به ولم يستر ذلك بحيث

---

[1] اخرجه الألباني في «السلسة الضعيفة والموضوعة» ، (412/8) وقال عنه انه ضعيف جدا. واخرجه الهمذاني الديلمي في «الفردوس بماثور الخطاب» ، (303/8) وضعفه ايضا.

[2] هو محمد بن الفرج الزاهد ابو بكر بن ابي عاصم ابو الشيخ الاصفهاني ولد سنة 274هـ اعتنى به جده محمود بن الفرج الزاهد ارتحل كثيرا لطلب العلم كان غزية الكتابة من مؤلفاته نذكر: «امثال الاحاديث» ، اخلاق النبي» ، «الفوائد» ، «التاريخ» ، فضائل الأعمال وثوابها» توفي سنة369هـ، للمزيد ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، مصدر سابق، (278/16-277).

[3] ينظر الى: القيرواني ابي زيد: الرسالة على شرح الفواكه الدواني، مصدر سابق، (1، 63).

[4] ينظر الى: القيرواني ابي زيد: الرسالة على شرح الفواكه الدواني، مصدر سابق، (19/2).

يخطره «عليه ويمنعه منه، لأنه ورد في الحديث: «إذ استرذل الله عبدًا خطر [1] الله «عليه العلم والأدب»

((صلاتًا وسلامًا منصوبين بصلى وسلم المتقدمين على أنهما من المفعول المطلق ((ليس لا ولهما بداية)) بمعنى أنهما يكونان قديمين بقدم ذاته تعالى، لأن صلاته تعالى سلامه على محمد «صلى الله عليه وسلم» وكذا آله ومن صلى «عليه من خاصة خلقه ليس بحادثين بل قد يمين بقجم ذاته لا أول لهما، أي لم يسبقهما شيء.

((ولا لأخرهما نهاية)) بمعنى أنهما يكونان باقيين أبدًا ببقاء ذاته العلىة ومعلوم أن كل ما لا أول له لا آخر له، لأن وجوب القدم يستلزم وجوب البقاء لاستحالة عدم واجب القدر والمراد طلب الكثرة من الصّلاة والسّلام على رسول الله وعلى من عطف «عليه.

((أمّا بعد)) أما بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف بسيط وبعد ظرف زماني باعتبار النطق ومكاني باعتبار الرقم وأصل أما بعد: مهما يكن من شيء، بعد البسملة والحمدلة وما معهما فأقول لك كذا وكذا ومهما مبتدأ والأسمية لازمة للمبتدأ ويكون شرط والفاء لازمة له غالبًا فحين تضمنت إما معنى الابتداء والشرط أي حلت محلها كذا فهما اختصارًا ألزمها الفاء غالبًا ولصدق الاسم الذي هو بعد إقامة للازم مقام الملزوم وإبقاءً لأثره في الجملة فإما قائمة مقام شيئين وبعد قائمة مقام الثالث الذي هو المضاف إليه ولهذا بنيت لتضمنها معناه وتقدم أن سبب الحذف الاختصار وسبب تقديم ما ذكر الاشارة إلى تحقق الجواب لأنك إذا أردت الاخبار عن وقوع أمر ولا محالة تقول: أما بعد فيكون

---

[1] رواه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة «9/ 412 (رقم 4420)، =

=رواه ابن عدي (93/ 1): حدثنا الحسن قال: حدثنا عثمان بن عبدالله الطحان: حدثنا أبو خالد الأحمر: حدثنا ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعا. وقال:

«هذا الحديث بهذا الإسناد موضوع» . ذكره في ترجمة الحسن هذا - وهو ابن على العدوي -، قال:

«يضع الحديث ويسرق الحديث ويلزقه على قوم آخرين وشيخه عثمان بن عبدالله ! مجهول» .

والحديث أورده السيوطي في «الجامع» من رواية ابن النجار عن أبي هريرة. وقال المناوي:

«وكذا القضاعي في «الشهاب» . وذكر في «الميزان» أنه خبر باطل وأعاده في ترجمة أحمد بن محمد الدمشقي وقال: له مناكير وبواطيل، ثم ساق منها هذا وقال بعض شراح «الشهاب»: غريب جدا» .

كذا لأن المعنى مهما يوجد شيء في الكون يكون كذا والكون لا يخلوا عن وجود شيء والمعلق على المحقق محقق فهي حرف شرط وتوكيد دائمًا وتفصيل غالبًا ويجب توسط جزء ما في خبرها بينها وبين الفاء إما مبتدأ نحو أما زيد فمنطلق أو مفعول نحو و–قوله تعالى–: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾[1] وغيرهما من ظرف أو حال كراهة توالى لفظتي أدات الشرط والجزاء الموهم أن تلك الفاء عاطفة على مقدر والواقع ليس كذلك وقولنا غالبًا للاحتراز عما إذا كان جوابها قولًا واقيمت حكايته مقامه وإلا فيجوز حذفها بكثرة نحو: –قال تعالى–: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم﴾[2] أي فيقال لهم كفرتم وإما إذا لم يكن الجواب قولًا فلا تحذف إلا ندورًا نحو: «أما بعد ما بال رجال» الحديث.

واعلم أن بعد فيها أربعة مباحث:

الأول: في إعرابها أو بنائها ومحصلة أنها تبنى عند حذف ما تضاف إليه إن كان معرفة ونوى ثبوت معناه، لشبهها بالحروف في الافتقار وبنيت على حركة ليدل على أصلها وهو الإعراب وكانت الحركة ضمة جبرًا لما فاتها من حذف المضاف إليه وأما لو ذكر المضاف إليه أو حذف ونوى ثبوت لفظة أو حذف ونوى ثبوت معناه وكان نكرة، أو حذف ولم ينو لفظة ولا معناه فإنها تعرب في تلك الأحوال الأربعة بالنصب على الظرفية أو الجر بمن خاصة.

الثاني: في العامل فيها ومحصل ما قاله الدماميني أنها منصوبة لفظًا، أو محلًا أو بفعل الشرط المحذوف الذي هو يكن أو يوجد وإما بلفظ إما لنيابتها عن فعل الشرط والصّحيح كما قاله ابن جماعة أنها جزء من الجواب فتكون معمولة لما بعد الفاء.

الثالث: حكم الاتيان ببعد في الخُطَبِ الاستحباب، لأنه «صلى الله عليه وسلم» كان يأتي بها في الخطب والمكاتبات وتستعمل مقرونة بأمّا أو بالواو ولا يجوز الجمع بينهما

---

[1] الاية رقم 9 من سورة الضحى.

[2] الاية رقم 106 من سورة ال عمران.

والأعلى جعل الواو استئنافية وعند انفراد الواو تكون نائبة عن أمّا فتكون في الحقيقة نائبة النائب.

الرابع: اختلف في من نطق بها أولًا على أقوال سبعة:

فقيل: يعرب بن قحطان وقيل: أيوب وقيل: يعقوب وقيل: سحبان وقيل: قسر وقيل: كعب وأقر بها أنه داوود وهي فصل الخطاب الذي أوتيه وقيل غيره وجمع بين الأقوال بأن كل واحد أول باعتبار قومه قاله النفراوي[1].

((فلما قيّض)) أي تسبب من حيث لم يحتسب المسبب له

((الله سبحانه)) هو من الأسماء الازمة للنصب بفعل محذوف وجوبًا، تقديره أسبح أو سبح بتخفيف الباء على الخلاف في سبحان هل هو مصدر أو اسم مصدر، فيكون جملة معترضة بين فيض وصلته وهي قوله لعظيم إلخ ونكتة الاعتراض الدالة على التنزيه لأن سبحان علم على التسبيح الذي هو التنزيه، تقول سبحت الله بمعنى نزهته تنزيها بليغًا من سبح إذا ذهب وبعد لأنك بعدت عن سبحته عما نزهته عنه ومعلوم أن الجملة المعترضة لا محل لها من الإعراب وكذلك جملة عز وجل أو تبارك وتعالى، أو «صلى الله عليه وسلم» بعد قال فإنها معترضة لإنشاء الثناء والدعاء وهي لا تصلح حالًا ولا نعتًا، فاعرب هذا فإنك لا تجده على هذا البيان

((لعظيم الإفرنج)) هو وإلى أحكامهم العامية المعروف بكارلوا مقدم أصبانية التي بين إفرنجه والأندلس والألمان ويقال لكل من تولى مملكتهم إذفنس،

---

[1] هو أحمد بن غانم أو غنيم بن سالم بن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري فقيه من بلدة نفرى، من أعمال قويسنا بمصر ولد سنة 1044هـ وكان مالكي المذهب توفي سنة 1126هـ من مؤلفاته نذكر: «الفواكه الدواني» وهي تتكون من ثلاثة اجزاء وهي على رسالة ابي زيد القيرواني وهي في فقه المالكية و رسالة في «التعلىق على البسملة» للمزيد ينظر الى: الزركلي: الأعلام، مصدر سابق، (192/1).

((وملاه)) أي جماعته وقومه من بني الأصفر عبدة الأصنام الكافرين بخير الأنام المبغضين لدين الإسلام، ((قرناء)) جمع قرين وهو الشيطان الدال على فعل الشر وقد ورد به القرآن والأثر

((من إخوانهم)) في الكفر وبغض الإسلام وأهله وكثرة الإذاية وتضعف النكاية

((الشياطين)) جمع شيطان وهو اسم لكل فرد من أفراد الشيطان وأبوهم أبليس الذي أخبر الله عنه أنه كان من الجن وأنه قصده بالخطاب أن يسجد لآدم مع الملائكة فأبى واستكبر، فطرده الله عن بابه وابعده الله عن جنابه.

((فزينوا)) أي الشياطين ((لهم)) للملأ وعظيمه من الإفرنج

((ما بين أيديهم)) ما يحدثهم به وسواسهم وتخيلهم الفاسد أنه سيأتيهم من جميع ما يأملونه في الآتي ((و)) زينوا لهم ((ما خلفهم)) مما قد مضى من أفعالهم التي يظنونها أنها نافعة لهم وترضي آلهتهم

((من الضلال المبين)) هو بيان لمدلول ما الأولى والثانية والضلال عدم والاهتداء ووصفه بالمبين لما في نفس الواقع من ظهوره وإن كانوا لا يرونه ضلالًا أصلًا، لأن إخوانهم الشياطين كان أبوهم أبليس لعنه الله ولعنهم أجمعين ولما أخرجه الله من الجنة وطلب الانظار فأنظره قال: –قوله تعالى–: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾[1] قال ابن عباس: –قوله تعالى–: {من بين أيديهم} أي: من قبل الآخرة فأُشككهم فيها –قوله تعالى–: {ومن خلفهم} يعني: من قبل الدنيا فأُغويهم فيها وعن أيمانهم أشبه «عليهم أمر دينهم –قوله تعالى–: {وعن شمائلهم} أشهي إليهم المعاصي[2].

---

[1] الاية رقم 17 من سورة الاعراف.

[2] ينظر: الطبري: تفسير الطبري، مصدر سابق، (96/10).

وقيل: يريد من بين أيديهم من قبل دنياهم أزينها لهم وفي قلوبهم –قوله تعالى–: {ومن خلفهم} يعني من قبل الآخرة أقول لهم لا بعث ولا جنة ولا نار –قوله تعالى–: {وعن إيمانهم} من قبل حسناتهم فلا أتركهم يفعلون خيرًا –قوله تعالى–: {وعن شمائلهم} من قبل سيئاتهم أحرضهم على الزيادة منها.

وقال مجاهد: يأتيهم من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ويأتيهم من خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون وأراد بـ –قوله تعالى–: «لا تجد أكثرهم شاكرين» أن لا تجد يا رب أكثرهم موحدين ولا شك أنه عمل في النصارى ما قاله وكان ذلك بإرادة الله تعالى وقدرته سلطه «عليهم، حتى ثَبَطَهُم عن آخرهم بالشرك الأكبر والعياذ بالله.

وفي قولنا فبينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم، اقتباس حسن إذ لا تحريف فيه وليس برواية لعدم تمام الآية ولا بتلميح لتكرر الجمل.

فائدة: قراءة –قوله تعالى–: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾[1] بتمامها بالبسملة سبعًا كل صباح، قامعة للسبعة رهط من الشياطين، لأن ابليس الأول لم يلد إلا سبعة وعَلَّم كلَ واحدٍ منهم مُوبِقَةً من المؤبِقَاتِ السبع التي هي الكبائر ولما ماتوا صار يحرض ذريتهم وقد مُلئت بهم الدنيا، والصّحيح أنهم يموتون ولكن إذا مات واحد يخلق مكانه أكثر من ألف شيطان ولكل شيطان حرفة مثل السعي في الزنى والسّرقة والفتنة بين المؤمنين والزوج والزوجة، والصّحيح أن لا أنثى في الشياطين وإنما مُريد الذرية منهم يحك كفًا على كف، فيخلق الله من نوعه ما شاء الله في تلك السّاعة، قادرين على ما يفعله آباؤهم ساعة ولادتهم ولا صبي فيهم ولا من يحتاج إلى تعلم، نعوذ بالله من شرهم وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير، ((وأروهم)) فاعل أرى الشياطين والمفعول ضمير يعود

---

[1] الاية رقم 1 من سورة الناس.

على عظيم الروم وملأه أب اظهروا لهم، ((أماني)) جمع أمنية وهو ما يتمناه المرء أي يتمنى حصوله وفيه.

تنوير البصائر منتهي تحقيق 07

التلميح بأماني –قوله تعالى–: {وإن هم إلا يظنون}

«قطربية» نسبة إلى قطرب[1] وهو لغة: اللص والفأرة والذئب والأَمْعَط والجاهل والجبان والسفيه والمجنون وصِغار الكلاب وأيها حُملت النسبة «عليه صح، لأنها أماني غير ناجحة، لكن تَزَيُنُ الشياطين وإياها لإخوانهم هؤلاء الكافرين أطمع الكافرين في تحصيل ما لا يحصل.

«و» أَرَوهم أيضًا «بُروقًا» جمع بَرق[2] وهو معروف والمراد بالبُروق أنواع من الطمع في حصول ما لا مطمع فيه ولهذا قلنا «خُلّبِيّة»، لأن البَرق الخَلِب هو المطمع كما في القاموس[3].

«تحسبها» أي تَخَالُها وتظنها «ظَمِأَتهم» جمع ظمأن[4] وهو العاطش المحتاج إلى الماء «نَقِيعَة» أي ذات نقيعة كعادة البرق غالبًا أنه مُؤذِن بالغيث فتوجِد الغُدُر[5] منه نقيعة[6] وهي اسم للأرض الحرة الطين تُستَنقع فيه المياه وتَرِدُها الظَمِآت، جمعها نِقَاع وأَنْقُع كجبال وأجبل «وهي» في الحقيقة «سَرَاب» [7] وهو ما تراه العين نصف النهار على بعد كأنه ماء.

---

[1] ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق، (302/9).

[2] مصدر نفسه (115/9).

[3] ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مصدر سابق، (ص81).

[4] قال الخليل بن أحمد في «كتاب العين» (173/8): ورجل ظَمْآن وامرأة ظَمْأى ورجال ظِماء ونساءٌ ظَمِئاتٌ وظِماءٌ.

[5] جمع غدير. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (633/2).

[6] ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مصدر سابق (ص767).

[7] ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق (289/12).

«بِقِيعَة» جمع قاع[1] كَقِيع وقِيعَان بكسرهن الثلاث الجبال والأكام والباء بمعنى في «من» أجل «عدم إليقين» متعلق بتحسبها والمراد بإليقين معرفة دين الله وشرائعه وما أمر به ونهي عنه، إذ لو كان هؤلاء[2] الكافرين يقين بدين الله لكانت بصائرهم منورة بالإيمان عارفة بالحقائق محققة بالعرفان وما تنضَرّ بنور الله تعالى وتُذاد عنها الشياطين، فلا تكون أمانيهم قطربية ولا بروقهم خُلَّبيّة ولا ظَمَأتهم يرون السراب بِقِيعة فيحسبونه ذا نَقِيعة، لكن قلوبهم بالكفر مظلمة ودلائلهم غير مُفهِمة بل مُبهِمة وأُلُوفُهم غير مُرغِمة بل أُنوفُهم مُرغَمَة.

«وبدا» أي ظهر واستبان ظهور خطأ وخذلان «لهم» لعنهم الله وأذلهم ومزقهم وأوقد النار في سفنهم وقبورهم وأحرقهم.

«من» أجل «عمى البصائر» جمع بصيرة وهي نظرة القلب، يقال لنظرة عين الرأس: عين باصرة ولنظرة عين القلب: عين بصيرة، ومنه {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} وأما {أدعوا إلى الله على بصيرة} فهي الحقيقة والنهار مبصرًا يبصر فيه {وجعلنا آية النهار مبصرة} أي واضحة بَيِّنَة {وآتينا ثمود الناقة مبصرة} أي آية بَيِّنَة واضحة {فلما جاءتهم آياتنا مبصرة} أي تُبَصِّرُهم أي تجعلهم بُصَراء.[3]

«المكوَّن» كعادة كل داء لا بد أن يكون له سبب كما هو معروف عند الحكماء ومسطور في كتب الأطباء.

«من» أجل «مرض السّرائر» إذ هي محل العَضَل[4] الذي خلق الله فيه الحس وهو نور البصيرة الذي يدري به صاحبة بعد النظر الصواب فكما أن عَضَل حس البصر الذي

---

[1] ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، مصدر سابق (23/3).

[2] صوابه: لهؤلاء.

[3] جمع بصير. ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مصدر سابق (ص351).

[4] وهو الداء. ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مصدر سابق (ص1033).

هو الحدقة إذا عظم مرضها حجبت عن إدراك المبصورات، فكذلك عَضَل حس البصيرة الذي هو سريرة المرء مع الله تعالى، إن صلحت كانت البصيرة مدركة للمعقولات وإن فسدت مع الله بالخذلان واتباع طريق الشيطان فهي مريضة وبمرضها تحجب البصيرة فتكون عمياء.

«سهولة» فاعل بدا وهو مصدر سَهُل[1] الأمر كَكَرُم إذا هان ولم تكن فيه مشقة «اعتصار مدينة الجزائر» عمرها الله وحرسها وجلبابَ أمنه وأمانه البسها وأدام عمارتها بالإسلام وحفظها من عبدة الأصنام بما حفظ به طيبة والمسجد الحرام بجاه سيد المرسلين «عليه الصّلاة والسّلام «من أيدي المؤمنين» أولى العقيدة الصّحيحة والعزيمة النجيحة والبصيرة النافذة الثاقبة والريح الهابَّة الربانية الغالبة والنُّصْرة المعتادة من الله واجبة بما نزل به الأمين: –قوله تعالى: «وكان حقًا علينا نصر المؤمنين» .

من تاريخ الجزائر:

والجزائر هذه كانت في القديم تحت مملكة بجاية[2] من أرض العدو وهي المملكة الوسطى في المغرب والآن صار كرسي المملكة فيها للإسلام العجم ومنتهاه إلى المغرب وجدة وجبال هنالك وصحراء وإلى المشرق بَونة وتِبْسة[3] وجبال بينهما وإلى الجنوب بني أمزاب وما دون واركلة[4] من نواحي بسكرة[5] وتكرت إلى حد جريد تونس.[6] قال العوفي:

---

[1] ينظر: «كتاب العين» للخليل بن أحمد (7/4).

[2] ينظر الى: الطالبي محمد بن محمد الحسني الشريف الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1،، عالم الكتب، بيروت،1409 هـ، (260/1).

[3] ينظر: المصدر السابق.

[4] العدوي أحمد بن يحيى شهاب الدين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط 1،، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423 هـ، (393/4).

[5] ينظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

[6] ينظر: العدوي أحمد بن يحيى شهاب الدين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، (143/4).

مدينة الجزائر طولها وعرضها وهي مدينة عجيبة حصينة طيبة الماء والهواء أحدقت بها البساتين من ثلاث جهات والبحر من جهة واحدة، أدْخَلَ رِجْلًه قبلتها وهي على ضفته وبها الحَرْث العظيم والخَطْب العميم، ليس في المغرب أعظم من بركة زرعها وبساتينها نزهة كبساتين دمشق، إلا أنها ليس في خلالها أنهار والثمار التي فيها لا نظير لها بالمغرب.

«وأنى لهم» أعداء الله ورسوله المطرودين من الخير وحصوله «به» أي بالاعتصار.

«و» الحال «أنها» أي محروسة الجزائر «لَأَبْعَد منالا» للطامع أن ينالها منهم أهلكهم الله ولعنهم وغضب «عليهم «من السّحاب» لكثرة عَدَدها وعُدَدها وأوليائها الصالحين وعساكرها الموحدين، فكما لا مطمع لأحد أن يتناول السّحاب بيده لبعده وعظمته، كذلك لا طمع ينتج لأعداء الله في نيل هذه المدينة والسحاب كالسحب والسحائب جموع كلها للسحابة،[1] وهي: الغَيْم الذي يخلقه الله بين السّماء والأرض، ليكف أبصار الناس عن صورة نزول الماء من السماء مجملا إلى السّحابة، فتفرقه الملائكة الموكلون بجواهره على فوق مراده[2] تعالى وتنزل منه الرحمة كما قال الله: {فَتَرَى الوَدقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ}[النور/48] وينزل منه البَرَد وتنزل منه الصواعق على وصف علمه وإرادته، فيصيب بها من يشاء ويصرفه عن من يشاء سبحانه من مليك ما أقدره ومن مدبرما أعظمه.

«و» أنى لهم بها وهي «أحصن اكتفالا» بحيث لا يخاف «عليها بثغرها من أن تصل إليها أيدي أعداء الله، كما لا تصل ولا تتصل «في الجو» بشيء «من طائر العُقاب» [3] الأسود المعروف، لأنه أحصن من الطير كله، إذ الطير كله كثير النزول في الأرض من حيث أمكنه وإذا طار لا يرتفع في الجو، بخلاف العُقاب إذا طار يعلو في الجو حتى لا

---

[1] ينظر: «القاموس المحيط» للأزهري (ص96).

[2] صوابه: وفق مراده.

[3] ينظر: «كتاب العين» للخليل بن أحمد (181/1).

مطمع لأحد فيه وإذا نزل لا ينزل إلا على طربيل[1] شامخ منيع، أو في فلاة[2] لا أنيس بها.

وأصل هذا مَثَلٌ من كلام العرب والجو الهواء المرتفع البعيد ومنه: -قوله تعالى:{أو لم يرو إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الرحمن} [3].

والعُقاب كله أنثى يقال: أن فحلَه الثعلب وقد شاهد الرعاةُ العقاب تنزل فتفرش جناحيها ويعلوها الثعلب ساجدًا لها، قيل: تلد بيضتان[4] إحداهما تنشق عن مثل أمها والأخرى تنشق عن حية وأخبرني من أثق به من بادية الأعراض من نواحي قابس،[5] أنه وجد عشه فيه فرختين[6] من نوعه ولا حية فيه.

وقيل: إن الثعلب لا تعلوه ساجدة وإنما من طبعها الألفة لبعضهما كالغراب والإبل وإن ساجد العقاب طائر آخر غير معروف و» عليه قول هاجٍ[7] من العرب لآخر:

ما أنت إلا كالعقاب فأمه *** معروفة وله أب مجهول[8]

«والحق» هو اسم من أسمائه تعالى الحسنى «يقول» في كتابه العزيز ولم يزل قائلًا جل جلاله وتقدست أسماؤه «ما كان للمشركين» فيه اكتفاء يستعمله أهل البراعة وأشار به

---

[1] هو الصومعة. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (366/29).

[2] هي القفر من الأرض. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص1322).

[3] الاية رقم 79 من سورة النحل.

[4] صوابه: بيضتين.

[5] مدينة قابس تقع في دولة تونس حاليا وهي تطل على البحر المتوسط وتبعد مسافة400 كلم عن تونس العاصمة. للمزيد ينظر الى: اليعقوبي أحمد بن إسحاق: البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ (ص185).

[6] صوابه فرختان.

[7] اسم فاعل من يهجو وهو الذي يشتم غيره بالشعر. ينظر الى: أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده المرسي «المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1421 هـ - 2000 م، (394/4).

[8] ينظر: «تاج العروس» للزبيدي (412/3).

إلى أن الله سبحانه يقول–تعالى–: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[1].

أما الآية الأولى فعلى أحد تأويلين المراد به مطلق مسجد من مساجد الله ومطلق مشرك من المشركين، وأما الثانية المحصورة، فإنما المفسرون على أنها مطلق المساجد الإسلامية ولا يقال: صح استلاء المشركين على بعض المساجد باستيلائهم على بعض بلاد الإسلام كالأندلس، لأنا نقول كل آية من كتاب الله تعالى وكل حديث من حديثه «صلى الله عليه وسلم» لها مدلول من حيث ظاهر العبارة وآخر من حيث باطن الإشارة، فما وقع في مساجد الأندلس تحمل فيه الآية على النهي، بمعنى لا يجوز للمشركين أي {ما كان للمشركين} شرعًا {أن يعمروا} الآية.

أو تحمل على الأول ولا شك أن المساجد غير معمورة بهم ولو في ما استولوا «عليه من بلاد الأندلس، لأنه ثابت لدينا أن المساجد فيها مغلوقة حفظها الله من نجاسة أقدامهم بل وأنفاسهم إلى إليوم وما عمروها، فإنهم «على أن جيشها» أي محروسة الجزائر «العَرَمْرَم»[2] أي الشديد البأس الكثير العدد «المُرْعِد» أي المُرْعِش إرهاقًا وهيبة «الرعاديد» جمع رعديد[3] وهو الجبان.

«وجندها» هو عسكرها العجم لأنهم من شرقي الخليج وقد قدمنا أن ما كان غربي الخليج القسطنطيني يسمى أهله روم وما كان شرقيه وقبلته يسمى أهله عجمًا والفارق بينهما الخليج، فالروم حجز بينهم وبين تراب جزيرة العرب الخليج والعجم لا حاجز بينهم وبين الحرمين الشريفين، بل الأرض متصلة واحدة وإنما قسمت باعتبار الأقإلىم العرفية

---

[1] الايتين 17 و18 من سورة التوبة.

[2] ينظر: «كتاب العين» للخليل بن أحمد (137/2).

[3] ينظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص283).

فقط وبهذا تَدَّعي العجم الشرف على إسلام الروم وإن كان الكل عجمًا عرفًا، لكن كل رومي عجمي وليس كل عجمي روميًا فاعرفه.

«الصّنايد» جمع صنديد[1] وهو الشجاع ويطلق على الحليم والجواد والشريف القدر كما في القاموس.[2]

«ينصر الله بهم الدين» الجملة الفعلية خبر إن بمعنى يؤيده ويظفر أهله بالغلبة حتى يظهروا على أعدائهم، فنصرة الدين تكون بانتصار أهله –وهم معشر الإسلام– على المشركين وكذا النصر بالعجم ثابت لهم، «بشهادة سيد المرسلين» سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» وشهادته «صلى الله عليه وسلم» هي خبره، لأن الشهادة من غيره إذا وقعت لا بد أن يقول فيها الشاهد أشهد ليكون مستدع[3] للحضور مع الله وليراقب الشرع ويخاف إن شهد بالحق وأما هو «صلى الله عليه وسلم» فمطلق خبره شهادة، لعظيم ديانته ووجوب صدقه، لأنه لسان الله ولا ينطق عن الهوى فلا يحتاج للفظة أشهد لاستغراقه في الحضور مع الله المشهود عنده جل وعز.

«فقد قيل» أي قال قائل هكذا بالبناء للمفعول في رواية ابن خزيمة في صحيحه عن عاصم بن محمد عن أبيه محمد عن زيد عن جده عبد الله بن عمر وفي رواية أبي عبيد القاسم بن سلام في كتاب إزالة الريب بأخبار الغيب سئل رسول الله «صلى الله عليه وسلم». «له» أي سيد المرسلين.

««صلى الله عليه وسلم» » تقدم الكلام في معنى الصّلاة على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ولم نذكر مدلولها لغة ولا مما اشتقت وها هنا نقول أن الصلاة لغة الانحناء بالانعطاف مأخوذة من الصلوين،[4] وهما عرقان في الظهر من جانبي الذنب إلى الفخذين وعظمان ينحنيان في الركوع والسجود، قالوا: وبسبب هذا كتبت في المصحف بالواو.

---

[1] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (102/12).

[2] ينظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص294).

[3] الجادة: مستدعيا.

[4] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (166/12).

وقال النووي:[1] وقيل في اشتقاقها أقوال كثيرة وأكثرها باطل. وذكر عياض في التنبيهات في ذلك أقوالًا حسنة ونقل كلامه الحطاب[2] في شرح المختصر قال السهيلي بعد قوله مأخوذة من الصلوين ثم قال: صلى «عليه أي إنْحَنا «عليه، رحمةً وتَعَطُّفًا، ثم سَمَّوا الرحمة والصّلاة حُنُوًا إذا أرادوا المبالغة في الرحمة، فقولك: اللهم صلي على محمد أبلغ من قولك اللهم أرحم محمدًا والصّلاة أصلها في المحسوسات، ثم عبر عنها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيدًا كما قال الشاعر:

فما زلت في ليني له وتعطفي *** عليه كما تحنوا على الولد الأم[3]

ومنه قيل: صليت على الميت أي دعوت له دعاء من يحنوا «عليه ويتعطف «عليه ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الاطلاق لا تقول صليت على العدو أي دعوت «عليه، إنما يقال: صليت «عليه. بمعنى الحنو والرحمة والتعطف، لأنها في الأصل انعطاف ومن أجل ذلك عُدِّيَت في اللفظ بعلى فتقول: صليت «عليه. أي: حنوت «عليه. وتقول في الدعاء: دعونا له. فيتعدى المفعول باللام، إلا أن تريد الشر والدعاء على العدو فتقول: دعوت «عليه. فهذا فرق بين الصلاة والدعاء وأهل اللغة لم يفرقوا ولكن قالوا الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقًا ولم يفرقوا بين حال وحال ولا ذكروا التعدي بحرف اللام ولا بحرف على ولابد من تقييد العبارة كما ذكرناه. انتهي كلام السهيلي،

وقال أبن هاشم في المغني[4]: الصواب أن الصلاة في اللغة بمعنى واحد وهو العطف، ثم العطف بالنسبة إلى الله سبحانه إلى الرحمة وإلى الملائكة الاستغفار وإلى

---

[1] ينظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (75/4).

[2] ينظر: «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل» للحطاب الرعيني (378/1).

[3] ما زِلْتُ في لِينِي له وتَعَطُّفِي * * * عَلَيْهْ، كما تَحْنُو على الوَلَدِ الأَمُّ.

هذه القصيدة للشاعر معن بن أوس المزني. ينظر: أبو على القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان «الأمالى = شذور الأمالى = النوادر= أمالى القالى» ، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط2, دار الكتب المصرية، 1344 هـ - 1926م، (102/2).

[4] ينظر الى: عبد الله بن يوسف ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: د. مازن المبارك / محمد على حمد الله، ط 6، دار الفكر – دمشق،1985، (ص791).

الآدميين الدعاء، أي دعاء بعضهم لبعض. قاله على قوله في قراءة رفع {وملائكة} في {إن الله وملائكته يصلون}، أن الصلاة المذكورة بمعنى الاستغفار والمحذوفة بمعنى الرحمة.

وعلى قراءة النصب ففيها الجمع بين ذكر الله وملائكته في ضمير واحد وقد أطنب العلماء في البحث هنا بما يطول جَلبُه.[1]

وفي الآية الشريفة تقديم الإعلام بصلاته تعالى «عليه وصلاة ملائكته على أمر المؤمنين بالصلاة «عليه إشارة أن التخلق بها غنيمة كبرى مع الله تعالى دنيا وأخرى.

وفيها إيماء لأرباب التوفيق بأنه إذا كان ربكم سبحانه المستغني عن كل ما سواه يصلي «عليه، فيكف لا تتخلقون أنتم بذلك وقد أمركم بالصلاة «عليه، فصلوا «عليه.

وفيها أيضًا الإيذان بعزازة قدره عند الله ومخافة أمره «صلى الله عليه وسلم» بصلاة الله «عليه وملائكته «عليه واستغناؤه بذلك عن صلاة غيرهم، –قوله تعالى–: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾[2] و–قوله تعالى–: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[3].

وإنما أتي سبحانه بالجملة الإسمية في الآية للتأكيد وصُدِّرَت أيضًا بأن، التي هي حرف تأكيد لزيادة التوكيد وخبر الجملة مضارع لإفادة الاستمرار والدوام والتجدد وهذه منقبة لم توجد لغيره وهي أعظم من سجود الملائكة لآدم، لأنه وقع وانقطع.

عن الساعة وعلامات قيامها:

«متى تقوم الساعة» أي القيامة ويسمى يومُها إليومَ الآخِر وهو كما قال القاضي عياض: من وقت الحشر إلى ما لا يتناهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار،

---

[1] يعني: يطول فيه النزاع. انظر مادة: جلب. في «تاج العروس» للزبيدي (177/2).

[2] الاية رقم 40 من سورة التوبة.

[3] الاية رقم38 من سورة محمد.

وسمى بإليوم الآخِر لأنه آخر الأوقات المحدودة وقيل سمي بذلك لأنه لا ليل بعده وقيل لأنه زمن انقراض الدنيا وآخر أيامها وسمي أيضًا يوم الحسرة ويوم الندامة ويوم الحاقة ويوم المحاسبة ويوم المناقشة ويوم التلاق ويوم الزلزلة ويوم المنافسة ويوم الدمدمة أي إطباق العذاب ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القصاص ويوم القارعة ويوم الرادفة ويوم الراجفة ويوم المئاب ويوم الحساب ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم الدين.

قال القرطبي: القيامة لما عظمت أحوالُها وجلت أهوالُها سماها الله بأسماء كثيرة مختلفة المعاني بحسب اختلاف أهوالها والساعة اسم لحظة من الزمان أقلها طرفة عين فهي نكره تقبل التعريف والتنكير، إلا هذه فلا يجوز تنكيرها بإسقاط أل فإنها لزمتها على وجه التغلب كالعقبة والثريا ونحوهما والمراد بها هنا يوم القيامة.

قال الفاكهاني[1]: الساعة القيامة وهي آخر ساعات الدنيا وزمن انقراضها سميت الساعة مع طول زمنها لأنها بالنسبة لكمال قدرته كساعة واحدة فلا ينافي أنها طويلة على غير الأخيار وأول يوم القيامة من النفخة الثانية إلى استقرار الخلق في الدارين الجنة والنار.

والنفخة الأولي هي نفخة الصعق أي الموت المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾[2] من الحور والولدان وغيرهما من المستثنيات وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[3]. والضمير لجميع الخلائق، واختلف في قدر ما بين النفختين والصحيح أنه أربعون سنة

---

[1] هو تاج الدين الفاكهاني عمر بن على بن سالم اللخمي ولد سنة 654هـ بالإسكندرية عالم بالنحو من مؤلفاته: «الإشارة» و «المنهج المبين» و «التحرير والتحبير» في شرح رسالة أبي زيد القيرواني و «رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام» و «الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير توفي سنة 734هـ.. ينظر: السيوطي جلال الدين: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، مصدر سابق، (458/1).

[2] الاية رقم 68 من سورة الزمر

[3] الاية رقم 68 من سورة الزمر.

وبعد قيامهم ينظرون ما يفعل بهم عند القيام بين يدي الله خالقهم وعرضهم «عليه وحسابهم.

وقال قوم: النفخات ثلاث:

الاولى: نفخة الفزع في الدنيا لا الفزع الأكبر وهي المشار إليها في النمل[1] بقوله تعالى: {ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الارض إلا من شاء الله} وفي ص: –قوله تعالى–: {ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق} وهو ما بين الحَلْبَتَين.

وترتج الأرض بأهلها كالسفينة وتهرب الشياطين إلى أقطار الأرض فتردهم الملائكة وتُولِي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضًا فهو يوم التنادي وتنصدع الأرض.

وأجاب المُأَوِلُون بأن النفختين يرجعان إلى نفخة واحدة، لأن معنى أية النمل أنهم يلقى «عليهم الفزع إلى أن يصعقوا. هذا ملخص كلام الأجهوري قاله النفراوي[2].

واعلم أن التصديق بقيام الساعة ركن من أركان الإيمان، إذ لا مؤمن شرعًا إلا من ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله وإلىوم الآخر، فمن جحد من الخمسة واحدًا فهو كافر إجماعًا وقد قال الله فيه سبحانه: {ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة ءاتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور} فقوله تعالى لا ريب فيها أي شك ولا تردد في إتيانها وإن عُمِّي علىنا وقتُ إتيانها.

فإن قيل: الريب واقع في النصارى وأضرابهم فما معنى إخبار الله تعالى بذلك.

قلت: أجيب عن هذا بثلاثة أجوبة:

الأول: أن الإخبار بعدم الريب بالنسبة لما في علم الله وملائكته ورسله.

الثاني: أن قوله تعالى: {لا ريب} فيها خبر ومعناه النهي أي لا تشكوا في إتيانها.

---

[1] يعني سورة النمل.

[2] ينظر: النفراوي: احمد بن غانم: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصدر سابق، (68/1).

الثالث: أنه نزل ارتياب المرتابين فيها بمنزلة عدمه لأن ما وقع على وجه باطل عند علماء البيان يُنَزَّل منزلة عدمه، كما ذكروه في قوله تعالى {ذلك الكتاب لا ريب فيه} وقيام الساعة يوم عظيم يذيب الأكباد ويوجب ذهول المراضع عن الأولاد، فهو حق لا ريب فيه قال الله تعالى: {يا أيها الناس أتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد} {إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا} أي شديدًا {يومًا يجعل الولدان شيبًا}، {يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه} وفي الحديث: «خوفني جبريل يوم القيامة حتى أبكاني فقلت: يا جبريل ألم يغفر لي ربي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فقال لي: يا محمد لتشاهدن من أهوال ذلك إليوم ما ينسيك المغفرة» أخرجه أبن الجوزي.[1]

قال السعد[2] والحق اختلافه باختلاف أحوال الناس، فيُشَدَّد على الكفار حتى يجدوا من طوله الغاية ويُتَوَسط على فسقة المؤمنين ويُخَفَّف على الصالحين حتى يكون كصلاة ركعتين وهل يظهر أثر هذه الأهوال في الأنبياء والصالحين؟ فيه تردد والظاهر السلامة، لقوله تعالى: {تتنزل «عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة} وقال تعالى: {لا يحزنهم الفزع الأكبر} ونقل القاضي عياض والنووي عن المحاسبي وارتضياه، أن خوف نحو الأنبياء خوف إعظام وإجلال وأن كانوا ءامنين العذاب. وبه يحصل الجمع بين الآيات والأحاديث المتعارضة الظواهر، فتنبه أيها الناظر وشد يدك على هذا فإنه الحق وإليقين والصدق.

---

[1] لم أقف عليه.

[2] لم أقف عليه

وللساعة أشراط كبرى وصغرى، فالكبرى عشرة، خمس متفق «عليها بإجماع أهل الملة الإسلامية: خروج الدخال ونزول عيسى بن مريم «عليه السلام من السماء الثانية وخروج الدابة من الصَفَا ويأجوج ومأجوج من السد وطلوع الشمس من مغربها.

وخمس مختلف فيها: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ودخان باليمن ونار تخرج من قرعدك تروح مع الناس حين راحوا وتميل مع الناس حيث مالوا، حتى تسوقهم إلى المحشر.

والشروط الصغرى عشرون: بعثة النبي «صلى الله عليه وسلم» لقوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار إلى السبابة والوسطي،[1] وقبض العلم وظهور الجهل وكثرة الفتن وكثرة الزنا ومعاملة الناس بالربا وفتح بلاد قسطنطينية وكثرة الزلزال وانشقاق القمر ورجم الشياطين من السماء وتأمين الخائن وخيانة الأمين وكثرة العقوق وإمارة الصبيان والتطاول في البنيان لرعاة الشاة، وفساد البلدان وولادة الأمة ربتها، بهذه سبعة عشر كلها وقعت بالفعل بشهادة الحس وصدق «صلى الله عليه وسلم»،

وبقيت من الشروط الصغرى ثلاثة: ظهور السفياني وظهور المهدي وخراب مكة ونقل حجارتها إلى البحر وقد آن لنا أن نذكر الأشراط الخمسة الكبرى المتفق «عليها ونذكر في كل واحدة من الخمس ما ورد فيه من الخبر الصحيح الذي به الفتوى لأنها فوائد حسان تتشوق النفوس الكاملة إلى معرفتها.

فنقول: أما خروج الدابة فيصادف قول الله: {وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم} وقد روي مرفوعًا: «تخرج دابة الأرض من أجياد فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بعد».[2] وروي أنه «عليه الصلاة والسلام سئل عن مخرجها فقال:

---

[1] أخرجه البخاري (4936) ومسلم (2950).

[2] رواه نعيم بن حماد في الفتن (662/2) من حديث عبد الله بن عمرو موقوفا.

«من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى» [1] يعني المسجد الحرام قال كعب: صورتها صرة حمار. وقال ابن عمر: تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى فتخرج على الناس بذنبها وعجزها فلا يبقى منافق إلا خطمته ولا مؤمن إلا مسحته.[2]

وتُخْرِج الناس وهو المراد بتَكْلَمهم بفتح التاء وتخفيف اللأم من الكَلْم[3] وهو الجرح وقريء {تُكَلِّمُهم} من الكلام وأختلف في كلامها فقيل: ببطلان الأديان إلى دين الإسلام وقيل: تقول يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقيل تقول: {إن الناس كانوا بآياتنا لا يومنون} بخروجي وتخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتجلوا وجه المؤمن بالعصا وتخطم وجه الكافر بالخاتم،[4] ويكون خروجها ضحى وعنه «عليه الصلاة والسلام: «أن لها ثلاث خرجات خرجة بأقصى إلىمن فيعيشوا ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها مكة ثم تمكث زمنًا طويلًا وخرجة قريبة من مكة فيعيشوا ذكرها في البادية وخرجة بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون تهتز الأرض تحتهم وينشق الصفا مما يلي المعشر فيخرج رأس الدابة من الصفا تجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها وبعد تكامل خروجها تمشي رأسها السحاب ورجلاها في الأرض.[5] فسبحان القادر الحكيم.

وأما الدجال فقد قال «صلى الله عليه وسلم» عن الدجال: «هو أعور وأن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر» رواه مسلم[6] وفي رواية له مرفوعة: «الدجال أعور العين

---

[1] رواه الحاكم وصححه (530/4).

[2] رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (507/7).

[3] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (147/10).

[4] رواه الترمذي (3187) وقال: حديث حسن.

[5] رواه الحاكم بمعناه وصححه (530/4).

[6] رواه مسلم (2933).

إلسرى جُفال الشعر –بضم الجيم وتخفيف الفاء أي كثير الشعر– معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار» [1]

والمراد أن معه مثل الجنة ومثل النار ويسيران معه أينما يسير. وقال النفراوي واسم الدجال عند إليهود المسيح بن داود وهو غلط صُراح موجبه العلم بأن أكثر أتباعه إليهود وأنهم يرجون المسيح بن داود فظنه أنه الدجال وليس كذلك، بل المسيح بن داود هو عيسى بن مريم «عليه السلام، مذكور في التوراة والزبور هو ونبينا «عليهما الصّلاة والسّلام في غير موضوع[2] منهما.

ففي السفر الثالث من التوراة: قال موسى قولًا فأسمعه: يا بني إسرائيل أسبغ الله عليكم نعمه فما شكرتم وإني لأخاف أن يسلط الله عليكم فتنة توجب خراب أرضكم ودياركم وتملك رقابكم وإن الله لباعث إلىكم من بعد موتي قريبًا عبده المسيح بن داود وأخاف أن تكذبوه فتعظم جنايتكم عند إلهكم وإله آبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويبعث الله عليكم من جبال فاران الطوب الذي عرفتم بالسيف الذي لا يُفَلّ، فيإلىتني كنت حيًا نرى كيف حالكم. وفيه أيضًا في آخره ما معناه: يا بني إسرائيل إني قد خلقت السّماوات والأرض في ستة أيام ابتدأتها يوم الأحد وختمتها آخر يوم الجمعة وخلقت آدم والشمس والقمر والنجوم عشية الجمعة وما فعلت في يوم السبت شيئًا فاتركوا أنتم كل كُلْفَة والزموا الراحة فيه ولا تَمَسُّوا نارًا في بيوتكم كلها يوم السبت ولا تتعدوا فيه ما أوصيتكم به واذكروني فيه واشكروني واستغفروني ولا تفارقوا يوم السبت ما دامت السماوات والأرض وإذا بعثت إلىكم عبدي المسيح بن داود وهو آخر نبي منكم يأتيكم وأنتم أذلة فاتبعوه، فإن أطعتموه رفعت قدركم على كل أمة العالم وإن عصيتموه ألبستكم ثوب مذلة أخرى أكثر من خمسمائة عام

---

[1] رواه مسلم (2934).

[2] لعل صوابه: موضع.

ثم يلمع سيفي المسلول عليكم وعلى كل عاص من جبال فاران من بيت عمكم إسماعيل، فلا يبقى في المشرق والمغرب عاصٍ إلا قرعته.

وهذا كلام صريح بأن المسيح بن داود هو عيسى «عليه السلام ولكن إليهود قالوا كانوا في القديم ينقمون على من ينسب إلى أمه، فنسبه الله في التوراة إلى أشرف أجداده للأم وهو النبي داود «عليه السّلام.

وكذلك في الزبور في غير موضع يقول داود: ابني ولكن لا يسميه بالمسيح بل مرة يقول: ابني المكروه بلا ذنب في إسرائيل. ومرة يقول: ابني الخاتم يعني لأنبياء بني إسرائيل. ومرة يقول: ابني الطبيب. وهذه أوصاف عيسى بن مريم بلا شك وإليهود يعتقدون أن المسيح «عليه السّلام هو آخر أنبيائهم بلا شك ولا يأتيهم إلا وهم أذلة كما في التوراة ولكن لا بد أن يكون له أب واسمه داود وأن لا ينسخ يوم السبت ولا شيئًا من شرع التوراة، دليلهم قول التوراة ما دامت السماوات والأرض وغفلوا عن عموم معنى قولها: فاتبعوه. وعن قولها: فإن أطعتموه. وعن قولها: وإن عصيتموه. ويفهمون أن معنى فاتبعوه: في ما وافق التوراة ومعنى فإن أطعتموه: في أحكام الدنيا ومعنى وإن عصيتموه: أي فيها أيضًا ولو طلب المُلْك ولا يخفى على كل ذي عقل فساد فهمهم لحملهم العام المطلق على الخاص المقيد بلا قرينة كما لا يخفى أن المراد بِثُمَّ يلمع سيفي المسلول عليكم وعلى كل عاص من جبال فاران من بيت عمكم إسماعيل: هو نبينا المصطفى «صلى الله عليه وسلم»، لأنه جاء من بعد المسيح بأكثر من خمسمائة سنة من جبال فاران وهي مكة وما حولها من جِبال نجد وفاران واحد من أولاد كنعان وأخوته سبأ وبابل وموصل وشام، قسم البلاد بينهم قبل موته وكان من ملك أرضًا سميت باسمه وهو «صلى الله عليه وسلم» من بيت إسماعيل بن إبراهيم الخليل بلا شك وإسماعيل عم إسرائيل بلا شك، لأنه ولد إسحاق وإسحاق أخو إسماعيل لأبيه إجماعًا وقد بعث الله عبده وكلمته المسيح إلى بني إسرائيل وهم أذلة كما أخبر الله في التوراة، لأن بعثته كانت بعد خراب أرضهم المرة الثانية على يد صيطوس الرومي عامل قيصر والأولى كانت يد بُختَنصّر ملك بابل وقد أخبرهم الله في

التوراة بهما أنهما سيقعا وأخبرنا سبحانه عنهما بقوله: {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب} الآية، ثم هم في تلك الذلة بعث الله إليهم المسيح «عليه السلام وجاءهم بالبينات الظاهرة والمعجزات الباهرة، فكذبوه بجهلهم إياه وقالوا: لو كان له أب واسمه داود لصدقناه على ما رأينا من معجزاته.

ورأيت للظالم الفاجر المعروف عند أحبارهم بموشى بن ميمون المقري الفاسي في شرحه بالعبرانية لكتاب التركوم باللسان البابلي وذلك أعني التركوم كان مؤلَفُه بعد أن رفع عيسى بعشرين سنة إذ هو معاصر لعيسى وكافر به ما معناه: قال فينا ابن أخت زوجة زكريا النبي عام وفيه كثير من صفات المسيح بن داود التي هي في التوراة واستأصل فينا بسحر عظيم ما سمعنا بمثله حتى إنه أحيا الموتى لنصدقه بقول التوراة المسيح بن داود ويحيي الموتى بإذن الله وتبعه بعض أرذالنا من أولاد حور وصدقه زكريا النبي وابنه يحيى من أجل القربة، فقتلناهما وقتلناه، فاحذروا يا جماعات إسرائيل أن يبعث الله عليكم مثله أن تصدقوه، إلا أن يثبت عندكم أن أباه داود كما قالت التوراة.

هذا ملخص ما فيه وهو عمدة يهود زماننا وحجتهم بحيث إذا قلت لحبر من أحبارهم أن المسيح الذي وعدكم الله به في التوراة وأنه منكم ويأتيكم على مَذَلَّة قد جاءكم «عليها وكفرتم به ورفعه الله إليه فما وجه انتظاركم هذا وقد قال الله لكم: (وإن عصيتموه ألبستكم ثوب مذلة أخرى وها قد ألبسها لكم أكثر من خمسمائة عام بل إلىوم لكم ألف وستمائة عام في المذلة، أولم يتبين لكم الخطأ؟ كان جوابه: المسيح الذي تقولون أنه المسيح أخبرنا عنه الربي موشى بن ميمون وعرفناه ونحن إنما نرجو المسيح بن داود الذي يقرر شريعة التوراة كالأنبياء الذين قبله.

وبهذا تعلم أن اليهود –دمرهم الله– لا يعرفون الدجال ولا هو مذكور في كتبهم، لأنه كما علمت أعور يدعو إلى عبادة نفسه والمسيح بن داود «عليه السلام في التوراة كامل الذات حسن الصفات يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر آخر أنبياء بني إسرائيل يبعث في القدس، لا ينصرف عنه إلى غيره، لا يزرع ولا يحدث ولا يتزوج وليس عنده جنة ولا

نار ولا الحمار الأعور الوارد في الخبر وإنما هو نبي يدعو إلى الله ويحب المساكين ويزور المقابر ويمشي على رجليه وإن ركب بعض أحيانه فعلى حمار من الحمر المألوفة المعروفة يدعو إلى طاعة الله ويعظ الناس ويخوفهم بلقاء الله وهذه النعوت لا يصح حمل واحد منها على الدجال ولهذا قلنا في كلام النفراوي أنه غلط ظاهر، نعم ورد أن الدجال أكثر أتباعه إليهود لكن لضعف الديانة وضرورة القوت، لا لأنه المسيح بن داود الذي وعدهم الله به ولا يزالون يرجون بَعْثَتَه، فقد عرفته أنه يعني بنص التوراة وأنه عندنا هو ابن مريم «عليه السلام بنص القرآن أنه المسيح ونزوله آخر الدنيا لا علم لهم به ولا خبر وإنما المخبر بذلك نبينا «عليه الصلاة والسلام وهم راجون للبعثة الأولى وقد مضت وخُذِلوا عنها وموقنون أنهم قتلوه راجين غيره، فالمرجو عندهم نبي بلا ريب وإن كان قد جاء وكذبوه وقول: العامة يرجون الدجال باطل، إذ لو ذكرت صفاته بين أظهرهم للعنوه بلا شك لزعمهم التوحيد، فشد يدك على ما ذكرته لك فإنه العلم الحق إن شاء الله وكثيرًا ما تقع العامة منا في الخطر العظيم، تراهم يكلمون إليهودي فإذا قال: يأتينا المسيح ويرجع إلىنا العز وتذهب ذلتنا أطلق السامعُ من علامتنا لسانَه فيه، ظانًا أنه الدجال ولعل الله لا يؤاخذ إلا بالنية وإلا فهي المصيبة العظمى والتقبيل لفم الحية الصحراوية الرقمى نسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة.

وورد أن السماء قبل خروج الدجال تمسك ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها وفي السنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها وفي السنة الثالثة تمسك السماء ما فيها والأرض ما فيها ويهلك كل ذي ضرس وظلف.[1]

وروى مسلم[2] أنه «صلى الله عليه وسلم» قال: «الدجال خارج من خلة بين الشام والعراق» .

[1] رواه أحمد (27568) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (345/7).

[2] رواه مسلم (2937).

وروى الترمذي[1] وحسنه أنه «صلى الله عليه وسلم» قال: «يخرج من أرض بالمشرق ويقال لها خراسان يتبعه قوم وجوههم المجان المطرقة» إسناده صحيح والمجان جمع مجن[2] وهو الترس وفي مسلم[3]: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا «عليهم الطيالسة» وفيه أيضًا: «فيفر الناس من الدجال في الجبال» [4] وخروج الدجال في سبعة أشهر وجاء أن فتح القسطنطينية علامة لخروجه وفي صحيح مسلم[5]، أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: «يلبث الدجال في الأرض أربعين يومًا بعض الأيام كسنة وبعضها كشهر وبعضها كجمعة وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استثارته الريح فيأتي على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويتحببون له فيأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت، ثم يأتي قومًا فيدعوهم فيردون «عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كعياسب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتليا شابًا فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه وهو يضحك» .

وفي مسلم[6] أيضًا: «فيأتي وهو محرم «عليه أن يدخل بعتاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه رجل من خير الناس فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنه رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم

---

[1] رواه الترمذي (2237) وقال: حديث حسن.

[2] ينظر: «تاج العروس» للزبيدي (149/36).

[3] رواه مسلم (2944).

[4] رواه مسلم (2945).

[5] رواه مسلم (2937).

[6] رواه مسلم (2938).

أحييته أتشكون في الأمر، فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه فيقول له: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط «عليه» .

وفي رواية أبي داود[1]: «قلت لأبي مسلمة وأما[2] الجساسة، قال: امرأة تجر شعر جلدها وراءها» وفي حديث قاسم بن أصبغ: «أن للدجال حمارًا يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا وحماره أعور كما هو أعور، فلم يكن في قدرته أن يحسن خلقه ولا خلق مركوبه، ثم ينزل عيسى فيقتله بحربته حتى يرى دمه في الحربة فلو كان لم يصبه شيئًا من ذلك والمنافق يشبهه» [3].

وفي مسلم[4] مرفوعًا: «ليس من بلد إلا سيوطئه الدجال إلا مكة والمدينة» وفي رواية: «فلا يبقى موضع إلا ويدخله غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور، فإن الملائكة يطردونه عن هذه المواضع» .

وفي مسلم[5] أيضًا عن ابن سمعان: «أن عيسى يدرك الدجال بباب لدّ، فيقتله» ولدّ[6] بضم اللام وتشديد الدال: منصرف قرية قريبة من المقدس.

وفي مسلم[7] أيضًا: «الدجال إذا رأى عيسى «عليه السلام ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك» وقال «صلى الله عليه وسلم»: «لا تقوم الساعة حتى

---

[1] رواه أبو داود (4325) واللفظ له وصححه الترمذي (2253).

[2] صوابه: وما.

[3] رواه الحاكم بنحو منه (575/4) وصححه.

[4] رواه مسلم (2943).

[5] رواه مسلم (2937).

[6] ينظر: «الروض المعطار في خبر الأقطار» لأبي عبد الله الحميري (ص510).

[7] رواه مسلم (2897).

يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم زاعم أنه رسول الله» رواه الترمذي[1] وقال حسن صحيح.

قلت: والظاهر أن تسمية النبي «عليه السلام لهؤلاء أنهم دجالون مع أن الدجال المتواترة فيه أخباره واحد قطعًا، إنما هو بجامع الكذب في الدعوى وإن كان الدجال الحقيقي يدعي أنه إله وهؤلاء يدعون أنهم رسل الله، فهم على كل حال كذابون ورأيت في رحلة الجد رحمه الله ناقلاً من كتب بعض المتقدمين أن أبا بكر محمد بن إسحاق بن يسار كان من رجال الحديث والسير وكان معاصرًا للإمام مالك ويسكن معه بالمدينة، ثم خرج لبغداد واستوطنها فكان إذا سمع الناس في بغداد يمدحون مالكًا ويصفونه بالإتقان لفقه الدين وكثرة المعرفة بالحديث، قال: هاتوا حديث مالكًا[2] فأنا طبيب علله، فبلغ ذلك مالكًا فقال: وما ابن إسحاق في الناس إنما هو دجال من الدجاجلة أبعده الله من المدينة»[3].

يشير والله أعلم إلى أن الدجال لا يدخل المدينة قال الشافعي: والله ما علمت ولا عرفت أن دجالاً يجمع على دجاجلة حتى سمعتها من مالك.

وأما نزول عيسى «عليه السلام من السماء الثانية إلى الأرض فحق ثابت بالكتاب والسنة، قال تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} أي ليؤمنن بعيسى قبل موته وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان والضمير في موته قيل: للكتابي المفهوم من أهل الكتاب وقيل: لعيسى،

وبخبر هذه الآية تعلم أنه المسيح بن داود المرجو لليهود وتفهم منها أنه جاءهم قبل فكذبوه، بدليل: {ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا} وقد ورد في الحديث: «لينزلن عيسى بن

---

[1] رواه الترمذي (2218) وقال: حديث حسن صحيح.

[2] صوابه: مالك.

[3] ينظر: «الإرشاد في معرفة علماء الحديث» للخليلي (288/1).

مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويأمر بترك القلا فلا يبقى «عليها ويترك الشحناء والتحاسد والتباغض ويدعو إلى المال فلا يقبله أحد» رواه مسلم[1] وفي صحيحه أيضًا أنه «عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهدوذتين[2] واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه كبر وإذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ» [3]،

ومعنى كونه بين مهدوذتين أنه لابس ثوبين مسبوغين بورس ثم بزعفران ومهدوذين بالدال المهملة والذال المعجمة والجمان[4] بضم الجيم وتخفيف الميم حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته وانعقد الإجماع على أن عيسى «عليه السلام متبع لشريعة المصطفى «صلى الله عليه وسلم» ليس بصاحب شريعة مستقلة عند نزوله وإنما يحكم بشرع القرآن والحديث، لأن جميع الأنبياء كانوا يعملون في أزمانهم بجميع شرائع من قبلهم ومن بعدهم بالوحي وبالكتب المنزلة «عليهم، لما ورد أن عيسى «عليه السلام بشر أمته بمجيء محمد «صلى الله عليه وسلم» بعده وأخبرهم بجملة من شريعته، يأتي بها معًا يخالف شريعته وأيضًا عيسى «عليه السلام لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المطلق واستنباط أحكام من القرآن ومن سنة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وفي بعض الآثار أنه يتزوج ويولد له[5] ويحج لتحقيق التبعية، ثم يموت ويدفن في روضة النبي «صلى الله عليه وسلم» وصاحبيه رضي الله عنهما والناس في زمانه في أمن وخصب.

---

[1] رواه مسلم (155).

[2] صوابه: مهرودتين.

[3] رواه مسلم (2937).

[4] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (87/11).

[5] ينظر: السمعاني احمد المروزي: تفسير السمعاني، (324/1).

وروى مسلم[1]: «أنه يقال للأرض أنبتي ثمرك فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقِحفِها[2] –بكسر القاف وهو قشرها الشبيه بقحف الرأس– ويبارك في اللبن حتى إن الناقة لتكفي الجماعة الكبيرة من الناس»،

ويقع الأمن في زمنه في الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ولا يصاب أحد منهم[3] وتسلم الأرض من المهدي لعيسى ويكون المهدي مع أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي من جملة أتباعه ويصلي عيسى وراء المهدي صلاة الصبح وذلك لا يقدح في قدر نبوته ويسلم المهدي لعيسى الأمر ويقتل الدجال ويموت المهدي ببيت المقدس وينتظم الأمر كله لعيسى «عليه السلام ويمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة، ثم يموت ويصلي «عليه المسلمون وقيل: سبع سنين بعد نزوله، ليس يبقى بين اثنين عداوة، ثم يرسل إليه الريح التي تقبض أرواح المؤمنين.

وسئل الجلال السيوطي –رحمه الله– عن حياة عيسى ومقره وطعامه وشرابه، فقال: في السماء الثانية لا يأكل ولا يشرب بل هو ملازم للتسبيح كالملائكة وسبب رفعه إلى السماء أن إليهود لما رأوا الحواريين آمنوا وتتابع الناس أثرهم خافوا ذلك فاجتمع رؤساؤهم عند عظيمهم وقتئذٍ ويعرف باللِّيوي بكسر اللام المشددة مشبعة كالواو وتكلموا في أمره، فأمرهم أن يهجموا «عليه في داره ويصلبوه على خشبتين ويحسنوا قتله وبعث معهم واحد من أولاده ودخل بيته فاختطفته الملائكة وأجلسوه موضع عيسى وطارت بعيسى الملائكة إلى السماء، فدخل القوم محل عيسى «عليه السلام فوجدوا اللِّيوي جالسًا موضع عيسى

---

[1] رواه مسلم (2937).

[2] ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (17/4).

[3] رواه معمر بن راشد في «الجامع» (401/11) وفيه رجل مجهول.

وقد ألبسه الله صورة عيسى وأَبْكَمَه أن يتكلم فشبه لهم فكان أول طاعن إلى صدره بخنجر ولده ثم صلب لا رحمه الله.

وأخرج فألقي على المزبلة ثلاثة أيام ولما رجع القوم إلى دار اللِّيوي ليخبروه بجميل صنعهم وكان الداخل أولاً ولده فلم يجده خارج البيوت ولا داخلها فسعى القوم في طلبه لأنه عظيمهم وسيدهم والمقدم «عليهم من عامل طيطوس فلا ظفروا من وجوده بشيء، فكتب أحبار وقتهم كما في كتاب فينحاص الحبر لا النبي، فإنه قبل عيسى بنحو سبعمائة سنة، قال في شرحه لكتاب القُمارة بالقاف المضمومة والراء المهملة ما معناه بعد كثرة الثناء على اللِّيوي: اعرفوا يا إسرائيل أن الأمر بالمعروف بعد الوثوق بالكتاب يوجب التقديس من الله، ألا ترون الليوي حيث أمر بقتل ساحر خافه يفسد دين التوراة فقدسه الله ورفعه إلى كِنعيدل ولم ير الموت ولا غمة القبر وإني لأرجو لكل من حضر قتل هذا النصري أن يُغفر له، فإنها فِعْلَة صالحة، رضيها منكم ساكن السماء إلهكم الذي أنزل إلىكم التوراة بالنور والحق أ.هـ

وكِنعيدل بكاف المعجمة مكسورة فنون ساكنة فعين مهملة مكسورة مشبعة فدال مهملة فلام اسم الجنة بالعبرانية والنَصري بفتح النون وسكون الصاد المهملة اسم عيسى «عليه السلام عندهم لاتهامهم أمه الطاهرة المبرأة بأنها حبلت منه من نصري نسبة إلى النصري وهم النصارى فسبحان من أعمى بصائرهم وأضلهم عن السبيل، حتى إن المرفوع إلى الله زعموا قتله والمقتول حقيقة زعموا رفعه–قوله تعالى: «ومن يرد الله أن يضله فلن تجد له سبيلا»[1] وقد اجتمع عيسى «عليه السلام بالمصطفى «صلى الله عليه وسلم» ليلة الأسراء في السماء الثانية واستمر فيها حتى ينزل آخر الزمان عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعًا يديه على أجنحة ملكين عند صلاة الصبح فيقول له أمير الناس وهو المهدي: تقدم يا روح الله، فصل بنا فيقول: إنكم معشر هذه الأمة أمراء بعضكم على

---

[1] الاية رقم 143 من سورة النساء.

بعض تقدم فصل بنا فيصلي بهم المهدي، فإذا انصرف يأخذ عيسى حربته ويتبع الدجال عند باب لُدّ الشرقي ويقيم سبع سنين لأن الأربعين مجموع لُبْثِه في الأرض قبل الرفع وبعده، فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون بالإجماع عندنا وعند إليهود والنصارى ويقيم بعد نزوله سبعًا فلي أربعون وسئل الإمام العلامة الأجهوري: هل ينزل «عليه جبريل بعد نزوله من السماء أو لا؟ فأجاب: أنه ينزل «عليه كما في حديث مسلم[1] من قوله: «فأوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا» إلخ فإنه ظاهر في نزول جبريل «عليه السلام إليه وأما حديث الوفاة من قوله «صلى الله عليه وسلم»: «هذه آخر وَطْأَتي في الأرض» [2] فضعيف ونقل بعض المحدثين أن عيسى نزل إلى الأرض في حياة أمه وخالته فشكى إليهما بإخبارهما بحاله، ثم رفع حتى ينزل آخر الزمان.

وسئلت عن حاله في السماء، هل كان مكلفًا أم لا؟ فأجبت بعدم تكليفه أخذًا من قول السيوطي: هو ملازم للتسبيح كالملائكة والحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على إليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبين الله كذبهم وقيل: لأجل أن يدفن في الأرض لأن ما خلق في الأرض لا يدفن في السماء وأما يأجوج ومأجوج بالهمز ودونه، فهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح «عليه السلام، آدميون من غير خلاف.

وروى مسلم[3] من حديث ابن سمعان «أن الله تعالى يوحي إلى عيسى «عليه السلام بعد قتله الدجال: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد يقاتلهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم {من كل حدب ينسلون} أي من كل نشر يمشون مسرعين فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ماءها وهي بالشام طولها عشرة أميال ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذا أثر ماء ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور

---

[1] رواه مسلم (2937).

[2] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (128/3 رقم 2890) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (35/9)..

[3] رواه مسلم (2937).

لأحدهم خير له من مائة دينار لأحدكم، فيرغب نبي الله وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل «عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأته زهمتهم فيرغب إلى الله نبي الله وأصحابه فيرسل إليه طيرًا كأعناق البخت فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله تعالى مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالربعة، ثم يقول للأرض أنبتي ثمرك» الحديث.

فقوله: «لا يَدَان لأحد» تثنية يد ومعناه لا قدرة ولا طاقة ومعنى «حَرِّز عبادي» ضمهم إلى الطور أو اجعله لهم حِرزًا.

والنغَف[1] بتحريك الغين المعجمة الدود الذي يكون في أنوف الإبل مُزَغَّبا.

وقوله: (فَرْسَى)[2] كقتلى وزنًا ومعنى واحدة فريس وفي الثعلبي[3] من حديث حذيفة: قلت يا رسول الله، ما يأجوج ومأجوج، قال: «هم أمم كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل حتى يرى ألف عين تطوف بين يديه من صلبه وهم من ولد آدم، فيسيرون إلى خراب الدنيا، فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة طبرية حتى بيت المقدس فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله «عليهم نشابهم محمرًا دمًا.

وقد روي أن الدجال يقتله عيسى بن مريم فيخرج بعده يأجوج ومأجوج، فيقتلون من اتبع الدجال ويتحصن عيسى ومن معه في رؤوس الجبال، فيسلط الله «عليهم داء في

---

[1] ينظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، (424/4).

[2] ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، مصدر سابق، (428/3).

[3] هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ولد بنايسبور وكان مفسرا مشهورا في عصره من مؤلفاته: عرائس المجالس في قصص الأنبياء» و» الكشف ولبيان في تفسير القران» والمسمى ايضا» تفسير الثعلب» توفي سنة 427هـ، ينظر الى: ابن خانكان ابو العباس: وفيات الأعيان، تح: احسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت، (79/7). وينظر ايضا الى: الثعلبي أبو إسحاق: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1422، هـ – 2002 م، (307/6).

أعناقهم فيموتون كموت رجل واحد وأما الدخان والريح التي تقبض أرواح المؤمنين وأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس.

فقد قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾[1] الآية وقال ابن عباس وغيره، هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمنين كهيئة الزُكَام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص.[2]

وفي صحيح مسلم[3]: «أن الله يبعث ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تَهَارج الحمر ف» عليهم تقوم الساعة» .

وفيه أيضًا تقوم الساعة والرجل يجلب اللقحة فلا يصل الإناء إلى فيه والرجلان يتبايعان الثوب فلا يتبايعانه حتى تقوم الساعة.

«يا رسول الله» هو أكثر أسمائه استعمالاً بعد الهجرة وقد كان الناس ينادونه باسمه الذي سماه به جده وقد تقدم الكلام في معناه ثم لما نزل قوله تعالى: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا} صار أكثرهم يقول: يا رسول الله وبعضهم يدعوه: يا نبي الله وبعضهم: يا حبيب الله.

«قال: «حتى تفتح» «أي تكون على دين الإسلام صلحًا أو عنوة، هذا ظاهره وإن كان «صلى الله عليه وسلم» يعلم بحقيقة الأمر بلا شك.

عن القسطنطينية وفتحها:

وعن بشر رضي الله عنه: «لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» رواه الإمام أحمد[1] في مسنده والحاكم[2] في المستدرك.

---

[1] الاية رقم 10 من سورة الدخان.

[2] ينظر: «تفسير البغوي = معالم التنزيل» (175/4).

[3] رواه مسلم (2937).

«بلاد»: هي اسم لجزء من أرض الله وقد تطلق على الأرض، كما في التنزيل: {الذين طغوا في البلاد} وتعرف بما تضاف إليه والمراد بها هنا المدينة العظمى المعروفة إليوم باسطنبول وهي قاعدة بلاد عجم المغرب وكان يقال لها في القديم بلاد «قسطنطين»: وهو رجل من الكَرَك[3] ويقال: الكريك، كانت آباؤهم فلاحين من أطراف الناس ولم يكن فيهم ملك قط ودارهم أصفاكية قرية من قرى الكَرَك قرأ كتب إليونان القديمة ونجب فيها وظهرت «عليه مَخَايل الخير وشِيَم المعارف وكثرة السخاء والحِلم وجلب بمعروفه قلوب الناس، فانقادت إليه العامة وساد في أرضه وانقادت السركج والكرم وصح ملكه وعظم في سنين قليلة، ثم بعد مضي عشرين سنة من ملكه أمر الناس أن يزيدوا في عمارتها لتعظم وكان من قبله عظيمة لكن على نحو الثلث منها إليوم وكان ملكها قبله اسطنبول وهو رجل روميلي تولى مملكتها بعد موت أبيه ملكًا بها والنظر لعظيم رومة الكبرى وزاد هو أيضًا في بنائها وعمارتها فقتله قسطنطين وذلك، لأنه عصاه بعد بيعة جل الروم وبعث إليه وهو وقتئذٍ بجبال مانية مرارًا متعددة أن يطيعه ويخرج عن صاحب رومة ويبقى في ما هو فيه من الحكم والتصرف، فأبى فتوجه إليه قسطنطين من مانية بجيش عظيم وهجم «عليه وحاصره برًا وبحرًا أحد عشر شهرًا ففر بنفسه في البر في نفر من قومه إلى نواحي جشمة فلحق به أصحاب قسطنطين وقتلوه في موضع خال لا عمارة فيه بين جشمة وقوجاق قريب من الدري فسمي الموضع الذي مات فيه باسمه ولم يزل يسمى اصطنبول[4] إلى زماننا هذا، قاله الجد رحمه الله في رحلته.

عن بلاد اسطنبول:

---

[1] رواه أحمد (18957).

[2] رواه الحاكم (468/4) وصححه.

[3] ينظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (452/4).

[4] ينظر: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله القرشي (396/3).

وقد سمي هذا البلد في الإسلام بإسلامبول ومعناه الإسلام الكثير وهي مدينة عظيمة أكثر المؤرخين من ذكر عجائبها وضخامتها وعظم عمارتها وهي قاعدة بلاد الروم وفيها دار الخلافة للكرماء السعداء المجاهدين الأذكياء ملوك آل عثمان التتارجي ثم الأموي نشر الله ألويتهم بالنجح والنصر وآثر على أدعيتهم بالفتح والنصر وسيأتي قريبًا ذكر فتحها ومتى كان ومن فتحها من الخلفاء وقسطنطين كان بايعه الروم بالمملكة واستبد بها أيام بيعة بني إسرائيل لأمضيا وهو من ملوك بني إسرائيل بن أرخيعم بن نبي الله سليمان بن داود «عليهما السلام وكان أشعياء النبي «عليه السلام في هذا العصر الذي قام فيه أمضيا في الشام وقسطنطين في الروم ولأشعياء «عليه السلام مع أمضيا أخبار كثيرة ووقائع شهيرة يعرفها من أطلعه الله على الكتب القديمة ومات أمضيا فتولى مملكة الشام بعده ميشا وهو الثاني عشر بن أرخيعم بن سليمان وميشا هذا هو قاتل أشعياء «عليه السلام ظلمًا وعدوانا ولما بلغ قسطنطين أن ميشا الإسرائيلي ملك الشام قتل نبيا لكونه نهاه عن الظلم غزاه وحصره سبعة أشهر ولم يزل حتى ظفر به وأسره عنده وحمله إلى أرضه وأقام أسيرًا نحو عشرين سنة، ثم ترك سبيله ورجع إلى أرض الشام وعاد إليه ملكه ثم مات فقام بالملك ولده أمور بن ميشا فطغى وكفر وعبد التماثيل فسار إليه فرعون الأعرج من مصر وكان مؤمنًا بالتوراة فحاصره حتى أسره وأمعن في قتل أصحابه ومضى به إلى مصر فهلك هنالك وملك بعده أخوه لأمه يقال له: يوقيم وهو ابن دانيال النبي «عليه السلام وفي عصر هذا الملك بعث الله على بني إسرائيل بُختَنَصّر ملك العراق وجنوده على أن يوقيم بن دانيا لم يفعل سوءًا ولكن الله انتقم لفعل من قبله {فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولاً} كما قال الله سبحانه وكان مولد المسيح ابن مريم «عليه السلام على أيام أغسطس بن قسطنطين وهو ثاني ملوك الروم وأول من سمي قيصر، لأن أمه ماتت وهو في بطنها يتحرك فشقت بطنها وأخرجوه.

ومعنى قيصر مبقور وكان يفتخر بذلك ويقول كل الناس خرجوا من الفروج إلا أنا لم تلدني النساء وكذلك بنوه من بعده يفتخرون به فكان مولد عيسى «عليه السلام لاثنين

وأربعين سنة خلت من ملك قيصر هذا وبقي قيصر بعد مولد المسيح أربع عشر سنة ونصفًا وملك بعده طباريس اثنين وعشرين سنة ولثلاث سنين بقيت من ملكه رُفِع المسيحُ وبعد هلاك هذا الملك الثالث من قسطنطين اختلف أمر الروم، فأقاموا على الفتنة مائتي سنة وثمانيًا وتسعين سنة لا نظام لهم ولا ملك يجمعهم.

تنبيه: دانيال هذا هو الآخِر وأما دانيال الأول كان بين نوح وإبراهيم «عليهم السلام وهو الذي استخرج العلم الإلهي وما يحدث في الأزمان إلى أن تنقضي الدنيا وعلوم ملوك العلم وما يحدث في السنين والشهور والأيام من الحوادث ودليل ذلك في الأملاك وإليه ينسب كتابه الجفر.

وقولنا: الآخِر والأول أولى من قول المؤرخين الأصغر والأكبر لما تقتضيه عبارتهم من أن الاثنين أربعة صغير وأصغر وكبير وأكبر ولما في التعبير بالأصغر في حق نبي من التهور والغفلة عن الأدب نسأل الله العافية بمنه.

«ثم قال» «صلى الله عليه وسلم» «ما» أي لفظًا «معناه وبعض لفظه وينادي في ذِراها» جمع ذرة وهي ما يعلو أظهر البعير من سنامه.

«بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» وهذا من جملة صدق ما أخبر عنه «صلى الله عليه وسلم» أنه سيقع ووقع بالفعل وأراد بالنداء أذان المؤذنين بقرينة في ذراها فإن المراد الصوامع ولكنها لم تكن زمن النبي «صلى الله عليه وسلم»، فعبر عنها بالذِرَى مجازًا بجامع العلو والارتفاع «مبينًا» لكونه مكررًا وفي غاية الجهد وباللسان العربي المبين «للسامعين» الذين قال فيهم الله سبحانه: {فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب} وأما الذين في قلوبهم وقر لشقاء كَتَبه الله «عليهم فقد قال فيهم لنبيه «عليه السلام: {إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم} {إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون}.

ويحتمل أن المراد بالسامعين كل من فيه حاسة السمع من بني آدم كان مؤمنًا أو كافر. «قيل» أي: قال قائل من الصحابة. «أوَ يكون» بفتح الواو والهمزة للاستفهام «الخير» أي: الإيمان لأن الأذان ملزوم له غالبًا. «في الروم» لعلمهم أن بلاد قسطنطين روم. «يا رسول الله قال» «صلى الله عليه وسلم» مجيبًا للسائل ومتبرعًا بزيادة عن مراده كما قال لمن سأله عن ماء البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته» [1] وكما أجاب نبي الله موسى ربه بقوله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾[2] الآية.

«سيبعث الله طائفة» في التعبير بها إيماء إلى أنهم شرذمة قليلون بالنسبة إلى إخوانهم «من بني يافث» بن نوح بن لامَكَ بلام مفتوحة فميم وكاف مفتوحتين ابن مَتُوشَلْخ بفتح الميم وضم المثناة فوق مشبعته وفتح المعجمة وسكون اللام والخاء المعجمة ابن خنوخ بمعجمتين وقال الفراء: حنوخ بإهمال الأولى وقال قتادة: أهنوخ وروي أهنخ وأخنخ وهو إدريس النبي «عليه السلام ابن يَرْد بتحتية مفتوحة فراء مهملة ساكنة فدال مهملة مفتوحة ابن مهليل كقنديل وقال قتادة: مهلايل بن قَيْزَن بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة فنون مفتوحة فساكنة ابن يانش بتحتية مفتوحة مشبعة فنون مكسورة فسين معجمة وقال قتادة: قائن بقاف وألف ساكنة وياء تحتية ونون ابن أَنُوش بفتح الألف وضم النون مشبعة فشين معجمة ومعناه هبة الله ابن شِيث بشين معجمة مكسورة مشبعة فثاء مثلثة ابن آدم «عليه السلام ويافث أخوته الناجون معه في سفينة أبيهم اثنان سام وحام ونساؤهم وكان ركوبهم السفينة يوم الجمعة لتسع عشر خلت من شهر آذار موافقًا لتاسع يوم من عاشوراء بعد ما أتاه جبريل «عليه السلام بتابوت آدم وأقام بمن معه في السفينة وقد أغرق الله تعالى جميع من في الأرض خمسة أشهر، –قوله تعالى–:﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾[3] وهو جبل

---

[1] رواه الترمذي (69) وقال: حسن صحيح.

[2] الاية رقم 18 من سورة طه.

[3] الاية رقم 44 من سورة هود،

من بلاد باسوري[1] قال ابن عمر: قريبة من بلاد المُوصل بين الجبل وبين دجلة ثمانية فراسخ وموضع جنوح السفينة على هذا الجبل باق إلى إلىوم، قاله في الأوسط مؤلفه ونزل معه من السفينة أولاده الثلاثة وكناته الثلاث زوجاتهم وأربعون رجلاً وأربعون امرأة وهم المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[2] فساروا إلى سفح هذا الجبل وأثبَتوا هنالك بلاد أسموها ثمانين واسمها باق إلى إلىوم وهو سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة قاله ابن الأثير وفي التوراة عاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة فجملة عمره «عليه السلام ألف سنة وثلاثمائة سنة والقوم الذين نزلوا مع نوح وأولاده من السفينة لم يثبت عن نبيننا «صلى الله عليه وسلم» ولا عن الكتب القديمة أنهم تركوا نسلاً ولهذا قيل في نوح أنه الأب الثاني لآدم لأن ذرية آدم كلهم انقطعوا إلا من نوح فقد عمَّر الله الأرض منه أما ولده سام وهو أبو العرب وفارس وروم ما وراء النهر وإليهود والإفرنج والبربر والقبط وأما حام وهو أبو السودان كلهم وأما يافث فهو أبو الترك والخزرج والصقإلبة وأصبهان والكرك وإلىونان ويأجوج ومأجوج.

قال ابن عباس[3] رضي الله عنه: لما هبط نوح لعمارة الأرض من السفينة نام ذات يوم فبدت عورته فنظر إليها حام، فضحك ولم يستر «عليه، ثم رأى ذلك سام فأعرض بوجهه وغطى عورته، فلما استيقظ أخبر بذلك، فدعى بولده حام وقال: يا بني غير الله ماء صلبك، فلا يلد إلا السودان السِند والهند والنوبة والزِنج وما وراء ذلك.

«عِرَاض الجِبَاه» جمع جبهة[4] وهي ما بين الحاجبين ومنابت شعر الرأس المعتاد.

---

[1] ينظر: الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مصدر سابق، (664/2).

[2] الاية رقم 40 من سورة هود.

[3] ينظر: «تفسير البغوي» (214/3).

[4] ينظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (272/1).

«زُرْق العيون» يعني الأحداق وهي النقطة التي وسط المُقْلة يحدق بها البياض وفيها عظيم الصقالة ينطبع فيها ما قابها من الأشخاص فإنها في غالب الناس سوداء أو شَهْلاء وإن وجدت زرقاء فقليل إلا في الترك والإفرنج لكن عراض الجباه الترك فتعين أنهم مراد النبي «صلى الله عليه وسلم» لا سيما أنه قال من بني يافث ومعلوم أن الإفرنج ليسوا من بني يافث.

«يؤيد الله بهم دينه» التأييد الارتفاق والعضد ودينه هو دين الإسلام وبمعنى شريعته وهي وضع إلهي لما يتعرف العباد صفة منه أحكام عقائدهم وأفعالهم وأقوالهم يترتب «عليه صلاحهم في داري المعاش والمعاد ومعنى وضع موضوع وضعه الإله من فروع الشريعة توحيد أو صلاة وصيامًا وزكاة وحجًا وجهادًا أو غير ذلك من معرفة الواجب والمندوب فيفعلان والمحرم والمكروه فيتركان والمباح ففيه التخيير وإضافة الدين إلى الضمير العائد على الله للتخصيص، لأن لفظ الدين يطلق على دين الله وعلى غيره بالاشتراك اللفظي وإما إطلاقه على الأديان الحقية فبالاشتراك المعنوي ويكون من قبيل المشكك لا المتواطئ لاختلاف الأديان، لأن الدين[1] لغة الطاعة والعبادة والجزاء وكل ما ورد به الشرع من العبادات وأما اصطلاحًا فهو ما ذكرناه.

وقال بعض العارفين هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود التي ما هو خير لهم بالذات أي موضوع وأحكام وضعها الله تعالى للعباد فرعية كالأعمال أو أصلية كالاعتقادات نحو إن الله قادر فخرج بالوضع الإلهي الأوضاعُ البشرية، نحو الرسوم السياسية والتدبيرات المعاشية والصناعية وخرج بقوله: سائق الأوضاع الإلهية غير السائقة كإنبات الأرض وإمطار السماء وخرج بقوله: لذوي العقول ما يسوقهم وغيرهم من الحيوانات كالأوضاع الطبيعية التي تهتدي بها الحيوانات لمنافعها ومضارها وخرج بالاختيار الأوضاع الإلهية الاتفاقية السائقة لا بالاختيار كالوُجْدانيات وخرج بالمحمود

[1] ينظر: «كتاب العين» للخليل بن أحمد (73/8).

الكفر، فإنه وضع إلهي عند من يقول بخلق أفعال العباد وسائق لذوي العقول باختيارهم لكن باختيار مذموم وبالذات متعلق بسائق يعني أن الوضع الإلهي بذاته سائق لأنه ما وضع إلا لذلك.

ومعنى كونه خيرًا بالذات أنه خير بالنظر إلى كل شيء فخرج صناعة الطب وفلاحة، فإنها وإن تعلقتا بالوضع الإلهي أعني تأثير الأجرام العلوية في السفلية وكانتا سائقتين لذوي الألباب باختيارهم المحمود إلى صنف من الخيرات فليستا تؤديانهم إلى الخير الذاتي التي هي السعادة الأبدية والقرب إلى خالق البَرِيَّة والخير والنفع الذي لا ضرر معه، هو حصول الشيء لما من شأنه أن يكون حاصلاً له ومناسبًا له، فالفرق بينه وبين الكمال اعتباري لأن الأصل المناسب من حيث أنه خارج من القوة إلى الفعل كمال ومن حيث إنه مؤثر خير،

وقد قال العارفون بالله تعالى: الدين الذي هو الإسلام أربعة لا بد منها: الصحة بالعقد والصدق بالقصد والوفاء بالعهد واجتناب الحد، أما الصحة بالعقد بالاعتقاد الصحيح السالم من التشبيه والتعطيل والتجسيم في صفات الله تعالى،

وأما الصدق بالقصد فالعبادات بالنية والعمل بالإخلاص وأما الوفاء بالعهد، فأداء الفرائض في أوقاتها وأما اجتناب الحد، فاجتناب محارم الله تعالى ويجمع هذا كلها، قوله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}.

(وينصر بهم كلمته) أي: شريعته التي قال فيها سبحانه {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا} الآية ومعنى النصر بهم أن الله يخلفه على أيديهم آخر الزمان وغير خاف على أحد ما فعله مسلمو العجم من التُرك والغُز والدَيلم وغيرهم من الكمالات التي ينتصر بها الشرع من جميع الدعائم الإسلامية وتحقيق المسائل العلمية وإتقان التصانيف الفقهية وتحرير المفردات العربية وحفظ المسائل السمعية والأحاديث المروية وتعظيم الشعائر الدينية هذا من علمائهم كما لا يخفى ما فعله أمراؤهم من بناء المساجد والحصون والفتحات العظيمة وسد الثغور وكثرة الرباط ودوام الغزو في سبيل الله فإنهم من

أواسط دولة العباسيين كثر الإسلام فيهم وصاروا هم القائمون بالجهاد يقتل مؤمنهم كافرهم ويؤدب صالحُهم فاجرَهم ولم يزالوا يفتحوا أرضهم بأنفسهم مع العرب ومنفردين عنهم بلدًا بلدًا حتى انحلت العرى من خلافة العبابسة واستبد بها الترك وهو صادق قول رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «اتركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطورا» رواه الطبراني[1] عن عبد الله بن مسعود، ومعنى الحديث أنه «صلى الله عليه وسلم» نهي عن الذهاب إلى بلادهم بنية الغزو «عليهم لما فيها من عظيم البرد وكبير المشقة ولصلابتهم وكثرتهم وعظيم بأسهم هكذا قال بعض المفسرين: وقال بعضهم لأنه «صلى الله عليه وسلم» أعلمه ربه أنهم سيؤمنون وسيقاتل بعضهم بعضًا حتى تكون أرضهم كلها إسلامًا فنهي العرب عن قتالهم[2].

قلت: ويظهر لي أنه «صلى الله عليه وسلم» لما علم أن الله سيخرج من نسلهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا كره قتالهم ونهي عنه كما كان يكره قتال العرب والدعاء «عليهم بالشر لما صح أنه لما أذاه ثقيف قال له أبو بكر ادع الله يهلكهم، فقال «صلى الله عليه وسلم»: «وما يدريك أن الله سيخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا» وفي رواية: «إني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم» [3] الحديث. والله أعلم.

عن الترك وأصلهم ومواطنهم:

وقوله: (أن أول من يَسْلِب أمتي ملكهم) المراد بأمته أمة النسب وهم العرب لا أمة الدعوة وهو من العام المراد به الخصوص وبنو قَنْطورًا، بقاف مفتوحة فنون ساكنة وإشباع المهملتين قصور على ما في البارع وفي المغرب للجوإلىقي: أنه ممدود اسم جارية لنبي الله إبراهيم الخليل «عليه الصلاة السلام وقيل: هي زوجته من الكنعانيين تزوجها بعد

[1] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (181/10 رقم 10389) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (312/7).

[2] ينظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للهروي القاري (3420/8).

[3] أخرجه البخاري (3231) ومسلم (1795) من حديث عائشة.

موت سارة أم إسحاق وهاجر أم إسماعيل فولدت منه وبارك الله في النسل فكثروا وهم الترك والديلم والغز وقيل: قنطورا اسم بلاد أهلها بنو عم يأجوج ومأجوج، كانت دون الشك وكانت قبله بينهم صلة فلما بني السد انقطعوا عن إخوانهم وكثروا أيضًا حتى أعمروا ما بين الخليج الرومي وطرف بلاد الشام إلى قطنورا وقيل: طلب أهل خرخير والصقالبة ومن في أحوازهم من الإسكندر أن يأمر أهل قنطورا، بالنقلة إلى داخل الصدفين ويضمهم إلى بني عمهم فرأى فيهم الخير، فقال: اتركوهم ولهذا سموا تركًا، قال معناه وبعضَ لفظه المناوي في شرح جامع الصغير[1].

قلت: وفيه نظر لأن الإسكندر لم يكن عربيًا وعلى أنه أمر بتركهم فقد أمر بلغته أو بلغة الطالبين وهم أيضًا ليسوا بعرب والظاهر أن تسميتهم بالترك مرتجلة ولا علة لها وقال القرطبي[2] الترك أمم لا يحصيها إلا الله.

وقال ابن دحية: خرج سبع عشرة وستمائة جيش منهم وهم الططار بالطاء ويقال بالتاء عظم منهم الخطب والخطر وقضى لهم في قتل الأنفس المؤمنة الوطر فقتلوا ما وراء النهر من إسلام العجم وكذا ما دونه من جميع بلدان خراسان ومحوا آثار ملك بني ساسان وكانت الترك في ذلك الزمان كافرين بالرحمن ويرون أن الخالق المصور هو النيران وملكهم يعرف بجِنْكِز خان وقد ظهر مصداق الخبر النبوي قاله الحافظ ابن حجر.

وروى أبو يعلى عن معاوية بن خديج قال: كنت عند معاوية بن أبي سفيان فأتاه كتاب عامله من شمال أرض الشام يقول فيه: إنه وقع «عليه من الترك فهزمهم فمدني بجيش لنجاهدهم.

---

[1] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، «التيسير بشرح الجامع الصغير» ، الطبعة: الثالثة، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، 1408هـ – 1988م، (24/1).

[2] ينظر: «تفسير القرطبي» (51/11).

فغضب معاوية ثم كتب إليه: لا تقاتلهم حتى يأتيك أمري أو يعجلوك، فإني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقول: «إن الترك تجلي العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح» [1] فأنا أكره قتالهم لذلك.

ثم بعد معاوية وابنه ومروان بن الحكم شرع ابنه عبد الملك وبنوه من بعده في القتال والغزو «عليهم وظفر الإسلام بهم بعد أن كان جانبهم مسدود القساوة قلوبهم وكثرة حروبهم وصارت أرضهم تنفتح له بالسيف شيئًا فشيئًا وكثر السبي منهم والإسلام وتنافس فيهم ملوك العرب لما فيهم من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم ثم غلب الأتراك على الملك، فقتلوا ابنه المتوكل، ثم أولاده واحد بعد واحد إلى أن استولوا على الملك وأحسنوا في الجهاد وفتح البلاد إلى أن وصلت الخلافة آل سلجوق، فخرج «عليهم في المائة الخامسة من الهجرة الغز، فخربوا البلاد وقتلوا العباد،

التتار وأخبارهم:

ثم جاءت الطامة الكبرى بالططار وكان خروج جنكز خان بعد الستمائة فأسعرت البلاد بهم نارًا سيما أرض المشرق، فما تركوا بلادًا من بلاد العجم إلا ملؤه شرًا، ثم كان خراب بغداد وقتل المُسْتَعصِم آخر خلفاء العباسيين بأيديهم سنة 656هـ، سنة ستة وخمسين وستمائة، واستبدوا بالخلافة ورأس الترك هم الططار ورأس الططار بيت آل عثمان قيل: إنهم من نسل عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك أنه لما قام العباسيون على بني أمية واعتصروا منهم الخلافة وأطلقوا فيهم السيف حتى لم يبق من بني أمية إلا رجلان بالمغرب واتصلا بالأندلس وآخر دخل بلاد العجم المغربي، فاتصل بالططار من بلاد الترك وأقام هنالك وتزوج ومات عن عقب تناسلوا وصاروا تركًا من جملة الططار لطول مدة العبابسة، فكان معتصر الخلافة من العبابسة واحدهم.

---

[1] رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (682/2).

وهذا غير بعيد لقوله «عليه الصلاة والسلام: «الأئمة من قريش» [1]، ثم إن الروم من النصارى تطاولت أيديهم القاصرة أوائل خلافة آل عثمان لتنافس وقع بين آل عثمان في الخلافة، فشغلوا عن الجهاد نحو عشرين سنة وملك الروم كل قرية وبلد على ساحل البحر الرومي والخليج الإسكندراني حتى استولوا على مصر والشام ومدائن كثيرة كانت إسلامًا من بلاد الترك، فأصلح الله من آل عثمان ذات بينهم وشرعوا في الجهاد وتوجهوا لكل ناحية بالخيل والرَّجْل حتى محقوا بالسيف أهل الكفر والعناد وقطعوا بالحق أسباب الجحود والفساد وفتحوا الشام فتحًا ثانيًا وكذا خراسان وما وراء البحيرة وأصبهان والقرى التي كانت على ساحل الخليج الإسكندراني والبحر الرومي والتي على ساحل بحر فارس ومصر وقطع الله دابر الروم فلم تبق إلا قسطنطينية العظمى وما وراءها إلى المغرب إلى بلاد الأندلس فإنهم وقتئذٍ إسلام.

العثمانيون وفتح القسطنطينية:

ثم لم يزل آل عثمان يحاربون أهل قسطنطينية ويشنون الغارة «عليهم ليلاً ونهارًا ويحاصرونها آصالاً وأبكارًا حتى جاء وعد الله بصدق رسوله الأمين، فأقبل النصر والفتح المبين على السلطان أبي عبد الله محمد الغازي أبي الفتوحات والمقارن ابن السلطان مراد خان بن محمد خان بن يلدوم بايزيد خان، بن مراد الشهيد خان بن أرخان خان، بن عثمان الغازي خان رحمه الله ورحم آباءه وأدام «عليهم رحمته وآلائه وأفاض على رياض قبورهم من كل سحب ماءه ووافق فتحه إياها بفضل الله صبيحة يوم الأربعاء لإحدى وعشرين خلت من ربيع الأول سنة 857 سبع وخمسين وثمانمائة وأرخ فتحها مؤرخون كثيرون من علماء العرب والعجم، وأحسن ما سمع من تواريخها تاريخ العلامة النحوي الأديب الشاعر البارع مولى حسن الإدرنثي العجمي الذاتي والنجار العربي القلم والفصاحة والاستبصار فإنه قال أحسن ما يقال في تاريخها بلدة طيبة، قال بعض الظرفاء: لا عجب

---

[1] صححه الحاكم في المستدرك (85/4).

أن يكون الأحسن من حسن وقد كان هذا المؤرخ [1] فقيهًا عالمًا نحويًا عارفًا شاعرًا أديبًا ينظم الشعر البليغ من كلام العرب خالصًا ومن كلام العجم خالصًا ومن الممزوج بينهما فمن شعر كلام العرب قوله:

كان اجتماع الناس فيما مضى *** يورث البهجة والسلـــــوة

فانقلب الأمر إلى ضـــــــده *** فصارت السلوة في الخلوة [2]

وهذا معنى غريب في أسلوب عجيب تعجز عنه في عصره علماء العرب وشعراؤهم لما فيه من الانسجام والحكمة الصادقة في هذا النظام فضلاً عنه أعجمي ولد ببلاد العجم وتعلم العلم فيها واللغة وطال باعه وامتد ذراعه إلى مثل هذا رحمه الله وغفر لنا وله.

ومن كلامه في الشعر الأعجمي الخالص بلسان فارس قوله:

أكران تركي شيرازي *** بدست آزدد ليمارا

يخإلى هنديش يخشم *** سمرقند بخارا [3]

ومعناه: لو كان هذا التركي الغلام الشيرازي الآخذ بقلبي أعطيه بخاله الأسود سمرقند وبخارى وسار البيتين بين الرواة والحفاظ يتمالحون بهما حتى بلغا السلطان مراد خان فأمر بإحضاره، فلما وقف بين يديه قال له ما معناه: يا جاهل الخوجات تعطي مدينتين عظيمتين قل نظيرهما في المملكة بخال أسود في وجنة غلام شيرازي، فأجابه بما معناه: يا سيدي قد حرف الرواة ولم أقل هذا، قال السلطان: وما الذي قلت: فقال قلت:

---

[1] هو عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل بن الحكم بن شيرزاد بن ابي طلحة الداوودي، كان من كبار الائمة في معرفة المذهب له حفظ من النثر والنظم اخد الفقه عن الشيخ القفال المروزي اشتغل بالتدريس والفتوى في بوشنج توفي سنة 467هـ. ينظرالى: النهلوي منصور بن غلام: رواة الحديث بخرسان في القرن 5هـ، رسالة لنية درجة الدكتوراه، جامعة ام القرى، قسم الكتاب والسنة، (1423هـ.1424هـ)، (414/1). وينظر ايضا الى: الواقدي: الوافي بالوفيات، (410/3).وينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، (18/-221-222).

[2] كَانَ إجْتِمَاعُ النَّاسِ فِيمَا مَضَى ... يُورِثُ لِلْبَهْجَةِ وَالسَّلْوَةْ

فَانْقَلَبَ الأَمْرُ إِلَى ضِدِّهِ ... فَصَارَت السَّلْوَةُ فِي الْخَلْوَةْ

الابيات للداوودي وهيمن البحر السريع. ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، (221/18).

[3] الأبيات الثلاثة باللغة الايرانية ولم استطع الوقوف على شكلها.

أكره أن تركي شيرازي *** بدست ازدد ليمارا

بخإلى هنديش بخشم *** سمرقندي دخارارا

فاستحسن السلطان انفصاله وأدبه وعظيم فطنته وأمر بإكرامه والخلع «عليه ومعنى سر ثلاثة ومن اسم الرطل وقند اسم السكر، معروف ود معناه اثنان وخارا معناه ثياب ورا معناه ملك، بضم الميم وسكون اللام فصار المعنى لو كان هذا الغلام التركي الشيرازي الآخذ قلبي بيده نعطيه بخاله الأسود ثلاثة أرطال سكر واثنين من ثياب ملوكية وهذا كان منه أيام الصبا وإلا فقد رجع إلى الله واشتغل بما يعنيه وأخذ من العلم طرفًا واسعًا وزينه بالعمل وظهرت «عليه أواخر عمره أمارات الخير والصلاح وتولي القضاء ببلده أدرنة، قاله الجد في رحلته ومن شعره الممزوج قوله:

أبا عبد الإله أيا بلِنتُ *** لمثلكم السلام يخص هرتُ

سأحلف بالمهيمن جورمنت *** لقد أصبحت روح النصح بسرت

أقول وإن غدوت خليف شجو *** أسيرشا سقيم العين طرتُ

جعل رحمه الله أواخر الضروب الأولى والقوافي باللسان الرومي وما جعل فيها عربيًا إلا سَلَوت وقد بينت معانيها بالكتابة «عليها وكان رحمه الله ينظم الشعر ويجيده بكل لغة مات رحمه الله لخمسة أيام مضت من صفر سنة 885 خمس وثمانين وثمانمائة، آيبًا من حجة في دمشق ودفن بها.

«ويطردون العرب» وهم بنو جدهم بن قحطان بن عابد بن شالخ بن أرفخشند بن سام بن نوح.

وقَحْطَان هو أبو اليمن كلهم وإليه يرجع نسبهم وبعض إلىمن يقول: قَحْطَان من ولد إسماعيل ويقول إسماعيل هو أبو العرب كلها وقال ابن إسحاق: جدهم بن يقطن بن عبيد بن شالخ وقحطان بن عبيد بن شالخ وعاد بن عوص بن زارم بن سام بن نوح وثمود وجد يسر ابنا علاثر ابن إرم بن سام بن نوح هكذا الرواية عاثي بالمهملة والمثلثة.

ويروى غاثر وعيبر بالمهملة والتحتية قبل الموحدة بلا خلاف كعاد وعوص وأما جدهم وجد، فبالجيم بلا خلاف، وأما عملاق وطسم وأميم ويقال أمِّيم بالفتح والكسر وتشديد الميم والتخفيف أشهر فهم بنو الأوذ بن سام بن نوح ويقال في عملاق عمليق وهؤلاء كلهم عرب والعرب كلهم من هذه الأصول، ثم تفرعوا فرقًا كثيرة، أعظمها قُضَّاعة وهم بنو قُضَّاعة بن مَعْد كان بكر أبيه وبه يكنى فيقال لمعد يا أبا قُضَّاعة وهذه القبيلة على عظمتها تيامنت إلى حَمْير بفتح التحتية بعد ميم ساكنة وهي تنسب إلى حمير بن سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان.

قال ابن هشام[1]: وقالت إليمن قضاعة بن مالك بن حمير بن مالك بن حمير وقال عمرو بن مرة الجهيني: أننا نرجع نسبًا إلى قضاعة فإن جهينة بن زيد بن ليث بن سوم بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وأنشد:

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر *** قضاعة بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكر.[2]

تنبيهات:

الأول: عمرو بن مرة[3]، هذا صحابي رضي الله عنه، روي عنه حديثان سمعهما من رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ويكنى أبا مريم والحديثان اللذان رويا عنه أحدهما في أعلام النبوة والآخر «من ولي أمر الناس فسد بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة» ولم تثبت رواية حديث عند غير هذين فقط.

---

[1] ينظر: الحميري عبد الملك ابن هشام: سيرة ابن هشام، مصدر سابق، (10/1).

[2] نَحْنُ بَنُو الشّيْخِ الْهِجَانِ الْأَزْهَرَ ... قُضَاعَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ حِمْيَر
النّسَبِ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُنْكَرِ ... فِي الْحَجَرِ .ينظر :مصدر نفسه (11/1).

[3] ينظر: البغدادي ابن سعد: طبقات ابن سعد، مصدر سابق، (347/4).

الثاني: علم مما قررنا أن العرب بنو جرهم المذكور هم الذين بعث الله فيهم منهم هُودًا وصالحًا وشُعَيبًا على نبينا و» عليهم الصلاة والسلام في أعصار مختلفة وأما العرب الذين بعث منها نبينا وسيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» فمن ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل من غير شك لكثرة النصوص الواردة في ذلك وبه تعلم أن العرب عربان بنو جرهم وبنو إسماعيل وفروع الكل باقية إلى إليوم واسم العرب جامع للكل ولولا الإطالة لبسطنا القول في كل قبيلة إلى حيث ينتهي بما علمناه والله أعلم.

((إلى منابت))[1] جَمْعُ مَنْبِت وهو محل النبات كالمساكن جمع مَسْكَن وهو محل السُّكْنى.

((الشِّيْح))[2] هو جنسان عربي ورومي أحدهما شاي سروي الورق أجوف العود والآخر طرفاوي الورق وقد يوجد له صنف آخر يسمى سارقون وهو الأرمني الأصفر قال الحكيم الفاضل ديسقوريدوس: من الناس من يسميه ساريقون وهو الشِّيْحُ المعروف وكله لا ينبت إلا في الجبال والصحراء البعيدة من العُمْران، رقيق الورق مُغْبَرُّ اللَّون بين خضرة وبياض شديد المرارة كثير البزور رقيق الأغصان، يتولد في أغصانه آخر الصيف شيء أبيض في لون القطن ولينه مثل حبة الزيتون في الشكل ولبه أخضر، فإذا جفَّ وأوري به الزَّنْد علق فيه الشر وأسرع من الكبريت وبادية الصحراء لا يورى لهم زند إلا به والشِّيْحُ كله حار في الثانية يابس.

ومن خواصه في الطِّبِّ أنه مقطع محلل الرياح وفيه قبض غير كثير وفيه تسخين قوي المرارة وفيه ملوحة ورماده بالزيت طلاء نافع من داء الثعلب وهو سقوط الشعر من

---

[1] ينظر: الازهري: تهذيب اللغة، (14/ 216).

[2] هو نبات اخضر اللون له استعمالات علاجية كثيرة اهمها التبخر به في حالة نزلات الالانفلونزا ينظر الى: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (1/ 379).

محله بحيث يظن الناظر أن ذلك المحل أبدًا ما نبت فيه شعر وسمي داء الثعلب[1]، لأنها كثيرًا ما تبتلي به ودُهْنُ الشِّيح يُنبِت اللِّحْيَةَ المتباطئة النبات ووضع ورقه مدقوقًا على الأورام والدماميل مُسكِّنٌ لوجعها ويُكمد بمائه العين الرمدة في قطنة فيحلل الرمد الجديد ويخرج الديدان من الجوف وحب القرع[2] ويدر الطمث[3] والبول ودهنه ينفع من برد النابض وينفع أكله لمسلوع العقرب والرثيلاء وأكل السموم[4] القتالة، لكنه إذا تكرر أكلك للشيح أضر بمعدتك.

((والقَيْسُوم)) [5] هو شجر أطولُ من الشِّيح، لأن الشِّيح لا يجاوز كبيره أنصاف الساقين للماشي بين شجره والقيسوم يصل الركبة وهو أيضًا لا ينبت إلا في الجبال البعيدة من البحر وفي الصحراء البعيدة من العمران ولهذا قال «عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إِلى منابتِ الشِّيْحِ والقَيْسُومِ» [6] ليعرف السامعين أن العجم تطول أيديهم في آخر الزمان ويملكون البلاد ناصرين لدين الله وشرعه، حتى إنهم يطردون العرب عن محل العمران إلى منابت الشيح والقيسوم وقد كان ذلك كذلك قصد الله ورسوله كعادته في جميع ما أخبر عنه «صلى الله عليه وسلم»، من المُغيّبات، فكانت على ما قاله «صلى الله عليه

---

[1] هو مرض جلدي يصيب بصيلات الشعر يظهر بشكل مفاجئ يؤدي الى سقوط الشعر في اماكن دون الاخرى من اهم اسبا ظهوره هو سوء الحالة النفسية للمريض به. ينظر الى: ابن منظور: لسان العرب، (1/ 238).

[2] ينظر: ابن دريد: جمهرة اللغة، (2/ 769).

[3] ينظر: ابن الاثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، مصدر سابق، (3/ 138).

[4] ينظر: «الطراز الأول والكناز لما «عليه من لغة العرب المعول» لابن معصوم(5/ 170).

[5] ويسمى ايضا ريحان الارض وهي نبتة تستعمل في علاج امراض كثيرة منها القلون العصبي والاضطرابات المعدية.ينظر: ابن منظور: لسان العرب» ، (12/ 486).

[6] ينظر: «دلائل النبوة» للمستغفري (1/ 404).

وسلم» عيانًا لله سبحانه الحمدُ وقد جاء في فضائل الروم أثر منها: ما رواه الحارث[1] عن ابن مجبرين[2] كما في الجامع الصغير[3]: «فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبدًا والروم ذات القرون كلما هلك قرنٌ خلَّفه قرنٌ، أهل صبرٍ وأهله لآخر الدهر هم أصحابكم ما دام في العيش خير» [4].

وقد قال «صلى الله عليه وسلم» هذا والروم تحت فارس ولا قدرة للروم على حرابة فارس وصدقه الله تعالى حتى ما كانت نطحة ونطحتان إذْ فُتِحَتْ أرضُ فارس للإسلام [ق/336] وفُتِحت له أيضًا بلادُ الرُّوم وصار الخليفة في بلاد الرُّوم واضمحلت مملكة فارس حتى صار يُتعيَّن أميرُها من دار الخلافة في بلاد الرُّوم ولقد صدق الله وعده وصدق عبده وانتصر للضعيف فجار منه القوي وأن الله على كل شيء قدير.

تنبيهات:

أحدها يجب على كل مكلَّف أن يعتقد أن الله تعالى هو المختص بعلم الغيب[5]، [ص/139أ] وأن ما حصل لرسوله وأوليائه منه، فهو إما بوحي من الله أو إلهام وباستثناء في قوله تعالى: {فلا يظهر على غيبه أحدا} الآية متصل كما هو الأصل وذِكْرُ الرسول للاختصاص بل لأن كرامته لأولياء من أتباعه من جملة كراماته ومعجزاته.وفي الحديث: «إِنِّي لا أَعْلَمُ إِلَّا ما عَلَّمَنِي رَبِّي» [6].

---

[1] هو أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة، المتوفى سنة 282هـ، ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، مصدر سابق، (731/6).

[2] هو الإمام الفقيه القدوة الرباني، عبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب القرشي الجمحي أبو محيريز المكي ولد بالشام وكان يتيما فعاش في كنف زوج امه عاش ابن محيريز حياته متعبدًا في الشام، حتى مات في خلافة الوليد بن عبد الملك، ينظر: الأزهري: تهذيب التهذيب، (6/23). وينظر ايضا الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، (495/4).

[3] ينظر: «الجامع الصغير» للسيوطي(5832).

[4] رواه الحارث في مسنده (702) وضعفه الألباني انظر حديث رقم(3954) في «ضعيف الجامع» .

[5] كما جاء في قوله تعالى {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}.

[6] ينظر: «دلائل النبوة» لإسماعيل لأصبهاني (ص: 137).

ثانيهما: قد ثبت بإجماع الأمة كثرةُ ما أخبر به نبينا «صلى الله عليه وسلم» من المُغيّبات وصِدْقُه فيها، ففي القرآن منها ما لا يحيط به حدٌّ.

وخبرِ الطبراني: «أَنَّ اللهَ قدْ رَفَع لِي الدُّنْيا وأَنَا أَنْظُرُ إليها وإِلَى ما هُوَ كَائِنٌ فِيهَا إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، كَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي هَذَا» [1] وخبرِ أبي داود[2]: «قام فينا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» مقامًا فما ترى شيئًا إلى قيام الساعة إلا حدَّثنا به» [3] وفي الحديث الصحيح: «فعَلِمْتُ عِلْمَ الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ» وقد صح أنه «صلى الله عليه وسلم» أخبر بموت النَّجاشِيِّ يوم موته بالحبشة وصلى «عليه بأصحابه[4] وأنه وأبا بكر وعمر وعثمان وعلنا صعدوا أحدًا فتحرك فضربه برجله وقال له: «اثْبُتْ أُحُدُ، فإِنَّ علىكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وشهيدٌ» [5] فاستشهد الثلاثة. وفي رواية بإسقاط على «وشهيدان» [6].

وأن مَلِكَ كِسْرى[7] وقَيْصَر[8] ينقطع بعده من العِرَاقِ والشَّام[9] وكان كذلك في زمن عمر وأنه قال لسُرَاقَةَ[10]: «كيفَ بكَ إِنْ لبستَ سُوارَ كِسْرى» فألبسها عمر له[11]، لما زال مُلْكُ كِسْرى في زمنه بالفتح، تحقيقًا وتصديقًا لخبر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأخبر

---

[1] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (14112)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (8/ 287): «رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف كثير في سعيد بن سنان» .

[2] رواه أبو داود (4240).

[3] أخرجه البخاري (6604)،ومسلم (2891).

[4] ينظر صحيح البخاري (1245).

[5] رواه الطيالسي في مسنده (2097).

(6)أخرجه البخاري (3675).

[7] ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير(4/ 173).

[8] ينظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري(2/ 795).

[9] ينظر البخاري (3027) ومسلم (2918).

[10] سراقة بن مالك بن جعشم، الكنانى ثم المدلجى، أبو سفيان، أسلم بعد حصار الطائف، ينظر: تهذيب التهذيب (456/3).

[11] رواه البيهقي: دلائل النبوة، (13036).

عمر العباس بما تركه بمَكَّةَ من المال عند زوجته ولم يطلع «عليه أحد غيرها وأخبر بكتاب حاطب إلى أهل مكة[1] وبموضع ناقته حين خلت وتعلقت بخطامها في الشجرة[2] وبأن قريشًا بعد الأحزاب لا يغزونه[3] وباستشهاد أمير الجيش الذي أرسله إلى بلد بأرض الشام يوم قَتْلِهِمْ زيد بن حارثة، فجعفر بن أبي طالب، فعبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنهم[4] وبأن بنته فاطمة رضي الله عنها تكون أول الناس لحوقًا به[5]، فعاشت بعده ثمانية أشهر أوستة على خلاف في ذلك بين المؤرخين.

وبأن أشقى الأولين والآخرين قاتل على رضي الله عن على: «يضربُه في يافوغه فتَبْتَلَّ مِن دَمِها لِحْيَتُه» [6]

فضربه الشقي عبد الرحمن بن ملجم[7] ضربة كذلك ومات منها[8].

وبأن معاوية رضي الله عنه يلي أمر أمته وبأنه أمير. رواهما ابن عساكر.

وبأن عثمان يقتل ظلمًا[9] ورواية: «تُقْتَلُ وأنتَ تقرأُ البَقَرَةَ فتقعُ نقطةً مِن دَمِكَ عَلَى {فسيكفيكهم الله} [1]. موضوعة. وأما حديث شهيد الدار يقتله قومه فصحيح.

---

[1] أخرجه البخاري (3007) ومسلم (2494).

[2] أخرجه البخاري (3007) ومسلم (2494).

[3] ينظر صحيح البخاري (4109).

[4] ينظر: صحيح البخاري (3757).

[5] ينظر: صحيح البخاري (3623) ومسلم (2450).

[6] ينظر: مسند أحمد (703) وقد صححه الحاكم في مستدركه(4687).

[7]عبد الرحمن بن ملجم المرادي، ذاك المعثر الخارجي، قاتل على رضي الله عنه، قبحه الله، ينظر: ميزان الاعتدال (2/ 592).

[8] هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،. ينظر: الطبري أبو جعفر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري» ، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، ط2، دار التراث – بيروت– 1387 هـ (5/ 143).

[9] ينظر: صحيح البخاري (3674).

وبوقعة الحرة[2] من عسكر يزيد[3] -عامله الله بعدله- بالمدينة، فأُبِيحَتْ نفوسٌ بأهلها وأبضاعهم وأموالهم وقُتل نحو سبعمائة يقرءون القرآن منهم ثلاثمائة صحابي وافتضت فيها نحو ألف عذراء فكان ذلك كذلك وصدق الله رسوله.

وبوقعة الجمل وقتال عائشة والزبير لعلى[4] ولذلك قال على للزبير رضي الله عنهما لما برز له يومئذ: «أنشدك اللهَ، هل سمعتَ رسولَ الله «صلى الله عليه وسلم» ونحن على بِئْرِ ذي طُوَى يقول لك: تقاتله وأنت ظالمٌ له» فانصرف الزبير وقال: بلى ولكن نسيت وانصرف غير مقاتل[5] وما لبعض المؤرخين من قول عبد الله بن الزبير لأبيه لما رأيت رحى الأعنة وبريق الأسنة من بني هاشم صرت تقول: ذكرني حديثًا سمعته إلخ.

وأن الزبير عاد للقتال كذبٌ لا أصل له[6]. قال ابن حجر[7]: وقد يشكل الوصف بالظلم مع أن الزبير مجتهد فغايته أنه مخطئ، فيكون له أجرٌ بنصِّ الحديث الصحيح.

ويجاب بأن أصل أو معنى الظلم وضع الشيء في غير محله وإن لم يكن فيه إثم، فالمراد وأنت قد وضعت القتال في غير محلِّه خطأً منك لا تعمدًا، أوأنت له ظالم حقيقةً ولو نظرت في الدليل حق النظر.

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك (4613).

[2] ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، (2/ 585).

[3] يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى، أبو خالد ويَزِيْدُ مِمَّنْ لاَ نَسُبُّهُ وَلاَ نُحِبُّهُ، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(35/4).

[4] ينظر الى: الشيباني العصفري أبو عمرو خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، المحقق: د. أكرم ضياء العمري، ط 2، دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت 1397هـ، (ص: 181).

[5] سقطت من النسخة ب.

[6] جاءت في النسخة ب (لهم).

[7] هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن محمود بن أحمد بن أحمد بن الكناني العسقلاني ثم المصري الشافع ولد 773هـ في مصر لقب بامير المؤمنين في الحديث النبويمن مؤلفات: «الاصابة في تمييز الصحابة» و» فتح الباري شرح صحيح مسلم» . للمزيد ينظر الى: مقدمة كتاب: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح مسلم، تح: عبد العزيزبن عبد الله، د ط، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ،

وبقوله «صلى الله عليه وسلم» في الحسن[1]: «إِنَّ ابْنِي هذا سيِّدٌ وسيُصْلِحُ اللهُ به بين فِئَتَيْنِ عظيمتَيْنِ مِن المسلمين» [2] فكان ذلك كذلك، فإنه بُويع بعد أبيه فمكث خليفةً ستة أشهر ثم سار لمعاوية في أربعين ألفًا، فلما تراء الجمعان علم كثرة الفريقين وأنه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر، فرقَّ على المسلمين ورحمهم ورفض المُلْك في حب ذلك ابتغاءَ مرضات الله كما جاء عنه كرم الله وجهه، ثم أرسل لمعاوية يشترط «عليه شروطًا وينزل له عن المُلْك، فتلقاها معاوية منه بالقبول وصار معاوية يومئذ خليفةً حقيقةً[3].

وأخبر أيضًا «صلى الله عليه وسلم» بقتل الحسين كرم الله وجهه بالطف وأخرج بيده الكريمة تربةً وقال فيها مضجعه [4]. وصح استأذن ملك المطر ربه أن يزور النبي «صلى الله عليه وسلم» فأذن له وكان في يوم أم سلمة، فجاء الحسين فاقتحمه فقبله النبي «صلى الله عليه وسلم» فقال له: أتحبه، قال نعم، قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت لآتيك المكان الذي يقتل فيه، فآراه ترابًا أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها[5]. قال راويه أو رواته: كنا نقول إنه كربلاء[6] وفي رواية: إنه قال لها: إذا صار دمًا فاعلمي أنه قد قتل.

وأخبر ابن عمر أنه سيعمى إلى أي جبريل معه في صورة رجل.

وأخبر أم عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أنها ستلده وأنه أبو الخلفاء وبأن منهم السفاح والمهدي[7].

---

[1] هو الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنهما.

[2] أخرجه البخاري (3629).

[3] أخرجه البخاري (2704).

[4] ينظر: البيهقي: دلائل النبوة، (6/ 469).

[5] ينظر: البيهقي: دلائل النبوة، (6/ 470).

[6] ينظر: البيهقي: دلائل النبوة، (6/ 469).

[7] ينظر: المعجم الأوسط (9250).

وأخبر أن الترك تتغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت الشِّيْح والقَيْسُوم[1].

وبقوله: «يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَضْرِبُوا أَكْبادَ الإِبِلِ فلا يَجِدُونَ عالمًا أَعْلَمَ مِن عَالِمِ المَدِينَةِ» [2]، قال ابن عيينة[3] وغيره: هو مالك بن أنس[4] بلا شك ومِن ثَمَّ كان الناس يزدحمون على باب داره حتى مات بعضهم بالفعل لعظيم الازدحام وممن روى عنه من الأكابر الزهري[5] وسفيان الثوري[6] والأوزاعي[7] إمام أهل الشام والشافعي[8] الإمام المعروف والليث[9] إمام أهل مصر وأبو حنيفة[1] الإمام الأعظم في العراق وصاحباه أبو يوسف

---

[1] ينظر: «دلائل النبوة» للمستغفري (1/ 404).

[2] ينظر: مسند أحمد (7980).

[3] سفيان بن عيينة بن أبى عمران: ميمون الهلالى، أبو محمد الكوفى، المكى، مولى محمد بن مزاحم، أحد الأئمة الأعلام، ينظر «تهذيب التهذيب» لابن حجر(120/11).

[4] مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو الأصبحى الحميرى، أبو عبد الله المدنى الفقيه، شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (8/ 48).

[5] هو الفقيه الحافظ المتقن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشى الزهرى، أبو بكر المدنى ولد سنة 58ه كان تلميذا لمالك ابن انس توفي سنة 124هـ.، ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، مصدر سابق، (499/3).وينظر ايضا الى: الذهبي سيرة اعلام النبلاء، (327/5).

[6] هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى، أبو عبد الله الكوفى، الإمام الحافظ الحجة الثقة فقيه كوفي وزهد بها ومن ائمة الحديث فيهاولد سنة 97ه تولى القضاء بطلب من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور توفي سنة 161ه. ينظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، (114/4).وينظر ايضا الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، (230/7).

[7] هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبى عمرو: يحمد الشامى الدمشقى، أبو عمرو الأوزاعى (إمام أهل الشام فى زمانه فى الحديث و الفقه، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (7/ 107).

[8] هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشى المطلبى، أبو عبد الله الشافعى المكى، نزيل مصر إمام عصره و فريد دهره، ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، (146/5).

[9] النعمان بن ثابت التيمى أبو حنيفة الكوفى الإمام، مولى بنى تيم الله بن ثعلبة، فقيه أهل العراق و قيل أنه من أبناء فارس، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(390/6).

[2] ومحمد[3] وهما المعروفان بالإمامين وذو النون المصري[4] والفضيل[5] وابن المبارك[6] وابن أدهم[7] رحمهم الله تعالى ورضي الله عنهم.

وأخبر «صلى الله عليه وسلم» بعالم قريش وبأنه يحلل الطباق علمًا، قال الإمام أحمد وغيره، نراه الشافعي، لأنه لم ينشر في طباق الأرض لقرشي صحابي أو غيره ما انتشر للشافعي وأما ما انتشر لعلى وابن عباس ونحوهما، فمسائل قليلة جدًا، كما يعلم ذلك من تبع سير كلامهم واطلع «عليه وزعم الساعاتي أن الحديث موضوع تهور منه وإنما فيه بعض ضعف ذكر وله شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه في كتاب مستقل.

وأخبر «صلى الله عليه وسلم» بالخوارج الذين يخرجون على على كرم الله وجهه وأن فيهم رجلاً أسود أدنى عضديه مثل ثدي المرأة فقاتلهم على[8] وأخرج ذلك الرجل حتى رآه الناس عيانًا بالوصف الذي وصفه به رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأخبر بالرافضة

---

[1] القاضي أبو يوسف، هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاريُّ، أحد أصحاب أبو حنيفة المقدمين ولي القضاء لهارون الرشيد، ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (4/ 1021).

[2] محمد بن الحَسَن بن فرقد الشَّيْبانيّ مولاهم الكوفيُّ الفقيه العلامة، مفتي العراقين، أبو عبد الله، ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (4/ 954).

[3] ذو النُّون المِصْريُّ الزّاهد، رحمةُ الله «عليه. اسمه ثوبان بن إبراهيم ويقال: الفيض بن أحمد ويقال: ابن إبراهيم أبو الفَيْض ويقال: أبو الفيّاض الإخميميّ، ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (5/ 1136).

[4] ذو النُّون المِصْريُّ الزّاهد، رحمةُ الله «عليه. اسمه ثوبان بن إبراهيم ويقال: الفيض بن أحمد ويقال: ابن إبراهيم أبو الفَيْض ويقال: أبو الفيّاض الإخميميّ، ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (5/ 1136).

[5] الفضيل بن عِيَاض بن مَسْعُود بن بشر أَبُو على الإِمَام الرباني التَّمِيمِي اليربُوعي الزَّاهِد أحد صلحاء الدُّنْيَا وعبادها، ينظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» عَبْد القَادِر القُرَشي (1/ 409).

[6] عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزى (أحد الأئمة الأعلام و حفاظ الإسلام، «تهذيب التهذيب» لابن حجر (5 / 386).

[7] إِبْرَاهِيْمُ بنُ أَدْهَمَ بنِ مَنْصُوْرِ بنِ يَزِيْدَ بنِ جَابِرٍ العِجْلِيُّ، القُدْوَةُ، الإِمَامُ، العَارِفُ، سَيِّدُ الزُّهَّادِ، أَبُو إِسْحَاقَ العِجْلِيُّ - وَقِيْلَ: التَّمِيْمِيُّ - الخُرَاسَانِيُّ، البَلْخِيُّ، نَزِيْلُ الشَّامِ، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (7/ 387).

[8] ينظر: «دلائل النبوة» لإسماعيل لأصبهاني (ص: 116).

الذين يرفضون الإسلام[1] وبالقدرية[2] والمرجية[3] وأن أمته ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة وبأنها كلها في النار إلا الفرقة التي كانت على ما كان «عليه هو وأصحابه[4] وهم الطائفة الذين أخبر عنهم بأنهم [ق/341]» لا يَزَالُونَ على الحقِّ حتى لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» [5] أي قربه بقليل.

((رواه غير واحد)) يعني جماعة وهي صادقة باثنين لأنهما غير واحد. ((من)) العلماء.((المحدثين)) عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ما قاله وهم طائفة من المؤمنين استقلوا بنقل الحديث عن العدول(6) والثقات من السامعين عن مثلهم بخلاف الفقهاء، فإنهم طائفة استقلوا بمعرفة الشرائع والأحكام في العبادات وغيرها وفرقوا بين الحلال والحرام بالفقه الذي هو علم بأصول تعرف بها المسائل الشرعية بطريق الاجتهاد، ومن الرواة لهذا الحديث ابن خزيمة[7] في صحيحه عن عاصم بن محمد[8] عن أبيه[9]

---

[1] ينظر: «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري(ص: 16).

[2] ينظر: العمراني أبو الحسين يحيى: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تح: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط 1، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م، (1/ 68).

[3] ينظر: «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (ص: 132).

[4] ينظر سنن الترمذي (2641).

[5] ينظر: صحيح البخاري (71).

[6] ينظر الى: أبو الفضل زين الدين العراقي: شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي، تح: عبد اللطيف الهميم – ماهر ياسين فحل، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،1423 هـ - 2002 م،ق (1/ 327).

[7] الحافظ الكبير، الإمام، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابور، صاحب الصحيح، ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي(7/ 243).

[8]عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمرى المدنى، من كبار أتباع التابعين، احْتَجَّ بِهِ: أَرْبَابُ الصِّحَاحِ،ينظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، (57/5).

[9] هو مُحَمَّدُ بنُ زَيْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أَبُو عَاصِمٍ العَدَوِيُّ.

محمد بن زيد، عن جده عبد الله بن عمرو، رواه أبو عبيد القاسم بن سلام[1] في كتاب إزالة الريب بأخبار الغيب. ((ونقله)) العلامة برهان الدين إبراهيم بن على[2]، ((بن فرحون)) وبه شُهر، المالكي المدني الأصل نزيل الأندلس المتوفى سنة 899 تسعة وتسعين وثمانمائة في تاريخه المشهور، الذي بدأه من زمن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» والخلفاء، ثم من بعدهم من الملوك وما وقع لكل منهم من غزو أو حرب أو فتح والعلماء وما أخذ فقيه عن فقيه ومحدث عن محدث ومفسر عن مفسر قرنًا بعد قرن إلى زمنه ولا يدع فيه واقعة ولا بحثًا بين الأئمة إلا ذكره فيه ولا حديث غريب[3] إلا جلبه، كان رحمه الله فقيهًا عالمًا ورعًا حافظًا نسابًا ولم يوجد في القرن التاسع أحفظ ولا أكثر تحريرًا للنقل منه، إلا أن ما ينسب إليه من التعريف بنسب الإشراف بالمغرب وذكر القبائل وتفريق أولاد المولى إدريس الأصغر بالمغرب. وقوله: بنو كذا أشراف وبنو كذا في جبل كذا أشراف إلى غير ذلك غير مرضي، لأن لفظة: بنو كذا منها ما جمع مدلوله نحو الثلاثة الأب وأكثر بحيث يستفنده العقل جدًا، حتى إنه لو تتبع ذلك عنه لوجد غالب أهل المغرب شريفًا ولعله وجد ذلك في خزائن بعض من يظن فيه الخير فصدقه وأيضًا فإن النسخ المنسوبة إليه في هذا الباب أعني في أنساب الأشراف، كلها متضادة الخطب والعبارات والتقديم والتأخير والله أعلم بحقيقة الأمر ولا يبعد أن يكون ذلك منسوبًا إليه زورًا، لأنه كان رحمه الله عارفًا حافظًا جليلاً عدلاً زكيًا ومن وقف على تإلىفه كتاريخ هذا المشار إليه ونوازله في الفقه وسيرته المعروفة وشروحه لمؤلفات عديدة في الفقه والحديث، عَلِمَ ضرورةً بُعْدَ هذا التنسيب عنه والله أعلم.

---

[1] القاسم بن سلام البغدادى الهروى، أبو عبيد الفقيه القاضى الأديب الإمام المشهور، صاحب التصانيف المشهورة، «سير أعلام النبلاء» للذهبي(10/490).

[2] ينظر الى: المكي محمد بن أحمد، تقي الدين، المكي: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد» ،تح: كمال يوسف الحوت،، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، (1/ 435).

[3] ينظر : «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للسخاوي(4/ 3).

((و)) نقله أيضًا أبو السعادة[1] مبارك بن محمد ((بن الأثير)) وبه شهر الجزري الشافعي المتوفى سنة 606 ستة وستمائة كان من أجلة العلماء وأهل الحديث حافظ عصره وقد نقله في كتابه المسمى بجامع الأصول لأحاديث الرسول وسميته مؤرخًا لاشتهاره بتاريخها الذي لا نظير له في الأرض ولا بهذا الحديث، لم يذكره في تاريخه وإنما ذكره في جامع الأصول المذكور وهو كتاب لم يُسْبَقْ إلى مثله أوله: الحمد لله الذي أوضح لمعالم الإسلام سبيلاً الخ، ذكر أن مبنى الكتاب على ثلاثة أركان: الأول: في المباني والثاني: في المقاصد والثالث: في الخواتم، وأورد في الركن الأول مقدمة وأربعة فصول وذكر في المقدمة: أن علوم الشريعة تنقسم إلى فرض ونفل والفرض إلى: فرض عين وفرض كفاية وأن من أصول فروض الكفاية علم أحاديث الرسول «عليه الصلاة والسلام وأثر الصحابة التي هي ثاني أدلة الأحكام ولـه أصول وأحكام وقواعد واصطلاحات، ذكرها العلماء يحتاج طالبها إلى معرفتها كالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأعمارهم ووقت وفاتهم والعلم بصفات الرواة وشرائطهم التي يجوز معها قبول روايتهم والعلم بسند الرواة والعلم بجواز نقل الحديث بالمعنى ورواية لفظه والزيادة فيه إلى غير ذلك مما يطول ذكره وذكر في الفصل الأول: انتشار علم الحديث ومبدأ جمعه وتإليفه وفي الفصل الثاني: اختلاف أغراض الناس ومقاصدهم في تصنيف الحديث وفي الفصل الثالث: اقتداء المتأخرين بالسابقين وسبب اختصار كتبهم وتإليفها وفي الفصل الرابع: خلاصة الغرض من هذا الكتاب الإكثار من جمع أنواع الأحاديث وتبين أنواعها أ.هـ باختصار.

---

[1] ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي(13/ 146).

ولهذا الكتاب العظيم مختصرات كمختصر شرف الدين[1] هبة الله بن عبد الرحيم بن البازري الحموي الشافعي المتوفى سنة 837، سبعة وثلاثين وثمانمائة جرده عما زاد عن الأصول من شرح الغريب وأبدع فيه ومختصر الشيخ عبد الرحمن بن على الشهير بابن الربيع[2] الشيباني المتوفى سنة 950 خمسين وتسعمائة ومختصرات غيرهما يطول ذكرها.

((و)) رواه أيضًا ((غيرها)) كالإمام الحافظ أبي محمد أبو جعفر محمد بن سليمان بن جرير المتوفى سنة 310 عشر وثلاثمائة[3]. ((من ثقات)) جمع ثقة من يُوثَق بخبره، يقينًا من العدول والمراد بالعدل في علم الحديث والخبر من له مَلَكَةٌ تحمله على ملازمة التقوى والمروءة[4] والمراد بالتقوى[5] اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة. ((المؤرخين)) جمع مؤرخ وهو المؤلف في أخبار من مضى الحاكي ما وقع وما قيل في الأعصر الماضية قبله، منهم ثقات لا ينقلون في كتبهم إلا ماله أصل ثابت وحقيقة في الخارج ويتحاشون من ذكر ما تمجه الأسماع ولا تستعذبه الطباع من الأخبار الواهية ومنهم من يخلط الغَثَّ بالسَّمِين والباطل بالحق المبين، فيكون كتابه كما قيل: شَحْمَةٌ بلَحْمِه وتَمْرةٌ بجَمْرة والكلُّ يرجون ثواب الله وفضله والله يجزل ثواب المؤمنين ولا يضيع أجر المحسنين.

((راجعت)) جوابَ لمَّا والجُمَلُ التي بينهما حشوٌ والصِّيغةُ ليست على بابها، بل هي من باب سَافَرَ وعَافَاهُ اللهُ والمراجعةُ مضربُها تفسيرُ الفقهاء لمن يريد نقل الصحيح من

---

[1] تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي «معجم الشيوخ» ، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي 703 – 759 هـ،تح: الدكتور بشار عواد – رائد يوسف العنبكي – مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى 2004، (ص: 484).

[2] ينظر: «معجم المؤلفين مضاف» لعمر كحالة (5/ 159).

[3] ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي(7/ 160).

[4] ينظر: «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للسخاوي(2/ 6).

[5] ينظر: «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» لابن حجر(4/ 722).

كتاب من كتب أمهات كل علم، يقال: بدا لي كذا فراجعته كتاب كذا بالنظر فظهر لي كذا. ((ما تيسر)) أي ما يسره لي مع شغل البال وتراكم الأهوال والنأي عن الوطن والبُعْد عن الأهل والسكن. (من كتب) كصحف جمع كتاب بمعنى مكتوب.(الأحاديث) [1] جمع حديث وهو ما جاء عن النبي «صلى الله عليه وسلم» وأما الخبر[2] فهو ما جاء عن غيره وقيل: هما بمعنى واحد[3] والقائل بالتفرقة يسمى من يشتغل بالتواريخ وما شاكلها إِخْبارِيًا ويسمى المشتغل بالسنة وخبر النبي «صلى الله عليه وسلم» محدثًا وقيل: بينهما عموم وخصوم مطلق فكلُّ حديثٍ خبرٌ ولا عكس. (الصحيحة) يصح أن يكون نعتًا للمضاف والمراد بها الست المجمع على صحتها أو المضاف إليه وهو واضح واحترزت به من ضدها وهو هنا أعم من أن يكون منسوخًا أو مردودًا[4] وهو إما معلقًا[5] أو مرسلاً [6] أو معضلاً [7] أو منقطعًا[8] أو مدلسًا[9] أو موضوعًا[1] أو غير ذلك من الأنواع التي تريب

---

[1] ينظر الى: السيوطي جلال الدين: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي،تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، اد ط، دار طيبة (1/ 29).

[2]ينظر: «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر(ص: 35).

[3]ينظر: «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر(ص: 35)..

[4]«المَرْدُودُ وهُو [الَّذي] لَمْ يَتَرَجَّحْ صِدْقُ المُخْبِرُ بِهِ، لتوقُّفِ الاستدلالِ بها عَلى البَحْثِ عَنْ أحوالِ رواتِها» .ينظر: «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر(ص: 51)

[5]«الذي حُذِف من مبتدإِ إسنادِه واحدٌ أو أكثر» ،ينظر: «مقدمة ابن الصلاح» (ص: 167).

[6]هو «قول التابعي الكبير قال رسول الله صلى الله «عليه و سلم كذا أو فعله يسمى مرسلا» ينظر: «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» للسيوطي(1/ 195).

[7]«هو ما سَقَط من إسنادِه اثنانِ فصاعداً» شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي «الموقظة في علم مصطلح الحديث» اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدّة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط 2، 1412 هـ، (ص: 40).

[8]هو: «عَلَى الْمَشْهُورِ (الَّذِي سَقَطَ) مِنْ رُوَاتِهِ (قَبْلَ الصَّحَابِيِّ بِهِ) أَيْ: بِسَنَدِهِ (رَاوٍ فَقَطْ) مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَ» ، ينظر: «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للسخاوي(1/ 195).

[9]هو «ما رواه الرجلُ عن آخَر ولم يَسمعه منه، أو لم يُدركه» ، ينظر: الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص: 47).

وأما الحديث الصحيح[2] فهو ما نقله عدول ذو ضبط تام وسندهم غير معلل ولا شاذ وهو أحد أقسام المقبول عند أهل هذا الفن الشريف والمقبول عندهم أربعة، لأنه إما أن يشتمل من صفات القبول على أعلاها أولا، ف الأول الصحيح لذاته والثاني إن وجد ما يجبر ذلك القصور ككثرة الطرق وهو الصحيح أيضًا لكن لا لذاته[3] وحيث لا انحياز فهو الحسن لذاته[4] وإن قامت قرينة ترجح جانب قبوله ما يتوقف فيه فهو الحسن أيضًا لا لذاته[5] وإنما قلنا في العدول ذو ضبط، لأن الضبط[6] شرط وهو أن يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء وكذا يشترط فيه أيضًا إن لم يكن حافظًا أنه ضبطه في كتاب لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه والقيد بالتام إشارة إلى الرتبة العليا في ذلك والمتصل[7] ما سلم إسناده من سقوط فيه بحيث يكون كل من رجاله سمع ذلك المروي من شيخه والمعلل[8] لغة ما فيه علة واصطلاحًا: ما فيه علة خفية قادحة والشاذ

---

[1]هو «ما كان مَتْنُه مخالفاً للقواعد وراويه كذَّاباً» ،ينظر: الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص: 47).

[2]عثمان بن الصلاح عبدالرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي «مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح» مؤلف «محاسن الاصطلاح»: عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعيّ، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: 805هـ).

المحقق: د عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أستاذ الدراسات العليا، كلية الشريعة بفاس، جامعة القرووين.، الناشر: دار المعارف، (ص: 151).

[3] ينظر: «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» لابن حجر (4/ 722).

[4] انظر ما قبله.

[5]«الْحَسَنُ لِغَيْرِهِ أَصْلُهُ ضَعِيفٌ وإِنَّمَا طَرَأَ «عليه الْحُسْنُ بِالْعَاضِدِ الَّذِي عَضَدَهُ، فَاحْتَمَلَ لِوُجُودِ الْعَاضِدِ ولَوْلَا الْعَاضِدُ لَاسْتَمَرَّتْ صِفَةُ الضَّعْفِ فِيهِ» ،ينظر: «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للسخاوي(1/ 90).

[6]ينظر: «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر (ص: 58).

[7] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي «التقريب والتيسير» ، تقديم وتحقيق وتعلىق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 م، (ص: 32).

[8] ينظر: «الموقظة في علم مصطلح الحديث» للذهبي(ص: 51).

[1] لغة: البرد واصطلاحًا: ما يخالف فيه الراوي من هو أرجح منه وفُسِّر بغير هذا وتتفاوت رتبة الصحيح بتفاوت هذه الأوصاف المقتضية للتصحيح في القوة، فإنها لما كانت مفيدة لغلبة الظن الذي «عليه مدار الصحة، اقتضت أن يكون لها درجات بعضها فوق بعض بحسب الأمور المقوية وإذا كان كذلك فما يكون في الدرجة العليا من العدالة والضبط وسائر الصفات التي توجب الترجيح، كان أصح مما دونه، فمن الرتبة العليا في ذلك ما أطلق «عليه بعض الأئمة أنه أصح الإسناد، كالزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر [2] عن أبيه[3] ومحمد بن سيرين[4] عن عبيدة بن عمرو[5] عن على[6] وكإبراهيم النخعي[7] عن علقمة[8] عن ابن مسعود[9] ودونها في الرتبة كرواية يزيد بن عبد الله بن أبي

---

[1] أينظر الى: الطهماني أبو عبد الله الحاكم محمد: معرفة علوم الحديث، تح: السيد معظم حسين،ط 2، دار الكتب العلمية – بيروت، 1397هـ - 1977م، (ص: 183).

[2] هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى، أحد الفقهاء السبعة، ينظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر (438/3).

[3] هذا أصح الأسانيد عن أحمد وإسحق، ينظر: وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، تح: أحمد محمد شاكر، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د ت، (ص: 22).

[4] هو ثقة حجة، أحد الأعلام، كبير العلم، محمد بن سيرين الأنصارى، أبو بكر بن أبى عمرة البصرى، مولى أنس بن مالك، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(4/ 606).

[5] هو عبيدة بن عمرو، السلمانى المرادى، أبو عمرو الكوفى، أحد الأئمة الأعلام، أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني «تهذيب التهذيب» ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، 1326هـ، (85/7).

[6] هذا أصح الأسانيد عن على بن المديني والفلاس، ينظر: «الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث» لابن كثير(ص: 22)..

[7] فقيه العراق كان عجبا في الورع والخير، متوقي للشهرة، رأسا في العلم، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو النخعي، أبو عمران الكوفي، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(4/ 520).

[8] فَقِيْهُ الكُوْفَةِ وعَالِمُهَا ومُقْرِئُهَا، الإِمَامُ، الحَافِظُ، المُجَوِّدُ، المُجْتَهِدُ الكَبِيْرُ، علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي، أبو شبل الكوفي، ينظر: «تهذيب التهذيب» (278/7).

[9] هذا أصح الأسانيد عن يحيى بن معين، ينظر: «الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث» لابن كثير(ص: 22).

بردة[1] عن أبيه عن أبي موسى الأشعري[2] وكحماد بن سلمة[3] عن ثابت[4] عن أنس ودونهما في الرتبة كسهيل بن أبي صالح[5] عن أبيه[6] عن أبي هريرة وكالعلاء بن عبد الرحمن[7] عن أبيه[8] عن أبي هريرة، فإن الجميع يشملهم اسم العدالة والضبط، إلا أن المرتبة الأولى فيها من الصفات المرجحة ما يقتضي تقديم رواياتهم على التي تليها وفي التي تليها من قوة الضبط ما يقتضي تقديمها على الثالثة وهي مقدمة على رواية من بعدها مما ينفرد به حسنًا كمحمد بن إسحاق[9] عن عاصم بن عمر[10] عن جابر وعمرو بن شعيب[11] عن أبيه[12] عن جده[1] وقس على هذه المراتب ما

---

[1] بريد بن عبد الله بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعري، أبو بردة الكوفي، ثقة يخطىء قليلا، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(6/ 251).

[2] عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن الأشعر، أبو موسى الأشعري، ينظر: «تهذيب التهذيب» (363/5).

[3] الإِمَامُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو سَلَمَةَ البَصْرِيُّ، النَّحْوِيُّ، البَزَّازُ، الخِرَقِيُّ، البَطَائِنِيُّ، مَوْلَى آلِ رَبِيْعَةَ بنِ مَالِكٍ وابْنِ أُخْتِ حُمَيْدٍ الطَّوِيْلِ، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(7/ 444).

[4] ثابت بن أسلم البنانى، أبو محمد البصري، أَحَدُ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ في الْبَصْرَةِ، ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي(3/ 382).

[5] الإِمَامُ، المُحَدِّثُ الكَبِيْرُ، الصَّادِقُ، أَبُو يَزِيْدَ المَدَنِيُّ، مَوْلَى جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الأَحْمَسِ الغَطَفَانِيَّةِ ينظر: «تهذيب التهذيب» (264/4).

[6] القُدْوَةُ، الحَافِظُ، الحُجَّةُ، ذَكْوَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ مَوْلَى أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ جُوَيْرِيَةَ الغَطَفَانِيَّةِ، كَانَ مِنْ كِبَارِ العُلَمَاءِ بِالمَدِيْنَةِ وكَانَ يَجْلِبُ الزَّيْتَ وَالسَّمْنَ إِلَى الكُوْفَةِ، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(5/ 36)

[7] الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، الصَّدُوْقُ، أَبُو شِبْلٍ المَدَنِيُّ، مَوْلَى الحُرَقَةِ، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(6/ 186).

[8] عبد الرحمن بن يعقوب الجهني المدني، مولى الحرقة، ينظر: «تهذيب التهذيب» (301/6).

[9] الإمام كان صدوقا من بحور العلم، محمد بن إسحاق بن يسار المدنى، له غرائب واختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وقد صححه جماعة، ينظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر(45/9).

[10] عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي الأنصاري الظفري، أبو عمرو المدني، عالم بالمغازي، ينظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر(54/5).

[11] عَمْرو بْن شُعَيْب بن مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرو بْن العاص، أَبُو إِبْرَاهِيم السَّهْمِيّ الطائفيُّ، ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي(3/ 288).

[12] شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي الحجازي، ينظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر (356/4).

يشبهها والمرتبة الأولى هي التي أطلق «عليها الأئمة أنها أصح الأسانيد وهي العمدة عندي في أكثر هذا التإليف متنًا وشرحًا.

(وجمعت) بعد المراجعة والتأمل في الأسانيد ومعرفة الصحيح والمشهور[2] والمقبول[3] والمرفوع[4]. (منها) أي الكتب (أربعين) باعتبار فصولها وإلا فرب حديث شاكله غيره في المعنى وبعض اللفظ ضمته إليه معزو الرواية حاذقًا فإسناده مبينًا طريقه ليعلم الطالب أن الرواية قد تكون عن طريق واحد من الصحابة وقد تكون عن أكثر إلى المستفيضة من الخمسة إلى اثني عشر، كما في حديث: مِن حُسْن إِسْلام المَرْءِ تَرْكُه ما لا يعينه [5] فإنه مروي عن مستفيضة عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» .(حديثًا) تمييز العدد بمعنى المعدود. (للنصيحة) أي لأجل حصول ثوابها وللعمل بما ورد في حديث جابر بن عبد الله، قال: بَايَعْتُ رسولَ الله «صلى الله عليه وسلم» على إِقَامِ الصلاة وإِيْتاءِ الزَّكاةِ والنُّصْحِ لكلِّ مسلمٍ رواه البخاري[6] وغيره وحديث زياد بن علاقة التغلبي[7] قال: سمعت

---

[1] الصحابي الجليل: عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي الحجازي.

[2] «مَا يُرْوَى بِأَكْثَرَ مِنَ اثْنَيْنِ عَنْ بَعْضِ رُوَاتِهِ أَوْ فِي جَمِيعِ طِبَاقِهِ أَوْ مُعْظَمِهَا، أَوْ عَلَى مَا اشْتَهَرَ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، فَيَشْمَلُ مَا لَـهُ إِسْنَادٌ وَاحِدٌ فَصَاعِدًا، بَلْ مَا لَا يُوجَدُ لَـهُ إِسْنَادٌ أَصْلًا» ، ينظر: «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للسخاوي(13/4).

[3] هو: «الثقة الضابط لما يرويه. وهو: المسلم العاقل البالغ، سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة وأن يكون مع ذلك متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدَّث من حفظه، فاهماً إن حدث على المعنى فان اختل شرط مما ذكرنا ردت روايته» ينظر: «الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث» لابن كثير(ص: 92).

[4] «وهو ما نُسِبَ إلى النبيّ – صلى الله «عليه وسلم – من قولِه أو فعلِه» ، ينظر: «الموقظة في علم مصطلح الحديث» للذهبي(ص: 41).

[5] رواه الترمذي.

[6] أخرجه البخاري (57).

[7] زياد بن علاقة بن مالك الثعلبي، أبو مالك الكوفي، مِنَ الثِّقَاتِ المُعَمَّرِيْنَ، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (215/5).

جرير بن عبد الله[1] يوم موت المغيرة بن شعبة، يقول: أما بعد، فإني أتيت النبي «صلى الله عليه وسلم»، قلت: يا رسول الله أبايعك على الإسلام، فشرط على الإسلامَ والنُّصْحَ لكلِّ مسلمٍ فبَايَعْتُه على هذا وربِّ هذا المسجد- يعني مسجد الكوفة- إني لناصح بكم[2].

((لعامة المؤمنين)) هم ضد الخاصة من العلماء، فإنهم أغنياء عما جمعته لاطلاعهم «عليه و معرفتهم إياه وقد يقال إنه نصيحة حتى للخاصة، فإنهم وإن علموه مفرقًا لا يستغنون عن العمل به مجموعًا، لأنه أوقع في النفس ويزيد النظر فيه رغبة في الجهاد كالمحتاج للموعظة وهو عالم بها من حيث هي هي فيسمعها مجموعة من فصول الوعظ، فيكون أثرها فيه أكثر منه من قبل كما لا يخفى.

((حاذقًا لرجال الإسناد)) وهو كما قال الأئمة عن المحدثين حكاية الطريق المُوصِّلَةِ إلى متن الحديث[3] والسند هو تلك الطريق نفسها وقد يكون الإسناد بمعنى السند[4] وهو الجاري في اصطلاح المحدِّثين والمقصود هنا ورجال هم الذين بين الراوي والصحابي من المسموع منهم الثقات المعروفين الذين اشترطت فيهم الشروط السابقة، من أنهم عدول ذو ضبط تام وسندهم غير معلل ولا شاذ. ((ليسهل حفظها)) على طالبه باستظهارها وقراءتها على ظهر قلبه تبركًا بأحاديث صحيحة كلها تقاربت معانيها وتكاثرت فيها الوعد الصادق في عبادة واحدة. ((فترسخ في صميم الفؤاد)) ورسوخها ثباتها وبه يتقوى الباعث على محاربة الكفار والصحيح لغة: العضل الذي به قوام العضو وهو نبكه وخالصه ولبه

---

[1] جرير بن عبد الله بن جابر البجلي القسري، أبو عمرو وفد عَلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ «عليه وَسَلَّمَ سَنَة عشر، فأسلم في رمضان، ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي(2/ 480).

[2] أخرجه البخاري (58) ومسلم (56).

[3] «هو غاية ما ينتهي إليه الإسناد من الكلام» ينظر: «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر(ص: 41).

[4] «إخبار عن طريق المتن» يُنسب لعلى بن محمد بن على الزين الشريف الجرجاني «الديباج المذهب في مصطلح الحديث» ، مصحح بمعرفة لجنة: برئاسة الشيخ حسن الإنبابي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – بمصر، باشر طبعه: محمد أمين عمران، عام النشر: 1350 هـ – 1931 م، (ص: 8).

والمراد وسط القلب وداخله والفؤاد في الأصل مجموع الجوارح الباطنة الكثيرة الفائدة ومنه {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم} {وأفئدتهم هواء} فارغة خالية من الجوارح التي بها تحصل فائدة العقل من تثبت وصبر وجلد بل تطميش عقولهم من هول ذلك اليوم وقيل: الفؤاد مرادف للقلب لقولهم: هذا حق تعتقده القلوب وهذا حق تعتقده الأفئدة وقيل الفؤاد داخل القلب و» عليه فالإضافة في صميم الفؤاد تفسيرية وقيل الفؤاد الغشاء الذي على القلب.

وقال الغزالي: في القلب الذي في الفؤاد: لطيفةٌ ربانية هي التي يثاب ويعاقب لها ولها تعلق بالقلب: الجسماني الصنوبري الشكل تعلُّقَ العَرْضِ بالجَوْهَر ويسمى روحًا ونفسًا أ.هـ. وبه تعلم أن العقل في الرأس لا في القلب وما بَعُدَ عن الحق العارفون من الحكماء في قولهم: العقل في الرأس أو «عليه بحكمة إلاهية، لأن عندهم ما في مقدم الدماغ مما يلي باطن مقدم الرأس يسمى مخيلة وما في وسطه يسمى مفكرة وما في مؤخرة يسمى حافظة ومتى حدث نسيان للمرء أو عدم حفظ فإنما ذلك من فساد الحافظة، فيعالج بما يصلحها ببعض الأذهان المحللة لليبس الكائن بها، لأنه لا يفسد الحفظ ويكثر النسيان إلا من بين الحافظة وليس هذا محل بسط الكلام في الطِّبِّ ومن رام علاج الحافظة، فليراجع المقالة الرابعة من الكتاب الثالث من قانون الرئيس أبي على بن سينا[1].

((وربما شابه حديثًا)) من الأربعين المقصودة حديثًا ((آخر)) في معناه وبعض لفظه نحو حديث أنس بن مالك: «غُدْوَةً في سبيل الله أَوْ رَوْحَةً خيرٌ مِن الدُّنْيا وما فيها»[2] وحديث أبي أيوب: «غُدْوَةً في سبيل الله أَوْ رَوْحَةً خيرٌ ممَّا طلعتْ «عليه الشَّمْسُ أَوْ غَرُبَتْ» «[3]، وحديث سهل بن سعد: «الرَّوحةُ والغُدْوَةُ في سبيل الله أَثْقَلُ مِن الدُّنْيَا وما

---

[1] الحسين بن عبد الله بن سينا أبو على الرئيس، فلسفي النحلة ضال لا رضي الله عنه، ينظر: «لسان الميزان» لابن حجر(3/ 176).

[2] أخرجه البخاري (6568).

[3] رواه مسلم (1883).

فيها» [1]. ((فذكرته)) اتحد أو تعدد في فصل ذلك الحديث ((معزوًا)) لراويه ذاكرًا للصحابي المروي عنه ((للاستطراد)) أي: لأجل الاستطراد متعلق بذكرته، فإن كثيرًا ممن لا اعتناء لهم بحفظ الحديث، يحفظ حديثًا بصيغة فيسمعه من آخر بصيغة يخالف بعضها مما عنده، فيظن ذلك تحريفًا وقد جرت عادة العارفين من المؤلفين أن يذكروا ما تشابه استطرادًا أوتتبعًا واعتناء بحفظ النظائر.

((قاصدًا بها)) أي الأربعين أو الأحاديث الصحيحة ((إرغام أهل التثليث)) وهم كافة النصارى- أهلك الله جمعهم-، لأن النظر في هذا التإليف وقراءته بين الخاصة والعامة من المؤمنين باعث على الحزم وسرعة العزم على قتالهم ففيه إرغام لهم وهو إما كبيرٌ إن ظفرنا الله بهم قتلاً وأسرى، أَو ْصغيرٌ إن رَدَدْناهم عن مقاصدهم خائبين وسموا أهل التثليث، لِمَا هُمْ «عليه من اعتقاده ولقول الله فيهم: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد سبحانه وتعالى عما يشركون} وبقصد إرغام هذه الطائفة الملعونة نستجلب رضوان الله، إذ هو القائل: «أَنَا عند ظنِّ عَبْدِي بي» [2].

((وراجيًا من)) الله الواحد الأحد ((الكريم)) أي: الكثير الكرم والجود والإعطاء ((المغيث)) هو من أسمائه تعالى دال على عظيم فضله على عباده، يغيث المستغيث به منهم عند كل شدة سوى الموت، إذا جاء الأجل فلا تبديل لكلمات الله، بل ويغيثه عند الموت بتخفيف السكرات أو بثوابها إن ثقلت ويغيثه عندما يظن في تلك الحالة من مفارقة نعيم الدنيا برؤية مقعده في الجنة، أو تنزل «عليه الملائكة فتبشره بما ينسيه في الدنيا من نعيم الآخرة. ((أن يجمعني حديثُ: مَن حَفِظَ أَوْ حمَل على أُمَّتِي أَرْبعين حديثًا) فهما حديثان صحيحان أَمَّا حديثُ: «من حفظ» فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال:

---

[1] أخرجه البخاري (2794) ومسلم (1881).

[2] أخرجه البخاري (7405) ومسلم (2675).

قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «مَن حَفِظَ على أُمَّتِي أَرْبَعين حديثًا مِن سُنَّتِي أَدْخَلْتُهُ يومَ القيامة في شفاعتي» [1] رواه ابن النجار وغيره.

وأما حديث: «مَن حمل مِن أُمَّتِي أَرْبعين حديثًا مِن سُنَّتِي بُعِثَهُ يوم القيامة فقيهًا عالمًا» [2] رواه ابن عدي وابن مردويه وإلى بقية الحديثين أشرت بقولي. ((الحديث)) أي:اتَّبِعْ نصَّ الحديث وحصِّلْه فإن في «مَن حَفِظَ أَوْ حمل على أُمَّتِي أَرْبعين حديثًا» اكتفاء عن ذكر باقي الحديثين فاطلبهما من كتُب الحديث إن شئت وأما أنا فما دعوت ورجوت من الله إلا ما عرفت ولله الحمد والله أسأل يحقق الإجابة وأن يجعلنا من أهل الإصابة لما تريده والإنابة وقولنا: من الكريم، لأنه لا يخيِّب راجيه وقد ذكر علماء الأنوار وأهل الأسرار في هذا الاسم الشريف وفي ذكره خواص شريفة وله في جلب الرزق من الله تأثير قوي، ثم مِن عظيم كرمه على عباده في الدنيا والآخرة، أن يقول للعاصي من المؤمنين عند تعذيبه ولو بمناقشة الحساب إن مات تائبًا: {يا أيها الإنسان ما غرك بربب الكريم} يلقنه سبحانه هذا الاسم الشريف ليقول: غرني كرمك واعتقادي فيك ما أنت أهله من عظيم الكرم، فيسامحه ويدخله الجنة.

((ومحرضًا)) مِن حرَّض- مضعف العين- على الشيء، حثَّ فيه ومنه جاء: {يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال} يعني حثهم بالمثلثة على قتال الكفار والتحريض لغةً الحثُّ على الشيء بإظهار محاسنه وتسهيل الخطب فيه، كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو الهلاك. ((بها)) أي: بالأحاديث التي جمعتها ((السلطان)) وهو بضم المهملة وسكون اللام وقد تضم ولفظه في كلام العرب يذكَّر ويؤنَّث وأصله في اللغة الحُجَّة والبُرهان ومنه: {أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا} وكقوله تعالى أيضًا: {ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانا} ونقل إلى من بسط الله يده في الأرض خليفة أو أميرًا أو

---

[1] رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (1597)، عن أبي الدرداء.

[2] رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (204)

قاضيًا من المُؤْمنين، ثم هو إلىوم لا يصدق إلا على من ترفع فوق رأسه البنود وتتبعه العساكر والجنود، من الملوك الأعيان، رءوس الأقإلىم العربية في الزمان.

((الراسخة جبال إيمانه المتطاولة)) يعني أن السلطان المقصود بالتحريض، هو الراسخةُ جبالُ إِيْمانِهِ الذي هو التصديق بما جاء عن النبي قولاً وعملاً، عظيمٌ كالجبال وراسخٌ مثلها لا يطيش ولا يرحل أبدًا ووصف الجبال بأنها متطاولة أي هي على عظمتها تطلب الطول وفيه إشارة إلى أن الإيمان يقبل الزيادة ويزيد بالفعل ومن أجل ذلك كان التعبير في وصف جبال إيمانه بالمتطاولة حسنًا، لما يُفهم منها من طلب الزيادة وفي تسمية إيمانه جبالاً مجازٌ علاقته العظمة والثباتُ وقد يراد ثقلها، لما ورد في عدة أحاديث جاءت عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في وصف الإيمان وتشبيهه بالجبل تصريحًا، وورد كنايةً كحديث: «لَسَاقُ عبدِ الله بن مسعود في الميزان عند الله أَثْقَلُ من أُحُدٍ»[1] والمراد ما يخص ساقه من إيمانه المفرق على أعضائه كلها وما يخصها من فروع الإيمان وهي صالحات العمل على القول بوزن الأعمال نفسها وأنها تتجسد. ((المتقاعسة)) أي الطالبة للإحجام والتأخر لعجز ثابت. ((أعيان)) جمع عين والمراد خاصة ((ملوك زمانه)) في سائر الأمصار غير دار الخلافة أدام الله بقاءها، فإن لها في المجد أصلاً أصيلاً وفي كل كمال يليق بهم باعًا طويلاً والملوك جمع ملكٍ بكسر اللام، يطلق على غير الله مجازًا وعلى الله حقيقة ومنه ملك يوم الدين والمراد حكيم. ((عن نيل بعض كمالاته عند المحاولة)) فلا يصلون إليه وهو بفتح النون وسكون التحتية مصدرُ نَالَ الشَّيْءَ يَنَالُه نيلاً إذا حصله والكمالات جمع كمالٍ وهو ضد النقص من المحاسن المرضية طبعًا وشرعًا كالديانة والجهاد والذِّكْر والأمانة والمعروف والصيانة والمحاولة مفاعلة ليست على بابها، لأنها من جهة واحدة كما في سَافَرَ وعَافَاه الله والمعنى أن أعيان ملوك هذا الزمان في كل مصر وفي كل مكان يتقاعسون عجزًا منهم عن تحصيل

---

[1] راوه أحمد في مسنده (3991) وصححه ابن حبان (7069).

بعض ماله من المحاسن المحمودة طبعًا وشرعًا وذلك التقاعس عند المحاولة أي محاولتهم حصول مثل ما لهذا السلطان من الكمالات.

((الناهضة)) أي القائمة، مِن نهض البعير ينهض نهوضًا إذا قام بوقره ولهذا رشح بقوله ((بأثقال)) جمع ثقل وثقيل وهو ما يعظم حمله على النفوس كلها. ((كل مكرمة)) من الخصال الكريمة عند الله ورسله وجميع خلقه كالعفاف والعلم والصدق والصدقة والحلم. ((في الدين)) يعني دين الإسلام لأن فيه عهدية صالحة للذكري والذهني ومعلوم أن دين الإسلام هو ما جاء به سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» عن رب السماوات والأرض وما بينهما وتلقاه عنه بالقبول الصحابة والتابعون فمن بعدهم، من أئمة الدِّين المجتهدين في جمعه وتدوينه ونصح الخليقة بتبليغه بلساني الفم والمحبرة حتى صار الدِّين علمًا طويلاً وكوكب «عليه المدار ثابتًا أصيلاً ووصف المكرمة بالنقل لما عرف ضرورة من كراهة النفس لبُعْدِها لأَّن نفوس العامة نارية أَمَّارةٌ بالسوء تكره وتستثقل فعلَ الخير بخلاف نفوس الخاصة من الأنبياء والأولياء، فإنه لا يثقل «عليها عمل ولا قول في طاعة الله وما جاء به التنزيل: –» إنا أنزلنا علىك قولًا ثقيلًا» [1] إنما كان ثقيلاً لجلالته وقوة نورانيته، لأنه صفة قديمة انتقل معناها أي: مدلول متعلقها إلى قلبه «صلى الله عليه وسلم»، فثقل ذلك لعجز الحادث عن حمل ما دل على معنى قائم بذاته تعالى، أو أنه سماه ثقيلاً إظهارًالعظيم مقام نبيه عنده ولعلمه تعالى بما يمس نبيه «صلى الله عليه وسلم» من إذاية المشركين وذلك يثقل على كل بشر طبعًا ومن هاهنا تعلم أن مقام رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عند الله لا يطمع أحد بمثله وأنه أعز مخلوقاته «عليه «صلى الله عليه وسلم» .

[1] هذه الاية لاوجود لها في القران الكريم ربما يقصد الاية رقم 5 من سورة المزمل فال تعالى: إ» نَّا سَنُلْقِي علىكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» .

((عزائم)) [1] هو فاعل مجازًا للنهوض المفهوم من اسم الفاعل ومفرده عزيمة وهي سجية يخلقها الله في العبد تحمله على فعل شيء، أو قوله: وهي أقصى درجات الاهتمام، لأن ما يقع في النفس أولًا يسمى هاجسًا ولا يؤاخذ به العبد ولا يثاب «عليه وإنما هو وارد لا يستطيع دفعه والثاني: الخاطر وهو جريانه وهو مرفوع أيضًا، الثالث: حديث النفس وهو تردده هل يفعل أم لا وهو مرفوع أيضًا لقوله «عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي ما حدثتْ به أَنْفُسُها ما لم تتكلَّم به أَوْ تعمل» [2]. الرابع: الهم[3] وهو ترجيح قصد الفعل وهو مرفوع أيضًا وفي هذه المرتبة تفترق الحسنة والسيئة فإن الحسنة تكتب له والسيئة لا تكتب «عليه بخلاف الثلاثة الأول فإنها كما لا يترتب «عليها عقابًا لا يترتب «عليها ثواب أما الأولى فظاهر وأما الآخرين فلعدم القصد. الخامس: العزم وهو قوة ذلك القصد والجزم به وهو مؤاخذة به على المعتمد وهو قول الأكثر ويكتب سيئة وليست السيئة التي نواها لأنه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله، فإن تركها خشية الله كتبت له حسنة على ما جاء في الحديث الآخر في الهم إنما تركها من جزائي أي من أجلي فالعزم أولاً بذلك، قاله الزرقاني على خطبة اللقاني رحمها الله تعالى وفي التنبيه الذي بعدهذا فائدة فلتراجع هناك وبالله التوفيق.

((نفسه اللوامة))[4] وهي التي تلوم صاحبها على فعل القبيح بكثرة الندم وخوف العقوبة وتسمى المطمئنة وهي التي خاطبها الله في القرآن العظيم وأما النفس الأمارة بالسوء فهي النفس التي تأمر صاحبها بكل ما يضر الإنسان دنيا وأخرى من الأمور القبيحة وهو المراد بالسوء وقد وقع الخلاف في النفس هل هي واحدة أو متعددة والصحيح أنها واحدة

---

[1] ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، (2/ 90).

[2] أخرجه البخاري (6664) ومسلم (127).

[3] ينظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس(6/ 13).

[4] من قوله تعالى {ولا أقسم بالنفس اللوامة}.

ولها صفات منها الإمارة ومنها اللوامة ومنها المطمئنة وهذه الثلاثة هي مراتب صفات النفس، ثم هي إن دعت إلى شهواتها ومالت إليها، فهي النفس الأمارة بالسوء وإذا فعلتها ثم حصل ندم لها، سميت لوامة، للومه نفسه على ذلك وإذا كانت زكية لم تفعل قبيحًا، سميت مطمئنة وعلى هذا أكثر المحققين من المتكلمين وقال بعض العارفين من العلماء العقل واحد والنفس نفسان لئيمة وهي الأمارة ونفس كريمة وهو اللوامة ومحلها القلب وكأنهما صاحبتان للعقل وهو على الدماغ ورجلاه بالقلب إحداهما بيد الإمارة وهي إلىسرى والثانية بيد اللوامة وما من عبد إلا وله ملك غير الحفظة وشيطان موكلان به، فالملك يلقي إلى اللوامة من جانب الأذن إلىمنى ما تحمد عاقبته والشيطان يلقي إلى الأمارة من جانب الأذن إلىسرى مالا تحمد عاقبته، وكل واحد منهما تدعو العقل إلى ما أشار به صاحبها، فإن غلبت اللوامة كان الخير في الإنسان وإن غلبت الإمارة كان الشرّ وورد بهذا أثر لكن سنده ضعيف وأما المطمئنة فهي المعصومة والمحفوظة من نفوس الأنبياء والأولياء وإنما قلنا في الأصل والناهضة بأثقال إلخ، لأن الله خلق في طبع كل نفس من نفوس البشر غير الأنبياء ثقالة فعل المعروف وتكره فعله إلا بباعث إلاهي يحملها «عليه بالتوفيق والتيسير من الله فتفعله حينئذ.

((والفائضة)) اسم فاعل من فاض السيل والوادي إذا طفى وزاد عن محل المعتاد. ((على كل مزرعة)) هي محل الزرع كمدرسة محل الدرس وأضيفت إلى ((يقين)) للتخصيص بأهل الإيمان بالله ورسوله، فإنهم مزارع إلىقين إذا لا ينبته الله إلا في رياض قلوبهم وأما الكافرون فما فاض «عليهم ولكن هاض ((سحب أيدي)) جمع يد وهي هنا بمعنى الجارحة ويصح أن تكون بمعنى النعمة ويكون نسبتها إليه مجازًا لأنها لا تكون في الحقيقة إلا من الله تعالى. ((ذاته)) هي شخصه الصادقة «عليه الانتيه في الخطاب عند حضوره والهوية في التكلم «عليه عند غيبته. ((الصوامة القوامة)) أي الكثيرة الصيام بالنهار والكثيرة القيام بالليل، إنما قلت هذا لها ثبت عندي بكثرة ما قرع سمعي عن غير واحد من ثقات الفقهاء، الذين ارتحلوا من الجزائر وأحوازها إلىنابتونس مسافرين وعن

كثيرين من وجوه التجار المترددين إلى مملكته ومستفيضة من المغاربة الصلحاء السياحين أنه شديد المراقبة في الله وكثير الإحسان بالمؤمنين وأنه لا يبرح عاكفًا على دلائل الخيرات وأذكار أخرى وأنه كثير الصيام ويقوم الليل، بل أخبرني من أثق به أنه صالح من أولياء الله وأنه شاهد له كرامتي.

((أسد الآساد)) تشبيه بليغ كنى به عن كثرة إقدامه وعظيم جلده وقوة شجاعته بالإضافة ليست بمعنى مِنْ، حتى يكون المعنى أنه أسد من الآساد فقط، بل بمعنى اللام كمَلِكِ الملوك، فتكون الأساد رعيته وهو فوقها شجاعة والأسد حيوان مفترس معروف تخافه الناس وتهابه وله أسماء كثيرة منها الليث[1] والقسورة[2] والهزبر[3] وأسماء أخرى تزيد على أربعين لأن من عادة العرب إذا اهتموا بشيء أكثروا أسمائه بينهم.

((وسيف الجهاد)) هو أيضًا من باب التشبيه البليغ وسمي به لثبوت مباشرته للعدو بالقتل، أو لأنه بعد خلوص نيته لأنه في محاربة الكفار وكثرة اعتنائه بذلك صارت ذنوبه لذاته، كدماء الكفار لسيف الجهاد لا تنجسه ولا تنجسه عند الله. ((وهازم الأعداء)) جمع عدو وهو صادق بجميع النصارى والمراد بهم هنا جنود الصَّبانية أهلكهم الله، فإنهم فجوا أرضه غير مرة وهزمهم كما سيأتي قريبًا إن شاء الله بيانه. ((الضيغم)) هو من أسماء الأسد.

((الذي لم يحل)) ويحل مضارع حال عن الشيء إذا انتقل عنه وأصله يحول فحذفت الواو للالتقائهما مع سكون اللام بالجازم من عظيم صبره وقوة جَلَده. ((على براثنه)) جمع برثنة وهي العضل الذي برأسه ظفر الأسد نظير الأصبع من أيدينا، فالبراثن مخالبه بأجمعها ولا يسمى مخلب من مخالب الطير ولا ذوات الأربع براثنَ إلامخلب الأسد وتسمى أصابع المعروف بالشجاعة براثن ومنه في وصف النبي «صلى الله عليه وسلم»: كان

---

[1] ينظر: «لسان العرب» لابن منظور(2/ 186).

[2] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري(8/ 305).

[3] ينظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» الجوهري(2/ 854).

جميلُ البَرَاثِنِ شثنها أي غليظها. ((رابضًا)) [1] أي مقيمًا ولازمًا من قولهم: ربض الإبل والبقر إذا أقاموا وتمكنت أبدانهم من الأرض في ما عدلهم منها ويسمى ذلك مربضًا وفي هذه العبارة من تعريف الجاهل بشجاعة هذا السلطان وسواء كان الجاهل كافرًا أو مؤمنًا ما لا يخفى مزيد الإيهاب وعظيم الإرهاب.

((والبطل)) [2] اسم لمن اشتهر بكثرة الشجاعة والإقدام من الناس، كالإمام على كرم الله وجهه وكحمزة والزبير في الإسلام وكعنتر وعمليق في الجاهلية. ((الذي لم يزل)) من قوة إيمانه بربه وتصديقه لنبيه. ((على سيفه قابضًا)) بنية الجهاد والطاعة لله ولرسوله ومنه يفهم عظيم اعتنائه بالحرب وقوة حزمه وشدة عزمه وقد أبت النصارى محاربيه وغيرهم من كافة الإفرنج وحارت عقولهم من أمره، لأنهم إن جاءوه بالعدد الكثير والعدد الشهير هزمهم وإن أقاموا في بلدهم غزاهم وهم به بين قتل وأسر كل عام ولهذا عظم مصابهم واجتمعت أحزابهم واستمدوا الإعانة من جميع أهل ملتهم وطلبوا من معبودهم الباطل أن يصلوا إلى بغيتهم فلم يغن عنهم من الله شيئًا.

((الجامع بين الورع[3] والملك)) مع تباعد بعضهما عن بعض في غالب الملوك؟ لأن الورع ترك بعض المباحات حذرًا من الوقوع في المكروهات والملك سلطان من سلطان الله وعزٌّ من عزة يلبسه الله من شاء من عباده فتجول يده مبسوطة في أرض الله لا ترد له كلمة غالبًا وهذا بعيد من الورع جدًا مما اجتمعا إلا في نحو سليمان «عليه السلام وخلفاء رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وعمر بن عبد العزيز ومن وفقه الله من ملوك الإسلام وقليل ما هم والذي نراه ونرجوه من الله أن هذا السلطان منهم، لما أجرى الله على يديه ومن الصالحات وسأذكر بعضها قريبًا إن شاء الله.

---

[1] ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير(2/ 184).

[2] ينظر: «مختار الصحاح» لزين الدين الرازي(ص: 36).

[3] ينظر الى: الدينوري أبو محمد عبد الله: غريب الحديث، تح: . عبد الله الجبوري، ط1، مطبعة العاني – بغداد، 1397، (1/ 589).

((المفرق لأهل الجحود والشرك)) بحربه واقتداره «عليهم بالله تعالى فما غزاهم ولا غزوه إلا نال منهم ما رضي الله مناله وفرق شملهم وذهبوا في أسوأ حالة والشمل[1] لغة قال في القاموس[2]: ونعني بأهل الجحود والشرك هذه العصابة الملعونة من النصارى الموجبة لتإليف هذا الكتاب، أما شركهم فقد تقدم تفسيره وأما جحودهم فغير خاف على كل عاقل أن نبينا «صلى الله عليه وسلم» بلغت دعوته المشارق والمغارب من العمران، من يأجوج ومأجوج إلى أقصى السودان وما تأخر من الدخول في الإسلام إلا جاحد لما لا يجحد وذلك أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان الأنبياء قبله نجومًا فبعث الله شمسًا منيرة والكواكب غير منيرة، لذاتها وإنما تستمد من الشمس فهم قبل وجوده «صلى الله عليه وسلم» كانوا يُظْهِرون فضله لأن أنوارهم من نوره الفياض، إذلولا جوامع الكلم المخصوص بها نبينا «صلى الله عليه وسلم» ما كان آدم عالمًا بالأسماء ولم يعط أحد من الأنبياء كرامة أو فضيلة أو معجزة إلا وقد أعطي «صلى الله عليه وسلم» مثلها أو أعظم منها، كما تتبعه الأئمة العارفون وصححوه وكل عاقل يعرف ويتحقق صدق مقالهم إذا سمعه وأنصف، فإن آدم خلقه الله بيده ليكون كالظرف لوضع قبضة النور التي سماها محمدًا وعجنها في طينته ولأن تولى منه الخلق الجسيم فقد شق صدر نبينا «صلى الله عليه وسلم» [3] وملك ذلك الخلق النبوي ولم يكن سجود الملائكة لآدم لا لنور محمد «صلى الله عليه وسلم» الذي في جبهة آدم، قاله الفخر الرازي[4] وغيره وإدريس «عليه

---

[1] ينظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري(5/ 1739).

[2] سقطت من النسخة ب.

[3] ينظر: صحيح مسلم (162).

[4] هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن على الرازي، الطبرستاني المولد، القرشي، التيمي البكري الأصل، الشافعي الأشعري الملقب بفخر الدين الرازي وابن خطيب الري وسلطان المتكلمين وشيخ المعقول والمنقول. هو إمام مفسر فقيه أصولي، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك ولد عام 544هـ من مؤلفاته: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب.

السلام، رفع مكانًا عليا وأما نبينا «صلى الله عليه وسلم»، أعطي المعارج الأفخم الأعظم الأعلى الذي جاور فيه رتبة إدريس فمن فوقه ونوح «عليه السلام أنجاه الله ومن معه في السفينة وهلكت أمته وأما نبينا «صلى الله عليه وسلم» لم تهلك أمته بعذاب عام ولأن أعطي نوح سفينة تجري على الماء آية وهي خشب فقد صح أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان على شاطئ وادي في ملأ من الناس ودعى حجرًا من حافته الأخرى فانقلع في الحين وسبح يطفو على وجه الماء إلى أن جاءه وشهد له بالرسالة وإبراهيم «عليه السلام نجى من نار الحس وحده وأما نبينا «صلى الله عليه وسلم» أنجاه الله من نار المعنى هو ومن معه قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾[1] وأيضًا كان نبينا في صلبه وروى النسائي: أن طفلاً احترق جلده كله فمسح «عليه بيده «صلى الله عليه وسلم» فصار صحيحًا [2] وذهاب شر الناس بعد حصوله أقوى منه قبله وكرامة الرفع عن الغير أعظم من كرامة الرفع عن النفس والفاعل الله سبحانه وأعطي مقام الخلة[3] فأعطى نبينا مثلها وزاد بمقام المحبة الأرفع من كل مقام ومِن ثَمَّ يقول إبراهيم في الموقف لما يسأل في الشفاعة العظمى «إنما كنت خليلاً من وراء وراء» «وأعطى إبراهيم بناء البيت

التفسير الصغير، أسرار التنزيل وأنوار التأويل.تأسيس التقديس (أساس التقديس في علم الكلام)، مجلد، ألفه للسلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فبعث له عنه ألف دينار. المطالب العالية من العلم الإلهي، في ثلاثة مجلدات ولم يتمه وهو من آخر تصانيفه.محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين.اعتقادات فرق المسلمين والمشركين وتوفي في رمضان لعام 606هـ. ينظر الى: ابن الاثير: الكامل في التاريخ، (268-270/9). وينظر ايضا الى: ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر، د ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، (31/2).

[1] الاية رقم 64 من سورة المائدة.

[2] مكررة في الاصل.

[3] ينظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد(1/ 107).

بجميع حجره فأعطى نبينا وضع الحجر الأسود الذي هو روحها في محله لما بنته قريش[1].

وأعطي موسى «عليه السلام قلب العصا حيَّةً لكن لا تتكلم وأما نبينا «صلى الله عليه وسلم» فقد كلمه الجِذْع[2] وقيل: خار وحن إليه حنين البكر وأعطى إلىد البيضاء التي بياضها يغشى البصر وهي جزء من ذاته الشريفة فأعطى نبينا «صلى الله عليه وسلم» أن كان عنده عباد بن بشر وأسيد بن خضير ليلاً بالظلام، فخرجا وبيد كل عصا، فأضاءت عصا أسيدٍ لها إلى أن وصل باب داره وافترقا فأضات عصى الآخر حتى دخل بيته. صححه الحاكم في المستدرك[3] وروى البخاري في تاريخ[4] والبيهقي[5] وأبو نعيم[6] [7] عن حمزة الأسلمي[8] قال: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فأضاءت أصابعه... الحديث.

---

[1] ينظر: المدني المطلبي محمد اسحاق: سيرة ابن اسحاق، تح: محمد زكار، ط1، دار الفكر بيروت، 1978م، (ص:105).

[2] ينظر: صحيح البخاري (3585).

[3] أخرجه البخاري (3805) والحاكم (5261).

[4] ينظر الى: البخاري محمد بن إسماعيل: التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (173).

[5] ينظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (6/ 79).

[6] هو أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران موإلد أصفهان سنة 336هـ المؤرخ والرحالة من شيوخه نجد أبو بكر بن الهيثم الأنباري والقاضي أبو أحمد محمّد بن أحمد بن العسّال ومن مؤلفاته نذكر: حلية الأولياء، المستخرج على البخاري، دلائل النبوّة، تاريخ أصفهان، معجم الصحابة وتوفي سنة430هـ. ينظر الى: الذهبي: سيرة اعلام النبلاء، (142/10).

[7] ينظر الى: الاصبهاني أبو نعيم أحمد: معرفة الصحابة، تح: عادل بن يوسف العزازي، ط 1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1419 هـ - 1998 م (1841).

[8] هو حمزة بن عمرو ابن عويمر بن الحارثة الاسلمي صحابي جليل واحد رواة حديث رسول الله سيدنا محمد صلى الله «عليه وسلم ينظر الى: الذهبي: تاريخ الإسلام» (2/ 639). وينظر الى: البغوي: معجم الصحابة، (146/2).

وأعطى انفلاق البحر فأعطى نبينا «صلى الله عليه وسلم» انشقاق القمر الذي هو أبهر[1]، لأنه تصرف في العالم العلوي وتحت السماء البحر المسجور نسبة بحر الدنيا المحيط إليه كنقطة في بحر بالضرورة تفهم انفلاقه إليه «صلى الله عليه وسلم» ليلة الإسراء وأعطي تفجير الماء من الحجر وهو محله عادة، فأعطي نبينا «صلى الله عليه وسلم» تفجيره من بين أصابعه[2] وهو أغرب وأعجب وأعطي الكلام معه سبحانه فأعطى نبينا مثله مع زيادة الدنو والرؤية الخاصة في الدنيا وشتان ما بين جبل الطور الذي نوجي موسى «عليه وما فوق العرش الذي نجى نبينا «عليه بالنسبة للمخلوق لا للخالق وأعطى هارون «عليه السلام الفصاحة، فأعطى نبينا «صلى الله عليه وسلم» أفصح منها وأبلغ، على أن هارون يتكلم بالعبرانية والعربية أفصح ويوسف «عليه السلام شطر الحسن وتأويل الرؤيا، فأعطى نبينا «صلى الله عليه وسلم» الحسن كله وحير المرائي فوقعت كما حير من لا يدخله الحصر ولم يثبت عندنا ثبوتًا تامًا أن يوسف حير غير الثلاث مرائي التي في سورته.

وأعطي داود تليين الحديد وأما نبينا «صلى الله عليه وسلم» فقد أحضر بين يديه العود إلىابس البإلى. وأن شاة أم معبد درت ولم تلد قط. وأعطي سليمان «عليه السلام كلام الطير فأعطى نبينا «صلى الله عليه وسلم» كلام الضب والظبي والجمل وزاد ما هو أغرب وهو كلام الحجر وكلام الذراع المطبوخ وسبح في كفه الحصاة وأعطي الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر، فأعطي نبينا «صلى الله عليه وسلم» البراق[3] السريع الذي هو أقوى من الريح بل من البرق الخاطف، لأنه حمله من العرش إلى العرش في ساعة واحدة من الليل وأقل ذلك سبعة آلاف سنة وما فوق العرش إلى المستوى لا يعلمه إلا الله

---

[1] ينظر: صحيح البخاري (3636).

[2] ينظر: صحيح البخاري (169).

[3] ينظر: صحيح البخاري (3207).

وأيضًا سليمان سخرت له الريح لتحمله إلى نواحي الأرض ونبينا «صلى الله عليه وسلم» طويت له الأرض وزويت أي جمعت حتى رأى مشارقها ومغاربها[1] وفرق بين من يسعى إلى الأرض ومن تسعى له الأرض وأعطي سليمان تسخير البحر والتحكم في الشياطين وأعطى نبينا تسخيرًا فيهم أن آمن الجن بة وصدقوه وبطاعة الله دانوا وأطاعوه وصح أنه ربط شيطانًا في سارية المسجد أو أراد أن يربطه[2] وفرق بين تسخير الجن للبناء وتسخيرهم للإسلام وأعطي الطير مسخرات فأعطى نبينا «صلى الله عليه وسلم» تسخير الحمامة والعنكبوت[3] وهذا أغرب وأعجب، لأن فيه الحماية من العدو والكثير بالخلق القليل.

وأعطي عيسى إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، فأعطى نبينا رد العين أي عين قتادة إلى محلها بعدما سقطت فعادت أحسن مما كانت.

وذكر الرازي أنه «صلى الله عليه وسلم» مسح على يد برص فشفيت، بل صح أن جماعة برص جاءوه في أوقات مختلفة وما مسح على واحد منهم إلا شفاه الله لوقته والبيهقي أن رجلاً قال لا أؤمن بك حتى تحي لي ابنتي فأتى قبرها فخطبها فأجابته. وصح أنه مر بقبر امرئ القيس، فقيل له: هذا الذي قلت فيه: قاتل الله امرئ القيس تكلم بالقرآن قبل نزوله، فقال: دعوه، فقال أحدهم: ليتني نراه فقال: تراه إن شاء الله فمر المتمني بقبره يوما فانفلق القبر، فإذا به فيه عريان وشاع ذلك في الناس وأما زيادة: «قلت له أنت امرؤ القيس قال: نعم، قلت: وعدني رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن أراك وقد رأيتك، أرأيت أن أرغب من رسول الله حياتك مثلنا في الدنيا، فيطلب ربه فتبعث، فقال: هل بقي من بنات حينا التي كنت أعرف واحدة؟ قلت: لا، فقال لا خير في حياة

---

[1] ينظر: صحيح مسلم (2889).

[2] ينظر: صحيح البخاري (461).

[3] ينظر: «السيرة النبوية» لابن كثير (2/ 240).

بعدهن»، لم تثبت. وورد إحياؤه «صلى الله عليه وسلم» لوالديه فأمنا به وشهر وصححه رجال ولا التفات إلى من ضعفه وتسبيح الحصى[1] وحنين الجذع أبلغ من تكليم الموتى، لأن هذا من جنس ما لا يتكلم وبالجملة فقد أوتي «صلى الله عليه وسلم» مثل ما أوتي جميع الأنبياء وزاد عنهم بخصائص لا تحصى عددًا، إعلامًا بأنه المعد لهم والسبب في وجودهم ووجود العالمين كلهم «صلى الله عليه وسلم» .

((المجاهد)) بنفسه وماله. ((في سبيل))[2] هي الطريق وتذكَّر وتؤنَّث وتأنيثها أكثر استعمالاً عند العرب وبه جاء القرآن قال تعالى: {قل هذه سبيلي} ((الفاعل)) باختياره سبحانه وتعالى بلا وجوب «عليه ولا علة ولا إكراه، فالفاعل نعتٌ حُذِفَ منعوتُه للعلم به ضرورة وهو مضاف إلى ((ما شاء)) أي الذي شاء من كل ما يصح أن تتعلق به القدرة والإرادة من جميع الممكنات.

وأما الواجب والمستحيل فمعلوم أن القدرة والإرادة لا تتعلقان به[3]، أما الأول فلأنهما إن تعلقتا بإيجاده -والفرض أنه واجب الوجود- فلا معنى لتعلقهما به إلا تحصيل الحاصل وأما الثاني فلأنهما صفتا إيجاد وإعدام، فإن تعلقتا بالمستحيل لإيجاده يجتمع الضدان وإن تعلقتا به لإعدامه ف تحصيل الحاصل أيضًا.

الداي محمد بن عثمان باشا:

[1] ينظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني (338).

[2] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري(12/ 302).

[3] مكررة في الاصل وسقطت من النسخة ب.

((**السلطان**))[1] تقدم معناه ((أي عبد الله)) هي كنية لكل من تسمى باسم محمد وذلك، لأنه ولده[2] «صلى الله عليه وسلم» عبد الله، فكان «صلى الله عليه وسلم» يكنى به ويكنى أبا القاسم وأبا إبراهيم ولكن هي أقل استعمالاً في النبي من الأولى والثانية وأكثر استعمالاً في غيره منهما ((**السيد**)) [3] هو رئيس قومه الذي يسودهم بالخصال الحميدة، أو هو المالك الذي تجب طاعته ولهذا يقال: سيد الغلام ولا يقال: سيد الثوب، أو هو الحليم أو هو الذي يفزع إليه عند الشدائد وكلها صادقة الحمل على هذا السلطان. ((محمد)) بفتح الميم والأصل ضمُّها وكثر استعمال الناس لفتحها مع يقينهم بأنه محمد بالضم سمي رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وهذا الاسم أشرف الأسماء بعد أسماء الله تعالى وكل من تسمى بهذا الاسم أو سمي به يرجى له أن لا يؤاخذه الله بجريمة يوم القيامة ولا يظن في سعة جانب فضل الله مع معرفتنا لمقام سيدنا محمد عنده أن يؤخذ من تسمى أو سمي بهذا الاسم الشريف ولا يبعد أن تكون للمسمى أو من سماه ذمة عند رسول الله بهذا الاسم ومن أجل ذلك قال صاحب بردة المديح[4]:

---

[1] السلطان لغة جمع سليط وهو من سلطة وتسلط ومعناه الملك والولي وجمعه سلاطين أي الجهاد افضل واصطلاحا السلطان لقب عربي مشتق من السلطة والقوة استعمل في العهود الإسلامية لدى السلاجقة والعثمانيين والعُمانيين كذلك إتخذ منه صلاح الدين لقب سلطان مصر وكان آخر سلطان له سلطة حقيقة على الدولة العثمانية هو السلطان العثماني عبد الحميد الثاني. ينظر الى: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية.د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص 134.وينظر ايضا الى: علدان الجالودي: التحولات الفكرية في العالم الاسلامي، ط1، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الاردن، 2014م، ص، 556.وينطر الى: ابن منظور: لسان العرب، (305/2).

[2] ينظر الى: الندوي فخر الدين على: السيرة النبوية،ط12، دار ابن كثير – دمشق، – 1425 هـ، (ص: 554).

[3] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري(9/ 120).

[4] صاحب البردة هو العالم البوصيري وهو شرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي ولد بمصر في بني سويف سنة 608هـ–1213م وتوفي سنة 695هـ–1295م ولعل من أهم اعماله تاليفه لقصيدة البردة وهو في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتعرف ايضا باسم" الكواكب الذرية في مدح خير البرية"ولقد قام العديد من العلماء بتاليف شروح عليها= =منهم: ابن مرزوق التلمساني والشيخ شهاب الدين القسطلاني وغيرهم.ينظر:زكي مبارك :المدائح النبوية في الأدب

فإن لي ذِمَّةً منه بتسميته محمدًا وهو أوفى الخلق بالذِّمم[1]

فهو وإن كان قصده التماس شفاعة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بذلك وجلب رضاه، فلا يبعد اعتقاده في الله أن يسامحه بتسميته محمدًا، لما يعلمه من كرم الله ومحبته في نبيه «صلى الله عليه وسلم» .

((باشا)) [2] كلمة أعجمية مخرج بأيها بين باطن الشفة العليا وبعض ظاهر الشفة السفلى مع انضغاط النفس الخارج ومعناها الحاكم المتصرف، فيسبط يده في ما أذن فيه من أرض من أرض مخصوصة على وجه النيابة عن الخليفة الأعظم، فهو بمعنى الأمير في كلام العرب، لكن كان في الصدر الأول مختصًا به صاحب الجيش الغازي بإذن الخليفة، ثم أطلق بلا قيد على كل من تولى أرضًا يتصرف فيها بلا حجر «عليه من أحد منها وبقيد المؤمنين على الخليفة خاصة.

((الكتلولاري)) نسبة إلى كُتْلُولَارْ بحرف مخرجة بين كاف وقاف مضموم فمثناة فوقية ساكنة فلام مضمومة مشبعة **قليلاً**، فلام مفتوحة مشبعة، فراء مهملة ساكنة وهي قرية من قرى أرض العجم، مما يلي الخليج الرومي بينها وبينه مرحلة شاسعة ومرساة من ناحيتها تعرف بميري شْكله وبينهما بلد تعرف بقابي مقسومة بلدين كبراهما للروم وصغراهما

العربي،دط، دار الجيل للطبع والنشر،دت،ص215.وينظر أيضا الى: العامري يحيى بن ابي بكرالحرضي: بهجة المحافل وبغية الأماثل، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، (1/ 72).

[1] ينظر: الهروي على بن محمد: شرح الشفا، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1421 هـ، (1/ 385). وجاءت بصيغة :

إنَّ لي ذِمَّةً منه بتَسمِيَتِي مُحَمَّدًا وَهْوَ أَوفَى الخَلقِ بالذِّمَمِ. والذمم بمعنى الأمان والعهد .ينظر الى:محمد يحيى حلو:البردة شرحا واعرابا وبلاغة،دط،دار البيروني،دمشق،1426هـ،ص198.

[2] الباشا بمعنى الوزير وهي كلمة تركية الأصل وهو لقب تشريفي تركي استعمل في عهد الدولة العثمانية وفي الايالات التابعة لها وهو اعلى رتبة بعد السلطان ويمنح لكبار العسكريين وذوي المناصب المدنية العليا وعرفت الجزائر خلال فترة الحكم العثماني لها مرحة البشوات (1659/1587)حيث كان حاكم الجزائر يلقب بلقب الباشا ومازال هذا اللقب متداولا في بعض الدول العربية كرمز للغنى والمكانة المرموقة. ينظر الى: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص50.

للإسلام وأما كتلولار هذه وجارتها كنجلار[1] وهي قرية أيضًا أكبر من كتلولار فأهلهما أحسن الناس إيمانًا واعتقادًا يكرمون الضيف ويمنعون تنزيلهم من كل أحد، لأن أهل تلك الناحية أهل بأس ونجدة يحمون ما وراء ظهورهم ولا يدل لأحد «عليهم، من عظيم بأسهم وقوة شجاعتهم لا يكاد سلطان يتسلط «عليهم ولا «عليهم سبيل لأحد إلا لله ورسوله، فهم منقادون وللشرع طائعون ولا يمضي فيهم ويرتضى ويقع به القضاء إلا حكم الشرع العزيز وفيهم الحياء والدِّين وبلادهم أكثرها جبال وأودية وشعاب صعبة السلوى والمرفأ[2] وهي ذات زرع وخصب وفيها من الثمار ما زاد على الحاجة ويوجد فيها رمان وأجاص(3) لا نظير له في الدنيا إلا قليل وكذلك التين والعنب كثير والزيتون ومن عجائبهم أنهم يعصرون حب الزيتون بعد درسه في درسه ضروب من خشين، خشين الغطاء لعدم وجود الحلفاء باللولب بين خشبتين وكانوا في القديم يشربون من الآبار وآبارهم عميقة إلى نحو الثلاثين قامة وأكثرهم أخرج الله لهم ينبوعًا جاريًا عذبًا من جانب جبلٍ قِبْلَةَ كُتْلُولَارْ ويجري ماؤها وقاطعًا لخط المشرق ذاهب للشمال في واد كثير الدغل والأشجار الكبيرة العظيمة، مثل الصنوبر[4]والبطوم[5] والدرداء[6] والطلح[1] وغير ذلك ويعرف هذا الوادي عندهم ويسمى

---

[1] سقطت من النسخة ب. وأما كنجلار فوجدنا أنها كلمة أعجمية أصلها" كبجلار" .ينظر الى:كتاب منير الديباجي وفوز المحاجي بحوز الأحاجي ،تح:سلامة عبد القادر المرافي،رسالة لنيل ذكتوراه،جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية،دت،ص354.

[2] ينظر: «تاج العروس» (1/ 247).

[3] ينظر: «لسان العرب» لابن منظور(7/ 3).

[4] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (12/ 191).

[5] بطوم (تيجغت) وجمعها (تيجغين) وثمارها گدّوم (آجّن) التي يستخرج منها الزيت (ؤدي وْآجّن) وهي ثنائية الجنس أي أن هناك شجرة ذكر وأخرى أنثى وهي من الفصيلة الانكدارية وأسمها العلمي (Pistacia atlantica Desf). كما أن هناك نوعان منها: نوع ثماره خضراء وآخر ثماره سوداء (عند النضج).

تنبت شجرة البطوم في الأماكن الرطبة وبين الصخور فنجدها على حافة الجبل معلقة بين الصخور بعيداً عن متناول حيوانات الماعز التي تأكلها بشراها ودائما ما تحاول التسلق إليها كما يتواجد هذا النوع من الأشجار في مجاري الوديان في جبل نفوسة = =والداوون بترهونة ووادي سوف الجين في بني وليد ووادي سليمان ووادي طيب. ينظر الى: عبد الكريم شوير: الطب الشعبي الليبي، تر: عبد الكريم حكمت، د ط، منشورات مركز دراسة جهاد البيين ضد الغزو الايطإلى، ليبيا، 1989م، ص164.

[6] ينظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (2/ 470).

أكجاه. ويجري ماؤه فيصب في وادي آخر يسمونه أكشاي وهذا الوادي أكبر وأكثر ماء وأغزر من وادي أكجاه ويختلط ماؤها جميعًا فينصب إلى البحر وقد عرفت أن البحر على قدر مرحلة ولكن الوادي يدور بين الجبال، فلو سار سائر على حافته فلا يصل البحر في أربعة ولا في خمسة مراحل لكثرة شجره وانعطافه والتوائه وانحرافه ولا عجب في أمر الله وعظيم قدرته وسعت حكمته أن خلق هذا السلطان العظيم والصالح الكريم[2] في قرية صغيرة، فقد أجرى الله عادته أن لا يخلق أخيار عباده وأعيانهم إلا في القرى غالبًا وكفى بأفضل المخلوقات وسيد أهل الأرض والسماوات أن خلقه في قرية هي أم القرى «صلى الله عليه وسلم» وزاد في تشريف مقامه الأعلى وعظمٌ .

بيعته على ولاية الجزائر:

وكانت ولاية هذا السلطان على مملكة الجزائر ببيعة كاملة[3] من أهل الحل والعقد، بعد أن أوصى باستخلافه السلطان الذي كان قبله رحمه الله[4]، لما رأى فيه من النجابة والنجاح وكثرة الديانة والصلاح والاتصاف بالحلم وانتسابه لأهل العلم، فاجتمع له في

---

[1] ينظر الى: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق: غريب الحديث، تح: سليمان إبراهيم محمد العايد، ط 1، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، هـ 1405، (2/ 630).

[2] ويقصد الداي محمد بن عثمان باشا والذي ولد

[3] تمت بيعة الدي محمد باشا على ايالة الجزائر يوم الأثنين 22شعبان سنة1179هـ في اجتماع حضره كل من أغا العسكر،كافى الديوان والمفتين،القضاة، نقيب الأشراف وكذلك أعيان الناس بدار الامارة حيث جلس محمد باشا على كرسي الحكم وبايعه العلماء أولا ثم نقيب الأشراف،وكافة الديوان والناس ليلبس بعدهاالخلعة السلطانية واطلقة المدافع بعدها.ينظر الى: أحمد الشريف الزهار : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ،تح:أحمد توفيق المدني،مصدر سابق،ص23.

[4] الداي الذي حكم الجزائر قبل محمد باشا هو الداي علي باشا والذي عرف بلقب "بوصبع"وينقل عنه الشيخ الزهار أنه عندما اشتذ به المرض وأحس بقرب أجله جمع وزراءه من الخزناجي،أغا العرب،خوجة الخيل،وكيل الحرج بباب الجهاد، ووكيل بيت مال المسلمين وأوصاهم بأن يخلفة في الحكم محمد بن عثمان باشا كما أوصاه على أهله ايضا ولقد توفي الداي علي باشا يوم الأحد 21شعبان1179هـ.ينظر الى: الزهار أحمد الشريف : مصدر سابق،ص23.وينظر ايضا الى :محمد مبارك الميلي: تاريخ الجزائر،ج3، مرجع سابق،ص229.

ولايته الاستخلاف من قبله والبيعة التامة الشرعية من أهل الحل والعقد من خاصة أهل الكلمة فقهاء وعسكرًا، فبارك الله فيه للإسلام وملأ قلبه حقدًا على عبدة الأصنام.

جهاده ضد الاسبان:

وصار يغزوهم المرتين والثلاث والأربع كل عام، بل ربما غزاهم كل شهر وأخبرني غير واحد ممن أثق به أنه منذ تولى المملكة والبحر عامر بالمجاهدين من الجزائر بأمره وتجهيزه[1] بحيث لا تزال كل شهر ترى مركبًا خارجة غازية وأخرى داخلة غانمة وعظم الخطب والمصيبة على المشركين من كفار عمل أصبانية من عظيم ما أصابهم، فجمع الأذفونش[2] وهو عظيمهم المسمى بكارلو أحزابهم وجهز جيشًا بل جيوشًا كثيرة[3] واستعمل عمارة استكبرها وهي عندنا صغيرة وقصد الجزائر يتربص الدوائر ورست سفونه قريبًا من ساحلها غرة جمادى الأولى وكان يوم جمعة، فلما مضت الجمعة التي تليها نزلوا سحر

---

[1] اهتم الداي محمد باشا كثيرا بالجيش العسكري سواء البري او الأسطول لحماية البلاد من الخطر الخارجي وحتى الداخلي حيث في عصره زاد عدد سفن الأسطول الجزائري ومن اشهر بحارة عصره القبطان محمد الذي قاد حملات واسعة حوض المتوسط وفنم الكثير من الغنائم وأسر العديد من الأسرى الأروبيين،وازدهر نشاطه وجهاده في البحر الابيض المتوسط حيث خاض حربا ضد الدنمارك بعد أن نقض العدنة التي كانت معهم ليقوموا بمهاجمة مدينة الجزائر لكنهم فشلوا في احتلالها فطلبوا الصلح من محمد باشا الذي لم يقبله الا بصعوبة وبشروط طبيرة لصالحه، كما خاض الداي محمد باشا حروبا ضد الاسبان انتصر فيها .ينظر الى: الزهار احمد : مصدر سابق،ص25.

[2] الأذفونش ملك الأندلس وبيده جمهور الأندلس وبسيوفه فنيت جحاجحها الشمس وهو وارث ملك (لذريق) الملك. وكان بأيديهم قطعة منها- أعني النصارى- أيام بني أمية حتى زالت أيامهم ونكست أعلامهم وخمدت سورتهم وأخذ قسورتهم وتقسم ملك الخلافة بأيدي ملوك الطوائف كبني عباد وبني الأفطس وبني صمادح وبني جهور وبني سعيد وغيرهم من كل قريب وبعيد. ينظر الى: الصفاقسي ابي الثناء: نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار ومناقب السادة الاطهار، تح: محمد عثمان، دتر الكتب العلمية، بيروت، 1971م، (411-412/1).

[3] نظرا لأهمية هذه الحملة للاسبان فقد أولى ملكهم أهمية كبيرة لتجهيزها بالقوة اللازمة لتحقيق النصر على الجزائريين وكم أولى قيادة هذه الحملة للضابط الايرلندي األيكسندر أوريلي واما عن تعداد قوة الاسبا فقدرت بحوالي 5è سفينة حربية مختلفة الأنواع زكانت مزودة بما قدر ب140 قطعة مدفعية و28 مدفع هاون وبلغ عدد الجنود المشاركين في هذه الحملة بحوالي 24447 جندي منهم الفرسان والمشاة ورجال المدفعية وحتى العبيد.ينظر الى:ويليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر:تع: عبد القادر زبادية،دط، دار القصبة، الجزائر،2007م،ص181.وايضا ينظر الى:جون وولف: الجزائر وأروبا 1500-1830،تر:ابو القاسم سعد الله، ط1، دار عالم المعرفة،الجزائر،2015،ص403.

p 62،vol;op،In Ra ، ''Expédition d'oreilly en 1775 ،Major dalrymle

يوم السبت تاسع الشهر 1189 سنة تسع وثمانين ومائة وألف[1] إلى الساحل بموضع يعرف بالحراش وركزوا به أتراسًا يتترسون بها وصوره أبراج البناء من الخشب[2] ولما أصبح طرب إلى قتالهم أهل الإسلام وقصدوهم قصد الراغب في دار الإسلام وتراء الجمعان والتقى الصفان حتى لا تسمع الأذن من المدافع طنينًا ولا من قعقعة السيوف رنينًا ومات من الفريقين ما شاء الله وذلك يوم السبت وكانت الفجاءة لهم صباحًا، قيل: حتى وصل بعضهم طرف البساتين، ثم كانت الدبرة «عليهم وسيف النصر للإسلام، فانتدبوا إليهم وانهزم الكافرون برعب ألقاه الله في قلوبهم كعادته في أمثالهم[3] ودخلوا تحت جناح سحر ليلة الأحد مستترين بظلمته ليركبوا سفنهم وبلغت أرواح شجعانهم الحلاقيم[4] وعلموا أنهم إن أصبحوا أحل بهم إما الموت أو الأسر والعذاب الإلىم، فركبوا سفنهم بغيظهم وبكربهم وأصبح مكانهم مخبرًا بلسان حاله من عظيم رعبهم وتركوا أمواتهم وكثيرًا من آلات حربهم ويلعن بعضهم بعضًا وكلهم ملعونون وانصرفوا –صرف الله قلوبهم بأنهم

---

[1] من حملات التي تعرت لها الجزائر في عهد محمد باشا حملة عرفت باسم حملة أوريلي سنة1197هـ–1775م والتي تعتبر الحملة الاسبانية الأولى خلال القرن 18م ومن اسباب هذه الحملة أن ملك الاسبان المسمى شارل الثالث كام مجبرا ان يجد حلا له ولبلاده خاصة بعد حرب السبع سنوات فلم يجد مخرجا أمامه الا مهاجمة الجزائر كمحاولة لاسترجاع أمجاد اسلافه خاصة أن الجزائر كانت تعرف اضطربات دالخلية بسبب تمرد بعض القبائل على الداي محمد باشا . ينظر الى :محمد السعيد بوبكر: العلاقات الالسياسية الجزائرية الاسبانية خلال القرن 12هـ–18م،رشالة ماجستير ،اشراف الأستاذ مختار حساني،جامعة الجزائر2،دت،ص ص213–216.

[2] ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (6/ 290).

[3] انتهت حملة أوريلي الاسبانية على الجزائر بانتصار الجيش العثماني الجزائري وانهزام الاسبان حيث قتل فيها الماركيز دي رومان وأما عن عدد قتلى الاسبان فلم نجد من أحصاهم بدقة لكن قدرت بحوالي 14 ألف بيت قتيل وجريح، وعن خسائرهم فيقول ابن رقية التلمساني:"...تركوا وراءهم سبعة عشر مدفع من النحاس والأُثقال ولم يأخذوا من السلاح ولا مكحلة واحدة كما رموا عذذا كبيرا من الرصاص والكور حيث كانت كل رمية الجزائر تقابلها مئة رمية من الاسبان أو أكثر....".ينظر الى: ابن رقية التلمساني: الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين اغار عليها الكفرة،مخطوط بالمكتبر الوطنية الجزائرية،رقم 1626،ص ص 29–31.وايضا: محمد صالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها،تح:يحيى بوعزيز،ط1،دار هومة،الجزائر، دت،ص 80..وايضا ينظر ألى: مؤلف مجهول: تاريخ بايات قسنطينة،تح:مختار حساني،دط،مطبعة دحلب،الجزائر،دت،ص10.

[4] ينظر: الأزهري تهذيب اللغة، (6/ 227).

قوم لا يفقهون- وكان ارتحالهم من تلك المرسى يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى المذكورة[1].

ثم لما كان عام سبعة وتسعين[2] جمعوا كيدهم أيضًا وجاءوا وفي عدد وعُدد بأكثر من الأولى[3] وكان مرادهم أن ينزلوا ثانيًا من حيث نزلوا أولًا فوجدوا هذا السلطان الكريم والمجاهد العظيم، قد بنافي ذلك المحل ما يرهب جنودهم ويبيد جهدهم ويضعف كيدهم

---

[1] لقد مات من الاسبان عددا كبيرا فقد دفن حوالي 400 قتيل منهم بمقبرة واحدة بمكان يعرف بعين الربط،أما الجزائريين فقد كان انتصارهم في هذه الواقعة حدثا كبيرا حتى أنه نظمت قصائد في التغني بشجاعة الجزائريين وتصف أحداثها منها ما قاله الشيخ محمد بن سعيد التطواني:

احق ما أشيع عن الجزائر من ارهاب االبواطن والظواهر

لئن نزل الهوان بها فذلت فقد شمل البوادي والحواضر

وكيف يلد في بلاد مقام اذا هان الهوان على الأكابر

وقال ايضا الشيخ سعيد قدورة رحمه الله:

هي الأقلام تنطقها المحابر لسمعك اليقين عن الجزائر

أتاها ما أراد الله حينا فكادت تشق لها المرائر

أذا جاءها والأمر أمر مليك لا يجازي في الماثر

ينظر الى:عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ج3،دط،دار الأمة،الجزائر،2010،ص245.وايضا الى: الناصري ابو راس : عجائب الأسفار ولطائف الأخبار،ج1،تح: محمد غانم، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر ،2003،ص164.والى: ابن رقية التلمساني: مخطوط سايق،ص31.

[2] تعرضت الجزائر أيضا في سنة 1197هـ-1783م الى حملة اسبانية أخرى عرفت باسم حملة الدون انطونيو نسبة لقلئدها الدون بارسيلو أنطونيو والتي من أهم اسبابها رغبة اسبانيا في الانتقام لانهزامهم السابق في حملة أوريلي ورد اعتبارهم أمام دول العالم وأيضا من اشباب هذه الحري ذلك الحصار الذي فرضه الباي محمد الكبير على مدينة وهرات والتي كانت خاضعة للاحتلال الاسباني .ينظر الى: جون وولف/ مصدر سابق، ص407.وأيضا الى: يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر،ج2،ط2،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،دت،ص73.وينظر ايضا الى: مؤلف مجهول :تاريخ مجئ الاسبان للجزائر للمرة الثانية والثالثة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية،رقم ،ص14.

[3] لقد أراد الاسبا في هذه الحملة ان ينزلوا أين نزلوا المرة السابقة بالحراش لكن الداي محمد باشا كان قد شيد العديد من الأبراج والحصون والطبانات هناك،أما عن تعداد جيوش الاسبان في هذه الحملة فقدكانت أكثر من سابقتها بكثير بسب اصرار الاسبان على النصر فيها وقدرت بحوالي 76سفينة كما انضم اليها عدد من الجنود البرتغال . ينظر الى:= =مولود قاسم:شخصية الجزائر وهيبتها العالمية ما قبل 1830،ط1،دار الأمة ،الجزائر،2007م،ص163.عبد القادر فكاير: الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية ةاثاره،دط،مديرية النشر لجامعة قالمة،الجزائر،2010،ص ص176-180.يحيى بوعزيز:علاقات الجزائرمع دول ومماليك اروبا (1830-1500)، طخ، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص102.

من البناءات المرصوصة المرصوفة والمدافع المصفوفة المخوفة والعساكر التي هي بالإيمان موصوفة وبالنصر محفوفة، فمنعهم ذلك من الهبوط وكان ارتفاعهم عن البحر هو عين السفوط ولزموا ماء البحر كالحيتان إذا حام بنوا الأجدل وكالإبل إذا بان المرزم جوار الأعزل وحربوا بالمجانيق[1] النيرانية على بعد فما ظفروا لا بالمشقة وبلوغ الجهد وارتحلوا صبيحة يوم السبتفي شهر رمضان خائبين[2] ناعين موتاهم إلى أهلهم وقد كبتوا كما كبت الذين من قبلهم.

ثم لما عظم «عليهم المصاب ووهم أكثرهم في نفسه وارتاب وسمع بهزيمتهم الأقطار والأمصار وتأججت في صدورهم نار، أي نار وأبلسوا فألبسوا ثياب الخزي والعار، ركبوا البحر ثلاثة[3] لقولهم بالتثليث ولعدم معرتهم بما تجعرهمجاعر أفئدتهم من الترويث للتلويث

---

[1]مجنق: المِنْجَنِيق «بكسر الميم وفتحها» والمَنْجَنُوق، قال سِيبوَيْهُ: هي فَنْعلل، المِيمُ من نفْسِ الكلمة أَصْلِية، لقولهم في الجَمْع: مَجانِيق. وفي التَّصْغِير: مُجَيْنِيق ولأَنَّها لو كَانَت زائِدَةً والنُّون زائدة لاجْتَمَعت زائِدَتان في أَوَّل الاسم وهذا لا يَكُونُ في الأَسْماءِ ولا الصِّفاتِ التي ليسَت على الأَفْعال المَزِيدة. وهو آلةٌ حربية قديمةٌ من آلات الحصار، كانت تُرْمى بها حجارةٌ ثقيلة على الأسوار فتهدمها.ينظر الى: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، (351/2).

[2] انتهت هذه الحرب ايضا بانهزتم القوات الاسبانية وتم ذلك في أوت1786م الموافق لرمضان 1197هـ ،حيث دمرت سفينة الأميرال الاسباني بثلاث طلقات من المدفعية الجزائرية ولقد تضررت مدينة الجزائر في هذه الحرب حيت تم تقدير عدد المنازل المتضررة بحوالي 200منزلا بما فيها قصر الدي محمد باشا اما الاسبان فتكبدوا خسائر ضخمة .ينظر الى: الناصري ابو راس: مصدر سابق،ص165، عبد القادر فكاير: حملتي أنطوطنيو بارسيلو على الجزائر أواخر القرن18م من خلال مخطوط مجيئ الصبنيول،مجلة عصور الجديدة،عدد1،وهران،2011م ،ص80.

[3] للمرة الثالثة على التوالي قام الاسبان بحملة على الجزائر في نفس القرن وهذه المرة أيضا قادها الدون أنطونيو في سنة 1198هـ-1784م فتعود أسبابها الى الى الرغبة الشديدة للاسبان في محو هزائمهم السباقة والتي زعزعت مكانتهم الدولية وأيضا لأن الداي محمد باشا رفض الصلح معهم في الهزيمة السابقة فقد اشترط عليهم استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير لعقد الصلح معهم ،ومما زاد من خوف الاسبان انذاك هو تزايد نشاط الأسطول البحري الجزائري في= =حوض المتوسط مما أرعبهم خاصة مصالحهم التجارية والسياسية هناك.ينظر الى: ابن سحنون احمد:الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تح:المهدي البوعبدلي،دط، مطبعة البعث،الجزائر،261،1973.وايضا الى: جيمس ليدر كاتكرت: مذكرات أسير الداي كاتكرت قنصل أمريكا بالمغرب، تر وتع: اسماعيل العربي،دط،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1982،ص14.

HDGrammont،’’document Relatif a le second expédition de don Angelo barcelo’’Alger ،1784،Alger،1882،p20 .

ورست سفنهم حيث رست قبل وبعدوا عن أن يصيبهم الرصاص والكور والنبل، فخرج «عليهم الإسلام في نحو من ثلاثين زورقًا صغارًا وبذلوا أنفسهم لله امتثالاً وانتصارًا وأعلنوا بكلمة التوحيد بالتكبير والتسبيح والتحميد، حتى بان ذلك إليوم من الفرح بالجهاد يوم عيد وأسعرت النار أشرارًا وحريقًا والمراكب تفريقًا وتمزيقًا، حتى لا يجد الشجاع في مجد يومئذٍ ريفًا واشتبهت اللوافح باللوافع وصمت الأذان من قواصف رعود المدافع وعلم الكوافر أنهم ما لهم من عذاب الله من دافع، فكسر الإسلام من مراكبهم الكبرى مركبين واعتصروا من صغارها نحو ثلاثين بربِّ المشرقين وربِّ المغربين واتضح بالكاشفة خذلان أعداء الله وخسرانهم وانفضت بإظهار عجزهم وهزيمتهم[1] صلبانهم وما أغنت عنهم تلك المجانيق انتفاعًا وذهبوا وهم بالغصة كالمخانيق سراعًا ومات من أعداء الله في الوقعات الثلاث ما يوجب حيرة الحيسوب في مناسخات فرائض التراث ومسهم من البلاء ما كانوا يجهلون ومن الإيحاء ما هم به على الأبد في الحياة الدنيا ملعونون ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون وكان ورودهم يوم الخميس في 26 شعبان وارتحالهم عاشر يوم من رمضان سنة 1198.

إصلاحات محمد باشا داي الجزائر:

ثم لم يزل هذا السلطان الصالح[2] والمؤمن الكامل الناصح، مشغول بأمر الجهاد والعًا به ولع الفلكي بالأرصاد والرضيع بالثدي والطفل بالأعياد وعمرو بن عدي[1] بالطوق في

---

[1] لقد امهزم الاسبان ايضا في هذه الحرب على الجزائر للمرة الثالثة على التوالي وتكبدوا خسائر كبيرة حيث قدرت بحوالي 3378 قنبلة و15150 قذيفة وأما بشريا فتجاوز عدد قتلاهم حوالى 300 قتيلا ،ضد الى كل هذا مالحق بمكانة اسبانيا الدولية خاصة أنها الهزيمة الثالثة على التوالي أمام نفس العدة وهو الجزائر العثمانية.ينظر الى :عبد القادر فكاير : حملتي أنطونيو على الجزائر أواخر القرن 18،مرجع سابق،ص ص 78–82.وأيضا الى: أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب،دت،ص282.

[2] لقد شهد للداي محمد عثمان باشا الذي حكم الجزائر (1766م–1791م) بالصلاح والعدل فقد شهدت البلاد خلال حكمه ازدهارا اقتصاديا وثقافيا ةاستقرارا سياسيا ففي عهده تصدي للحملات الاروبية على الجزائر ويكفي أنه تم تحرير

الناد وزاد في إصلاح الثغور وبناء ما لا يخاف به بأن الله ما دامت الدهور، منها: برج عظيم البناء أحدثه فدام موضع يعرف برأس عمار[2] وأسس أركانه وأشاد بنيانه وجعل «عليه مدافع عظيمة بالثغر بها حصان وعمر عمارة لها شأن من الشأن ومنها: طبانة[3] أحدثها في موضع يعرف بحراش[4]، يشتمل على عمارة عظيمة بمدافع جسيمة، يحصل بها للكافرين عظيم إرهاب ومن دنا منهم إليها أذاقته طعم العذاب وهي مطردة قامعة

مدينة وهران من قبضة الاسبان في عهده سنة 1792م ويقول عنه الحاج أحمد الزهار ي مذكراته:"...كان رحمه الله مؤثر للعدل والانصاف ،عارفا بقوانين الملك ملتزما لأحكام الشريعة المطهرة.....وكان لباسه ما يستر به جسده وطعامه ما يشبع بطنه وفي كل سنة كان يبعث حوائجه للخياط ليرقعها.."ينظر الى:الزهار احم الشريف:مذكراته،مصدر سابق، ص 23.

[1] هو عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخمولد سنة 268 زتزفي سنة295 هـ ويعتبر أول ملك في سلالة ملوك الحيرة، انتقل إليه الحكم بعد وفاة خاله جذيمة الأبرش الذي كان له الفضل في تنظيم أمور الحكم حيث أنه حكم عدة مناطق في العراق. كان عمرو بن عدي من انصار المانوية ودعاتها المعروفين، قام عمرو بإيواء وحماية المانويين الهاربين من الاضطهاد الساساني كما نجح في إقناع نرسي بوقف اضطهاد المانوييني.ينظر الى: الطبري: تاريخ الطبري، (30/2).

[2] هو برج راس العمار بميناء الجزائر ويقع فوق ضريح السيد ابراهيم السلامي البحري والذي يقال انه استشهد في هذه الحملة ويع هذا البرج شمال برج الفنار بحوالي 100م وهو مستطيل الشكل طوله 21م وعرضه 7م وكان يحتوي على حوالي 25مدفعا من عيار 18ملم و7هاونات ذات العيار الكبير وشيده الداي محمد باشا ضمن الاصلاحات التي قام بها للتصدي للحملات الاروبية خاصة الاسبانية، زكان الجزائرين يذهبون اليه للعمل والجهاد لوجه الله وبلا مقابل مادي وكما يوجد برج قديم يحمل نفس الاسم بمدينة الجزائر.ينظر الى: رياس لخضر،مرجع سابق،ص 154. أحمد الزهار : مذكراته، مصدر سابق، ص24.

[3] طبانة وفي بعض المصادر الأخرى تذكر طبخانة و تعني بيت المدفع وهي من البنايلت العسكرية التي أنشات للدفاع والحماية حيث عرفت مدينة الجزائر خلال عهد محمد باشا بناء العديد منهم بنية حماية المدينة من الأخطار الخارجية .ينظر الى: بن عتو بولبروات: المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني،ط1،دار كوكب العلوم ،الجزائر،دت،ص248.وايضا ينظر الى: رياس لخضر : المدفعية الجزائرية في العهد العثملني ،اشراف الاستاذ:مولاي بلحميس،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه(الحلقة الثالثة)، جامعة الجزائر،معهد التاريخ،1989-1990،ص143.

[4] كان في المنطقة المسماة بالحراش بمدينة الجزائر برجا سمي عليها ببرج الحراش وعرف ايضا باسم ببرج القنطرة وببرج الاغا نسبة للاغا الذي بناه وكان عبارة عن ثكنة تعرف بالدار المربعة وكما كان استراحة لبايات الشرق وتم تجديده من طرف مصطفى باشا سنة 1198هـ.ينظر الى رياس لخضر،مرجع سابق،ص108.

للنصارى من أن ينزلوا هنالك، لأنهم أيقنوا أن من قرب منهم إليها هالك وذادتهم بعصا الإرهاب عن ذلك الساحل وصيرته وهو أقرب إليهم من ثلاثة أميال، كأنه بعيد بمراحل.

ومنها طبانة تعرف بطبانة المجاهدين أحدث بناءها في مصارع المجاهدين بالعام الأول، فكانت بين طبانة الحراش والمدينة، أقامها اختراعًا من أساسها وعمرها بمدافع ترهب الكفار من بأسها وأقام نوبتها بحراسها فكانت لبدر أحسن ما يراها الناظرون وتبتهج بها النفوس وتقر بها العيون.

ومنها طبانة أحدث بناءها بالدباغين وهي أيضًا عظيمة البنيان، قوية السيسان، يخافها البعيد خوف الدان لِمَا جعل «عليها من المدافع العجيبة وما خصها به من الهندسيات الغريبة.

ومنها طبانة أخرى أيضًا كبيرة عظيمة لا نظير لها، أحدثها تحت برج الفنار[1]، ركزها في نحو عشر قامات أو أكثر عمقًا في البحر ولم يزل يلقي عظيم الحجارة في البحر حتى علا الحجر على الماء، فتمم بناءها وأغرب في صنعها وجعل لها صراطًا من البر يبلغ إليها، ثم اقتضى نظره السديد ورأيه الرشيد أن يجعل فوق ذلك كله سقفًا مسنمًا وسطه، بحيث لا يصاب من فيها بسوء من مجانيق أعداء الله وأبدع في ضخامة البنيان بحيث لو تنزل «عليها البونية أبدًا، فأهلها في أمان بحول الله وقوته.

ومنها: طبانة أخرى أيضًا كبيرة أنشأها له خارج باب الجزيرة على شمال الخارج من الباب وجعل فيها أيضًا من المدافع والعمارة ما الله به علىم وكل من في سمتها لجهة البحر لا يأمن هلاكًا إلا بأمان ربها.

---

[1] برج الفنار وهو من ابراج مدينة الجزائر ويعرفه الأروبيون بحصن الفنار ويحتوي على أكبر مخزن للبارود وكما كان مقرا لاجتماعاة الطوبجية،وأما عن شكله فقد كان ثماني الأضلاع ويتكون من أربعة طوابق بها61 فتحة بها 55مدفعا أغلبعا من العيارات الكبيرة .ينظر:رياس لخضر،مرجع سابق،ص 118.

ومنها طبانة أخرى أحدثها تجاه باب الوادي[1] في موضع يعرف بالجعالل وهي أيضًا حصن كبير وموضع لإرصاد الحرب شهير وفيها من المدافع العظيمة، عدد كثير.

ومنها طبانة أخرى أحدثها أيضًا تحت برج بوليلة بين البحر ومكان يعرف بالسبع قبب، أحسن تأسيسها وبناءها وحكمه تحكيمًا عظيمًا وجعل فيها أيضًا من المدافع وآلة الحرب ما يعجب النظار ويغيظ الكفار ويرضي الواحد القهار.

ومنها: طبانة أخرى، رسمها بموضع يعرف بقاعة الفول[2] وجعل فيها أيضًا من المدافع والعمارة التي لابد منها ما يعجب القلوب ويغفر الذنوب ويتعلم به الجاهل وصف الحروب.

ومنها: طبانة أخرى أحدثها أيضًا تحت برج ابن نيارة فكانت كافية عن البرج المذكور وجعل فيها من عمارة الحرب وقطع المدافع القدر الموفور، بحيث لو لم يكن في الجزائر إلا هي وطبانة رأس عمار لكان الناس في أمان من الكفار.

ومنها طبانة أخرى أحدثها أيضًا بموضع يعرف بمرسة الذبان[3] وجعلها كاملة الأوصاف ليس فيها نقص ولا انحراف وجعل فيها من المدافع وآلة الحرب ما يخافه من لا يخاف.

[1] من المباني التي شيدها الدايمحمد عثمان باشا لحماية مدينة الجزائر أو دار السلطان انذاك برجا في منطقة باب الواد ويسمى أيضا بعدة أسماء مثل: برج محمد باشا ،برج24ساعة،برج العلج علي، ويعتبر هذا البرج من الأبراج الثلاث الرئيسية للدفاع عن المدينة ،وأما عن شكله فكام مربع الشكل غير منتظم ومحصن من جهة البحر ويتكون من طابقين العلوي به 34فتحة بها 27مدفعا.ينظى الى: رياس لخضر :مرجع سابق،ص 94.

[2]والمقصود قاعة الغول حيث أنشا هناك برج عسكري ايضا عرف ببرج قاعة الغول ويسمى أيضا ببرج الحاج علي وبرج الانجليزوهو مربع الشكل وضلعه المواجه للبحر نصف دائري ولقد كان يتكون من طابقين العلوي به 22فتحة بها 20 مدفعا ويحط به خندقا ولقد وجدت على بابه كتابة عثمانية موجودة بالمتحف الوطني للاثار القديمة.ينظر الى: رياس لخضر:مرجع سابق،ص ص93-94.

[3] شيد الداي محمد باشا طبانة سميت بكبانة مرسى الذبان وهي تقع بالقرب من وادي ذراع المنحدر من جبال بوزريعة وكانت تحتوي على 12مدفعا القيت في البحر خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر،كما كان في نفس المنطقة برطان عرفا بنفس الاسم،أما برج مرسى الذبان القديم فقد كان على شكل حذوة الحصان وتكون من طابقين وكان الطابق

ومنها: إصلاحه لبرج سردين[1] كان في القديم مبنيًا بناء في الجملة، فشرع هذا السلطان الصالح في إصلاحه وبنائه وزاد فيه زيادة نقلته عن أصله، بحيث صار غير الأول شكلًا وعمارة وقوة بناء وجعل فيه أيضًا من المدافع وآلة الحرب ما يستعجبه أولو الأبصار ويستقر به ذوو التفكر والاعتبار.

ومن محاسن صنعه مع الله سبحانه وأنه يرجو فضله وإحسانه وبه يستحق عفوه وغفرانه، بناؤه لجامع السيدة[2] جوار داره، فإنه كان خرب وسقط بعضه وأنهرشت أرضه وتداعت للسقوط بغيته فخلصت من هذا السلطان نيته وشرع في تجديده وتكليف بنائه وتشييده وصرف «عليه من مال نفسه الخاص به ما يعلمه الله وجاء بالحجارة الحميدة،

السفلي خالي من الفتحات وأما العلوي فكان به مدفعيم موجهين نحو البحروتم بناءه سنة1671م،أما برج مرسى الذبان الجديد فوجد وراء القديم بحواي 50مترا وبناه الداي حسين باشا سنة1824م .ينظر الى: رياس لخضر ص ص 92-100.

[1] من أبراج التي وجدت مدينة الجزائر في العهد العثماني برج السردين وقد بناه احمد باشا سنة 1077هـ-1666م وأصلحه الداي محمدعثمان باشا في عام1190هـ-1776م ويقع هذا البرج بمحاذاة برج مابين وتعود تسميته ببرج السردين بسبب الوحة التي توجد في أعلى باب البرج وبها رسم لسمكتين من نوع السردين وجدت به كتابتان تحتوي الثانية:"... الذي قام بتجديد هذا البرج لقهر العدو الفاتح الناصر محمد باشا بن عثمان الرجل السيد والشسجاع سيكون أمام العدو وبناءا صلبا مثل سد الاسكندر..".ينظر الى: رياس لخضر :مرجع سابق،ص ص 123-125.

[2] اعتبر من المساجد السبعة الرئييسة منذ القرن 16م وتقول بعض المصادر أن يقع في سوق الخضار قربلدكة السكة، وقام الداي محمد باشا باعادة بنائه سنة 1198هـ-1781م حيث اشترى الداي الحوانيت المحيطة بالمسجد بغرض توسيعه ليبنى فيما بعد حولنيت اخرى جديدة في حواف المسجد الجديد تحولت فيما بعد سبل للخيرات،ةاصبح المسجد بعد اعادة بنائه لمصلى للبشوات لقربه من قصر الجنينة وهو قصر الحكم والسلطان،لم يكن لهذا المسجد منبرا من الخارج لانه كان وسط مجموة متداخلة من المباني فقد كان مواجها للمدخل الرئيسي لساحة القصر ،وأما مئذنته فقد كانت عند الزاوية الشرقية ، وأما فيما يخص هندسته وعمارته فمن الداخل كانت رفيعة الشان تعلوه في الوسط قبة كبيرة تستند الو عشرين عمودا من الرخام الابيض ،وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر تعرض هذا المسجد للهدم و بنى الفرنسيون مكانه فندقًا سمي "لاريجونس" ليُهدم بدوره بعد استقلال البلاد عام 1962، ويتحول المكان إلى محطة= =للحافلات وقيل عن سبب هدمه لنه اشيع ان تحته كنوز من زمن قديم فقام الجنرال كلوزيل بهده، بعد هدمه تم نقل أجزاء منه إلى مساجد العاصمة و هي : منبر الجامع الجديد بالعاصمة وكذا الأقواس ونافورة الماء في واجهة الجامع الكبير.ومنذ سنة فقط وخلال انشاة مترو الحزائر تم العثور على بقايا اثؤية تعود لهذا المسجد المميز.ينظر الى:رشيد دوكالي:مسساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني،دط،المءسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر،2013،ص ص 145-148.ابن حمادوش مصطفى: مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني،ط1،دار الأمة ،دت،الجزائر،ص ص65-66.أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي.مرجع سابق،ج5،ص 13.

من وراء البحر من الأرض البعيدة وجد في رمه وبنائه وتحكيمه واعتلى به، فكان من الرخام الملمع والمرمر المجزع والأعمدة العجيبة المصففة والأقواس الغربية المرصفة والجليز المزوق والمحراب المنورق والرياض الغالية والاصطوانات الحالية والقباب العالية، فهو نزهة للناظرين وعبرة للمتفكرين، ما بني قط في الجزائر مثاله ولا سبق لأحد تمثاله.

ومن محاسن صنع هذا السلطان مع الله ومراعاته لنفع عباد الله أن أجرى سبيلاً لهم بثلاث شعب يكفيه يوم القيامة شر ظلٍّ ذي ثلاث شعب، تتبع أنابيبها الليل والنهار، مسهل سبيله من موضع يعرف بالحامة[1] على نحو تسعة أميال فقهية وبنا سقايته جوار الجامع الجديد تجاه القهاوي، فالناس يتواردون إليه وينتفعون به النفع الذي لا مزيد «عليه وأجرى الله أيضًا على يديه ينبوعًا من أنبوبين في سوق الصفارين عظم النفع بهما والمدد منهما لعامة الناس وخاصتهم وأصل مائها من الحامة المذكورة ولقد عامل الله سبحانه بما يجازيه به خير الجزاء بكثرة ماله في سد الثغور وإجراء السبيل وبناء المساجد من الحرص والاعتناء، فالله يجازيه في الدنيا والآخرة بأعلى درجات السعادة ويجعله من الملوك الذين أحسنوا ولهم الحسنى وزيادة.

ثم من كثرة ديانته وعظيم شفقته على عباد الله وحنانته لما بلغه أن أهل بلد بونة المعروفة بعنابة[2]، محتاجون للسقاية وتاعبون في نيل الماء، بحيث يخرجون في طلبه إلى

---

[1] من الأعمال الجليلة التي قام بها الداي محمد بن عثمان باشا أنه جلب المياه لسكان مدينة الجزائر لمنطقة الحامة بها لسقاية أهلها وعابري السبيل ،كما أوقف عليها بعض ممتلكاته الخاصة لمصاريفها من أجرة وكيل الماء،وأيضا لاصلاحها في حالة عطبها،كما أمر الداي محمد باشا بتفريغ الماء على أبراج باب الجهاد وعلى المساجد أيضا وحتى للقشل العشكرية.ينظر الى: احمد الزهار :مذكراته،مصدر سابق،ص24.

[2] عنابة أو بونة قديما كانت جزءا من بايلك الشرق في العهد العثماني،ولقد حظيت عنابة بعناية واهتمام الداي محمد باشا وباي بايلك الشرق انذاك وهو صالح باي حيث أمر باستصلاح مستنقعات ضفاف وادي سيبوس بعنابة لاستغلالها في الزراعة،وملّك أراض خصبة في عين كرشة وبرج الفسقيال لصالح جنود الزمالة الذين نقلهم إلى سهل عين مليلة على طريق باتنة واسكنهم هناك، وأمرهم باستصلاح وزراعة تلك الأراضي[5].وخصص في عنابة احباسا يوجّه دخلها لحفر قنوات تفرغ بواسطتها المياه المتحجرة في السهل وتصب في وادي سيبوس.ينظر الى:

Ernest Mercier.Histoire de L' Afrique Septentrionale “Berberie”، Tome 3eme ، Ernest Leroux Editeur، Paris ،1868،p 424.

بعيد وبلغوا من الحاجة إليه الجهد الجهيد وضعفت فقراؤها عن قيام أنفسهم بايعتيهم من الماء، أمر خليفته على تلك الناحية الشرقية وخادم دولته المحمدية الصالحية، الطائع لأمر الله وأمره بما هو به مأمور والسائر في أحكامه على ما يرضاه سيده السلطان في جميع الأمور، محب العلماء وراحم الفقراء، صالح بآي[1] أمير قسمطينة[2] أن يجري إليهم ماء عين نضاخة من طرف جبل أيدوغ، من موضع يعرف بالحمرة على قدر ستة أميال فقهية من جوف عنابة إلى المغرب، في أرض صعبته السالك بين انحدار وصعود، فشرع يصرف المال وتخدمه الرجال ويبني في سبيلها بهندسة حكيمة ليصل بها الماء[3] إلى باب

وأيضا الى: محمد صالح العنتري ،المصدر السابق ،ص 81، وأيضا الى: أوجين فايست،المرجع السابق،ص55.

[1] هو صالح بن مصطفى أزميرلي ،ولد بمدينة أزمير بتركيا في شبه جزيرة آسيا الصغرى على ساحل بحر ايجة غرب الأناضول سنة 1137ه الموافق لـ:1725م، من أسرة متوسطة الحال و قد عاش سنواته الأولى بصفة عادية ،و عندما ناهز سن السادسة عشر اضطرته الظروف أن يهجر موطنه الأول تركيا وياتي للجزائر وعمره ستة عشر سنة وعمل بمقعى الأوجاق ،ليلتحق فيما بعد بفرق الانشارية العثمانية بالجزائر وم الأيام برز نجمه وحكمته وشجاعته حتى تولى حكم بايلك الشرق سنة 1771م خلفا للباي أحمد القلي الذي كان قد زوجه ابنته ، واعتمد في حكمه على استمالة القبائل والسكان لصالحه واخضاع الخارجة عن القانون بالقوة واعتبر هصره من أحسنفترات بايلك الشرق نلاحظ انه وجد اختلاف حول تاريخ مولد صالح باي فنجد فايست يذكر سنة 1755م ،اعتمادا على شربونو ،لكن فاطمة الزهراء قشي تقول بانه اما خطا مطبعي او سهو من فايست ، والتاريخ المقترح من شربونو هو 1725م. ينظر :فاطمة الزهراء قشي،قراءة في حياة صالح باي بن مصطفى باي قسنطينة(1792-1771م)،مجلة المغارب في العهد العثماني،تنسيق:عبد الرحمن المودن،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، ط1، رقم41، الرباط، 1995، ص74. للمزيد ينظر الى فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ط1،ميديابلوس،قسنطينة،2005،ص ص 88-90.وأيضا:المهدي محمد بن علي ضعيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة،دط،مطبعة البعث، قسنطينة،1980،ص374. ناصر الدين سعيدوني :دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص ص60-62.محمد الامين شرويك:جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة ةالتعليم في الجزائر العثمانية :مجلة العلوم الاسلامية والحضارة ،عدد8،جوان2018م،ص ص 565-580.ابن العنتري بن صالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة،مصدر سابق،ص ص 75-76.

[2] والمقصود قسنطينة حاليا وعرفت قديما بعدةأسماء مثل: تاسورت وهي كلمة أمازيغية تعني الرحى،ايضا كرطة،وسيرطة ولهذه المدينة جذور ضاربة في عمق التاريخ وكانت من أهم حواضر العلم والثقافي في العصر الاسلامي وفي العهد العثماني واصلت تالقها الاقتصادي والعلمي.للمزيد ينزر الى:سليمان الصيد: نفح الأزهار عما كلن في قسنطينة من الأخبار،ط1،المطبعة= =الجزائرية،الجزائر،1984م، ص110.محمد الهادي العروق: مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران،ط1،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984موص ص 68-72.محمد المهدي: أم الحواضر ،مرجع سابق،ص10.

[3] من الانجازات الكبيرة التي قام بها صالح باي جلبه للماء من عين العرب الواقعة بأعالي سوق الغزل لسكان حي باب القنطرة وكانت عين العرب هذه غزيرة المياه وتقع قبالة المستشفى المدني على طريق عنابة، وغيرهم من سكان بايلك الشرق ووفر عليهم تعب ومشقة جلبه من أسفل الوادي عند باب الجايبة أو "الصهريج" وكان ينوي تقفيره لباقي

البلد، فلم يزل أن نزل بواد منسفل يرفع البناء وإن صادمته أكمة عالية دون منحدر الأولى، أطلق السبيل على ظهرها محروزًا بالبناء، محكمًا بالاعتناء وإن كانت أعلى منها، التزم شقها نصفين حتى يوازي منحدر الماء ما قصده الراغب، فيبني ويدمس ويردهاإلى الحجر والقراب «عليه فأول انحداره كان على أرض تعرف بالدباسية إلى وادي يعرف عندهم بوادي فرشة، فجعل على الوادي قنطرة[1] مقوسة حسنة الصنع، ثم ذهب بها في جانب أجمة طويل سمتها إلى ناحية البلد تعرف عندهم بذراع الصفير، ثم جذبها إلى جانب الوادي المذكور لكونه منعطفًا وذهب بها حتى لقيته شعبة فجعل «عليها قنطرة أيضًا وذهب بها إلى أن أدخلها البساتين فمرت من واحد إلى آخر إلى أن بلقا إلى الباب الغربي المعروف عندهم بباب الرحبة جوار الولي الصالح الشيخ حرز الله وانتفع المسلمون بهذه النعمة التي أنعم الله بها «عليهم على يد هذا السلطان الكريم وصار أهل البلد وغيرهم منتفعين بها للنفس والدابة.

ثم شرع في بناء خان[2] تجاه السقاية ودعا أمير قسمطينة المذكور، قاضي عنابة وأعيانها ورؤسائها وعدولها وطلب منهم أن يخبروه عن أزكاهم وأتقاهم وأخوفهم من الله،

أحياء البايلك بكنه توفي قبل ان يكمل هذا المشروع .ينظر الى:ناصر الدين سعيدوني :مذكرة حول اقليم قسنطينة،مجلة الأصالة، عدد 71/70، السنة الثامنة، وزارة الشؤون الدينية قسنطينة،جويلية 1979م، ص ص 8-9.

[1] القنطرة: الجسر. «مختار الصحاح» للرازي (ص: 256)، وقام الباي صالح بأعمال أخرى لصالح سكان قسنطينة مثل قيامه بترميمجسر القنطرة الروماني والذي كان معطلا منذ مدة طويلة(حوالي خمسة قرون وهو مهترئ) ،حيث جلب صالح باي الحجارة من حصن المنصورة الروماني المهدم واستخدمه في هذا المشروع ،واستقدم له أيضا عمال وخبراء من أوبا ليكون بأحدث الأسليب الحديثة، وكان الباي يهدف من هذا المشروع تسهيل المواصلات والنقل للسكان في النواحي الشرقية لبايلك الشرق.للمزيد ينظر الى: عبد العزيز فيلالي مدينة قسنطينة تاريخ معالم وحضارة، ط1،دار الهدى، عين مليلة،2007م،ص 164.

[2] الخان: النزل أو الفندق. «مختار الصحاح» للرازي (ص: 99)، ومن المشاريع التي أنجزها الباي صالح أيضا في قسنطينة بناؤه لخان وهو بناية كبيرة تحتوي على سبع وسبعين غرفة على الأقل ،سبع وثلاثون منها في الطابق السفلي وأربعون في باقي الطوابق الأخرى للبناية، وكان مخصصا لاستقبال التجار وعابري السبيل وتدخل هذه البناية والمشروع ضمن الانجازات العمرانية التي عرفتها مدينة قسنطينة في عهد صالح باي وأنجز هذا العمل في حي يسمى حي سيدي الكتاني والذي بنى فيه أيضا الباي هذا منازل متميزة الهندسة منها قصره و(35) محلا تجاريا ومقهى،دار للعجزة لتتحول مدينة قسنطينة في فترة حكمه من أكبر

فاتفقوا على عدلين زكيين والقاضي يصرف بشهادتهما فمكنهما من المال يصرفوا على جلب العين وبناء السقاية وشرعوا في بناء الخان، فصيروه خانًا كبيرًا واسعًا على صفتين بناء فوق بناء، فتباهت بها البلد وسر بهما والوالد والولد وبنى أعتابًا متعددة للأرباب الجرف يكنزونها وصير خارج الخان والأعتاب وقفا كله لله وجعل خراج ذلك بيد أمين زكي يصرف منه على إصلاح السقاية والخان والأعتاب في أنفسها وما فضل يدخر بنية الإصلاح عند أمين صالح.

صالح باي وأعماله :

ولما علم خليفة الزكي الأرشد صالح باي رغبة سيده السلطان المذكور، في فعل المكرمات واجتهاده في الأعمال الصالحات، شرع هو أيضًا في بناء المساجد والمدارس وجلب العلماء إلى بلده وسعى في كل ما يصدق «عليه شرعًا أنه معروف لله، فأوسع البلاد صلاحًا وصير ظلمتها صباحًا، فبنى مسجدًا للجمعة جوار الشيخ الكتاني[1] وأحسن في إبداعه وأجمل في اصطناعه وهندس في اختراعه وأعلى بالرخام النفيس أعتابه وزوق بالمحاسن حيطانه ومحرابه وفتح لعبادة الله أبوابه ورتب إمامه والخجات وأقيمت فيه الجمعة والجماعات ودارت فيه حلق التدريس واشترى له من كتب العلم خزانة اشترط ألا تخرج منه في رسم التحبيس بالمرحوم يعاد منها والمحروم يذاد عنها وبنى بالجانب

المدن والحواضر في الجزائر وحتى في العالم الاسلامي انذاك.ينظر الى: فاطمة الزهراء:قسنطينة في عهد صالح باي،مرجع سابق، ص ص73–75.ناصر الدين سعيدوني:ورقات جزائرية،مرجع سابق،ص 245.

[1] أولى صالح باي اهمية كبير للعلم والدين من مدارس و مساجد وبنائها،نظرا لادراكه بأهميتها ومكانتها فقا ببناء العديد من المساجد وترميم بعضها الاخر وشيد مسجد سمي بمسجد سيدي الكتاني وذلك سنة 1190هـ–1776م حسب ما ذكر في واجهة المسجد:"..بسم الله الرحم الرحيم ....هذا مسجد أقيم للجميع بناه باي العهد صلاح المجيد منحه الله مسجدا ثانيا في الجنة .....واذا أردت أن تعرف تاريخ هذا البنا فانه مسجد كرس للدين سنة1190هـ(1777–1776م)..."،وسمي نسبة للولي الصالح= =المدفو هناك بالمنطقة سيدي الكتاني ، ويقع هذا المسجد في سوق الجمعة (سوق العصر حاليا) وأولاه صالح باي عناية كبيرة لهندسته وزخرفته ،وكان مستطيل الشكل به فناء وكذلك فيه قسم مخصص للنساء للصلاة والدراسة أيضا لهن،وأعتبر هذا المسجد تحفة فنية فريدة من نوعها فقد استقدم قطعه من حجر ورخام وغير ذلك من ايطاليا ليكون في أفخم وأحلى حلة.ينظر الى: يحيى بوعزيز : المساجد العتيقة في الغرب الجزائري،دط،دار البصائر،الجزائر ،2009م،ص 10.محمد الأمين شرويك:جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع الثقافة،مرجع سابق،ص ص 575–577.مختار حساني: التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج.ط1،دار الحضارة،الجزائر.2009م، ص214.

الشرقي منه مدرسة[1] حسن رخامها، مستحسن نظامها، فالطلبة فيها بين تالٍ لكتاب الله ومُعْتَكِفٍ على سنة رسول الله وجعل بها روضة تربته لتأنس بسماع القرآن روحه في غربته وبنى مدرسة أخرى[2] برحبة البلد ولم يبلغ في تكليفها إلى هذا الحد ولكنه جعلها مأوى للغريب ومن أراد أن يأخذ من العلم والقرآن بنصيب .

وبالجملة لولا صلاح السيد الباشا المذكور، ما وفق الله نائبه إلى مثل هذه الأمور، لأن العامل عند السلطان في مقام الولد والولد الصالح يميل إلى ما يرضاه الوالد طول الأمد وموافقة الأمير لسيده السلطان من الواجب المعلوم، إذ لا يتدين الخادم إلا بديانة المخدوم وحدثني من أثق به عن فقيه الجزائر وعالمها أبي العباس أحمد بن عمارانه[3] حدثه بتونس عن سيرة هذا الباشا السلطان المذكور وديانته وعظيم مراقبته في الله وهدايته بما يبهر العقول وتستعجبه وتستعظم وجود مثله في هذا الزمان وتستقر به.

---

[1] الى جانب مسجد الكتاني بنى صالح باي مدرسة سميت ايضا بمدرسة الكتاني وكانت ملاصقة له من الجهة الشرقية وتنفتح على شارع بوهالي العيد، وتاسست سنة 1775م-1189هـ حسب ما كتب على كتابة أثرية على جدارها ، وتميزت هذه المدرسة كالمسجد أيضا بهندسة معمارية مميزة فقد اعتم صالح باي بالجانب الجمالي لها ، وكانت تتكون من طابق واحد يتوسطها صحن كبير، وكما كانت تأوي طلبة العلم خاصة القادمين من بعيد ،وأعتبرت المدرسة الكتانية هذه مدرسة عليا نظؤا لتعليمها دو المستوى الثانوي والعالي.ينظر الى: فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة أيام صالح باي ،مرجع سابق،ص121.أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي.مرجع سابق، ج1،ص 285. عبد القادر دحدوح:مرجع سابق ص ص 365-367.

[2] ومما يثبت مدى اهتمام صالح باي بالعلم عددة المدارس بقسنطينة انذاك، ولقد قام ببناء بمدارس أخرى منها مدرسة سيدي لخضر في سنة 1779م-1193هـ ، وتميزت أنه كان لها نظام محكم بحيث يشترط على الطالب الراغب بالالتحاق بها أن يكون حتفظل للفران الكريم ،اضافة الى هتين المدرسين الكتانية ومدرسة سيدي لخضر وجدت مدارس أخرى منها: مدرسة سيدي بومصيبة، مدرسة سيدي الخيلوف...ينظر الى: صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تتاريخها ونشاطها،ج2،دط، دار البصائر،الجزائر،2009م،ص 203.توفيق المدني: محمد باشا حروبه وانجازاته،مرجع سابق،ص 135.محمد الأمين شرويك: جهود محمد الكبير وصالح باي،مرجع سابق،ص 570.

[3] أبوالعباس أحمد التيجاني هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني وأمه عائشة بنت محمد بن السنوسي المضاوي التجاني. رجل دين جزائري ومتصوف ومؤسس الطريقة التيجانية. ولد سنة 1737 بقرية عين ماضي الحالية بولاية الأغواط الجزائرية وهي بلده ومقر أسلافه. هو مؤسس الطريقة التيجانية الصوفية والزاوية التيجانية الذي لا يزال مقامه وزاويته يزاران بعين ماضي إلى يومنا هذا. قضى حياته في كل من: الجزائر، موريتانيا، السودان، الحجاز، تونس، مصر والمغرب، إلى أن توفي في هذه الأخيرة سنة 1815م بفاس بالمغرب الاقصى، ينظر الى: عبد الباقي مفتاح: اضواء على الشيخ التجاني واتباعه، ص ص12-15).

((تقبل الله صالح عمله)) الجملة خبرية والقصد بها الإنشاء، إذ معناها الدعاء بأن يتقبل الله منه ما علمناه من أعماله الصالحات، كالتي ذكرناها وما لم نعلمه منها مما عمله سترًا كالذِّكْر والنوافل والصدقات وغيرها والإضافة في (صالح عمله) من باب إضافة الصفة للموصوف أي عمله الصالح والمراد الجنس فيشمل ما صدر منها عنه مباشرة من أفعاله وأقواله ولا يقال القول غير العمل فلا يدخل في الدعاء، لأنا نقول هو من عمل اللسان وما معه والماهية إلى إنسانية لا تصدق بدون اللسان والشفتين والحلق.

((وبلغه من مراده)) أي: ما يريد ويتمنى أن يناله ((في الدارين)) تَثْنِيَةُ دارٍ وهي معروفة والمراد دار الدنيا ودار الاخرة، كنايةً على حياته الدنيا وحياته بعد الموت وورد فيها إطلاق الدار، أما الدنيا فقول الله تعالى:{فأصبحوا في دارهم}.

وقوله–تعالى–:﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ﴾[1] وأما الآخرة فقوله سبحانه–وتعالى–: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[2] وقوله–تعالى–: ««وإن الآخرة هي دار القرار «. ((غاية أمله)) بحيث لا يتشوف إلى بقية منه ولا ينتظرها بل يعطي أمله فيهما. ((ليزداد غرامه)) أي: ولوعه وكلفه بالفاء المروسة، قال في القاموس(3): والغرام الولوع بالشيء أ.هـ.

الجهاد ضد الكفار:

والمجرور متعلق بقوله: قيل: ومحرضًا بها السلطان بالتحريض معلل وازدياد الغرام علته.

((في حرب عبدة الأصنام)) جمع صنم وهو تمثال من حجر يابس أو متطرف أو خشب على صورة عيسى بزعمهم وتعبده النصارى متوهمين أن النظر إليه عبادة كالنظر إلى صورة عيسى بن مريم بخلاف الصليب، فإنه لا صورة فيه وإنما هو صورة

---

[1] الاية رقم 27 من سورة الاحزاب.

[2] الاية رقم 39 من سورة غافر.

(3) ينظر: «القاموس المحيط» للفيروزابادي (ص: 1142).

[ص/157] الخشب الذي صلب به إليهود من شبه لهم ولا يعبدونه لعلمهم أنه صورة خشب وإنما يجعله كبيرهم وصغيرهم في رقبته تبركًا بزعمهم أن ذلك الشكل كان ارتحل منه اللاهوت إلى العلو وكلفه بحفظ ناسوت عيسى حتى يبعث إليهم من ملائكته من يلحقه به إلى السماء تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

((بهذا الرقيم)) أي بسببه لأنه اشتمل على أحاديث كثيرة وكلها باعثة من وقف «عليها وتدبر معانيها على الجهاد وكذلك فيه آيات قرآنية توجب الحرص على الجهاد والرغبة فيه، فقولنا بهذا متعلق بيزداد. وقوله: في حرب يتنازعه ليزداد وغرامه والرقيم فعيل بمعنى مفعول من رقم الثوب يرقمه إذا وشحه بالطرز وليس منه ما بعد أصحاب الكهف.

((و)) لأجل أن ((يمطر ركامه)) الركام وصف السحاب واستعير لعزم هذا السلطان وجده في قتال العدو المستلزم خصب الإسلام، لأن يكثره عمارة بلاد الإسلام يثبت الخصب، أي: خصب الإسلام وبعدمه ينعدم كما أن من عادة الله غالبًا أن الركام فيه الرحمة، لقول الله سبحانه: ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾[1] وتركت الكلام في تبيين وجه الاستعارة هاهنا وفي كل مجاز تقدم لقلة الفائدة ببيانها وكثرة اللفظ بلا جدوى ((في)) سبب ((خصب)) هو ضد المَحْل وسنة الخصب ما أمطر خريفها وربيعها وسنة المحل ما لا مطر فيها بالكلية أو لمطرت بالشتاء فقط. ((ربيع الإسلام)) الربيع ما بعد الشتاء إلى المصيف معروف والعادة أن الناس فيه أكثر نعمة منهم في غيره ظاهرًا بكثرة العشب واللبن الملزوم له وطيِّب اللحم ونحو ذلك وباطنًا بانبساط النفس وفرحها بذهاب القُرِّ وبالنظر في الخضرة وأنواع نورها وذهاب الكزاز على الشيوخ وانفراج الهم واتساع الصدر ولا ربيع أكثر نفعًا وأجدى وسعًا من حفظ ثغور المسلمين وإحاطتها بالحصون والحراسة وجلب الأمن والعافية إليهم. ((بهذا المنهج القويم)) ولا شك أن من أنتهج سبيل ما تضمنه هذا الكتاب من التحريض بكتاب الله وحديث رسول الله «صلى الله عليه وسلم»

[1] الاية رقم 43 من سورة النور.

وكانت له قدرة على الجهاد كهذا الحديث، يخصب به ربيع الإسلام ولا يزال في نمو وبركة كل عام وسميناه منهجًا قويمًا باعتبار صدق ما فيه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

((وسميته)) الضمير للمجموع المفهوم من جمعه. ((تنوير)) مصدر نور الصبح تنويرًا إذا هب نوره واتسع ضياؤه ونَوْرُ الشجر تنويرًا إذا أخرج نَوْره تنوير ((البصائر)) جمع بصيرة وهي نظرة القلب وقد جرت عادة الله في نظرة القلب التي هي البصيرة ونظرة العين التي هي الباصرة لا تتم واحدة منها إلا بالشعاع حسًا في الباصرة ومعنى في البصيرة ولما كان التنوير صالحًا لها قلنا: ((والأبصار)) أي وتنوير الأبصار وهي جمع بصر وقد علمت أنه نظرة العين وأرجو من الله أن ينور به بصائر المؤمنين وأبصارهم وأن يوفقهم إلى العمل بما فيه فيرتفع مقدارهم ((في)) سبب ((تحريض)) مصدر حرض على الشيء، يحرض إذا حث «عليه واجتهد فيه ومنه: –قوله تعالى–: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾[1].((سلطان الجزائر)) وهو السيد محمد باشا المتقدم الذكر. ((على قتال)) أي مقاتلة ومحاربة أنواع ((الكفار)) جمع كافر وهو كل من جحد عموم بعثته «صلى الله عليه وسلم» وهو صادق على إليهود والنصارى على اختلاف أنواعهم والمجوس الذين لا كتاب لهم والمراد هنا النصارى فقط وهو عام أريد به خاص ولا مانع أن يحمل على عمومه في يهود ارتكبوا ما يبيح قتالهم شرعًا من نقض عهد ونحوه.

((مفتتحًا)) حال من سميته وهو اسم فاعل من افتتح الخماسي، يقال: افتتح الشيء يفتتحه افتتاحًا، بدأ فيه إذا وفاتحة كل شيء أوله وافتتاح دار الحرب الاستيلاء «عليها وفي التعبير بمفتتحًا تفاؤل يرجى خيره من الله تعالى ومعمول مفتتحًا محذوف تقديره المسمى وهو المفهوم من سميته ((بالقرآن)) أي: ببعض القرآن على حد وامسحوا

[1] الاية رقم 65 من سورة الانفال.

برؤوسكم ((الحكيم)) سماه الله بالحكيم في–قوله تعالى–: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾[1] ومعناه المُحْكَم الآيات، فلا يقع في آياته نسخ وقيل: معنى الحكيم: المحكم الجامع لعلوم الأولين والآخرين، أو الذي لم يقع فيه خلاف لقوله تعالى:﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾[2]

ولا خفاء أن القرآن هو اللفظ المنزَّل على سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته، المحتج بأبعاضه، هذا معناه عند الفقهاء والأصوليين وقد سبق الكلام على محترزات تلك القيود، فراجعها إن شئت وإنزاله من السماء محدث بلا شك، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ ﴾[3] والذِّكْر المراد به القرآن وصفة إنزاله أن الله خلق صوتًا فأسمعه لجبريل بذلك الصوت والحروف، فحفظه جبريل ووعاه ونقله للنبي «صلى الله عليه وسلم» ولقنه إياه، فالإنزال إنزال الوحي والرسالة، لا إنزال الشخص والصورة، فلما تلاه جبريل على النبي «صلى الله عليه وسلم» حفظه ووعاه وتلاه على أصحابه فحفظوه وتلوه على التابعين وجمعه أبو بكر بأمره لزيد بن ثابت فجمعه وعثمان رتب سوره وتلاه التابعون على من بعدهم وهكذا حتى وصل إلينا، فالحاصل أن القرآن بهذا المعنى يوصف بأنه عربي ومرتب وفصيح ومقروء بالألسنة وغير ذلك مما هو من أوصاف الحوادث وما «عليه إجماعنا أهل السنة من أن كلام الله ليس قائمًا بلسان ولا حالاً في مصحف، فالمراد به المعنى القائم بذاته تعالى وراجع ما قررناه عند قولنا في المتن تصديقًا للقرآن المعجز المحفوظ، تجد ما يشفي غُلَّة الظمآن إن شاء الله.

---

[1] الاية 01 و02 من سورة ياسين،

[2] الاية رقم 82 من سورة النساء.

[3] الاية رقم 5 من سورة الشعراء.

((مستعيذًا)) معطوف على مفتتحًا بإسقاط حرف العطف وهو اسم فاعل أيضًا من استعاذ يستعيذ إذا استجار وتحصن ((بالله)) هو الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد كلها وهذا الاسم علم جامع لذاته وصفاته وأسماؤه الحسنى كلها تحمل «عليه، أي: تسند إليه ولا يسند إليها، تقول: الله غفور رحيم ولا تقول غفور الله إلا بنية حمل الغفور «عليه، فيكون خبرًا مقدمًا لما في غفور من الجملة لملازمة الضمير المستتر له وأما الله فعَلَمٌ محضٌ. ((من الشيطان)) تقدم الكلام فيه لعنه الله، عند قولنا في المتن: (إخوانهم الشياطين) وله سبعة أسماء، سماه الله بها للملائكة في كل سماء باسم لتلعنه: إبليس، وعزازيل والحكم والحارث والعاصي وأبو مرة والشيطان وقد جعل الله من بنيه قرينًا لكل فرد من بني آدم وصح أن القرين الذي كان يتبع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أسلم[1] وسعد وخرج من حزب آبائه ولا عجب فقد قيل: وبالجيرة تسعد الأشقياء وانظر هل هو الذي كان رآه رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ومسكه بيده الكريمة وربطه إلى عرصة من عرصات المسجد أو غيره لم أر فيه نصًا والذي ينقدح في البصيرة أنه هو وذلك، لأن من عادة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إذا مس بيده الكريمة مخالفًا، أصلحه الله، كما فعل بعمر بن الخطاب ليلة إيمانه، إذ هزه قائلاً: «إلى متى يا عُمَرُ لا تؤمن» وبأبي سفيان بن حرب وغيرهما. ((الرجيم)) فعيل بمعنى مفعول أي المرجوم جنسه عند استراق السمع من السماء بشهاب ثاقب.

وجاء عن ابن عباس[2] رضي الله عنهما أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السماوات وكانوا يطيرون إليها، فيدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون ذلك على الكهنة، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سماوات ولما ولد محمد «صلى الله عليه وسلم» منعوا من السماوات كلها، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب ثاقب وهي الشعلة من النار

---

[1] رواه مسلم (2814) وأحمد (3648) ولفظ الحديث: «ما منكم من أحد، إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك؟ يا رسول الله قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني «عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» واللفظ لمسلم.

[2] ذكره البغوي في» التفسير» (4/ 372).

فلا يخطئ أبدًا، فمنهم من يقتله ذلك ومنهم من يحرق وجهه، أو ما أصيب منه ومنهم من يخبله فيصير غولاً يضل الناس في البراري والخلاء، قال الأئمة: وهذا لم يكن ظاهرًا قبل بعثه «صلى الله عليه وسلم» ولم يذكره أحد قبل زمانه وإنما ظهر في بدء أمره، تأسيسًا لنبوءته وجاء عن معمر[1] أنه قال للزهري: أكان يرجم بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم، قال: أفرأيت قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾[2] الآية؟ فقال: غُلِّظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وجرى على هذا ابن قتيبة[3]، فقال: كان الرجم قبل مبعثه «صلى الله عليه وسلم» ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثله بعد بعثته «صلى الله عليه وسلم» وعُلِمَ من قول ابن عباس شعلة نار أن الكوكب لا ينفصل عن محله وإنما الذي ينفصل عنه تلك وقيل: ينقض من مكانه ثم يرجع إليه هذا على أن الرجيم بمعنى مفعول وأما على أنه بمعنى فاعل أي الراجم بالغيب أي الكثير الكذب المزين للباطل بترهات تشبه الحق وهي خلافه أو لقبح رأيه وكلامه تقول العرب: فلان الراجم أي القبيح الكلام أو العدو من قولهم: فلان راجم فلانًا أي عاداه. والرجم في كلام العرب يستعمل في القتل والقذف والعيب وظن السوء واللعن والشتم والهجران والطرد والرمي بالحجارة واسم ما يرجم به وهو لعنه الله صالح لهذا المعاني كلها.

الجنة جزاء الشهداء والمجاهدين:

((إن الله اشترى)) فضلاً منه ومنة وإلا فالمشتري عرفًا من عوض مثمون غيره بثمنه ومولانا جل وعز خالق العالم بأسره ورازق كل حي منه والكل ملكه لا شريك له سبحانه وتعالى وكأنه جل جلاله لما خلق فبينا الأنفس التي بها الحياة ورزقنا الأموال وهبها لنا

---

[1] رواه أحمد (1882).

[2] الاية رقم 9 من سورة الجن.

[3] ينظر الى: الدينوري بن قتيبة أبو محمد: تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين،د ط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ص: 242).

فملكناها ملكًا صوريًا واشترى هو تعالى جده وجل ثناؤه. ((من المؤمنين)) بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم ((أنفسهم)) بمعنى حياتهم ((وأموالهم)) اسم لما يتمول، فيشمل: النقدين والعبيد والأنعام والخيل والبغال والحمير والحوائط والدور والثياب ونحوها وأنواع المأكولات والمشروبات في هذه الدار الفانية التي سميت في القرآن أيامها خإلىة ((بأن لهم الجنة)) الباء للعِوض وأُدْخِلَتْ على أَنَّ ليست باءَ التوكيد وقُدِّم متعلقُ خبرها عن اسمها للحصر أو الاختصاص والمراد بالجنة دار الثواب وأما لغة البستان وهي مفردة أريد بها الجنس كما يشعر بذلك أَلْ وإن كانت للعهد فهل المعهود سبعة أو أربعة خلافٌ، ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الجنات سبعة متجاورة: أوسطها وأفضلها الفردوس وهي أعلاها وفوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر أنهار الجنة والثانية جنة المأوى والثالثة جنة الخلد والرابعة جنة النعيم والخامسة جنة عدن والسادسة دار السلام والسابعة دار الخلود، قيل: والثامنة الحسنى وذهب جماعة أيضًا إلى أن الجنات أربع لا غير ورجح هذا القول أكثر الحفاظ أخذًا من قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ ﴾[1] ثم قال–تعالى–: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢ ﴾[2] وقيل: واحدة لا غير وإنما الأسماء والصفات جارية «عليها لتحقق معانيها كلها فيها ومذهب أصحابنا أهل السنة أن الجنة مخلوقة موجودة الآن ودليلنا من وجهين أحدهما: قصة آدم وحواء «عليهما السلام وإسكانيهما الجنة بنص القرآن وإخراجهما منها بنصه أيضًا لأجل الأكل من الشجرة وكونهما يخصفان «عليهما من ورق الجنة على ما نطق به الكتاب والسنة وانعقد «عليه إجماع الأمة غير المعتزلة وحمل الجنة في قصة آدم على بستان من بساتين الدنيا وآدم على رجل يسمى بذلك غير جدِّنا كان في حديقة له على ربوة، أي محلٌّ مرتفعٌ، فعصى فيها فأهبط منها إلى بطن الوادي، تلاعبٌ بالدِّين وأخبارُ إسْرائيلية لا أصل لها في التوراة وإنما هي من زخارف

---

[1] الاية رقم 46 من سورة الرحمن.

[2] الاية رقم 62 من سورة الرحمن.

أحبارهم وافتراءاتهم وثانيها الآيات الصريحة كقوله تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ ﴾[1]- وقوله تعالى-:﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[2] ومن السنة: «عرضت على الجنةُ فتناولتُ منها عنقودًا»[3] وغير ذلك من الآيات والأحاديث، فإنها صريحة في أن المراد بها دار الثواب وأن آدم المراد به أبو البشر «عليه الصلاة والسلام وهو نبي الله وخليفته وإذا علمت هذا عرفت أنه لا يجوز إنكار وجود الجنة الآن، فمن أنكر وجودها الآن وفي المستقبل فهو كافرٌ بالإجماع كالفلاسفة وأما من أنكر وجودها الآن ويعترف بوجودها في المستقبل كأبي هاشم وعبد الجبار من المعتزلة فهم مبتدعة ولا يكفرون وتمسكهم بأنها لو كانت موجودة لهلكت لعموم -قال تعالى-: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[4]، مردود بأنها من المستثنيات التي لا تهلك كالنار والعرش والكرسي والقلم واللوح والأرواح وقولهم: أراد تعالى بـ- قوله تعالى_: «أعدت للمتقين» تنزيل المستحصل منزلة الحاصل لتعلق علمه بها وصلاحية قدرته وإرادته لإيجادها على حد: {ونفخ في الصور فصعق} {وجاء ربك والملك} و{أتى أمر الله} {وإذ قال الله يا عيسى} الآية، يسمع لولا حديث «فتناولت منها عنقودًا» وأحاديث غيره، تشهد بوجودها بالفعل وقد وقع خلاف في محلها كالنار، فقال بعض: لا يعلم محلها إلا من أحاط بكل شيء علمًا وهذا والله أعلم أحسن الأقوال لعدم.

ورود الدليل القاطع بتعيين محلها وقال بعضٌ: الجنة فوق السماوات السبع والنار تحت الأرضين السبع وقيل: جهنم محيطة بالدنيا والجنة من ورائها، فلذلك ضرب الصراط

---

[1] الاية رقم 15 من سورة النجم.

[2] الاية رقم 133 من سورة ال عمران.

[3] أخرجه البخاري (748) ومسلم (907).

[4] الاية رقم 88 من سورة القصص.

على جهنم طريقًا إليها، أي الجنة وفي الحديث[1]: «أن هرقل كتب إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض فأين النار؟ فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: سبحان الله، أين الليل إذا جاء النهار» .

الجنة ومن ينالها:

تنبيهات:

الأول: مما يجب اعتقاده أن الله سبحانه سيكرم المؤمنين في الجنة بالنظر إلى وجهه الكريم والمراد بالوجه الذات عند الجمهور القائلين بالتأويل وعلى كلا المذهبين لا كيف ولا حصر ولا انكشاف تام، لأنه تعالى منزه عن المقابلة والمواجهة المقتضية الجهة عقلاً، لأن حقيقة الرؤية عندنا أهل السنة قوة يجعلها الله في خلقه ينكشف لهم بها المرآئي ولا تستدعي جرمية ولا جهة ولا مقابلة وإنما تستدعي مطلق محل تقوم به وإن جرت العادة بالمواجهة والمقابلة في رؤية بعضنا بعضًا فإنما ذلك على جهة الاتفاق لا الشرطية ألا ترى أنا نعلمه سبحانه لا في جهة ولا مكان والمعول «عليه في إثبات الرؤية عندنا الدليل السمعي كالكتاب والسنة وإجماع الأمة المعتبرة أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾[2] وآية–قوله تعالى–:﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[3] فلولا أنها جائزة ما طلبها نبي رسول من الخاصة «عليه السلام وأيضًا الله تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل وهو ممكن فتكون رؤية ذاته ممكنة.

---

[1] رواه أحمد (15655) وقال الهيثمي: رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى ورجال أبي يعلى ثقات ورجال عبد الله بن أحمد كذلك. «مجمع الزوائد» (8/ 427).

[2] الايتين 22 و23 من سورة القيامة.

[3] الأية رقم 143 من سورة الأعراف.

وقال إمامنا مالك[1] رضي الله عنه: لولا أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة لما عير سبحانه الكفار بالحجب عن رؤيته بقوله:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾[2]وقال الشافعي[3] رضي الله تعالى عنه: لو لم يوقن محمد بن إدريس بأنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا.

وأما السنة: فحديث: «إِنَّكُمْ سترون ربَّكُمْ كما ترون القَمَرَ ليلةَ البدر» [4].

وأما الإجماع، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا مُجْمِعِينَ على رؤيته تعالى في الآخرة وإنما أنكرها المعتزلة متمسكين بشبهة المقابلة التي تقريرها لو كان مربيًا لكان مقابلًا للرائي ضرورة، فيكون في جهة وحيز وجوابها: أن نقول المقابلة إنما هي شرط في مقابلة المخلوق وقياس الغائب على الشاهد غير صحيح لتوقفه على معرفة حقيقة الغائب وصفته وهي غير ممكنة لنا وتمسكوا أيضًا بشبهة سمعية وهي قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[5] وجوابها: أن الإدراك أخص من مطلق الرؤية إذ الإدراك الإحاطة بالمدرك وهي محال على مولانا جل وعز ولذا قال تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾[6] ولم يقل: لا تراه.

الثاني: مما يجب اعتقاده قصر الرؤية على المؤمنين وظاهر الشرع تناول النساء، لأنهن شقائق الرجال وأما الكفار فلا يرون وجه الله إجماعًا لعدم دخولهم الجنة وأما في

[1] أينظر الى: الطبري الرازي أبو القاسم هبة الله: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي،ط 8، دار طيبة – السعودية، 1423هـ / 2003م، (3/ 518).

[2] الاية رقم 15 من سورة المطففين.

[3] رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (3/ 560).

[4] أخرجه البخاري (554) ومسلم (633).

[5] الاية رقم 103 من سورةالأنعام.

[6] نفس الاية السابقة.

عرصات القيامة، فقيل: الرؤية عامة وقيل: خاصة بالمؤمنين أيضًا وأما الحيوانات التي لا عقل لها فلا تراه سبحانه لا في الجنة ولا في الموقف وظاهر أقوال الأئمة ولو التي تدخل الجنة، لأن الوارد في النصوص رؤية العقلاء ثم المؤمنين، ينبغي أن يحملوا على كل من يحكم له بالإيمان ولو غير مكلف، حتى يتناول الصبيان والملائكة ومؤمني الجن والأمم والأمم السابقة والبله والمجانين الذين أدركهم البلوغ على الجنون وماتوا «عليه ومن اتصف بالتوحيد من أهل الفترة، لأن إيمانهم صحيح، إذ هو في حكم ما جاء به الرسول في الجملة بناء على أن غير هذه الأمة يرونه في الجنة وهي محل الرؤية من غير خلاف وخالف بعض العلماء، فقال: رؤيته تعالى في الجنة مختصة بمؤمني الإنس وأما الملائكة ومؤمنو الجن فلا يرونه إلا جبريل «عليه السلام، فإنه يراه وأما رؤيته تعالى في عرصات القيامة فقد تقدم أنها حاصلة لكل أحد.

وقيل: قاصرة على المؤمن وقيل: يراه الكافر أولاً ثم يحجب «عليه ليكون الحجب «عليه حسرة والرؤية في الجنة تختلف باختلاف الرائي، فمنهم من يراه في الجنة بكرة وعشيًا كالأنبياء «عليهم الصلاة والسلام ومنهم من يراه كل يوم مرة ومنهم من يراه كل يوم جمعة ومنهم من يراه كل يوم عيد.

الثالث: رؤيته تعالى في الدنيا من الجائزات العقلية وقد تقدم الدليل «عليها ولكن لم تقع لموسى على الصحيح وقيل: رآه ولا وقعت لغيره في الدنيا يقظة إلا لسيدنا محمد «عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ليلة الإسراء، قال النووي: الذي «عليه أكثر العلماء أن النبي «صلى الله عليه وسلم» رأى ربه بعيني رأسه ليلتئذٍ وأما موسى «عليه السلام، ففيه خلاف، هل رآه أولا والأصح لا، فمن ادعاها من آحاد الناس غيرهما فهو ضال بإطباق المشايخ وفي كفره قولان وفي الحديث: «واعلموا أَنَّ أَحَدَكُمْ لا يرى ربَّه حتى يموت» [1] وهو قاطع للنزاع وما يقع لبعض المشهورين بالولاية والصلاح من دعوى رؤيته

[1] رواه مسلم (169) والترمذي (2235).

تعالى يقظة، فيجب حمله على المعرفة لا الرؤية البصرية وأما رؤيته تعالى في المنام، فلا خلاف في صحتها، لأن الشيطان لا يتمثل به تعالى.

الرابع: وقع خلاف في كفر من أنكر الرؤية، فنقل بعض شراح الرسالة كالجزولي والشاذلي والأقفهسي والنفراوي: التكفير وقال القاضي عياض: وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والرؤية وشبهها من الدقائق بالمنع من الكفار المتأولين فيها واضح، إذ ليس في الجهل بشيء منها الجهل بالله ولا أجمع المسلمون على تكفير من جهل شيئًا منها وإنما يؤدب إن أظهر بدعته ويفسق لا غير وهذا إن لم يتب، فإن تاب فلا أدب ولا فسوق وأما من لا تأويل عنده أصلاً وهو العالم المعاند أوالجاهل الذي لم يستند إلى شبهة فيكفر والله أعلم. الخامس: كثيرًا مما نقف على تإليف بعض إخواننا أهل السنة المتأخرين بحثوا في الرؤية ذكروا العلامة جار الله الشيخ محمود بن عمر الزمخشري بسوء وربما لعنوه وبالغوا فيه حتى نسبه بعضهم للكفر بما فسر به آية الأعراف، قول الله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾[1] والذي أدين الله به أن الخلاف بيننا وبينه لفظي ومن راقب الله ونظر في تفسيره لهذه الآية بعين العدل والصواب علم صدق ما قلناه وذلك لأنه لا ينكر النظر الذي نسميه نحن رؤية وإنما ينكر الرؤية بمعنى الإحاطة، بدليل قوله–تعالى–: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾[2] ولم يقل لن تنظرني فإنه اعتراف منه –أعني الزمخشري– بأن النظر جائز والرؤية بمعنى الشمول والإحاطة ممنوعة وهذا هو عين مذهبنا أهل السنة، غير أن الخلاف في اللفظ برؤيتنا نحن هي النظر عنده وهو غير منكر للنظر ورؤيته المستحيلة على الله عنده هي الكيفيَّة والانحصار في جهة وهذه مستحيلة عندنا أيضًا وتأويله لما هو شاهد لنا بثبوت الرؤية، إنما حمله «عليه الفرار من الكيف والحصر ونحن نحيل الكيف والحصر أيضًا وغايته أنه

[1] الاية رقم 143 من سورة الاعراف،

[2] الاية رقم143 من سورة الاعراف.

تهور وبالغ وأخطأ في استشهاده بتينك البيتين ولا شاهد فيهما لأننا لم نستر بالبلكفة كما زعم إلا إذا كان اعتقادنا ثبوت الجرمية تعالى الله عن ذلك وأنها واسعة جدًا وأما نحن فالشاهدون بصدق: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} ولأن تجاسر على أهل السنة فما قال بكفرهم فكيف لنا أن نقول بكفره مع التأويل.

وأما ما قيل فيه أنه يقول بخلق القرآن فباطل لا أصل له لقول ابن خلكان: كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد، لأنه قال في خطبة كشافه: الحمد لله الذي خلق القرآن فقيل له أولًا: متى وجد ذلك وفي أي نسخة فأجاب إنه قال: الحمد لله الذي جعل القرآن ألخ وجعل معناها خلق وهذا تعصب ظاهر لا يخفى على متأمل، كيف والحافظ السيوطي على جلالته قال في كتابه المسمى بنواهد الأبكار بعد ما ذكر قدماء من المفسرين، ثم جاءت فرقة أصحاب نظر في علوم البلاغة التي بها يدرك وجوه الإعجاز وصاحب الكشاف هو سلطان العلماء بذلك وما قاله فينا من اعتقاد الجرمية بلازم قوله: وتستروا بالبلكفة باطل ولم يكن في كتابه القول بخلق القرآن وإنما حملوا قوله: جعل على خلق وهو إلزام ما لا يلزم ولو سلم جدلاً فمراده اللفظ المقروء والإجماع على حدوثه بدليل أنه قال: خلق القرآن ولم يقل: خلق كلامه لعلمه بأن الكلام صفة المتكلم ا هـ.

قلت: ولقد راجعت أقواله في بعض تآليفه وما نقله أهل زمانه عنه فلم أجده موافقًا للمعتزلة في باب الرؤية ولا باب الكلام.

أما قوله بتفضيل جبريل «عليه السلام على سيدنا محمد أفضل مخلوق عند الملك العلام فهو كالحنبلي من أصحابنا أهل السنة وافق المعتزلة في ذلك، فإن كثيرًا من أصحابنا أهل السنة تجده منا ويوافق المعتزلة في نازلة بخصوصها كإمام الحرمين وأبي حامد الغزالي ولا يخرجه ذلك عن طريقتنا فتأمله وراقب الله فإنك واقف لتسأل بلا شك.

والصواب ترك البحث في الأفضلية بين المعصومين واعتقاد أفضلية نبينا «صلى الله عليه وسلم» واجب ولا يلزمنا التفضيل للمجمل ولا ذكر المفضول، فإن البحث في هذا

ليس من الدِّين في شيء وإنما الدينِّ وصف مولانا بكل كمال يليق بجلاله وتنزيهه تعالى عن المماثلة في الذات والصفات والأفعال وتصديق الرسل وفعل المأمور به وترى النهي عنه والتخيير في المباح لا غير والله الموفق.

((يقاتلون)) المفاعلة على بابها لوقوع القتل من الفريقين ((في)) سبب ((سبيل الله)) أي طريقه ومحجته التي هي شريعته الآتي بها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» والجملة بمعنى الأمر أي قاتلوا في سبيل الله وهي تفسير لتلك المبايعة ((فيقتلون)) أعداء الله الذين كذبوا رسوله وكتابه والمعجزات المخلوقة له تعالى النازلة منزلة: صَدَقَ عَبْدِي في كلِّ ما يبلغه عنِّي ولو لم يكن ذلك كذلك ما خرقت له العادة وما له ولا لأحد غيره أن يأتي بخارق مقرون بالتحدي بدون إرادة. ((ويقتلون)) في طاعة الله وسبيله وفيها أيضًا معنى الأمر، فكأنه سبحانه يقول: اقتلوا وموتوا وقد صح عن محمد بن كعب القرظي أنه كان مع الأنصار عندما بايعوا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً، قال: قال عبد الله بن رواحة الأنصاري اشترط علىنا لربك ولنفسك ما شئت، فقال «صلى الله عليه وسلم»: «أشترط لربِّي عليكم أَنْ تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأشترط لنفسي أَنْ تمنعوني بما تمنعون به أَنْفُسَكم وأَمْوالَكم» [1] قالوا إذا فعلنا ذلك فمالنا؟ قال «الجنة»، قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا تستقل، فنزلت: –قوله تعالى–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾[2] قال ابن عباس[3]: أي بالجنة، قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيئًا في الحقيقة، لأن المشتري يشتري ما لا يملك والأشياء كلها ملك لله تعالى ولهذا قال الحسن[4]: أنفسنا هو خلقنا بمعنى الصورة وأموالنا هو رزقنا وإياها

---

[1]. رواه الطبري في «التفسير» (12/ 7).

[2] الاية رقم 111من سورة التوبة

[3] رواه الطبري في «التفسير» (12/ 6).

[4] جات في النسخة ب (الحسين).

ولكن أجري هذا مجرى التلطف في الدعاء إلى الطاعة والجهاد وذلك أن المؤمن إذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل أو ينفق ماله في سبيل الله عوَّضه الله الجنة في الآخرة، جزاء لما فعل في الدنيا فجعل ذلك الشيء استدلالًا واشتراء فهذا معنى الاشتراء الواقع منه تعالى لا نفس المؤمنين وأموالهم بأن لهم في نظير ذلك الجنة والمراد بالأموال إنفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر.

((وعدًا «عليه)) أي على الله وأصله الفضل ((حقًا)) يصح أن يكون حقًا حلالًا من الضمير المجرور فيكون المعنى وعدكم الله وعدًا «عليه حالة كونه حقًا وأنتم بعد علمكم بأنه الحق ووعدكم موقنون بالصدق ويصح أن يكون نعتًا لقوله: {وعدا} والمعنى: إن الله وعدكم وعدًا حقًا «عليه وذلك الوعد ((في)) المنزل على نبيه ونجيه موسى «عليه السلام كتابه ((التوراة)) يشير– والله أعلم– لما فيه في السفر الرابع مما معناه ما قاله الله في العقود: –قال تعالى–: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾[1] الآيات، لأن فيها الأمر بالجهاد صريحًا ((و)) ذلك الوعد الذي وعده الله للمجاهدين في سبيله كما قد أثبته في التوراة أثبته في ((الإنجيل)) وهو الكتاب الذي أنزله الله على عبده ونبيه وكلمته عيسى بن مريم «عليه السلام لكنه في الإنجيل يفهمونه أهله محض وعد لمن ترك أهل الدنيا.

قال في الوصية الموفية عشرين منه: ما معناه يقول: الأب من باع الدنيا وأهلها منكم وانتقل إلى عوضته نعيمًا واسعًا وهذه العبارة وإن لم تفصح بالجهاد فقد أشارت إليه وهو المراد بها ولكن أحبارهم يفهمونها بمعنى الزهد والانقطاع إلى الله عن الدنيا وأهلها في الديور والصوامع والجرائر المنقطة عن الناس وهو فهم فاسد، لأن العبارة معناها من باع الدنيا وأهلها ولا بيع حقيقة إلا بالقتال في سبيل الله، لأن المقتول بايع للدنيا وأهلها

[1] الاية رقم21من سورة المائدة.

وأما المنقطع في دير فلو سلم بيعه لأهلها لا يسلم أنه باع الدنيا ولو كان المراد بيع أهل الدنيا هو بيع أهلها دونها ما قدمها «عليهم وأيضًا، لأن الانتقال إليه تعالى مؤذن بالموت قتيلاً ورشح القرينة بعوضته نعيمًا واسعًا على أن للرهبان في انقطاعهم الصوري اجتماعات بالخاصة من أهل ملتهم تكون سببًا في سعة رزقهم قبل الانتقال وإذا عرفت هذا علمت أن الله أمر بالجهاد أمر أنبياء الأعصر الخالية وأمر قومهم به.

الجهاد والقرآن:

((والقرآن)) يعني أن الأمر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل الحقية وفي هذا القرآن الذي أنزله على محمد «صلى الله عليه وسلم» ولكنه في القرآن أكثر منه في غيره، لأن الله سبحانه بعث نبيه صاحب سيف كما قال تعالى في زبور داود تقلد أيها الجبار سيفك وهو خطاب لنبينا «عليه الصلاة والسلام، بدليل أنه ليس في الأمم أمة تتقلد السيوف سوى العرب وهو منهم، فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفي الإنجيل في موضع آخر: يا أيها الذي أعطيناك قضيبًا من حديد وأعطينا من اتبعك من أمتك شبيهه، قم فقاتل به أنت ومن معك كل من يعبد غيري و» عليه نعمتي وعلى كل فهو إشارة لما بعث به من الجهاد والقتال وكثرة ذلك مع ما فيه من الدلالة على كثرة شجاعته وقوة ثباته «صلى الله عليه وسلم»، لأنه «صلى الله عليه وسلم» كان في كل حالة من حالات الحرب التي ينزعج فيهاغيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمأنينة والثبات والتبسم لعظم ما أتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره إلى أدناها وقد صح عن أنس أنه كان أشجع الناس[1] وأن صياحًا وقع بالمدينة ليلاً، فخرج «صلى الله عليه وسلم» إلى أن بعد فلم ير شيئًا، فلما رجع رأى الناس خارجين فقال: «لَنْ تُراعُوا ما رَأَيْنَا مِن شيءٍ» وصح أنه صرع ركانة مرات ولم يصرع قط وكانوا يضرب بقوته المثل في العرب في صحة القوي وشدة القوة وقال له ركانة يومًا: إن شأنك لعجيب وصرع آخر

[1] أخرجه البخاري (2820) ومسلم (2307).

بلغ من شدته وقوته أنه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذبه عشرة رجال لينتزعوه من تحت قدمه فيفر الجلد ولا ينتزع ولا يتزحزح عنه وكان هذا على ما هو «عليه إذا مسكه رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بيد واحدة وجذبه سقط إلى الأرض صريعًا.

وصح أنه في غزوة حنين لما نفر عنه أصحابه ولم يبق معه إلا بضعة عشر رجلاً على الأصح ثابت على بغلته باسمًا غير مضطرب مع أن البغلة لا تصلح للكر ولا للفر وهو مع ذلك يركضها إلى وجه العدو وينوه باسمه رافعًا صوته ليعرفه من لا يعرفه قال: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» [1]، فلا شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال أكثر الصحابة رضي الله عنهم: كنا إذا حمى الوطيس ودارت الحروب على قطبها وضاق النفس اتقينا برسول الله «صلى الله عليه وسلم» [2]، أي: جعلناه أمامنا مما يلي العدو واقعنا خلفه وذهب بعض أصحاب مذهبنا المالكي إلى أن من قال: إن النبي «صلى الله عليه وسلم» هزم ولو مرة يستتاب فإن تاب وإلا قتل، لأنه انتقصه بما لا يجوز «عليه في خاصة نفسه لعلمه بأن الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه بعض المالكية أيضًا بأنه لا يستتاب إن قال ذلك تنقيصًا وإن تاب لا تقبل توبته ولا بد من قتله وعلى هذا قياس مذهب الشافعية وقال به أكابرهم إلا أن بعضهم، حكى الإجماع على ذلك وبعضهم قال المعتمد: قبول توبته منه.

((ومن أوفى بعهده)) أي لا أحد أوفى بالعهد (من الله) لأن الوفاء بالعهد كمال ومحمدة ولا يستحق كل كمال ومحمدة على الإطلاق عمومًا وخصوصًا غير الله.

((فاستبشروا)) أي: اطلبوا زيادة البشرى الحاصلة لكم ((ببيعكم)) الصحيح العقدة التي لا تنفك لوقوعها مع من لا يتهم بجهل حتى يدعي عيبًا في ما اشتراه منكم إنه لم يره أو لم يعلم به فيكون ذلك سبب لحل العقد بل هو سبحانه عالم بما اشتراه منكم وقد أمر

---

[1] أخرجه البخاري (2864) ومسلم (1776).

[2] رواه مسلم (1776).

المؤمنين بقوله: {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود} والوفاء كمال لنا ولكنه مقيد فكيف بمن هو في حقه مطلق فهو أولى به منا سبحانه وتعالى لا إله غيره. ((الذي)) اسم موصول ومدلوله البيع وصلته ((بايعتم)) والمعمول محذوف تقديره ربكم أو إلهكم ((به)) عائد على البيع ((وذلك)) يعني هذا البيع ((هو الفوز)) معناه لغة النجاة والظفر بالخير يقال: فاز به ظفر ومنه نجا ((العظيم)) لأنه ربح أبدى لا يفنى وقد قال عمر: إن الله بايعك بفضله فجعل الصفتين لك.

وقال الحسن[1]: اسمعوا إلى بيعة رابحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشترى منك الجنة ببعضها أ.هـ

ومعنى: فاشترى فباع، لأن شرا عند العرب بمعنى باع ومنه {وشروه بثمن بخس} أي: باعوه، كما أن ابتاع عندهم بمعنى اشترى وقال قتادة[2] ما أكرم الله تعالى ثامن المؤمنين فإبتاعهم معناه أنه اشترى بما فوق القيمة. وقال بعض العارفين نفاسة السلعة تعرف عادة بثلاثة أشياء بعظم المشتري، لأن العظيم القدر لا يباشر بنفسه شراء الأشياء الخسيسة وإنما يباشر شراء النفيس العإلى وتعرف بجلالة الدلال فإنه لا يسمسر على الخسيس الحقير من السلع جليل قدر، كما لا يسمسر على جليل السلع خسيس القدر حقير وتعرف بعظيم الثمن، لأن الشيء الحقير لا يدفع فيه عظيم الثمن، فانظر إلى نفوس الشهداء المجاهدين كيف اشتراها الله بنفسه جل وعلا وجعل السمسار «عليها أشرف مخلوقاته في أرضه وسماواته وجعل ثمنها الجنة في جوار رحمته وعرش عظمته وكرسي عزته وناهيك بها إذا أشرفا لم ينله غيرهم وفضلاً لم يصل إليه سواهم وقال بعض العارفين أيضًا: النفوس ثلاثة نفوس لم يقع «عليها البيع وهي نفوس الأنبياء لحريتها

---

[1] ذكره البغوي في «التفسير» (4/ 98).

[2] رواه الطبري في» التفسير» (12/ 6).

بالحرمة الاصطفائية «عليهم الصلاة والسلام ونفوس لم يقع «عليها بيع أيضًا لخساستها وردأتها وهي نفوس الكفار ونفوس وقع «عليها البيع لكرامتها وهي نفوس المؤمنين.

لطيفة: قال بعض أهل البصيرة المنورة كأن المؤمنين لما سمعوا {إن الله اشترى} إلى قوله: {الجنة}، قالوا: ربنا أخبرنا بالمثمون الذي جعلت جنتك ثمنه؟ فقال: {يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون ويقتلون}، فإن فعلتم ذلك فلكم الجنة بتسليمكم هذا المثمون، فكأنهم قالوا: ربنا مضت سنتك أن تشهد ملائكتك على ما تنعم به على عبادك ونزل كتابك بقوله: {وأشهدوا إذا تبايعتم} وأمرت بكتابة الوثائق بين المتبايعين ممن يشهد في هذا المبيع، فقال: {وعدًا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن} وأنتم يا عبادي تثقون في ما بينكم بوثيقة واحدة وهذه ثلاث وثائق وتثقون بشاهدين، فقد أشهدت على من أنزلتها «عليهم وهم ثلاثة من أنبيائي ومع كل نبي أمة يشهدون بشهادته فكأنهم قالوا: ربنا أنت الفاعل المختار الذي لا يجب علىك فعل شيء ولا تركه وتمحوا ما تشاء بحفظ اختياري وتثبت ما تشاء ولا تسأل عما تفعل، فربما تمحوا هذا إذا حق علىك في الحقيقة فنرجع عن الثمن خائبين، فقال سبحانه وتعالى: {ومن أوفى بعهده من الله} أي: لا أحد أوفى بعهده مني ثم كأنهم قالوا: يا ربنا جرت العادة أن البائع، قد يجد في الثمن ما يؤدانه أعطى غيره وربما ندم على فوات سلعته وحزن لعارض يعرض له، فقال: {فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به} فكأنهم قالوا: يا ربنا إن عادة البائع وبغيته أن يقبض ثمن مبيعه عاجلاً عندما يسلم المبيع للبائع ويكره النسيئة فهل تعجل الثمن، فقال: وذلك الفوز أي: الظفر العاجل العظيم [ق/409] الذي لا تأخير فيه، بل قبل دفع المثمون يرى مقعده في الجنة ولا يفترق المشهدين المتبايعين إلا والبائع قابض للثمن والمبتاع قابض للمثمون ويصدق ماذا حديث أظفرت بالمرضية [ص/165]. العيناء فتبسم مشيرًا أي نعم وفي رواية أرأيت وسيأتي مزيد

بيان في حديث: «إن الجنة تحت ظلال السيوف» [1] وهو صريح بتعجيل الثمن ولله الشكر على تفضله علينا.

الجهاد والأحاديث النبوية الأربعون:

الحديث الأول

أي: هذا الذي سنذكره هو الحديث الأول من الأربعين التي وعدنا بها قبل والمراد بالحديث كما قال الكرمانيفي عرف الشرع ما يضاف له «صلى الله عليه وسلم» من الخبر وكأنه لوحظ فيه مقابلة القرآن، لأنه قديم وماذا حديث انتهي وفي شرح الألفية الحديث ويراد به الخبر على الصحيح ما أضيف إلى النبي «صلى الله عليه وسلم»، قيل: أو إلى صحابي أو إلى من دونه قولاً أو فعلاً أو تقريرًا أو صفة ويعبر عن هذا بعلم الحديث رواية ويحد بأنه علم يشتمل على نقل ذلك.

وأما موضوعه فذات النبي «صلى الله عليه وسلم» من حيث كونه نبينا وغايته الفوز بسعادة الدارين وأما علم الحديث رواية وهو المراد عند الإطلاق كما في الألفية فهو علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد أ.هـ. [2]

والمراد هنا: ما يضاف إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» خاصة ولا مجال لإرادة غيره ويجمع على أحاديث وقال الكشاف: هو اسم جمع للحديث يعني: أن الأحاديث ليست جمع حديث وإنما هي اسم جمع قال: ومنه أحاديث الرسول «صلى الله عليه

---

[1] أخرجه البخاري (2818) ومسلم (1741).

[2] زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي «فتح الباقي بشرح ألفية العراقي» ، المحقق: عبد اللطيف هميم – ماهر الفحل، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى، 1422هـ / 2002م، (1/ 91).

وسلم» وتكون جمعًا للاحدوثه كالأضحوكة والأعجوبة وهي ما يتحدث بها الناس تلهيًا والمراد الأول وسميت أحاديث، لأنه يحدث بها عن الله ورسوله، فيقال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كذا أ.هـ فانظره عند تفسيره على قوله تعالى: {ولنعلمه من تأويل الأحاديث}.

((عن)) أبي عبد الله ((محمد بن حاطب)) ابن الحارث القرشي الحبشي ولد بأرض الحبشة أيام هجرة أبيه إليها من مكة وهو أول من سمي في الإسلام باسم محمد وهو من الأخيار الأفاضل ما وقع مشهد من مشاهد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلا شهده وسماه الهيثمي موسى بن محمد بن حاطب لكنه قال: لم أعرفه وبقية رجاله ثقات انتهي كلام الهيثمي[1].

نعم كان يلقب بموسى لكثرة ملازمته لموسى حملاً في يده وهو صبي فلقب به وقول الهيثمي ابن محمد ظنه أباه وليس كذلك لما علمت مات رحمه الله بالكوفة على الصحيح في سنة ثمانية عشر.

((قال)) للرواة عنه ((قال رسول الله صلى الله «عليه وسلم: «إذا حرم)) [2] بالبناء المجهول أي منع (أحدكم) هو خاص أريد به عام، لأن الكلام مع الصحابة والحكم في الخطاب الشرعي العموم ما لم تقم قرينة تدل على الخصوص كحديث: «أَرْجُلُكم مَنَادِيْلُكم» وحديث: «نِعْمَ الإِدَامُ الخَلَّ» [3] على أحد القولين.

((الزوجة)) بأن لم يتزوج رأسًا أو تزوج وفارق. ((و)) حرم ((الولد)) شامل للذكر والأنثى وانظر هل المراد ولده الحقيقي فقط و» عليه فلا عبرة بولد ولده وإنَّ ولد الولد كالولد والمعنى: أن من لم يرزق زوجة ولا ولد أو رزقها أو أحدها وتلف، فالنصيحة من

---

[1] ينظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (5/ 505).

[2] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (19/ 242). وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه موسى بن محمد بن حاطب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. «مجمع الزوائد» (5/ 505).

[3] رواه مسلم (2051).

الله له أن يصرف همته كلها في الجهاد في سبيل الله ولهذا قال: ((ف» عليه بالجهاد)) أي بنفسه وماله ويفهم من هذا الحديث الشريف معنيان:

أحدهما: من ظاهر العبارة والآخر من باطن الإشارة فالأول انقطاع العذر بخفة ظهره وراحة قلبه، فإن أبا الولد يخاف يتمه وذا الزوجة يخاف أن تتأيم وترمل فيحتاجا، فالأمر في حقه أكد لانقطاع عذره والمعنى.

الثاني: أن من كتب الله «عليه أن لا يتزوج ولا يولد له في الدنيا ف» عليه بالجهاد، فإن المجاهد أكثر الناس أزواجًا في الجنة ويعطى من حسان الحور الناعمات القاصرات الطرف ما لم يعط غيره من نوعه الذي لم يمت في الجهاد وكذلك أيضًا يعطى من الولدان أي: ولدان الجنة ما يطلبه ولا نسبة في الشبه بين أولاد الدنيا وغلمان الجنة، لأن ولد الدنيا يخاف عقوقه وربما قتل أباه وولدان الجنة أذل للمجاهد من فعله وأطوع من يده وزوجة الدنيا وولدها فانيان وحوراء الجنة وولدها باقيان وشتان بين من يعني ومن لا يعني على أنه ورد في نص التنزيل: {إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم} وفيه: {وأولادكم فتنة} وهذا في زمن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وقوم خاطبهم الله بـ: {كنتم خير أمة أخرجت للناس} على القول بخصوصها وأما زماننا هذا فالسعيد عند الله، –والله أعلم– من لم تكن له زوجة ولا ولد، لأنهما أغيار والعاقل لا يشتغل بغير الله.

((رواه)) العلامة الحافظ الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (البخاري) نسبة إلى بخارى مدينة عظيمة من العراق المشرقي في بلاد العجم وراء نهر جيحون وهو على العراق المشرقي مسير خمسة وثلاثين مرحلة في أرض مستوية، يجمعها بمزارعها وبساتينها سورٌ واحد نحو اثني عشر فرسخًا في مثلها ولم تكن مدينة على وجه الأرض سورها مثل بخارى لا في الإسلام ولا في بلاد الروم وأرضها أرض تركستان وهي في القديم بلاد الهياطلة يحد عملها من جهة المغرب حدود بلاد خوارزم ومن جهة الجنوب نهر جيحون من عند بدخشان إلى أن يتصل بحدود خوارزم، لأن جيحون وإن كان يجري من المشرق إلى المغرب، لكن تعرض إليه عطفات تجري جنوبًا تارة وشمالاً أخرى قال

ابن حوقل العوفي والمسعودي: «ورساتيق بخاري تزيد على خمسة عشر رستاقًا وكلها داخل سورها العظيم.

((و)) رواه العلامة الحافظ الإمام ((مسلم)) الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري. ((في صحيحهما)) المعروفين المشهورين، أما صحيح البخاري فهو الذي سماه: بالجامع الصحيح وهو أول الكتب الستة في الحديث وأصحها وأفضلها على المذهب المختار وقد صح أن مسلمًا كان ممن يستفيد منه ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث وفي شرح مسلم للإمام النووي ما نصه[1]: «اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن الصحيحان صحيح البخاري وصحيح مسلم وتلقتهما الأئمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد والجمهور على تقديم صحيح البخاري وما نقل عن بعض المغاربة من تفضيل صحيح مسلم محمول على ما يرجع إلى حسن السياق وجودة الوضع والرتبة وأما رجحانه من حيث الاتصال فلاشتراطه أن يكون الراوي قد ثبت له لقاءه من روى عنه ولو مرة واكتفى مسلم بمطلق المعاصرة وأما رجحانه من حيث العدالة والضبط، فلأن الرجال الذين تكلم فيهم من رجال مسلم أكثر عددًا من رجال البخاري مع أن البخاري لم يكثر من إخراج حديثهم وأما رجحانه من حيث عدم الشذوذ والاعتدال، فما انتقد على البخاري من الأحاديث أقل عددًا مما انتقد على مسلم وأما الذي انتقد «عليهما فأكثرها لا تقدم في أصل موضوع الصحيح، فإن جميعها وارد من جهة أخرى وقد علم أن الإجماع واقع على تلقي كتابيهما بالقبول والتسليم إلا ما انتقد «عليهما والجواب عن ذلك على الإجمال أنه لا ريب في تقديم الشيخين على أئمة عصرهما ومن بعده في معرفة الصحيح والمعلل وقد روي عن البخاري أنه قال[2]: ما رويت حديثًا وأدخلته في الصحيح إلا بعد أن

---

[1] ينظر: «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنووي(1/ 14).

[2] أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، «هدي الساري مقدمة فتح الباري» ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379، (ص: 489).

استخرت الله تعالى وثبت صحته وكان مسلم يقول[1]: عرضت كتابي هذا على أبي زرعة فكل ما أشار إلى أن له علة تركته، فإذا علم هذا وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له، أو له علة إلا أنها غير مؤثرة وعلى تقدير توجيه كلام من انتقد «عليهما يكون كلامه معارضًا لتصحيحهما ولا ريب في تقديمها في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة والتفصيل في محله.

واعلم أن البخاري قد التزم مع صحة الأحاديث استنباط الفوائد الفقهية والنكت المحكية، فاستخرج بفهمه الثاقب من المتون معاني كثيرة فرقها في أبوابه بحسب المناسبة واعتنى فيها بآيات الأحكام وسلك في الإشارات التي تفسيرها على أوثق السبل الوثيقة ومن ثم أخلا كثيرًا من الأبواب من ذكر إسناد الحديث واقتصر على قوله: فلان عن النبي «صلى الله عليه وسلم» وقد يذكر المتن بغير إسناد وقد يورده معلقًا لقصد الاحتجاج لما ترجم له ويشير للحديث لكونه معلومًا أو سبق قريبًا ويقع في كثير من أبوابه أحاديث كثيرة وفي بعضها حديث واحد وفي بعضها آية من القرآن فقط وفي بعضها لا شيء فيه وقد ذكر أبو الوليد الباجي في رجال البخاري[2] وقد استنسخ البخاري من أصله الذي كان عند العزيزي فرأى أشياء لم تتم وأشياء مبيضة منها تراجم لم يثبت منها شيئًا وأحاديث لم يترجم لها فأضاف بعض ذلك إلى بعض قال: ومما يدل على ذلك، أن رواية المستملي والسرخسي والكشميهني وأبي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير، مع أنهم استنسخوها من أصل واحد وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم ودليل ذلك أنك تجد في بعضها ترجمتين وأكثر فيه ليس بينهما حديث أ.هـ كلام الباجي باختصار وفيه نظر

---

[1] أبو على الحسين بن محمد الغساني وكان يكره أن يقال له الجياني، «تقييد المهمل وتمييز المشكل» المحقق: الأستاذ محمد أبو الفضل، الناشر: وزارة الأوقاف – المملكة المغربية، الطبعة: بلا، 1418هـ-1997م، (1/ 67).

[2] أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، «التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح» ، المحقق: د. أبو لبابة حسين، الناشر: دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، 1406 – 1986، (1/ 287).

من حيث أن الكتاب، مروي عن مؤلفه ولا ريب أنه لم يقرأ «عليه إلا مرتبًا سويًا فالعبرة بالرواية، ثم إن من تراجم الأبواب قد تكون ظاهرة وخفية، فالظاهرة أن تكون دالة بالمطابقة لما يورده وقد يكون بلفظ المترجم له أو ببعضه أو يمنعاهوكثيرًا ما يترجم بلفظ الاستفهام وبأمر ظاهر وبأمر يختص ببعض الوقائع وكثيرًا ما يترجم بلفظ يومئ إلى معنى حديث لم يصح على شرطه أو يأتي بلفظ الحديث الذي لم يصح على شرطه صريحًا في الترجمة ويورد في الباب ما يؤدي معناه بلفظ ظاهر تارة وتارة بأمر خفي، فكأنه يقول: لم يصح في الباب شيء على شرطي ولهذا استمر القول من جماعة من الأفاضل بأن فقه البخاري في تراجمه ولأجل الغفلة عن هذه الدقيقة اعتقد من لا يجيد النظر أنه ترك الكتاب بلا تبييض وبالجملة فتراجمه حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار وإنما بلغت هذه المرتبة لأنها بيضها بين قبر النبي «صلى الله عليه وسلم» ومنبره كما ذكره غير واحد من أهل عصره قيل: وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين وأما تقطيعه للحديث واختصاره وإعادته في الأبواب، فلأنه كان يذكر الحديث في مواضع ويستدل به في كل باب بإسناد آخر ويستخرج منه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه وقلما يورد حديثًا في موضعين بإسناد واحد وبلفظ واحد وإنما يورده من طريق أخرى لمعان والتي ذكرها في موضعين سندًا ومتنًا معادًا ثلاثة وعشرون حديثًا لا غير وأما اقتصاره على بعض المتن في مواضع أخرى من غير أن يذكر الباقي فإنه لا يقع له ذلك في الغالب إلا من حيث يكون المحذوف موقوفًا على ؟؟؟ وفيه شيء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التي حكمها الرفع ويحذف الباقي، لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه.

وأما إيراده الأحاديث المعلقة مرفوعة وموقوفة فيوردها تارة مجزومًا بها كقال وفعل فلها حكم الصحيح وغير مجزوم بها كيُروى ويُذكر تارة يوجد في بعض آخر منه موصولاً وتارة معلقًا فللاختصار أو لكونه لم يجعل عنده مسموعًا أو شك في سماعه أو سمعه مذاكرة وما لم يذكره في موضع آخر فمنه ما هو صحيح إلا أنه ليس على شرطه ومنه ما هو حسن ومنه ما هو ضعيف وأما الموقوفات، فإنه يجزم فيها بما صح عنده ولم يكن

على شرطه ولا يجزم بما كان ذا ضعف أو انقطاع وإنما يورده على سبيل الاستئناس والتقوية لما يختار من المذاهب في المسائل التي فيها الخلاف بين الأئمة فجميع ما يورده فيه، إما أن يكون مما ترجم به أو مما ترجم له والمقصود من تإليف البخاري لصحيحه بالذات هو الأحاديث الصحيحة وهي التي ترجم لها والمذكور بالعرض والتبع الآثار الموقوفة والمتعلقة والآيات الكريمة فجميع ذلك يحتج به في موضعه وهي مسندات والمعلق ليس بمسند أ.هـ [1] من مقدمة فتح الباري ملخصًا وأما عدد أحاديثه فقال ابن الصلاح[2]: تسعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثًا بالأحاديث المكررة واتبعه النووي، فذكرها مفصلة.

وتعقب ذلك الحافظ ابن حجر[3] باباً محررًا ذلك وحاصل ما قاله: أن جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على التحرير التام سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثًا والخالص من ذلك بلا تكرار ألفا حديث وستمائة وحديثان وإذا ضم له المتون المعلقة المرفوعة وهي مائة وتسعة وخمسون حديثًا صار مجموع الخالص ألفي حديث وسبعمائة واحد وستين حديثًا وجملة ما فيه من التعإليق ألف وثلاثمائة واحد وأربعون حديثًا وأكثرها مكرر وليس من المتون التي لم تخرج من الكتاب ولو من طريق أخرى إلا مائة وستون حديثًا وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأربعة وأربعون حديثًا، فجملة ما فيه بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثًا خارجًا عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات على التابعين وعدد كتبه مائة وشيء وأبوابه ثلاثة آلاف واربعمائة وخمسون بابًا مع اختلاف قليل في النسخ وعدد مشايخه الذين صرح بهم فيه مائتان وتسعة وثمانون وعدد من تفرد بالرواية عنهم دون مسلم مائة

---

[1] ينظر: «هدي الساري مقدمة فتح الباري» لابن حجر (ص: 346).

[2] ينظر: «مقدمة ابن الصلاح» (ص: 163).

[3] ينظر: «هدي الساري مقدمة فتح الباري» لابن حجر (ص: 465).

وأربعة وثلاثون شيخًا، منهم: تسعون شيخًا لم تقع الرواية عنهم كما وقعت لأصحاب الكتب الخمسة إلا بالواسطة ووقع اثنان وعشرون حديثًا ثلاثيات الإسناد.

وأما فضله: فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى كما قدمنا وهو أعلى ومن أهل زمنه جماعة يفرحون بعلو سماعه وروي عنه أعني البخاري[1] أنه قال: رأيت النبي «صلى الله عليه وسلم» وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب عنه فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح وقال: والله ما كتبت حديثًا في كتابي هذا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال: خرجته من نحو ستمائة ألف حديث وألفته فتم في ستة عشر سنة وجعلته حجة في ما بيني وبين الله تعالى وقال: ما أدخلت فيه إلا صحيحًا وتيقنت صحته.

وقال ابن أبي جمرة[2]: إن صحيح البخاري ما قرئ في شدة إلا فرجت ولا ركب به في مركب وغرقت قط فلله دره من تإليف رفع على علمه بمعارف معرفته وتسلسل حديثه بهذا الجامع، فأكرم بسنده العإلى ورفعته وأما رواته فقد قال الفربري[3]: سمع صحيح البخاري من مؤلفه نحو تسعين ألف رجل فما بقي واحد يرويه غيري قال ابن حجر[4]: أطلق ذلك بناء على ما علمه وقد تأخر بعده بتسع سنين أبو طلحة منصور بن محمد بن على بن قرقية إلبزدوي المتوفى سنة 329، تسعة وعشرين وثلاثمائة وهو آخر من حدث عنه بصحيحه كما جزم به ابن ماكولا وغيره وقد عاش بعده ممن سمع عن البخاري القاضي الحسين بن إسماعيل المحاملي ببغداد في آخر نوبة خدمها البخاري وقد غلط من روى الصحيح من طريق المحاملي المذكور غلطًا فاحشًا ومنهم إبراهيم بن معقل النسفي

---

[1] ينظر: «هدي الساري مقدمة فتح الباري» لابن حجر (ص: 7).

[2] المصدر نفسه (ص: 13).

[3] المصدر نفسه (ص: 491).

[4] المصدر نفسه (ص: 491).

الحافظ وفاته منه قطعة من آخره، رواها بالإجازة وتوفي سنة 240 أربعين ومائتين وكذلك أبو زيد المروزي وأبو على بن سيبويه والجرجاني والكشاني وهو آخر من حدث عن العزيري.

وأما الشروح: فقد اعتنى الأئمة بشرح هذا الجامع الصحيح قديمًا وحديثًا وصنفوا شروحًا وكانوا يعدون ذلك من أعظم النعم وهو كذلك.

منها: شرح العلامة أبي سليمان أحمد بن محمد المعروف بالخطابي المتوفى سنة 888 ثمان وثمانين وثمانمائة سماه كتاب الإعلام وهو شرح لطيف في مجلدين في الكامل أوله الحمد لله المنعم إلخ وذكر فيه أنه لما فرغ من تإلىف معالم السنن ببلد بلخ فسأله أهلها أن يضع شرحًا على صحيح البخاري، فأجاب ومنها شرح أبي حسن على بن خلف الشهير بابن بطال المغربي المالكي ونحا فيه فقه الإمام مالك من غير تعرض لوضع الكتاب غالبًا ومنها: شرح أبي القاسم أحمد بن محمد عرفا بزورد التميمي وهو شرح واسع.

ومنها شرح الإمام عبد الواحد بن التين الصفاقسي الإفريقي المقبور خارج الباب الجبلي من صفاقس وهو شرح متوسط.

ومنها: شرح ناصر الدين على بن محمد بن المنير الإسكندراني وهو كبير في نحو عشر مجلدات.

ومنها: شرح قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحنفي الحلبي المتوفى سنة 735 خمسة وثلاثين وسبعمائة، بلغ إلى نصفه في عشر مجلدات ومات قبل تمامه.

ومنها: شرح الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي التركي المصدري الدار المتوفى سنة 793 اثنين وتسعين وسبعمائة وهو شرح كبير سماه التلويح وأوله الحمد لله الذي أيقظ من خلقه إلخ وقد مدح العلماء هذا الشرح ومنها شرح العلامة شمس الدين الكرماني المتوفى سنة 786 سنة وثمانين وسبعمائة وهو شرح وسط جامع لفوائد الفرائد وزوائد الفوائد وسماه الكواكب الدراري وأوله الحمد لله الذي أنعم علىنا بجلائل النعم ودقائقها، فرغ منه بمكة سنة

775 خمسة وسبعين وسبعمائة لكن قال الحافظ ابن حجر [1] في الدرر الكاملة وهو شرح لطيف مفيد على أوهام فيه في النقل، لأنه لم يأخذه إلا من الصحف أ.هـ.

ومنها: شرح تقي الدين يحيى بن محمد الكرماني استمد فيه من شرح والده وأضاف إليه من شرح الزركشي وغيره وسماه يجمع البحرين وهو في ثمانية أجزاء كبار.

ومنها: شرح الإمام سراج الدين عمرو بن على الشافعي المتوفى سنة 804 أربع وثمانمائة وهذا الشرح، قال صاحب كشف الظنون[2] رأيته في نحو عشرين مجلدًا وأوله {ربنا آتنا من لدنك رحمة} الآية، أحمد الله على توالى نعمته وإنعامه إلخ وفيه مقدمة مهمة وسماه شواهد التوضيح، قال ابن حجر [3] وهو في أوائله أقعد منه في أواخره بل هو من نصفه الآخر قليل الجدوى أ.هـ.

ومنها: شرح العلامة شرح الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الدائم البرماوي الشافعي وهو شرح لطيف في أربعة أجزاء سماه اللامع الصبيح أوله الحمد لله المرشد إلى الجامع الصحيح.

ومنها: شرح الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبي الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 853، اثنين وخمسين وثمانمائة وهو في عشرة أجزاء ومقدمة في جزء وسماه فتح الباري أوله الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام بالهدى إلخ وهذا الشرح من أعظم شروحه فائدة وأكثرهم عائدة واختصر هذا الشرح الجليل العلامة الشيخ محمد أبو الفتح محمد بن الحسين الشهير بالمراغي المتوفى سنة 991هـ إحدى وتسعين وتسعمائة.

---

[1] أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني،» الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م، (6/ 66).

[2] ينظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (5/ 505).

[3] ينظر: المصدر نفسه (5/ 505).

ومنها: شرح العلامة بدر الدين بن محمد بن محمود بن أحمد المعروف بالعيني الحنفي المتوفى سنة 855 خمس وخمسين وثمانمائة وهو شرح كبير أيضًا في عشرة أجزاء وأزيد وسماه عمدة القاري أوله: الحمد لله الذي أوضح وجوه معالم الدين إلخ واستمد فيه من فتح الباري بحيث ينقل الورقة بكمالها وهذا الشرح حافل كامل لكن لم ينتشر كانتشار فتح الباري، من حياة مؤلفه وهلم جرا.

ومنها: شرح الشيخ العلامة بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة 774هـ أربع وسبعين وسبعمائة وهو شرح مختصر غاية الاختصار وكله في مجلد واحد وأوله الحمد لله على ما عم بالأنعام إلخ قصد به إيضاح غريبة وإعراب غامضة وضبط نسب أو اسم يخشى فيه التصحيف منتخبا من الأقوال أصحها ومن المعاني أوضحها مع إيجاز العبارة والرمز بالإشارة وإلحاق فوائد يكاد يستغني بها اللبيب عن الشروح المطولة وسماه التنقيح.

ومنها: شرح العلامة بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني المتوفى سنة 838 ثمان وعشرين وثمانمائة وسماه مصابيح الجامع، أوله الحمد لله الذي جعل في خدمة السنة النبوية أعظم سيادة إلخ، ذكر أنه ألفه للسلطان أحمد شاه بن محمد بن مظفر بن ملوك إسلام بلاد الهند وكان من أجل المقبولين لديه به وابره وأجزل إليه.

ومنها: شرح العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 999 تسع وتسعين وتسعمائة وهو تعلق لطيف قريبًا من تنقيح الزركشي سماه التوشيح على الجامع الصحيح أوله الحمد لله الذي أجزل المنة إلخ.

ومنها: شرح الإمام محيي الدين يحيى بن شرف الدين النووي المتوفى سنة 676، ستة وسبعين وستمائة قال في شرحه لمسلم إنه جمع فيه جملاً مشتملة على نفائس من أنواع العلوم.

ومنها: شرح العلامة الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي المتوفى سنة 774 أربع وسبعين وسبعمائة وهو أخص شراحه كلها حتى كاد أن يكون مع المتن كلمة بكلمة وربما زاد المتن عنه.

ومنها: شرح العلامة الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي المتوفى سنة 795 خمس وتسعين وسبعمائة وهو شرح لقطعة من أوله في ثلاثة أجزاء ولم يتم وسماه: فتح الباري فاخترمته المنية رحمه الله قبل تمامه وهو شرح حسن لو تم.

ومنها: شرح العلامة سراج الدين عمرو بن رسلان البلقيني الشافعي المتوفى سنة 805 خمس وثمانمائة وهو أيضًا بلغ فيه إلى كتاب الإيمان في نحو خمسين كراسة وسماه فيض الجاري ولم يتم.

ومنها: شرح العلامة مجد الدين بن طاهر بن يعقوب الفيروزباذي الشيرازي الدار المتوفى سنة 817 سبعة عشر وثمانمائة سماه منح الباري بالسيح المسيح الجاري كمل ربعه الأول في عشرين مجلدًا ولو تم لكان أعجوبة وذكر السخاوي في شرح اللامع أن التقي الفاسي قال في ذيل التقييد: أن المجد لم يكن بالماهر في الصناعة الحديثية وله فيما يكتبه من الأسانيد أوهام قال ابن حجر: لا والله ما أنصفه وأنه لما هو محقق.

وشرح الإمام أبي الفضل النووي خطيب مكة لكنه لم يتعرض إلا لمواضع منه شرحها ولم يكن هذا الشرح على منوال الشراح وكأنه حاشية على المتن.

وشرح العلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق المغربي التلمساني المالكي شارح البردة وصاحب رفعت أموري لباري النسم المتوفى سنة 842 اثنين وأربعين وثمانمائة وسماه المتجر الرابح والمنتقي الرجيم في تفسير الجامع الصحيح وهو شرح جليل مات عن إكمال آخر جزء منه فلم يكمل.

وشرح العارف القدوة عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأندلسي وهو شرح على ما اختصره من البخاري لا على الجامع أصله، لأنه اختصر البخاري وشرح مختصر وسماه بهجة النفوس وعنايتها بمعرفة مالها وما عليها .

وشرح برهان الدين إبراهيم النعماني المغربي إلى أثناء الصلاة ولم يَفِ بما التَّزَمَهُ.

وشرح الشيخ أبي البقاء محمد بن على بن خلف الأحمدي[1] الشافعي المصري نزيل المدينة المنورة وهو شرح كبير ممزوج، أوله: «الحمد لله واجب الوجود... إلخ»، ذكر أنه جعله كالوسيط، برزخًا بين الوجيز والبسيط، ملخصًا من شروح المتأخرين، كالكرماني وابن حجر والعيني وغيرهم.

وشرح العلامة جلال الدين البكري الفقيه الشافعي[2].

وشرح العلامة زين الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي الشافعي، المتوفى سنة 993 هـ ثلاثة وتسعين وتسعمائة[3]، رتبه على ترتيبٍ عجيبٍ وأسلوبٍ غريب، فوضعه – كما قال في ديباجته– على منوال مصنف ابن الأثير.

وشرح أبي عبد الله محمد بن رشيد[4] السبتي الأصل، الفهري القبيلة، المصري الدار، المتوفى سنة 721هـ، إحدى وعشرين وسبعمائة ومات ولم يكمله.

والشرح المسمى بـ «انتقاض الاعتراض» تإليف ابن حجر المتقدم وما ألفه إلا للبحث فيه عما اعترض به العيني على البخاري ونصر البخاري فيه نصرًا مؤزرًا وكتب فيه

[1] هو: محمد بن على بن خلف، أبو البقاء الأحمدي: فقيه عروضي مصري شافعيّ. «وكتابه «شرح الجامع الصحيح للبخاريّ» «الأعلام» للزركلي (6/ 289).

[2] هو: محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد البكري الصدّيقي، أبو البقاء، جلال الدين: فقيه، اصولي، نحوي مصري. ولد سنة 807 هـ ولد ونشأ بدهروط (في الصعيد الأدنى) وانتقل إلى القاهرة وتوفى بها سنة 891 هـ. «الأعلام» للزركلي (6/ 194).

[3] هو: عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي: عالم بالأدب، من المشتغلين بالحديث وكتابه «فيض الباري بشرح غريب صحيح البخاري» ولد ونشأ بمصر سنة 867 هـ وتوفي بالقسطنطينية سنة 963 هـ «الأعلام» للزركلي (3/ 345).

[4] ولد في جمادي الأولى سنة 657 وكتابه «ترجمان التراجم على أبواب البخاري» أطال فيه النفس ولم يكمل، توفي في أواخر محرم سنة 721 إحدى وعشرين وسبعمائة بمدينة فاس الدرر الكامنة في «أعيان المائة الثامنة «لابن حجر(5/ 370).

بعض أبحاث غريبة عجيبة وبيضها ليجيب عنها ومات قبل ذلك ذكر فيه أنه بعث منه نسخة لملك تونس السلطان أبي فارس الحفصي وأخرى لملك العراق السلطان شاهرج وأخرى للملك القاهر فحسده العيني وادعى الفضيلة «عليه فكتب تإلىفًا في رده وبيان علله ومن شروح البخاري أيضًا شرح العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد عرف الخطيب القسطلاني المصري[1] الشافعي صاحب المواهب اللدنية المحاذي للشيخ عبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة 923هـ ثلاثة وعشرين وتسعمائة وهو شرح كبير ممزوج في نحو عشرة أسفار كبار، أوله الحمد لله الذي شرح بمعارف عوارف السنة النبوية، إلخ.

وشرح الإمام رضي الدين حسن بن محمد الصقاني الحنفي[2] صاحب المشارق شرحًا مختصرًا في مجلد واحد ضخم.

وشرح المولى الفاضل أحمد بن إسماعيل بن محمد الكوراني الحنفي[3] المتوفى سنة 893 ثلاثة وتسعين وثمانمائة وهو شرح متوسط أوله الحمد لله الذي أوجز من شكره الشهادة إلخ وسماه الكوثر الجاري على رياض البخاري رد في كثير مواضع منه على الكرماني وابن حجر وبين مشكل اللغات وضبط أسماء الرواة في مواضع الالتباس وذكر قبل الشروع سيرة النبي «صلى الله عليه وسلم» إجمالاً ومناقب البخاري وتصانيفه قاله صاحب كشف الظنون: للمولى الفاضل العلامة الحاج محمد المعروف بكاتب جلبي

---

[1] هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، من علماء الحديث والقراءات. ولد سنة 851 هـ مولده ووفاته في القاهرة وكتابه «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» توفي 923 هـ «الأعلام «للزركلي (1/ 232).

[2] هو: الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغاني الحنفي رضيّ الدين، أعلم أهل عصره في اللغة. وكان فقيها محدثا ولد ولد بمنية لاهور(بالهند) فى عاشر صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة ونشأ بغزنة (من بلاد السند) ودخل بغداد سنة خمس عشرة وستمائة وكتابه «شرح صحيح البخاري» توفي في ليلة الجمعه التاسع عشر من شعبان سنة خمسين وستمائة ببغداد وحمل إلى مكة فدفن بها «تاريخ الإسلام «للذهبي (14/ 636).

[3] هو: أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي: مفسر. كردي الأصل، من أهل شهرزور. ولد سنة ثلاث عشرة وثمانمائة. تعلم بمصر رحل إلى بلاد الترك وتوفي في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة. بالقسطنطينية «الأعلام للزركلي» (1/ 97).

الإسلانبولي المتوفى سنة 1167 سبع وستين ومائة وألف كان رحمه الله كاتبًا لبعض قلم العثمانية.

وبالجملة فشرح البخاري لا تكاد تحصر بل لا يعلمها إحاطة بجميعها إلا الله تعالى وهذا يدلك على صدق ما قاله مؤلفه من أنه ألفه بين روضة النبي «صلى الله عليه وسلم» ومنبره وأنه ما رسم حديثًا إلا توضأ له وصلى قبله ركعتين إلى غير ذلك، لأن الأمر الإلهي والمدد ببركة النبي «صلى الله عليه وسلم» سماوي فكان ذلك نفعًا لهذه الأمة المحمدية توفي البخاري رحمه الله ورضي الله عنه بخرتند سنة 356 ستة وخمسين وثلاثمائة[1].

وأما مسلم: فقد تقدم بعض الثناء على جامعه حتى قال بعض العلماء بتفضيل صحيحه على صحيح البخاري ولكن قال صاحب النخبة في شرحه لها المقدم: صحيح البخاري على غيره من جميع الكتب المصنفة في علم الحديث، ثم صحيح مسلم لمشاركته للبخاري في اتفاق العلماء على تلقي كتابه بالقبول أيضًا سوى ما علل، في الأرجحية ثم تقدم من حيث الأصحية ما وافق شرطهما، لأن المراد به روايتهما مع بقاء شروط الصحيح، فهم مقدمون على غيرهم في رواياتهم وهذا أصل لا يخرج «عليه إلا بدليل، فإن كان الخبر على شرطهما معًا كان دون ما أخرجه مسلم أو مثله وإن كان على شرط أحدهما فيقدم شرط البخاري وحده على شرط مسلم وحده، تبعًا لأصل كل منهما فخرج لنا من هذا ستة أقسام تتفاوت درجاتها في الصحة وزادوا قسمًا سابعًا: وهو ما ليس على شرطهما اجتماعًا وانفرادًا وهذا التفاوت إنما هو بالنظر إلى الحيثية المذكورة أما لو رجح قسم على ما هو فوقه بأمور أخرى تقتضي الترجيح بأنه يقدم على ما هو فوقه، إذ قد يعرض للفوقي ما يصيره فائقًا كما لو كان الحديث عند مسلم مشهورًا قاصرًا عن درجة التواتر، لكن حفته قرينة صار بها يفيد العلم بأنه يقدم على الحديث الذي يخرجه البخاري إذا كان فردًا مطلقًا وكما لو كان الحديث الذي لم يخرجاه من ترجمة وصفت بكونها أصح الأسانيد كمالك عن نافع عن ابن عمر فإنه يقدم على ما انفرد به أحدهما لا سيما إن كان في أسانيده من فيه مقال. وبالجملة فصحيح مسلم ثان في رتب الصحة لصحيح البخاري،

---

[1] ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (12/ 391).

لأن مسلمًا في الحقيقة تلميذ البخاري والعادة، جرت بعدم بعد التلاميذ الصالح عن طريقة شيخه وقد شرح صحيح مسلم جماعة من العلماء الفضلاء ومن أحسن شروحه:

-شرح الإمام العلامة الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة 674 أربع وسبعين وستمائة وسماه «المنهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج» .

-وشرح القاضي عياض بن موسى إلىحصبي[1] المالكي صاحب الشفاء المتوفى سنة 544 أربع وأربعين خمسمائة، سماه «الإكمال» انتخبه من تقريرات شيخه المازري[2] أحد الصقليين نزيل المنستير بإفريقية المتوفى سنة 536 ست وثلاثين وخمسمائة.

وشرح المازري هذا وهو أبو عبد الله الإمام فقهًا وطبًا الشيخ محمد بن على المذكور وسماه المعلم بفوائد مسلم.

وشرح العلامة أبي العباس الشيخ أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي[3] المتوفى سنة 657 سبع وخمسين وستمائة وهو شرح بسيط سماه المفهم لما أشكل من كتاب مسلم أوله أحد الله كما وجب بجلال كبريائه إلخ.

ومن أجملها وأنفعها شرح الإمام أبي عبد الله الحافظ محمد بن خليفة الشهير بالأيي نسبة إلى قرية بإفريقية تقرب من بلاد الكاف هو أحد تلامذة أبي عرفة النجباء وهو من الشروح المطولات أوله الحمد لله العظيم سلطانه إلخ وسماه إكمال المعلم، قال الشهاب

---

[1] هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون إلىحصبي القاضي أبو الفضل السبتي، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ولِد بسَبْتَة في النّصف من شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة وأصله من الأندلس وتوفي مات ليلة الجمعة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمراكش «تاريخ الإسلام» للذهبي (11/ 860).

[2] هو: محمد بن على بن عمر بن محمد، أبو عبد الله التميمي، المازري، الفقيه، المالكي المحدّث، أحد الأئمة الأعلام، نسبة إلى (مازر) بجزيرة صقلية، مصنّف شرح «صحيح مسلم « واسمه «المعلّم بفوائد كتاب مسلم» ولد بالمهدية من إفريقية وتوفي بها في سنة ست وثلاثين وخمسمائة «تاريخ الإسلام» للذهبي (11/ 661).

[3] هو: أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي، محدث ولد بقرطبة سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائة وقدِم ديارَ مصر وتوفي بالإسكندرية في رابع عشر ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة «تاريخ الإسلام» للذهبي (14/ 795).

المصري[1] انتخبه من شرح المازري وشرح القاضي عياض وشرح القرطبي وشرح الباجي وجمع كلامهم باختصار ومناسبات وأدرجه في كتابه مع زيادات ودقة معان وتنبيهات جليلة يرتضيه كل عاقل وألف هذا الشرح في حياة شيخه الإمام ابن عرفة وأطلعه «عليه فقال بعد أن راجعه بالنظر أيامًا: ما سبق على فهمي كلام كما سبق على فهم كلام إكمال المعلم.

وشرح العلامة أبي الفرج الشيخ على بن مسعود الزواوي المغربي المتوفى سنة 744 أربع وأربعين وسبعمائة.

وشرح الشيخ عبد الله الأنصاري الشافعي المتوفى سنة 929 تسع وعشرين وتسعمائة وكان من أشياخ الشيخ البركة الصالح صاحب العلم الفياض اللدني سيدي عبد الوهاب الشعراني قال في كتاب الميزان الأكبر: ولقد كتبت غالبًا مسودة شرح شيخنا العلامة عبد الله الأنصاري لصحيح مسلم بخط يده انتهي.

وشرح العلامة الحافظ الجلال السيوطي وهي شرح شريف جمع فيه أقوال الشراح وله شروح كثيرة وزاد بفوائد عديدة[2].

وشرح القسطلاني شارح البخاري المتقدم ذكره وسماه: منهاج الابتهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

وشرح العلامة الفاضل الشيخ على الشهير بالقاري الهروي[3] نزيل مكة زادها الله شرفًا وهو في أربع مجلدات ضخام وشروح أخرى عديدة يطول ذكرها توفي مسلم رحمه الله

---

[1] هو: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة، الفقيه وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، نسبته إلى قبيلة خفاجة ولد ونشأ بمصر ولد سنة 977 هـ وتوفي في مصر سنة 1069 هـ «الأعلام للزركلي» (1/ 238).

[2] المسمى: «الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» .

[3] هو: على بن (سلطان) محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنة 1014 هـ «الأعلام» للزركلي (5/ 12).

ورضي عنه سنة 261 إحدى وستين ومائتين وكان رحمه الله التزم في كتابه هذا أن لا يروي إلا رواة تابعيان ثقتان عن صحابيين وكذا في تابع التابعين وسائر الطبقات إلى أن ينتهي إليه مراعيًا في ذلك ما لزم في الشهادة وليس هذا من شروط البخاري وكان أبو على النيسابوري يقول: ما تحت أديم السماء أصح من صحيح البخاري رحمه الله ورضي عنه(1).

الحديث الثاني

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «كعب بن مالك» الأنصاري أحد الثلاثة الذين خلفوا «رضي الله تعالى عنه» مضت السنة بين العلماء على أن العلماء والأئمة وعامة الناس يترحم «عليهم والملائكة يسلم «عليهم والأنبياء يصلي «عليهم ويسلم فتقول: قال مالك مثلاً رحمه الله قال جبريل «عليه السلام.

«قال» كعب رضي الله عنه «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إن أرواح الشهداء» وهي النسمات التي تعلق بها الخطاب الشرعي لما كانت في قالب الآدميين فإذا مات مؤمن شهيدًا في محاربة الكفار، لإعلاء كلمة الله كانت روحه وأرواح من مات مثله.

«في طير خضر» في لونها لتكون جميلة المنظر فإن الطير الخضر أجمل من غيرهما ولما كان المراد من الطير جنسها قال: خضر لمناسبة الشهداء، لأنها جمع شهيد ومن دلالته على الجنس قوله تعالى: {وتفقد الطير} فقال {ما لي} الآية ومعنى كون الأرواح في طير خضر أنها تكون مضروفة في الطير لما ورد في خبر أبي داود: «في أجواف طير خضر» 2 والعام من الخبرين الصحيحين يحمل على المقيد ولا يقال جعلها

---

1 ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (12/ 557).

2 رواه أبو داود (2520) وفيه «في جوف طير...» ،والحديث رواه مسلم من وجه آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه (1887) وفيه» أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت...»

في أجواف الطير فيه حصر وحبس، لأنه ممكن أن توسع الأجواف «عليها كالفضاء[1] أو أن الله سبحانه يجعل في ذلك الضيق من النعيم ما لا يوجد في محل واسع من الفضاء ويحتمل أنها بعينها تكون طيرًا بأن تمثل في صورته، كتمثل الملك بشرًا سويًا وتحقيقه أن الأرواح بعد مفارقة البدن بمجردة فهي في غاية اللطافة وما كان كذلك فظهوره وتعينه في حقيقة كل متعين ومرتبة وعالم إنما يكون بحسب قابلية الأمر المعين والمرتبة المقتضية تعيينه وظهوره فيها ويعرف بهذا سر تجسد الأرواح الملكية وكون جبريل «عليه السلام يسعه أدنى جزء من الأرض كحجرة عائشة والحال أن له ستمائة جناح تسد الأفق وعلى الأول فالأرواح تنتقل إلى جسم آخر وعليه اتفق العقلاء لكن هل تكون مدبرة بذلك الجسم، قال كثير من أهل السنة: نعم إذ لا مانع من ذلك لصلاحية القدرة الإلهية لذلك فإنه من الجائز وقال الحكماء: إن كان ذلك لزم التناسخ وأنها تستعمل تلك الأجرام للإمكان التخيل فتتخيل الصور التي كانت معقولة عنده ومعتقدها فإن كان اعتقاده في نفسه وأفعاله خيرًا شاهدت روحه الخيرات الأخروية على حسب تخيلها والمراد بالخيرات الروح والريحان والتنعم بالجنان وقول المناوي في شرحه للجامع الصغير: وإلا شاهدت العقاب[2] كذلك فيه نظر، لأن الفرض أنها منعم «عليها وإلا لكانت كسائر الموتى وما قال «صلى الله عليه وسلم» في طير خضر وتعلق من ثمر الجنة إلا ليعرفنا بثبوت نعيمها فتأمله منصفًا، ثم قال: وجعلوا فائدة الإفضاء بهم إلى الاستعدال للإيصال المستعد الذي للعارفين الفائزين وأحالوا كون الجسم من جنس ما كانت فيه لئلا يلزم التناسخ ووافق محققوا الصوفية على جواز كونها مدبرة لذلك الجسم ومنعوا التناسخ، لأن لزومه تقديره على عودها جسم نفسها الذي كانت فيه والعود حاصل في النشأة الجثمانية وإنما هذا التعلق في النشأة البرزخية

[1] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (2/ 422).

[2] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (2/ 422).

«تعلُق» بضم اللام أي أن تلك الطير التي فيها أرواح الشهداء تأكل[1] «من ثمر» اسم جنس واحدته نوعًا ثمرة بتاء التنصيص على الوحدة والمراد كل مثمر من أشجار الجنة تأكل منه بلا حجر وإضافة الثمر إلى «الجنة» على نية شجرها كما قررنا وتجد الأرواح بواسطة ريح الجنة ولذتها وبهجتها وسرورها ما لا تحيط به العقول من نعم مولانا جل وعز الذين اشتراها بصادق قوله: {إن الله اشترى من المؤمنين} وقد بسط القول في ذلك فراجعه والأصل في تعلق أن تتعدى بالباء وعديت هنا بمن لتضمنها معنى تأكل ثم إن وصف الطير بخضر معناه ما ذكرناه ويحتمل كما قال المناوي[2] إن المراد أنها غضة ناعمة ولهذا الحديث صريح في دخول أرواح الشهداء الجنة قبل القيامة، كما قال ابن القيم[3] وبه يسقط قول المعتزلة أن الجنة والنار ليستا بمخلوقتين الآن وإنما هما في قوة المخلوق استنزالاً للمستحصل منزلة الحاصل للقادر تعالى، لأنه الفاعل المختار وما نقل عن البلقيني قال: سمعت السُّبكي يقول: سمعت عمي يعني أبا البقاء يقول: كنا حاضرين في الدرس عند قاضي القضاة ابن بنت الأعز وهو يلقي في حديث: «إن أرواح الشهداء» إلخ فحضر العالم العراقي فما استقر جالسًا حتى قال على وجه السؤال: لا يخلو إما أن يحصل للطير الحياة بتلك الأرواح أم لا؟ والأول عين لا يقوله أهل التناسخ والثاني: مجرد حبس الأرواح وسجن؟فأجاب التاج السبكي عن هذا بأنا نلتزم الثاني ولا يلزم كونه مجرد حبس وسجن لجواز أن يقدر لما في تلك الحواصل من السرور والنعيم ما ليس في

---

[1] المصدر نفسه (2/ 422).

[2] المصدر نفسه (2/ 422).

[3] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية «حادي الأرواح «الناشر: مطبعة المدني، القاهرة، (ص: 17).

الفضاء الواسع وقد ذكر المقريزي[1] في ترجمة الشاطبي عن السهيلي: أن رجلاً من أشياخ البلد جاءه فقال: أخبرك يا أستاذ بعجيبة مات لنا جار شهيدًا فرأيته البارحة في النوم، فقلت ما لقيت فقال: خيرًا والشكر لله، ثم قال: يا فلان أعلمك إن زوجتي سيجتمع الناس لكتب صداقها غدا وتحضره أنت وأنا قلت كيف تحضر وأنت ميت؟ فقال: إذا مشيت لحضور الصداق تجد في وسط الدار شجرة ريحان فإذا رأيت على غصن منها طيرًا أخضر فهو أنا بها أصبحت جاء في رجلان، فقالا: جارك فلان يزوج أبنته الأرملة ويدعوك فدخلت الدار فرأيت الشجرة وجلست قربها وخطب الخاطب ووقع الخلاف في بعض الشروط وإذا طائر صغير أخضر نزل على غصن منها وأقام قليلاً، ثم طار فقال لي بعض أهل المجلس مالك لا تتكلم معنا في الصلح وأنت من الجماعة، فقلت: شغلني أمرٌ عجيب قالوا: ما هو فأخبرتهم جهرًا وكانت المرأة تحب زوجها الهالك ويحبها، فقالت: والله لا تزوجت أبدًا، قلت: ولا مانع لهذا ونحوه شرعًا ولا عقلاً، لأن الشهداء لهم مكانة عند الله وتولى شراء أنفسهم وبذلوها في طاعته فلا غرابة في حياتهم ولا في نزولهم إلى الأرض مقامًا بصورتهم الأصلية أو يقظة بصورة غيرها كهذا الطير وقد ورد أن أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة[2] وأما الشهداء فمؤمنون وزيادة وذلك لأنهم لما بذلوا أبدانهم حتى مزقتها أعداء الله شكر لهم ذلك بأن رفع أرواحهم ورزقهم حياة أخرى وأدنى مقعدهم قال في المطامح: «الأصح ما ذكر في هذا الخبر من أن الأرواح في السماء وأنها في حواصل طير خضر ترتع في أشجار الجنة ولعلها مراتع مختلفة تكون الأرواح فيها بحسب درجاتها فالأعلا للأعلاء» .

---

[1] هو: أحمد بن على بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه) ولد ونشأ ومات في القاهرة ولد سنة ست وستين وسبعمائة وتوفي يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة خمس وأربعين وثمانمائة «الأعلام «للزركلي (1/ 177).

[2] رواه ابن حجر في «الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس» (ص: 793) قال الألباني: موضوع «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة «(5/ 174).

وقال في النوادر: «والأرواح نشأتها عجيب إذ هي حقيقة سماوية وإنما ثقلت بظلمة الشهوات، فإذا رضيت النفس وتخلصت الروح منها وصفت من كدورات النفس عادت لخفتها وطهارتها، قال بعضهم: وفيه ما قبله: إن الإنسان غير الهيكل المخصوص المحسوس، بل هو مدرك بذاته لا يعني بفوات البدن ولا يتوقف «عليه إدراكه وتألمه والتذاذه وقال الغزإلى رحمه الله: الروح يطلق على معنيين: أحدهما جسم لطيف منبعه تجريف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى جميع أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس منه على أعضائه يضاهي بيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به، فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثاله حركة السراج في زوايا البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا الروح أرادوا هذا وهو بخار لطيف، رقضجته حرارة القلب وليس من غرض أطباء الدين شرحه بل المتعلق به غرضهم المعنى الثاني وهو اللطيفة العإلىة المدركة من الإنسان وهو أمر ربك عجيب، بعجز أكثر العقول والإبهام عن إدراكه[1] وقال ابن الزملكاني اختلف العقلاء في النفس والروح ويعنون به الذي يشير إليه كل أحد بقوله أنا ومنهم من يخص اسم النفس بهذا والروح بغيره وقد اضطربت المذاهب بذلك اضطرابًا كثيرًا ومن يقول الروح هي النفس يحتج بقول بلال: «أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك» [2]، مع قول النبي «صلى الله عليه وسلم»: «إن الله قبض أرواحنا» [3] وقوله تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها} فلم يفرق بين النفس والروح وفيه نظر والقائل بأنها غير الروح يحتج

---

[1] إحياء علوم الدين» (3/ 3).

[2] رواه مسلم (680).

[3] رواه مالك في «الموطأ «(1/ 15) قال التبريزي: رواه مالك مرسلا محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله ولي الدين، التبريزي، «مشكاة المصابيح «المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985، (1/ 218).

بخبر إن الله خلق آدم «عليه السلام وجعل فيه نفسًا وروحًا فمن الروح عفافه وفهمه وحلمه وسخاؤه ووقاره ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه وقال تعالى عن عيسى «عليه السلام: {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك} ولا يحسن ذكر أحدهما في محل الآخر وقد جمع السهيلي بين الظواهر المختلفة: بأن الروح مشتق من الريح وهو جسم هواؤه لطيف به الحياة وإذا حصلت به الحياة كان روحًا حتى يكتسب أخلاقًا ويقبل على مصالح الجسد فيسمى نفسًا وبه يحصل الجواب عن الاحتجاج بالحديث الفارق بين الروح والنفس، ثم نبه على التوسع في النفس حتى يطلق على الجسد والروح وحاصل ما ذكره يرجع إلى الروح لا يقال هي النفس مطلقًا بل يفضل كما ذكرنا والله أعلم.

«رواه»[1] الإمام الحافظ أبو عيسى بن سورة «الترمذي» بكسر الفوقية والميم أو بضمهما أو فتحهما كذا ضبطه المناوي[2] والمشهور كسرهما مع إعجام الذال نسبة إلى بلد قديمة بطرف جيحون كان رحمه الله من أوعية العلم وكبار الأعلام وجامع الترمذي هذا بين أبي داود والنسائي في الرتبة عند أكثر الحفاظ لكن قال الذهبي: انحطت رتبة جامع الترمذي عن سنن أبي داود والنسائي لإخراجه حديث المصلوب والكلبي وأمثالهما وقال في الميزان في ترجمة يحيى بن يمان: لا تغتر بتحسين الترمذي، فعند المحاققة غالبًا ضعاف[3]. «في جامعه» الصحيح وهوثالث الكتب الستة في الصحة عند الحفاظ والمحققين ونقل عن الترمذي أنه قال: صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز

[1] رواه الترمذي في «سننه» (1641) وقال: هذا حيث حسن صحيح.

[2] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (1/ 25).

[3] ينظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (4/ 416).

والعراق وخراسان فرضوا به ومن كان في بيته فكأنما في بيته النبي «صلى الله عليه وسلم» [1].

وقال بعض العلماء: من قرأه فكأنما تكلم مع النبي «صلى الله عليه وسلم» .

وقد اشتهر بالنسبة إلى مؤلفه فيقال: جامع الترمذي ويقال: سنن الترمذي ويقال: صحيح الترمذي والأول أكثر وكان ابن عبد البر يقول: ثلاث كتب مختصرة في كتب الحديث: أفضلها وأوقرها مصنف أبي عيسى الترمذي في السنن والأحكام لأبي بكر ومختصر ابن عبد الحكم.

وقال ابن الأثير: وكتاب أبي عيسى أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسن ترتيب وأقلها تكرارًا وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال ويبين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب ولم يخلف البخاري مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد، كان يقوم الليل ويبكي من خشية الله حتى عمي وبقي ضريرًا سنين، قيل: كان يدعو الله أن لا يميته أعمى، فعوفي قبل موته بثلاثة أشهر ولم يكن في حديث جامعه هذا ثلاثي إلا حديث واحد فقط وهو قوله «صلى الله عليه وسلم»: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» [2]. أ.هـ ولد رحمه الله سنة 209 تسع ومائتين، أكمه وعافاه الله بعد خمس سنين ومات رحمه الله سنة 379 تسع وسبعين ومائتين ولكتابه هذا شروح كثيرة[3]:

---

[1] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي،» تذكرة الحفاظ «الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م، (2/ 154).

[2] رواه الترمذي (2260) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

[3] ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي (13/ 270).

منها: شرح الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المعروف بابن العربي فقيه المغربي المتوفى سنة 422هـ [1] اثنين وعشرين وأربعمائة.

وشرح الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس الشافعي[2] المتوفى سنة 734 أربع وثلاثين وسبعمائة بلغ فيه إلى دون ثلثي الجامع في نحو عشر مجلدات ولم يتم ولو اقتصر فيه على فن الحديث لتممه لكن بعد موته كملة الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي المتوفى سنة 806 ست وثمانمائة[3].

وشرح سراج الدين عمر بن على بن الملقي المتوفى سنة 804 أربع وثمانمائة.

وشرح زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن النقيب الحنبلي المتوفى سنة 825 خمس وعشرين وثمانمائة وهو شرح كبير في نحو عشرين مجلدًا وله مختصرات أيضًا منه مختصر الجامع لنجم الدين الشيخ محمد بن عقيل الشهير بابن البيداسي الحنفي المتوفى سنة 729 تسع وعشرين وسبعمائة ومختصر الجامع للعلامة سليمان بن عبد القوي الشهير بالطوخي الحنبلي المتوفى سنة 811 أحد عشر وثمانمائة وغير ذلك[4].

الحديث الثالث

---

[1] هو: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من حفاظ الحديث ولد في إشبيلية ورحل إلى المشرق وبرع في الأدب وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين وشرحه هو «عارضة الأَحوذي في شرح جامع أَبي عيسى الترمذي «ولد في شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة وتوفي بفاس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة» سير أعلام النبلاء» للذهبي (20/ 197).

[2] وهو: مؤرخ، عالم بالأدب. من حفاظ الحديث أصله من إشبيلية، مولده ووفاته في القاهرة وكتابه «النفح الشذي في شرح جامع الترمذي» ولد سنة 671 هـ وتوفي سنة 734 هـ «الأعلام «للزركلي (7/ 34).

[3] وهو: من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادي آش (بالأندلس) ومولده ووفاته في القاهرة،وشرحه المذكور هو: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح «ولد سنة 723 هـ وتوفي سنة 804 هـ «الأعلام» للزركلي (5/ 57).

[4] هو: فقيه حنبلي، من العلماء ولد سنة (657 هـ)بقرية طوف – أو طوفا – (من أعمال صرصر: في العراق) وكتابه المذكور «مختصر الجامع الصحيح للترمذي» في مجلدين وتوفي في بلد الخليل بفلسطين سنة (716 هـ) «الأعلام «للزركلي (3/ 127).

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبي مرسي الأشعري رضي الله تعالى عنه قال» أبو موسى عند ما تكلم في حضرته على الجهاد وفضله.

«قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إن أبواب» جمع باب وهو الفرجة يتوصل بها من خارج إلى داخل وبالعكس «الجنة تحت ظلال» جمع ظل[1] وهو ما وازى الشمس من الفراغ الحاجز بينهما ويليه جرم كثيف مما لم يصل إليه نورها وهو اسم لما يوجد من طلوع الشمس إلى الزوال فإذا أخذت الشمس في الهبوط وانكشف لها محل الظل وفنا وانتقل الظل إلى جهة المشرق سمي فيئًا ومنة {يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل} عن بحث بين العلماء في فهمه[2].

«السيوف) [3]جمع سيف وهو معروف والمعنى أن من دنا من العدو المشركين في الحرب حتى صار ظل سيف العدو فوق رأسه[4] ومات وجد عندها تزهق روحه باب الجنة فيدخلها ومعلوم أنه لا يصل إلى هذا إلا من باع نفسه لله تعالى ورغب فيما جعله الله ثمنًا لذلك وهو الجنة وهذا هو البيع مع الذات الكاملة العلية التي لا تماطل بالثمن وفيه البشارة بتعجيل الثمن، فإن الله وإن اشترى بفضله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة لكن المستعجل من المؤمنين يجوز عقله تأخير قبض الثمن لعلمه أن للحق على الله فيه كأنه اشترى ما يملكه وقول الله: {وعدًا عليه حقًّا} إنما يفيد ثبوت الوعد وصحته ولا يفهم منه التعجيل وإن كان يفهم من قوله: {وذلك هو الفوز} لأن الفوز معناه: الظفر، فالحديث صريح بالتعجيل، إذ لا معنى لكون باب الجنة تحت ظل السيف إلا أنه في تلك الساعة بل في آخر نفس منها يدخل الجنة وإنما قال «صلى الله عليه وسلم»: «إن أبواب

---

[1] ينظر: «المخصص» لابن سيده (1/ 512).

[2] عياض بن موسى بن عياض بن عمرون إلىحصبي السبتي، أبو الفضل «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» ، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، (1/ 328).

[3] رواه مسلم (1902) وأحمد في «المسند» (19538).

[4] ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (3/ 159).

الجنة»[1] ولم يقل: إن الجنة، لأن مفهومها صادق بدخولها وبالنظر إليها فقط وأما قوله: «إن أبواب الجنة» صريح بدخولها، لأن الباب لا يذكر إلا عند الإرشاد للدخول أو الخروج والمقام هنا دال على الدخول ولا يقال ورد أنها لا يؤذن لأحد في دخولها إلا بعد أن يدخل رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، لأنا نقول ذلك محمول على من يدخلها بهذا الهيكل المخصوص أو بالهيكل الذي يخلق المؤمنون «عليه يوم القيامة وأما دخول الجنة روحًا فتشكلت بصورة طير أخض أو هي في جوف طير أخض ليس بممنوع فأعرفه.

وفي هذا الحديث: من الدلالة على فضل الجهاد ما لا يخفى على كل عاقل.

«رواه الإمام» هو الذي يقتدي به الناس ويُقدم «عليهم عادة وعبادة أبو العباس «أحمد» [2] بن محمد بن حنبل الناصر للسنة الصابر على المحنة الذي قال فيه الإمام الشافعي: ما ببغداد أفقه من ابن حنبل ولا أزهد منه.

وقال أبو العلاء النيسابوري المعروف بإمام الحرمين: غسل والله أحمد بن حنبل وجه السنة من غبار البدعة وكشف الغمة عن عقيدة الأمة ولد بغداد سنة 164 أربع وستين ومائة وروى عن الشافعي وابن مهدي وخلق كثير وعنه الشيخان وغيرهما وقد جاء في فضله وعلمه وحفظه للحديث وورعه وزهده وعظيم ديانته ما يطول ذكره والمراد الاختصار «في مسنَده» بفتح النون اسم مفعول[3] من أسند الحديث يسنده إسنادًا فهو مسند إذا عرف رجاله ووثقهم كلهم إلى المتن المسموع من الصحابي وهذا المسند مشتمل على ثلاثين ألف حديث في أربعة وعشرين مجلدًا وهو كتاب جليل من جهة أصول الإسلام وقد وقع له فيه ما نيف عن ثمانمائة حديث ثلاثية وشرط فيه أن لا يخرج إلا حديثًا صحيحًا لكن ذكر أبو موسى المديني بأن فيه بعض أحاديث موضوعة وعارضه إمام الحرمين والبقاعي

---

[1] سبق تخريجه.

[2] رواه مسلم (1902) وأحمد في «المسند» (19538).

[3] ينظر: «لسان العرب» لابن منظور (3/ 223) و «معجم اللغة العربية المعاصرة» (2/ 1117) الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 4 (3 ومجلد للفهارس) في ترقيم مسلسل واحد.

وغيرهما بأنه ليس فيه ما يصل إلى حد الموضوع وغاية ما في بعضها وقف وأما زوائده فهي لولده الإمام الحافظ الصالح عبد الله وجمع غريبه أبو عمرو محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب[1] المتوفى سنة 345، خمس وأربع وثلاثمائة في كتاب واختصره الشيخ سراج الدين عمر بن على المعروف بابن الملقن و» عليه تعلبقة في إعرابه للسيوطي الحافظ سماها عقود الزبرجد في إعراب غريب مسند الإمام أحمد واختصره أيضًا الشيخ زين الدين عمرو بن خالد عرف السماع الحلبي وسماه الدر المنتقل من مسند الإمام أحمد بن حنبل، مات الإمام رحمه الله سنة 241 إحدى وأربعين ومائتين وارتجت الدنيا لموته[2] وقد قال ابن الصلاح: الذي ندين الله به أن مسند الإمام أحمد كتاب كامل ولا يوفق لمثله إلا إمام فاضل لكنه هو ونحوه من المسانيد كمسند أبي يعلى ومسند البزار ومسند الدارمي ومسند ابن راهويه ومسند عبد بن حميد لا يلتحقون بالأصول الخمسة وما أشبهما يعني كسنن ابن ماجه في الاحتجاج بها والركون إليها وقول الزين العراقي وجود الضعيف في مسند أحمد محقق بل ففيه أحاديث موضوعة جمعتها في جزاءهم مردود بقول تلميذه العلامة الحافظ ابن حجر في كتابه المسمى بتعجيل المنفعة، فإن مسند الإمام أحمد كله ليس فيه حديث لا أصل له إلا أربعة، منها خبر ابن عوف: «أنه يدخل الجنة رجل» وقال: أعني ابن حجر: بلغني إذا كان الحديث في مسند الإمام أحمد ولا يعزى لغيره من المسانيد ا هـ.

وأما زوائد ولده الإمام عبد الله رحمه الله فهي كتاب مستقل جمع فيه نحو عشرة آلاف حديث وليس فيها حديث في كتاب أبيه ولقد أخذ أصل العلم والرواية عن أبيه وعن ابن

---

[1] هو: أحد أئمة اللغة، المكثرين من التصنيف، نسبته إلى باورد (وهي أبيورد، بخراسان) صحب ثعلبا النحويّ زمانا حتى لقب (غلام ثعلب) ولد سنة إحدى وستين ومائتين» وكتابه «غريب الحديث «صنفه على مسند أحمد وتوفي في ثالث عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ببغداد «تاريخ بغداد وذيوله» للخطيب البغدادي (3/ 159).

[2] ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي (11/ 177).

معين وغيرهما وعند النسائي والطبراني وغيرهما من علماء كثيرين انتفعوا بعبد الله بن أحمد بن حنبل.

قال الخطيب: هو ثقة ثبت ورع دون أبيه، بمعنى أنه لم يصل في الورع إلى مقام أبيه ولد سنة 213 ثلاث عشر ومائتين ومات سنة 290 تسعين ومائتين[1].

الحديث الرابع

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «سعد بن جنادة» وقيل: سعد هذا هو جندب بن جنادة المكنى بأبي ذر الغفاري، روي عنه ما يقرب مما روي عن أبي هريرة وكان رضي الله عنه شديد الديانة والورع وكان يحب سكنى الشام ويختار من الشام دمشق لعظمها وكثرة أنهارها وأشجارها وثمارها ونظافة أزقتها وطيب أزهارها ويميل لسكناها من أنها تلزم ساكنها الموفق كثرة الاعتبار بأنواع مصنوعات الفاعل المختار الواحد القهار وكان يمر كل يوم على معاوية في بيت حكمه ويقرأ بأرفع صوته: {والذين يكنزون الذهب والفضة} إلى {ما كنتم تكنزون} فشكى به معاوية إلى عثمان بتغافل ولم يجبه، ثم أخرى فأخرى، فكتب إليه عثمان رضي الله عنهم أجمعين: هذا رجل من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقرأ القرآن وما علىك منه، فبعث إليه، يقول: إنه بذلك ينفر الناس عني وتفترق الكلمة، فتعظم المصيبة على المسلمين، فبعث إلى أبي ذر عثمان كتابًا ينهاه فيه أن يعود إلى ذلك، فكف عن الذهاب إلى باب المحكمة وعن الجهر بالقراءة وصار يتلقاه بين داره والمسجد ويدنو منه ويقرأها قريبًا من أذنه سرًا، فبعث معاوية إلى عثمان يقول: إن ذلك الأمر كان من ابن جنادة منفصلاً وبعد نهيك صار متصلاً، فنفاه عثمان من دمشق إلى بلد الربذة وتوفي بها سنة 25 خمسة وعشرين رحمه الله ورضي عنه آمين[2].

---

[1] ينظر: «تاريخ الإسلام «للذهبي (6/ 762).

[2] ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي (2/ 46).

«رضي الله تعالى عنه» ورحمه ونفعنا ببركته «قال» عندما تكلم الناس في حضرته على فضل الجهاد «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إن شهداء البحر»، يعني الذين ماتوا بسبب قتال الكفار «فيه» وسواء قتلهم الكفار أو غيرهم من المؤمنين خطأ، أو أصابه سهم نفسه فمات أو سقط في البحر فمات وهو إنما ركب بنية الجهاد، فله حكم الأفضيلة ولو مات قبل القتال.

«أفضل عند الله» وعند من أطاع الله من جميع الملائكة والنبيين وجميع عباد الله الصالحين «من شهيد البر» [1] يعني أنه أكثر ثواب وأرفع درجة عند الله ومقامًا عند كل أهل طاعة الله وذلك لأن راكب البحر متعرض للهلاك من وجهين: قتال الكفار والغرق، فهو على النفس أشق، الثواب بقدر المشقة والفضل بقدر الثواب ولم تكن العرب تألف البحر ولا تعرفه ولكنه «صلى الله عليه وسلم» لما علم أن دين الإسلام يصل إلى البحر وتطول يده أخبرنا أن شهداء البحر أفضل عند الله من شهداء البر وهذه من جملة ما أخبر عنه من المغيبات التي لم تكن في زمنه «صلى الله عليه وسلم»، ثم كانت ومن ثم قال: «عرضت على ملوك أمتي فعرفتهم ولو شئت نبأتكم بكل من ترفع «عليه راية» [2] وفي هذا الحديث الشريف معنى طلب الحث على الجهاد برًا وبحرًا والتحريض «عليه في البحر وبيان الأفضلية وبما تقرر تعلم أنه ليس المراد بشهيد البحر الغريق في سفن غير غزو وإن كان ورد فيه الخبر عنه «صلى الله عليه وسلم» أنه شهيد في الجملة كالمطعون والمبطون، لأن شهيد المعتركة ولو في البر أفضل اتفاقًا إذا من غريق البحر ومن في حكمه فلا يتوهم أن المراد بشهداء البحر هنا مطلق الغرق بل لابد أن يكون في غزو بنية القتال لإعلاء كلمة الله تعالى.

---

[1] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (6/ 52) وضعفه السيوطي في «الجامع الصغير» (1/ 192).

[2] لم أقف «عليه.

وقد روى الديلمي في الفردوس: «إن الله يقبض أرواح شهداء البحر بيده» [1] وكفى بهذا فضلاً، يفهم منه أنه يتولى قبض أرواحهم بلا واسطة لعظم مقامهم عنده سبحانه وتعالى وصح عن واثلة رضي الله عنه: «من فاته الغزو معي فليغز في البحر» [2] رواه الطبراني في الأوسط.

قال الراغب: والبحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير [3] أ.هـ.

وفيه نظر لقول صاحب الكشاف: «والمراد بالبحر حيث أطلق المالح» [4] انتهي.

قال المناوي: «الظاهر أن المراد بالبحر في الحديث ما يشمل الأنهار كالنيل [5] قلت: أما مطلق الأنهار فلا لأنها لا يصدق «عليها أنها بحر ولو عظمت كسيحون وجيحون والفرات وأما النيل فصادق «عليه اسم البحر على ألسنة الخلق وكل ما صدق «عليه اسم بحر فهو داخل في عموم الحديث وما لا فلا؟

«رواه» الإمام العلامة الحافظ أبو القاسم سليمان بن عبد الله اللخمي «الطبراني» أحد الحفاظ الجوالين المكثرين من الحفظ والإتقان صاحب التصانيف الكثيرة أخذ عن أكثر من ألف شيخ منهم أبو زرعة وأهل طبقته العارفين وعنه أبو نعيم صاحب الحلية وغيره وقال فيه الذهبي الطبراني ثقة ثبت صدوق واسع الحفظ بصير بالعلل والرجال والأبواب كثير التصانيف إليه المنتهي في كثرة الحديث وكلام ابن مردويه في بعض أحاديثه هو كلام

---

[1] رواه الديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (1/ 148) قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف وفيه انقطاع، يحيى بن أبي كثير لم يدرك سلمان وداود بن المحبر كذاب. «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» (5/ 154).

[2] رواه الطبراني في «المعجم الأوسط «(8/ 186) قال الإمام الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمرو بن الحصين وهو ضعيف. «مجمع الزوائد» (5/ 281) وضعفه السيوطي في «الجامع الصغير «(2/ 339).

[3] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى «المفردات في غريب القرآن» ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ، (ص: 108).

[4] ينظر: «تفسير الزمخشري الكشاف «(3/ 488).

[5] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (2/ 455).

بما ليس فيه بل هو حافظ ثبت مات بأصبهان على مائة سنة وعشرة أشهر سنة 360 ستين وثلاثمائة[1].

«في» كتابه «الكبير» ورمز الحافظ السيوطي[2] لصحته قال الهيثمي[3] ورجاله ثقات.

«وانفرد به» عن تإلىف المحدثين وليس بغريب لكونه مقصودًا بما يوافق، معناه والله أعلم وليعلم الواقف على كتابنا هذا إني استخرت الله تعالى وذلك ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأنور في جمع أربعين حديثًا في الجهاد وأن أضع «عليها شرحًا لأحرض بها سلطان الجزائر على قتال الكوافر فأصبحت يوم المولد وقد انشرح صدري للشروع فشرعت فيه، فكمل المتن أواخر الشهر، ثم شرعت في شرحت وخمنته في خلدي في نحو ثلاثين كراسة، فما تم ربيع الثاني حتى بلغت هاهنا، ثم حصل لي بعض تشويش، فشغلت عنه حتى ضاق الوقت بسبب ارتحال، محب العلماء وناصحهم وأمير المؤمنين وصالحهم المولى صالح باي ملا قسمطينة إلى محروسة الجزائر ويلزمني الرحيل معه بقصد الجهاد وتبليغ التإلىف لسلطان البلاد فأخذت من هاهنا في الاختصار إلا فيما يعد الاختصار فيه من القصور والاقتصار فأرخى فيه عنان قلمي في جمل من أسطار وإلا لزمت حل الظاهر بأخصر عبارة واستغنيت عن البحث والإطالة بمطلق إشارة، فيقول وبالله نستعين وهو سبحانه المرفق والمعين.

الحديث الخامس

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبي أمامة» بضم الهمزة كنيته أسعد بن سهل بن حنيف صحابي بإجماع الحفاظ من المحدثين وقال بعضهم لم تسمع

---

[1]ينظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (8/ 143).

[2]ينظر: «الجامع الصغير» (2/ 339).

[3]ينظر: «. «مجمع الزوائد» (5/ 281).

عنه رواية سمعنا هو نفسه من رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وإن كان في الحقيقة ثابت الصحبة لكنه يروي عن أبي سعيد الخدري وغيره.

وقيل: لا سمع له من النبي «صلى الله عليه وسلم» وحُنيف بضم المهملة اسم جده مات «رضي الله تعالى عنه» سنة 100 مائة[1]، على ما قاله المؤرخون ونقله شراح البخاري.

«قال» عندما تكلم الناس في حضرته على الجهاد وفضله.

«قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»:إن لكل أمة سياحة» بكسر السين وتخفيف التحتية مشبعة فحاء مهملة رديفة الذهاب اسم وليست مصدر ساح، لأن مصدر ساح سيحا وسيحانًا فقط وأما السياحة فهي اسم بمعنى الذهاب كالسيوح والسيحان والسيح معنى الثلاثة الذهاب في الأرض ومنه المسيح ابن مريم.

قال الفيروزآبادي: وذكرت في اشتقاقه خمسين قولاً في شرحي لصحيح البخاري وغيره[2] ولما كانت السياحة من لازمها فراق الأحباب والوطن في طاعة الله كان الجهاد في سبيل الله سياحة أمته صلى الله عيه وسلم.

«و» لهذا قال «سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» [3] يعني أنه يطلب من أمته الجهاد كما يطلب من أهل دين النصرانية السياح، فهو يعد لهما بل يزيد «عليها[4] لأن كل عبادة يكون فضلها وثوابها بقدر فضل نبيها التي شرعت على يديه.

---

[1] ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (3/ 517).

[2] ينظر: «القاموس المحيط» (ص: 225).

[3] رواه أبو داود في «سننه» (2486) بهذا القدر وصححه الحاكم في «المستدرك» (2/ 83) وصححه السيوطي في «الجامع الصغير» (1/ 192).

[4] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (2/ 507).

«وإن لكل أمة رهبانية» أي: تبتلًا وانقطاعًا للعبادة يقال: ترهب الراهب انقطع للعبادة والراهب العابد من النصارى بزعمهم وفي القاموس ترهب تعبد أ.هـ[1]

وليست مصدرًا سماعًا ولكنها في معناه ومنه ولا رهبانية في الإسلام أي لا يجوز لأحد في الإسلام أن يترهب بنحو اختصاء واعتناق سلاسل ولبس ونحو ذلك، «وليس منه رهبوت خير من رحموت»، لأن معناه: لأن ترهب خير من أن ترحم.

«ورهبانية أمتي الرباط في نحور العدو» [2] يعني: أن أمته «صلى الله عليه وسلم» إذا لازموا الحرس في ثغورهم وباتوا وأصبحوا حارسين للثغر فقصد قتال المشركين أو صدهم عن موادهم فتلك رهبانيتهم ومعنى في نحور العدو أنهم يحرسون الثغر الذي ضاقت منه حناجر المشركين باستيلاء الإسلام «عليه فكأنهم بذلك ضيقوا نحور العدو عن النفس ويعظم قلق المشركين وهمهم وكربهم وغمهم والعرب تقول فلان وقف لي في نحري يريد القتال، بل أنه ضائقة أشد ضيق وأعظمه وإذا علمت هذا فقول المناوي هنا المراد ملازمة الثغور بقصد ملاقاة أعداء الدين ومقابلتهم بالضرب في أعناقهم وصدورهم بعيد الحمل فتأمله منصفًا[3].

«رواه الطبراني أيضًا» وهذا وإن لم يكن في قوة الصحيح لوجود عمير بن معدان في مسنده وقد قال فيه العراقي وتلميذه الهيثمي، لكنه لا يبعد عن مرتبة المقبول لأننا إذا سلمنا اتهام عمير بن معدان بالزيادة في الرواية للصحيح والحسن فالزيادة مقبولة عند أئمة الحديث فيهما ما لم تقع منا فيه لرواية من هو أوثق منه ممن لم يذكر تلك الزيادة وأما أن يكون لا تنافي بينها وبين رواية من لم يذكرها فهذه تقبل مطلقًا، لأنها في حكم الحديث المستقل الذي ينفرد به الثقة ولا يرويه عن شيخه غيره وأما أن تكون منافية بحيث يلزم من

---

[1] ينظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (2/ 949).

[2] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (8/ 168) قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف. «مجمع الزوائد» (5/ 278) وضعفه السيوطي في «الجامع الصغير» (1/ 205).

[3] ينظر: «فيض القدير «للمناوي (2/ 644).

قبولها رد الرواية الأخرى، فهذه التي يقع فيها الترجيح بينهما وبين معارضتها فيقبل الراجح ويرد المرجوح وابن معدان تفرد بمن فوقه ولا مخالف له في هذا الحديث نفسه وما ضرنا خلافه في غيره.

الحديث السادس

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «رافع بن خديج» بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة الحارثي الأنصاري الأوسي[1].

«قال» عندما تكلم الناس بحضرته على فضل الجهاد «قال رسول الله صلى الله «عليه إن الملائكة الذين شهدوا بدرًا» أي حضروا وقعة بدر الأولى التي أظهر الله فيها عز الإسلام في بداية الأمر ومات فيها اللعين أبو جهل عمرو بن هشام رئيس المشركين والنضر بن الحارث بعد أسره وأعيان من أكابر قريش وأفلاذ كبد مكة من المشركين وخذلهم الله ونصر نبيه «عليه الصلاة والسلام بالألف من الملائكة البررة الكرام وهم المعنيون بالبطل في هذا الحديث.

«في السَّماء لفضلاء» المراد من السماء الجنس، لأن الله سبحانه جعل مساكن الملائكة السماوات العلا ولا ندري النازل منهم يوم وقعة بدر بأمر الله من أي سماء من السَّبع، لأن الله جعل سكناهم حضرة القدس ومأويهم محل الأنس فكانوا {يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم وهو ويفعلون ما يؤمرون} وسرهم كبير وفضلهم شهير والذي «عليه أهل السنة، تفضيل الأنبياء من البشر «عليهم كيفما كانوا سفلية أو علوية أعني ملائكة السماء أو ملائكة الأرض ثم لا مانع أن تكون الملائكة الذين كلفوا بنصرة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يوم بدر بالقتال ويوم خيبر واحد بالثبات فقط ملائكة الأرض و» عليه فلهم فضل في السماء على من تخلف منهم في الأرض بمعنى أنه لم يؤمر بذلك ولكن ظاهر النصوص أنهم نزلوا من السماء بدليل أن

---

[1] ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي (3/ 181).

كثيرًا من الذين أسلموا شاهدوهم عيانًا على خيل بلق مسومين بعمائم صفر مثل الزبير[1] يومئذ نازلين من تحت السحاب الفردوس والراكب بسلاحه.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: والأستاذ الإسفاريني والحليمي والحاكم والفخر في المعالم خلاف ماله في المحصل وأبو شامة والكل أهل سنة وابن حزم والزمخشري وكلاهما مقول فيه بتفضيل الملائكة مطلقًا وهذا طريق من رابع طرق.

ثانيها: وهي للأسدي والبيضاوي قصر الخلاف على الملائكة العلوية وأما ملائكة الأرض فلا خلاف في أفضيلة الأنبياء «عليهم وثالثها للحنفية أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر من المؤمنين وعامة البشر من المؤمنين الكاملين أفضل من عامة الملائكة.

ورابعها: لضياء الدين بن النجيب السهروردي في كتابه في مذاهب الصوفية، فإنه قال: أجمعوا يعني الصوفية على تفضيل الرسل على الملائكة واختلفوا في تفضيل الملائكة على المؤمنين وبين الملائكة تفاضل كما بين المؤمنين وفي كتاب التعريف المشهور أن جمهور الصوفية سكتوا عن التفضيل بين الملائكة والرسل وما تكلم من الصوفية في هذا الباب إلا رجال قليلون وكان آخر كلامهم الفضل لمن فضله الله عنده ليس بالجوهر ولا بالعمل، قال النووي: وهذا القول أحسن الأقوال وأسلمها، لأن السلامة من الخطأ لا يعد لها شيء وأدلة الجانبين متجاذبة وليس هذا مما كلفنا به أ.هـ.

وقد روي عن عبد الله بن وهب أنه سئل عن ذلك في مجلسه فأخذ نعله وخرج وقال: {يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين} ويروى أن الإمام البخاري قال مثله لجماعة وجدهم يدرسون العلم بالجامع الأموي من دمشق فسكتوا وذلك، لأن الحجج من الطرفين ظنية وقال التقي السبكي: تفضيل البشر على الملائكة ليس مما كلفنا به أما نبينا «عليه الصلاة والسلام فيجب علينا تفضيله على كل مخلوق.

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك «(3/ 407) وسكت عنه.

وقال البيهقي في الشعب: الأمر في هذا سهل وليس فيه من الفائدة أما معرفة الشيء على ما هو «عليه ولا يضرنا الجهل بمثله[1] ونص الفاكهاني في شرح الرسالة على تسهيل المسألة وأنها ليست باكيدة في الاعتقاد وقال السعد في شرح العقائد النسفية ولا خفاء أن هذه المسألة ظنية يكتفى بها بالأدلة الظنية أ.هـ

وهاهنا كلام ومباحث بحلول جلبها والغرض الاختصار.

«على من تخلف منهم» عن شهوده والمعنى: أن الله سبحانه جعل للملائكة الذين شهدوا مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وقعة بدر زيادة في رفعة المقام ومزيد الإعظام والاحترام والشرف في السماء والمراد جنسها على من لم يشهد تلك الواقعة معهم من سائر الملائكة وقد ورد في الثناء على أهل بدر وما وعدهم الله به من نعيم أخبار كثيرة ولله الحمد على نعمه وإذا كانت ملائكة الله الكرام «عليهم الصلاة والسلام حصل التفاضل بينهم بالجهاد والحال أنهم مستغرقوا الدهر في عبادة الله ولا شاغل لهم وكان لمن حضر الجهادية منهم فضل على من لم يحضره علمت أن العاقل منا معشر المؤمنين لا يؤثر على الجهاد شيئًا وأنه باب رضوان الله تعالى يجب على العاقل المسارعة إليه.

«رواه الطبراني» [2] وهو حديث صحيح ورجاله ثقات عدول وقول الهيثمي فيهم جعفر بن متلاص لا أعرفه غير قادح لكثرة العارفين به والمعدلين له.

الحديث السابع

«عن» صاحب رسول الله صلى الله عيه وسلم «سلمان» الفارسي أحد فقراء المهاجرين.

---

[1] ينظر: «شعب الإيمان» (1/ 322).

[2] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (4/ 284) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني وفيه جعفر بن مقلاص ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. (6/ 151).

«قال» عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته.

«قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إذا رجف» بمهملة فجيم ففاء مروسة كضرب تحرك واضطرب شديدًا.

«قلب المؤمن» يريد عند ملاقاة الكفار ومقاتلتهم، لأن من عادة القلوب ذلك في غالب الناس «في سبيل الله» أي في سبب طريق الله وهي التي أمر الله بها وهذا من اللفظ العام الذي أريد به خاص وهو قتال للكفار.

«تحاتت» أكثر النسخ بتاءين الأولى مشددة وفي بعضها ثلاث أي تساقطت.

«خطاياه» هي ذنوبه صغائر وكبائر.

«كما يتحات» بتحتية مهملة ففوقية مشبعة ففوقية مثقلة مضارع تحاتت أي كما يتساقط «عرف» بمهملة مفتوحة فمعجمة ساكنة.

«النخلة» وهو حملها إن لم تؤبر وبكسر فسكون العرجون بما فيه من الشماريخ بعد النضج وهو المراد هنا والله أعلم.

وفي هذا تعريف بفضل الجهاد وترغيب عظيم وإبانة لفضله على كثير من العبادات.

«رواه» الإمام الحافظ الجليل «أبو نعيم» [1] أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني الصوفي الفقيه الشافعي الكثير الحفظ أخذ عن الطبراني وغيره وعنه الخطيب وغيره وهو من أخص تلامذته.

قال المناوي: وعجب من عدم ذكر له في تاريخ بغداد مع كونه دخلها[2]، قال الذهبي: أبو نعيم حافظ إمام صدوق ومن تكلم فيه فبلا حجة لكنه عقوبة من الله لكلامه في ابن منده فهوى وكلام ابن منده فيه قطيع لا أحب حكايته ولا أقبل قول كل منهما في الآخر بل هما مقبولان ولا أعلم لهما ذنبًا أكثر من روايتهما الموضوعات ساكتين «عليها وكلام

---

[1] رواه أبو نعيم في «الحلية» (367/1) وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (5/ 276).

[2] ينظر: «فيض القدير» (1/ 28).

الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به وما علمت عصر أسلم أهله من ذلك سوى الأنبياء لطهارة قلوبهم ولد سنة 236ستة وثلاثين ومئتين بأصبهان وجال في البلاد لتلقي العلم وأخذه عن الرجال ومات بها سنة 430 ثلاثين وأربعمائة، عن أربع وتسعين سنة[1].

«في الحلية» المعرفة التي سماها حلية الأولياء وطبقات الأصفياء في حديث الأزكياء عن خير الأنبياء وقد جمع السلفي نحو مائتي نفس ممن حدث عنه قال: ولم يصنف مثل كتابه حلية الأولياء، قيل: لما ألف هذا الكتاب وقال صاحب كشف الظنون: حمل بعض تلامذته منه نسخة إلى نيسابور، فاشتريت منه بأربعمائة دينار وقد امتحن كعادة الله في أمثاله من الصلحاء.

وأخرج من بلاده بعد أن منع من الجلوس في الجامع وإقراء العلم وحليته هذه مشهورة في مجلد كبير ضخم رأيتها مرة وفي مجلدين كبيرين غير ضخمين أخرى وأولها الحمد لله محدث الأكوان إلخ متضمن أسماء جماعة من الصحابة الكرام والتابعين رضوان الله «عليهم وذكر من بعدهم من الأئمة الأعلام المجتهدين، ثم من تبعهم من العلماء المحققين والحفظة المدققين ثم ذكر السادة القادة المتصوفين ومناقبهم وأحاديثهم وأخبارهم وقصصهم واحد بعد واحد وصدر بذكر الخلفاء الأربعة إلى تمام العشرة المبشرين الكرام على الترتيب رضي الله عنهم ثم جعل من سواهم إرسالًا لئلا يستفاد منه تقديم واحد على آخر لكنه أطال بذكر الأسانيد وحكايات تنافي موضوعيته ومن أجل ذلك اختصره العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزي اختصارًا حسنًا وسماه صفوة الصفوة وانتقد «عليه بعشرة أشياء منها أنه أوجز في الاختصار بحيث إنه اقتصر وما اختصر واختصره أيضًا صاحب المجمع وسلك في اختصاره مسلكًا حسنًا وضم إليه تراجم أخرى وذكر ذلك يطول.

---

[1]ينظر: «ميزان الاعتدال «للذهبي (1/ 111).

«و» رواه «غيره» أي غير أبي نعيم كالطبراني وابن عدي وابن مردويه والكل عن سلمان.

الحديث الثامن

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «عبد الله بن عمر» كان من أجل الصحابة وأكملهم يشبه إياه في كثير خصاله هاجر مع أبيه صغيرًا وعرض على النبي مع الصبيان يوم أحد ليختار فاستصغره ورده وشهد الخندق وبيعة الرضوان والمشاهد بعدها وكان واسع العلم متين إلىقين وافي الصلاح ومات بعد موت الخليفة عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر بالمدينة وقيل: بمكة سنة 73 ثلاث وسبعين من الهجرة[1].

ورويت عنه أحاديث كثيرة وفي صحيح البخاري منها مائتان سبعون حديثًا.

«رضي الله تعالى عنه قال» عندما تكلم الناس في فضل الجهاد أو الغفلة عنه والاعتناء بغيره.

«قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إذا ضن» [2] بالضاد، قال المناوي: ضبطها المصنف بتشديد النون[3] أ.هـ

وليس فيه جدوى إذ لا يتوهم غيره ومعنى ظن بخل ومنه {وما هو على الغيب بضنين} في بعض التفاسير وأما ظن بالظاء فمعناه ظاهر.

«الناس» أي إذا بخل الناس «بالدينار» هو المسكوك من ذهب (والدرهم) هو المسكوك من فضة ولم ينفقوها في وجوه البر بحيث كثر حرصهم على تحصيلهما وعظم بخلهم بهما على وجوه الطاعة، بل شغلوا بجمعهما وكنوزهما.

---

[1] ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي (203/3).

[2] رواه أحمد في «مسنده» (4825) وصححه الزيلعي في «نصب الراية «(4/ 17) والسيوطي في «الجامع الصغير «(1/ 57).

[3] ينظر: «فيض القدير» (1/ 397).

«فتبايعوا بالعينة» بكسر العين وهو أن يبيع سلعة بثمن لأجل، ثم يشتريها من مشتريها بأقل[1]: وقال البيهقي: هي أن يقول البائع للمشتري اشتر مني كذا بكذا إلى أجل كذا وإذا اشتريها منك بكذا نقدًا[2] أ.هـ

وهذه حرام شرعًا لما فيها من سلف جر نفعًا، لأن الأصل في القرض أن يكون لله خالصًا كالضمانة والجاه وهذا باع سلعته بمائة مثلاً إلى انقضاء شهر ثم اشتراها من المشتري بثمانين نقدًا، فهو في الحقيقة داخل على أنه يعطي ثمانين إلى الآخر ويأخذ منه مائة عند الأجل، فهو سلف بزيادة بلا شك ولا عبرة بذلك التبايع، لأنه صوري لا معنى له، فكأنه لم يقع وهذا من واضح الربا وقد ورد فيه من نهي الشارع عند ما لم يرد في غيره وقد روي عن الإمام أبا يوسف يعقوب صاحب أبي حنيفة رحمهما الله ورضي عنهما أن رجلاً مر بآخر في بغداد بعد صلاة العشاء والبدر تام، سكران ملقى على ظهره في محل منحدر رأسه إلى أسفل وقد قلبت ثيابه على صدره وانسلخ منها إلى نصفه وهو مع ذلك رافع رجليه إلى البدر، كأنه يكزها برجليه واحدة بعد أخرى قائلاً في كل وكزة في الهوى هذه يعني رجله في عينك يا قمر بطلاق زوجته إن جعدة أجمل منك، فقال المار: وقد رأى ما صنع الخمر به يلزمني يمينك ما عند الله ذنب أعظم من الخمر الذي يبلغ بأمثالك هذا المبلغ ثم سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله عن إلىمينين فأجاب: إن السُّكران لا يحنث، لأنه حلف على ما يراه ولأن الإنسان خلقه الله في أحسن تقويم وسكت عن الجواب في الثاني حتى ينظر، فلما نظر قال: يحنث، لأني رأيت الربا أعظم من شرب الخمر وذلك أن الخمر نهي عنه مثل جميع المنهيات ولم يقل فيه {فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله} وإنما قال هذا في الربا.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه (1/ 397).

[2] ينظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (6/ 93).

«وتبعوا أذناب البقر» كناية عن اشتغالهم بالحرث والزرع وإهمالهم القيام بوظائف العبادات، فهي تصوير ببعض شاغل، فهو من الخاص المراد به ما هو أعم منه فيشمل الاشتغال بكسب الغنم والإبل ورعايتها وغرس البساتين وبنيان الدور لما فوق الحاجة وغير ذلك من كل ما يشغل عن الجهاد ولهذا قال: «وتركوا الجهاد في سبيل الله» لإعلاء كلمة الله ونصر شريعته «أدخل الله تعالى «عليهم ذُلاً» بضم الذال أي هوانًا وضعفًا «لا يرفعه عندهم حتى يراجعوا دينهم» أي: حتى يرجعوا عن ارتكاب هذه الخصال المذمومة وفي جعله إياها غير الدين وإن مرتكبها تارك للدين مزيد زجر وتهويل وتفريع لفاعله وهذا من أقوى أدلة من حرم بيع العينة خلافًا للشافعية[1]، فإن المشهور عندهم فيها القول بالكراهة دون التحريم والبطلان، ثم إن جمع النبي بين بيع العينة وتتبع أذناب البقر وترك الجهاد مشعر بأنهم لو فعلوا بعضها فقط لا يلحقهم الوعيد والله أعلم.

«رواه عبد الرزاق» بن همام بن نافع وكنية أبو بكر أحد الأعلام، روى عن ابن رجيح ومعمر وعنده أحمد وإسحاق مات عن خمس وثمانين سنة 211 أحد عشر ومائتين وكان له في خليفة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وابن عمه الإمام على بن أبي طالب مزيد حب ومن ينتسب إليه مزيد وداد وكان إذا أثنى عنه أطال وبسبب ذلك كان بعض حساده يقول: تشيع[2].

«و» رواه «غيره» كالبيهقي والطبراني في الكبير والصغير فقط والإمام أحمد في المسند إلا أن البيهقي لفظ روايته في الشعب بدل أدخل إلخ، أنزل الله «عليهم البلاء لا

---

[1] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، «روضة الطالبين وعمدة المفتين» تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م، (3/ 421).

[2] ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (9/ 563).

يرفعه حتى[1] إلخ وفي مسند هذا الحديث أبو بكر بن عباس مختلف فيه والأرجح توثيقه وتعديله.

الحديث التاسع

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبي أمامة» الباهلي «رضي الله تعالى عنه قال) عندما تكلم الناس في الجهاد بحضرته «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: أفضل الصدقات ظل فسطاط» بضم الفاء وتكسر[2] أي خيمة يستظل بها المجاهد «في سبيل الله عز وجل»، يعني أن أفضل ما يتصدق به المؤمن أن ينصب خباء أو خيمة من ماله لمن يجاهد في سبيل الله يستظل تحت ظلها ذلك المجاهد عندما يجهده الحر وسواء في ذلك أيام القتال أو أيام السفر له وهذا إذا كان في غير ساعة القتال وأما ساعته فلا يجوز الاستظلال إلا لمن أجهده الحر وأعجزه، فإن سقط قواه من عظيم الحر أو كان مريضًا كجريح.

«أو منحة خادم» والمنحة بالكسر العطية[3]، هبة والخادم يشمل الذكر والأنثى من العبيد وكذا من الأحرار كأجير تهب منفعته لمجاهد «في سبيل الله» ليستعان به على القيام بحقوق الجهاد ومثل منحته قرضه أو إعارته «أو طروقة» بفتح الطاء فعولة بمعنى مفعولة أي مركوبة[4] فرسًا أو ناقة بلغت السن التي فيها يطرقها الفحل كالحقة من الإبل والثنية من الخيل «فحل» من نوعها بتصريبها له وذلك لأن التي في هذا السن صالحة للغزو والمحاربة إن كانت فرسًا أو لحمل الزاد ونحوه إن كانت ناقة.

---

[1] رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (6/ 93) أعله ابن حجر في «التلخيص الحبير» (3/ 19).

[2] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (2/ 40).

[3] ينظر» فيض القدير» للمناوي (2/ 40).

[4] ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (3/ 122).

«في سبيل الله» يعطيها للمجاهد يركبها أو يحمل «عليها ما يحتاجه إما هبة أوفرضًا أو إعارة مثال الخادم فقوله: أو طروقة عطف على منحه خادم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأشعر قوله: (ظل فسطاط) أنه يحصل له به فضل الصدقات ولو لم يهب الفسطاط نفسه للمجاهدين ولا أقرضه ولا إعارة بل باق في ملكه ولكنه دعا محتاجًا إلى الاستظلال وأدخله الفسطاط حتى ذهب حر الشمس وبهذا لم يقل منحة فسطاط، لأن المقصود ظله وهو غاية منفعته وقد تحصل دون تمليك «رواه» [1] الإمام الحافظ أبو عيسى «الترمذي» في الجهاد عن أبي أمامة المذكور ومن طرق أخرى عن عدي بن حاتم الطائي وصححه وتبعه ابن عبد الحق[2] واعترضه ابن القطان بأن فيه القاسم بن عبد الرحمن مختلف فيه، قال فحق الحديث أن يقال فيه حسن لا صحيح.

«و» رواه «غيره» كالإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة فقط ولكن فيه الوليد بن جميل قال الذهبي: قال أبو حاتم: روى عن القاسم أحاديث منكرة[3] ولا كذلك الوليد بن جميل، فإنه أحفظ وأثبت.

الحديث العاشر

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبي هريرة» اختلف في اسم هذا الصحابي الفاضل على كثرة الرواية عنه وعظيم شهرته على نحو من ثلاثين قولاً أو أكثر أصحها أن اسمه في الجاهلية عبد شمس وفي الإسلام عبد الرحمن بن صخر كان رضي الله عنه كثير اللعب بالهرة وهو صبي وقبيلته دوس بمهملتين وهم بنو دوس بن عدنان ولهذا يقال فيه الدرسي قدم على رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، بخيبر بعد فتحها

---

[1] رواه الترمذي في «سننه» (1627) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب وهو أصح عندي من حديث معاوية بن صالح. وصححه السيوطي في «الجامع الصغير» (1/ 97).

[2] ينظر: «بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام» لابن عبد الحق (4/ 346).

[3] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي «المغني في الضعفاء» ، المحقق: الدكتور نور الدين عتر، (2/ 721).

مسلمًا مهاجرًا صحبة الطفيل بن عمرو حفظ عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» حديثًا كثيرًا المخاصة به من غرفة له في ثوبه في الحديث الصحيح عنه، فلم يرو عن أحد من الصحابة ما روي عنه من الحديث وقد أثبت الحفاظ عنه أكثر من خمسة آلاف حديث وروى عنه أكثر من ثمانمائة عدل بين صحابي وتابعي ولم يقع هذا لغيره، روى البخاري من طريقه أربعمائة وستة وأربعين حديثًا في جامعه بالخصوص وله في تاريخه عنه أحاديث غيرها مات رضي الله عنه سنة سبع وقيل: ثمان وقيل تسع وخمسين من الهجرة ودفن بالبقيع[1].

«قال» عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته.

«قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: أفضل الغزات خادمهم» يعني إذا كان غازيًا معهم بنية الجهاد لا مطلقًا لأنه زاد على ما حصل لهم من أجر نية الغزو وفعله مشقة خدمتهم لوجه الله تعالى أو لأنه اهتدى واقتدى بالنبي «صلى الله عليه وسلم»، فإنه صح أن الأعرابي الذي جاء ليسابق قصوى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وهي ناقته المعروفة المباركة التي كانت لا تسبق وجاءها الناس بالنجائب السبق المشاهير فتركتهم عند المسابقة حَسْوي من ورائها هجم على فساطيط أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» هي ليلا وهم نائمون وقد اصطكت الخيل وانطلق بعضها فقام لها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بربطها فوقف الأعرابي على بعيره وسلم فرد «عليه النبي وزاد أن آمنت، فقال الأعرابي: إني سيد القوم، قال «صلى الله عليه وسلم»: «سيد القوم خادمهم»[2].

---

[1] ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي (2/ 578).

[2] رواه ابن المبارك في «الجهاد «(ص: 159).

وأعلم أن المخذل عن الغزاة مثل خادمهم في الأفضلية كنعيم الأشجعي الذي قال له المصطفى «صلى الله عليه وسلم» في الأحزاب خذل عنها، فإن الحرب خدعة[1].

«ثم» بعده في الفضل الإنسان «الذي يأتيهم بالأخبار» أي بما كان من أمر العدو من مكر أو خديعة مما يتعلق بشأن الحرب.

«وأخصهم» أكثر ما يوجد في كتب أكثر المحدثين الراوين بهذا الحديث إهمال الحاء وإعجام الضاد ويفسرونه بأنه أرفعهم درجة وليس في اللغة الخص بمعنى الرفعة والصواب والله أعلم أن معنى وأخصهم أكثرهم أو أعظمهم حظًا عند الله تعالى ويوجد في بعضها إعجام الحاء وإهمال الصاد وهو قليل و» عليه فالمعنى أن أعظمهم اختصاصًا بحيث يكون الغزاة» عند الله منزلة» في رفع الدرجات وعظيم الكرامات وعلو المقامات «الصائم» فرضًا أو نفلاً في الغزو وكما يدل «عليه السياق وهذا إذا كان الصوم لا يضعفه عن القتال وإلا حرم النفل «ومن استسقى» أي ذهب للمحل الذي يسقى منه الماء فملء» لأصحابه» الذين هم غازون معه وسواء في ذلك السفر وساعة القتال حيث كان ذهابه لا يضر بالمقاتلين، فإن خاف هزيمتهم بعده وعلم أو ظن عدمها، بإقامته حرم «عليه الاستسقاء حتى يستوي الخوف من العدو والخوف من العطش، فيخير حينئذ وانظر إذا ذهب يستسقي في هذه الحالة ويكون له ما وعد به الشرع أولاً «قِرْبة» بكسر القاف وسكون المهملة جلد الدابة يدبغ ويحمل فيه الماء جمعه قربات وقرب بالكسر فيهما وكذلك كل ما كان على فعله كبقرة وسدرة[2] ويسمى المستقي فيها قارب وخصه صاحب القاموس بطالب الماء ليلًا[3].

---

[1] رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (3/ 446) وضعفه السيوطي في «الجامع الصغير» (1/ 362).

[2] ينظر: «لسان العرب» لابن منظور (1/ 668).

[3] ينظر: «تاج العروس «للزبيدي (2/ 309).

«في سبيل الله سبقهم إلى الجنة» ظاهره أن مقرهم واحد وإنما اختص مستقي القربة بالسبق فقط والمراد بالسبق هنا حصول ما لم يحصل للمسبوق في الجنة من زيادة التنعم بالعلو حسًا أو معنى و» عليه أكثر شراح الحديث.

«بسبعين درجة» والدرجات وردت فيها أحاديث كثيرة تدل على بعد بعضها من بعض فهو مرقى جليل وخير جزيل خص الله به من سقى المجاهدين الماء وبه تعلم، فضل الجهاد عند الله وأنه أولى ما يتقرب به العبد إلى مولاه.

«رواه»[1] العلامة الحافظ أبو القاسم سليمان اللخمي «الطبراني في» كتابه «الأوسط» واقتصر صاحب الجامع الصغير على الصائم مع أنه عزاه للطبراني وانظر ما مراده على أن هذا الحديث لم يروه غيره الطبراني فيما علمت وهو أيضًا لم يذكره في كبيره ولا في صغيره وإنما ذكره في الأوسط ولكونه لم يروه غيره قلنا.

«وانفرد به» وليس هو عندي في مقام الغريب ورتبه، لأن الغرابة عند المحدثين إما أن تكون في أصل السند، أي الموضع الذي يدور الإسناد «عليه ويرجع إليه ولو تعددت الطرق التي فيها الصحابي ولا مرادي أيضًا بقولي وانفرد به ما جرت به عبارة المحدثين من قولهم وتفرد به، لنه عندهم إنما يكون التفرد في أثناء السند كأن يرويه عن الصحابي أكثر من واحد ثم ينفرد بروايته عن واحد منهم شخص واحد ويقال فيه الفرد المطلق لحديث شعب الإيمان[2] تفرد به أبو صالح عن أبي هريرة وتفرد به عبد الله بن دينار عن أبي صالح وحديث النبي عن بيع الولاء وهبته[3] تفرد به عبد الله بن دينار عن ابن عمر ولو كان مراده ذلك قلت: وتفرد به بالبناء للمجهول وصيغة تفعل وما عدلت عنها لصيغة] انفعل إلا أني ما رأيته في كتاب من كتب المحدثين غيره، فاعرفه والله والله أعلم.

---

[1] رواه الطبراني في «الأوسط» (176/5) قال الهيثمي في «المجمع»: فيه عنبسة بن مهران الحداد وهو ضعيف (195/3) وضعفه السيوطي في «الجامع الصغير» (1/ 98).

[2] أخرجه البخاري (9) ومسلم (35) وأحمد (9361).

[3] أخرجه البخاري (2535) ومسلم (1506) وأحمد (4560).

الحديث الحادي عشر

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبي سعيد» سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري.

«الخدري» بضم المعجمة وسكون المهملة نسبة إلى جده الأعلى توفي رضي الله عنه ورحمه سنة 64-74 أربع وستين أو أربع وسبعين على خلاف بين المؤرخين فيم أخرج البخاري في صحيحه عنه أربعة وستين حديثًا[1].

«رضي الله تعالى عنه قال» عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أفضل الناس مؤمن» [2] أي: كامل الإيمان بمعنى أنه قائم بأداء الواجب ملازم لاتقاء المحرم «يجاهد الكفار في سبيل الله» لإعلاء كلمة الله لا لغنيمة ولا ليقال شجاع، أو ليرتقي إلى أن يكون رئيسًا عند الإمام بولاية يتولاها.

«برًا أو بحرًا بنفسه وماله» ظاهره لابد من الجمع بحيث لو جاهد بنفسه فقط أو ماله فقط لا يكون أفضل الناس والصحيح الذي «عليه المحدثون في شرح الأحاديث التي وردت في فضل الجهاد أنه يكون أفضل بالنسبة إلى من لم يفعل واحدًا منهما و» عليه فالواو بمعنى أو وإنما كان أفضل الناس عند الله لما في بذل النفس لله من الطاعة وفي بذل المال من الطاعة أيضًا والنفع المتعدي ولا يقال يلزم أن يكون بذلك المال أفضل من بذل النفس لأنا نقول الطاعة في بذل النفس أكبر منها في بذل المال لما فيها من التعرض لأعظم المصائب في الدنيا لأجل طاعة الله، قالوا ثم من يا رسول الله؟

---

[1] ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي (3/ 168).

[2] أخرجه البخاري (2786) ومسلم (1888) وأحمد (11125) بنحوه.

قال: «ثم» أي بعد المجاهد بنفسه وماله يكون أفضل الناس «مؤمن» منقطع للتعبد «في شعب» بالضم ويؤنث يراد به ما صغر من التلعة وما عظم من سواقي الأودية والجبال وهو المراد هنا[1].

«من الشعاب» جمع شعب المذكور كما في المصباح والصحاح خلاف ما يعطيه ظاهر القاموس، فإنه جعله صدعًا في الجبل يأوي إليه الماء من المطر وخلاف ما أوهمه المناوي في شرح الجامع الصغير من قوله بعد الشعاب بالكسر فرجة بين جبلين[2] فإن قوله بالكسر إن أراد بها الشهاب فلا يقال فيها فرجة بل فروج وإن أراد لفظة شعب، فإنه ليس من أسماء فرجة بين جبلين، بل هو اسم للطريق في الجبل وسيل الماء في بطن أرض أو منفرج وغير ذلك مما يبعد عما نحن فيه والظاهر ما قررناه والمراد بكون المؤمن في شعب من الشعاب أنه يكون متجردًا عن الناس فلا يخالط أحد فهو مثال لا قيد لأن الغالب في الشعاب الخلو عن الناس ومن أجل هذا قال الصوفية العزلة عبادة ومن أحب النجاة اعتزل الخلق وتجرد لطاعة الخالق سبحانه وتعالى لكن من شرطهما أن لا تدخل إلا بإمام بعد تصحيح فرض العين وعقيدة التوحيد وأن لا تكون له حاجة ولا خاطر لمخلوق ويشتغل بذكر الله تعالى بنسيان الخلق ولا يكون له اختيار ولا إرادة فمتى تكون خلوته كذلك وإلا فلابد أن توقعه في محنة أو بلية في ظهور كرامات أو صيت يكون له بين الناس.

وروي عن العارف بالله تعالى الولي الصالح داود الطائي أنه قال: جاذبتني نفسي للخلوة، فقلت لها حتى نجلس مع علماء الرسوم سنة كاملة ولا نتكلم، فكان يحضر في

---

[1] ينظر» القاموس المحيط» للفيروزآبادى (ص: 101).

[2] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، «التيسير بشرح الجامع الصغير» الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، 1408هـ – 1988م، (1/ 188).

مجالسهم ولا يتكلم بكلمة وكانت تمر «عليه المسائل وهو إلى الكلام أشهي من الظمآن إلى الماء ويسكت ثم اعتزل بعد ذلك إلى الله وانقطع عن الخلق.

وقال: بعض العارفين إذا أراد الله تعالى أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة أنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره عيوب نفسه، فمن أعطي هذا فقد أعطي خير الدنيا والآخرة وقال بعضهم من أراد أن يسلم له دينه ويستريح قلبه، فليعتزل الناس ولا سلامة في الدين إلا البعد عن الجليس السوء وأما الجليس العالم، فإنه خير من الوحدة وإن ظهرت البدع وحجم المذاهب الفاسدة وكثر القول بالتأويل وجبت الخلوة للسلامة من التشويش والمدافعة وقال بعضهم كلم الناس قليلاً وكلم ربك كثيرًا لعل قلبك يرى الله.

وفي هذا الباب كلام بين القوم يطول جلبه.

«يتقي الله» يراقبه ويخاف من مخالفة أمره ونهيه قال العارفون بالله: مدار السعادة على ثلاثة أمور:

الأول: التوفيق والتأييد أولاً وإتمام التقصير والثلاثة مضمونة للمتقين لخبر {إن الله مع الذين اتقوا} و {إن الله مع المتقين}.

الثاني: إصلاح العمل مضمون أيضًا بالتقوى، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم}.

الثالث: قبول العمل وهو أيضًا لا يكون إلا للمتقين بدليل الحصر، قال تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين}.

وهذه الثلاثة هي التي حط العابدون فيها أحمالهم بالتضرع إلى الله سبحانه يسألون ويقولون: ربنا وفقنا لطاعتك وأتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله ذلك على التقوى.

والعاقل يتأمل أصلاً واحدًا وذلك أنه كلما أتعب نفسه بالعبادة تطول عمره وجاهد في النوافل والرغائب والصدقات وجميع وجوه البر كل ذلك موقوفًا على التقوى، لأنه إذا لم يكن تقيًا وخوفه أكثر وأعظم من رجائه لا يقبل منه شيء لقوله: {إنما يتقبل الله من

المتقين} ولذلك قالت أم المؤمنين عائشة «عليها السلام: «ما أعجب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» من الدنيا شيء ولا أعجبه إلا ذو تقى» [1].

وعن قتادة رضي الله عنه قال: في التوراة يا ابن آدم اتق الله ونم حيث شيئت[2] وعن عامر بن عبد الله بن قيس[3] الزاهد أنه كان كثير البكاء ولما قرب أجله ازداد بكاؤه، فقيل له: وما يبكيك وأنت أكثر الناس عبادة؟ فقال قوله تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين}[4] وقد قال بعض الصالحين لبعض أشياخه أوصني فقال له: أوصيك بوصية رب العالمين في الأولين والآخرين، {ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم إن اتقوا الله}.

«ويدع الناس» أي يتركهم ولا يصل إليهم بسوء «من شره» بحيث لا يغفل معهم شرًا ولو خصومة، فإنها وإن كانت جائزة عن نفسه أو موكلة لكنها شر في الجملة، فينبغي أن يدعها.

وينفرد بمحل بعيد عن الناس (أي عن مخالطتهم) بالمكالمة والجلوس ونحوهما ولو في بيته كما هو المراد هنا، لئلا يكون مكررًا مع قوله: مؤمن في شعب من الشعاب. وفائدة العزلة أن يسلم من المصيبة في دينه أو دنياه، لأن العادة جرت بأن كل من خالط الناس مسته ضراء في دنياه أو دينه وقلَّ مَنْ سلِمِ من ارتكاب الآثام.

والنصوص صريحة في تفضيل الانفراد على الخلطة، لما فيه من السلامة من الغيبة واللهو ونحوهما وليس المراد بظاهر هذا الحديث اعتزال الناس بالكلية، بحيث لا يصلي

---

(1) رواه أحمد في «المسند» (24400) قال الهيثمي في «المجمع» (8/ 160): فيه ابن لهيعة وهو لين وبقية رجاله رجال الصحيح.

(2) رواه تمام في «فوائد تمام» (2/ 101) ولم أقف على قول للعلماء في هذا الأثر.

(3) هو: عامر بن عبد الله بن قيس أبو بردة بن أبي موسى الأشعري إمام فقيه قاضي الكوفة توفي سنة أربع ومائة. انظر «سير أعلام النبلاء «للذهبي (4/ 343).

(4) رواه الطبري في «تفسيره» (10/ 212) ولم أقف على قول للعلماء في هذا الأثر.

في مسجد جماعة ولا يبيع ما احتاج بيعه ولا يشتري ما احتاج شراءه، فإن هذا إنما يكون إذا خاف الفتنة في دينه، كما قال النووي[1] وجمهور جماعتنا أهل السنة.

وكذلك إذا كان الإنسان، سيء الأخلاق بحيث لا يصبر على أذى الناس، فإن العزلة في مثله واجبة، لأن الإنسان لا يخلو من إذاية مؤذ وخصوصًا كامل الإيمان، فهو في الغالب هدف الإذاية، فإذا علم من نفسه عدم الصبر وجب «عليه الانفراد ولزوم محله.

وقولنا: (خاف الفتنة في دينه) شامل لمن علم أنَّ نظره للنساء مثلًا يكون سببًا للزنا، أوللمال فيكون سببًا للسرقة والخلابة ونحوهما.

ولما إذا كان الناس يتكلمون في خروج عن إمام أو في تأويل القرآن ومباحث علم الكلام فإن دخول الخلوة فيه أفضل من الجلوة ولهذا صح عن إمامنا مالك بن أنس رحمه الله ورضي عنه لما كان في آخر عمره وتجاذب الناس القول في علم الكلام قال: ليس هذا من الدين في شيء، نعوذ بالله من هذه الفتنة. ودخل داره فلم يخرج منها حتى قُبض.

«رواه» الحافظ الإمام محمد بن إسماعيل «البخاري و» الحافظ الإمام «مسلم في صحيحيهما» ورواه أيضًا الإمام أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه وكلهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل فذكره.

الحديث الثاني عشر

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبي هريرة» [2] عبد الرحمن بن صخر «رضي الله تعالى عنه»، عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته، «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: انتدب الله» بنون ساكنة، فمثناة فوقية مفتوحة، فدال مهملة كذلك وآخره موحدة وقال الحافظ ابن حجر في رواية الأصيلي: هنا «ايتدب» بمثناة

---

[1] ينظر: «شرح النووي على مسلم «(13/ 34).

[2] أخرجه البخاري (36) ومسلم (1876) وأحمد (7157).

تحتية مهموزة بدل النون من المأدبة وهو تصحيف وقد وجهوه بتكلف، لكن إطباق الرواة على خلافه مع اتحاد المخرج كاف في تخطئته[1] أ.هـ

وعزاها القاضي عياض لرواية القابسي[2] وأما رواية «انتدب» بالنون من (ندبت فلانًا لكذا فانتدب) أي: أجاب إليه. وفي القاموس: انتدبه إلى الأمر: دعاه وحثه، أو معناه تكفل[3] كما رواه البخاري في أجزاء الجهاد وللأصيلي وكريمه: انتدب الله عز وجل «لمن خرج في سبيله» حال كونه «لا يخرجه إلا إيمان» وفي رواية إلا الإيمان «وتصديق برسلي» بالرفع فيهما فاعل لا يخرجه والاستثناء مفرغ وإنما عدل عن به الذي هو الأصل إلى بي للالتفات من الغيبة إلى التكلم[4].

وقول ابن مالك[5] في «التوضيح» كان الإلىق (إيمان بي) ولكنه على تقدير حال محذوف أي قائلًا: لا يخرجه إلا إيمان بي. ولا يخرجه مقول القول، لأن صاحب الحال على هذا التقدير هو الله [6]، رده ابن المرجل[7]، فقال: أساء في قوله، كان الإلىق وإنما هو من باب الالتفات ولا حاجة إلى تقدير، لأن حذف الحال لا يجوز، حكاه الزركشي وغيره.

---

[1] ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (1/ 93).

[2] ينظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (1/ 24).

[3] ينظر» القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: 137).

[4] ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (1/ 93).

[5] هو: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجيّاني، أبو عبد الله، جمال الدين، الشافعي، النحوي،أحد الأئمة في علوم العربية ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها، أشهر كتبه الألفية ولِدَ سنة ستّمائة أو سنة إحدى وستّمائة وتوفّي في ثانى عشر شعبان سنة اثْنين وسبعين وستمائَة «تاريخ الإسلام «للذهبي (15/ 249).

[6] ينظر: «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» لابن مالك (ص: 84).

[7] هو: مالك بن عبد الرحمن بن فرج ابن أزرق، أَبُو الحَكَم، ابن المرحل: أديب، شاعر المغرب،وُلِدَ بمالقة سنة أربع وستّمائة وسكن سبتة، من موالي بني مخزوم، مصمودي الأصل، صاحب كتاب «متن موطأة الفصيح نظم فصيح ثعلب «، عاش بين سبتة وفاس وتوفي بفاس سنة فِي سنة تسعٍ وتسعين وستمائة «الأعلام «للزركلي (5/ 263).

وقال في المصابيح ما ذكره من عدم جواز حذف الحال ممنوع وقد ذكره ابن مالك من شواهده هنا قوله تعالى: {وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا} أي: قائلين وقوله تعالى: {والملائكة يدخلون «عليهم من كل باب سلام عليكم} أي قائلين سلام عليكم وقوله تعالى: {ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا} أي: قائلين[1]، قال ابن المرجل: وإنما هو من باب الالتفات.

وقال الزركشي: الإلىق أن يقال: عدل عن ضمير الغيبة إلى الحضور، يعني أن الالتفات يوهم الجسمية فلا يطلق في كلام الله تعالى، هذا خلاف ما أطبق «عليه علماء البيان.

وذكر الكرماني قوله: «أو تصديق برسلي» بلفظ واستشكله، لأنه لا بد من الأمرين الإيمان بالله والتصديق برسله وأجاب بما معناه أن «أو» بمعنى الواو وأن الإيمان بالله مستلزم لتصديق رسله وتصديق رسله مستلزم الإيمان بالله وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لم يثبت في شيء من الروايات بلفظ أو ا ه[2].

وقال العلامة أحمد بن محمد القسطلاني في «إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري»: وجدته في أصل فرع البدنينية، أو بالألف قبل الواو وعلى الألف سين وعلى السين، لا بخط ابن عساكر الدمشقي. يعني أن لا بخطه وأما السين بخط غيره علامة سقوطه ومقتضى هذا ثبوتها عند غيره فليتأمل مع كلام ابن حجر وفوق الواو جزمة سوداء ونصبة بالحمرة وكذا أيضًا وجدته بالألف في متن البخاري من النسخة التي وقفت

---

[1] محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» ، المحقق: الدكتور طَه مُحسِن، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى، 1405 هـ، (ص: 84_85).

[2] ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (1/ 93).

«عليها من تنقيح الزركشي وكذا في نسخة كريمة وعند الإسماعيلي كمسلم «إلا إيمانًا» بالنصب مفعول له أي لم يخرجه المخرج إلا الإيمان والتصديق[1].

«إن أرجعه» بفتح الهمزة من رجع وإن مصدرية والأصل بأن أرجعه أي يرجعه إلى بلده[2].

«بما كان من أجر» أي: بالذي أصابه من النيل وهو العطاء من أجر فقط إن لم يغنموا «أو» أجر مع «غنيمة» إن غنموا أو بمعنى الواو كما رواه أبو داود بالواو بغير ألف وعبر بالماضي دون المضارع في قوله: نال التحقق وعده تعالى «أو» أن «أدخله الجنة» عند دخول المقربين بلا حساب ولا مؤاخذة بذنوب لأنها تكفي بالشهادة أو يدخله الجنة عند الموت نفسها فورًا لقوله تعالى: {أحياء عند ربهم} أي في الجنة.

«ولولا أن أشق»: أي لولا المشقة «على أمتي ما قعدت خلف» بالنصب على الظرف، أي ما قعدت بعد «سرية» بل كنت أخرج معها بنفسي وذلك لأن الله أعظم أجرها ورفع في الملأ العلى قدرها و» لولا» امتناعية و» أن» مصدرية في موضع رفع بالابتداء و» ما قعدت» جواب لولا وأصله (لما)، فحذفت اللام فصار المعنى امتنع عدم القعود الصادق على السير إلى الغزو لوجوب المشقة[3]، فقول القسطلاني هذا امتنع عدم القعود وهو القيام، يريد به الإقامة التي هي ضد الارتحال، لا القيام الذي هو ضد القعود، لأنه لا يخفاه أن القعود هنا معناه عدم الغزو وقد سبقه القلم غلطًا لاشتراك القيام والإقامة في المادة اللفظية.

وقوله «صلى الله عليه وسلم»: «لولا أن أشق» لعلمه أن تخلفهم بعده يصعب «عليهم ولا قدرة لهم على المسير معه لضيق حالهم، قال ذلك «عليه الصلاة والسلام شفقة منه

---

[1] ينظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني(1/ 121_ 122).

[2] المصدر نفسه (1/ 122).

[3] ينظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري «للقسطلاني (1/ 122).

على أصحابه وهم المراد بأمته هنا فهو عام أريد به خاص فاعرفه، فإن كل من وقفت «عليه من شراح هذا الحديث يحمله على العموم وليس بمراد.

«ولوددت» عطفًا على قعدت واللام للتأكيد أو جواب قسم محذوف، أي والله لوددت أي أحببت[1] «أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل» ثانيًا ليكون لي ما علمته من رضوان الله.

«ثم أحيا» ثالثًا لأجاهد في سبيل الله، «ثم أقتل» ثالثًا والألف من أقتل وأحيا مضمومة وهي خمسة ألفاظ وفي رواية الأصيلي: (أن أقتل) بدل أني.

ولأبي ذر: «فأقتل بالفلا، ثم أحيا فأقتل» كذا في إلىونينية وختم بقوله: «ثم أقتل» لأن مراده «صلى الله عليه وسلم» تكرير الشهادة فختم بها وليس مراده الحياة التي بين القتلتين، لأنه ضروري الوقوع وثم للتراخي في الرتبة أحسن من حملها على تراخي الزمان، لأن المتمني في الحقيقة حصول مرتبة بعد مرتبته إلى الانتهاء إلى الفردوس الأعلى[2].

فإن قلت: هذا حاصل لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» بدون ما يؤده أن يقع، فما فائدته؟

قلت: فائدته أمران: أحدهما: الإقرار بكامل العبودية وأنه ما كان إلا لطاعة وإن كانت سعادته سابقة في أم الكتاب وله الوسيلة والدرجة العليا في الجنة.

الثاني: الإرشاد والتبليغ، فإنه ينطق عن الله ولا ينطق عن الهوى وأراد بهذا تحريض أمته على الجهاد مما علمه له من رضي الله ورضوانه وجزائه وغفرانه.

«رواه» الإمام محمد بن إسماعيل «البخاري» المعرف به وبنسبه في الحديث الأول رحمه الله ورضي عنه.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه (1/ 122).

[2] ينظر: نفسه (1/ 122).

«في جامعه الصحيح و» رواه أيضًا «غيره» كمسلم في صحيحه والإسماعيلي وابن منده وابن الأثير وغيرهم.

الحديث الثالث عشر

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «فضالة بن عبيد» الأنصاري «رضي الله تعالى عنه قال» عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته: «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: أقرب العلم» المراد به هنا ما كلف العبد بفعله تعبدًا والقرب مطالعة الشيء حسًّا أو معنى ضد البعد[1].

«إلى الله عز وجل»: يعني إلى رحمته وجزيل ثوابه، فإن الأعمال كلها لا حاجة لله بها وإنما كلف العباد بها لينظر الطائع من العاصي من خلقه وإن كان كل ميسر لما خلق له، حكمة منه اختصر بعلمها.

«الجهاد في سبيل الله»: أي قتال المشركين لإعلاء كلمة الله، لا لغنيمة ولا لإظهار شجاعة ولا لطلب وظيفة من أمير الجيش.

«ولا يقاربه شيء»: أي لا يماثله في القرب شيء من أعمال البر لما فيه من الصبر على بذل الروح في رضى الله تعالى وأي شيء يضاهي ذلك أو يقاربه، لأن الثواب على قدر المشقة كما قدمناه في صدر هذا الكتاب.

«رواه» العلامة الحافظ الإمام محمد بن إسماعيل «البخاري» (2) رحمه الله «في» كتابه الذي سماه «التاريخ» ولم يذكره في الجامع الصحيح والعجب في الإمام الحافظ مسلم بن حجاج أثنى على رجاله ووثقه ولم يروه في جامعه وكأنه مما لم يجده في جامع البخاري استراب رحمهما الله ورضي الله عنهما.

الحديث الرابع عشر

[1] ينظر: «لسان العرب» لابن منظور (1/ 662).

[2] رواه البخاري في «التاريخ الكبير «(4/ 152) وحسنه السيوطي في «الجامع الصغير «(1/ 102).

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبي هريرة» المتقدم نسبة والتعريف به «رضي الله تعالى عنه قال» عندما تكلم الناس في أسباب الصحة أو القنا: «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الزموا الجهاد» أي اجعلوه همكم فلا يشغلكم عنه، تجر لتنموا أموالكم ولا مرض خفيف وقد عرفنا مراد النبي «صلى الله عليه وسلم» بالجهاد، محاربة الكفار لإعلاء كلمة الواحد القهار.

«تصحوا» يعني أن ملازمته تورث الصحة وانظر هل ذلك لذاته أو للازمه وهو السفر كما في حديث: «سافروا تصحوا» (1) رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي سعيد الخدري وهذا والله أعلم هو الظاهر لما في السفر من الرياضة بمشاقه وتعبه وكثرة حركات الأعضاء فيه.

والإجماع منعقد بين الحكماء على أن أعظم الباب الصحة حركة الأعضاء، باستعمالها في ما يشق «عليها، حتى تتسع مسام العروق والشريانات لخرير الدم فيها وتلين المفاصل ويعتاد العصب التمطي والحزم ببعضه لبعض، فيكون الآدمي شديد القوى، قادرًا على المشي وحمل الثقيل، بخلافه إذا لزم الراحة ولم يسافر ولم تكن له حرفة شاقة كالحرث والحصاد والحمالة على ظهره، بأن كان دأبه أن يخرج من داره إلى الحانوت والمسجد ويرجع إليها، فهذا أقرب إلى العجز منه له ويهرم في الستين ونحوها وأما المرتاض بالسفر والخدمة الشاقة فلا يلحقه إعياء ولا عجز ولا يهرم إلا أذا ناهز المائة.

وقد وقع خلاف ومخرجة بين حكماء الفلاسفة من البراهمة في هذا الباب، قال بعضهم بما قررناه وقال آخرون: الصحة من أجل الخاصية التي اقتضها طينة الموصوف بها وطبيعته وكذلك الفحل. قال الأولون: ما لنا نرى الرجال أشد قوة من النساء! وهل إلا

---

[1] رواه أحمد في «المسند» (8945) من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه السيوطي في «الجامع الصغير «(1/ 459). ورواه أبو نعيم في «الطب النبوي «(1/ 239) من حديث: أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وحسنه السيوطي في «الجامع الصغير «(1/ 459).

أن الصبيان الذكورية يتدربون على المشاق من اللعب في السكك والمصارعة وكثرة الجري ونحو ذلك والإناث لا يفعلن ذلك، فكانت الرجال أشد قوة عنهن.

قال الآخرون: نقول: إن ذلك بالخاصية قال الأولون ما لنا نرى نساء البادية أشد قوة من رجال الحاضرة غالبًا! قال الآخرون: لعل أهوية البادية سبب من أسباب الصحة ولأجلها كانت نساؤهم شداد.

قال الأولون: يلزمكم أن تتحد صحة رجال البادية ونسائهم فلا تفاوت والحق خلافه، فإن نساء البادية ما كن أشد قوة من رجال الحاضرة إلا بكثرة رياضتهن وتعبهن وحملهن للأمور الشاقة، لكنهن أقل رياضة وخدمة من رجالهن ولذلك كان رجالهن أصح منهن.

قال الآخرون: نقول باجتماع الخصيصة والأهوية الصالحة.

قال الأولون: أرأيتم إليدين من كل آدمي سواء لا تزيد واحدة على أخرى والغذاء وأصل نفعه إليهما بالسواء ولا فضل لإحداهما على الأخرى وإليمين تقدر على ما لا تقدر عليه الشمال وهل ذلك إلا بكثرة استعمالها من الصغر.

قال الآخرون: لعل ذلك بالخاصية أيضًا إن كل يمين أصح من الشمال.

قال الأولون: ما لنا لا نجد ذلك في ما تساوت بينهما الحركة كالرجلين وأيضًا ها نحن نجد الناس من تعود من صغره باستعمال يده إليسرى، فيكون لها من القوة ما ليس ليمينه، فسلم الآخرون واتفق جميعهم.

وكل حكيم من حكماء البراهمة بعدهم على أن أعظم وأكمل أسباب الصحة وحفظها حركة الأعضاء واستعمالها في نحو السفر، راجلًا وراكبًا وركض الخيل وركوب العجل لتهتز أعضاؤه وقد توقف وحار مفسرو حديث هل جوابًا لمن شكى إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وجعًا بظهره، كاد بعجزه عن القيام فقال له «صلى الله عليه وسلم»: صلّ. يعني النوافل، ففعل فعافاه الله، فبعضهم يقول: النافلة تزيل وجع الظهر بالخاصية. وبعضهم يقول: علم «صلى الله عليه وسلم» تكاسل السائل عن المكتوبة، فأمره بالصلاة وامتثل المأمور فعوفي ببركة الامتثال، حتى تعلم أهل الإسلام علم الطب، فوجدوا إجماع

على أن الرياضة تذهب الأعياء وتجلب الصحة، فبان بالكاشف إنه «صلى الله عليه وسلم» أعلمه ربه أن الرياضة بالحركة تذهب العلة ولكنه لما كان عبدًا شكورًا «صلى الله عليه وسلم» لم يأمره إلا بما يجمع خير الدنيا وهو العافية والآخرة وهو الثواب ومعلوم أن الوحي أعظم أصول الطب الأربعة وقد أطلق الكلام هنا لعظيم فائدته والغرض الاختصار.

«وتستغنوا» بما يفتح الله به عليكم من الغنيمة والفيء وقول النووي هاهنا في شرحه للجامع الصغير ما نصه: وفي إفهامه إن عدم ملازمته يوهن ويغفر وذلك، لأن الكف عنه يقوي العدو ويسلطهم على هلاك أموال المسلمين ودمائهم غير خاف ما فيه دون تأمل.

«رواه» [1] أبو أحمد الجرجاني ابن القطان ويقال» ابن عدي في» كتابه الذي سماه «الكامل» وهذا الحديث وإن قيل: إن في إسناده ضعفًا فهو لا يصل إلى حد الموضوع، لوجود العضد بما وافقه في المعنى من الأحاديث الواردة والله أعلم.

«وانفرد به» عن أبي هريرة بهذا اللفظ نفسه وما رواه أحد غيره من الحفاظ فيما علمت.

الحديث الخامس عشر

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أنس بن مالك» معنى التعريف به في الحديث السابع «رضي الله عنه قال» عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: جاهدوا»: أي ابلغوا الجهد، من المجاهدة مفاعلة من الجهد بالفتح وقد يضم وهو الإبلاغ في الطاقة وحمل المشقة[2].

---

[1] أحمد بن على بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، «الكامل في الضعفاء» المحقق: أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر: مكتبة السنة – مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى، 1415هـ – 1994م، (2/ 174) وضعفه السيوطي في «الجامع الصغير (1/ 127).

[2] ينظر: «لسان العرب» لابن منظور (3/ 133).

وكل من يتعب النفس في ذات شرع الله وطاعته فقد جاهد في سبيله، لكنه إن أطلق عرفًا فالمراد به جهاد الكفار «المشركين» وغيرهم من الكفار وخصهم في التنصيص بلفظ المشركين لغلبتهم في زمانه «صلى الله عليه وسلم»، لأن غالب الكفار في زمانه مشركون «برًّا وبحرًا» وإنما قال ذلك لأنه «صلى الله عليه وسلم» أمره ربه أن يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله[1] ويتركوا الإشراك بالله. وكذلك كل نبي قبله أمره الله أن يدعو الناس إلى معرفة وحدانية الله ولكن بالتي هي أحسن وأما نبينا «صلى الله عليه وسلم» سماه الله في الكتب القديمة صاحب السيف، فبعثه آخرًا داعيًا إلى الحق ومقاتلًا به له في سبيله حقًّا «صلى الله عليه وسلم» .

«بأموالكم» فينفقونها في كل ما يحتاجه المسافر غازيًا ويبدأ بنفسه فيصرف من ماله ما لا بد منه من ثمن سلاح ومركوب وزاد ونحو ذلك، ثم يعطي لمن لا قدرة له من المسلمين على ذلك أو بعضه ما يحتاجه وليس المراد الجهاد بالمال بمعنى صرفه على مصالح نفسه بخصوصها كما يعطيه ظاهر كلام كثيرين من شراح الحديث، بل يصرفه وينفقه في مصالح نفسه وغيره من فقراء المؤمنين الغازين معه، فإن المرتبة التي نالها عثمان بتجهيز جيش العسرة عند الله هي التي أفصح لأجلها رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، بقوله: «ما على عثمان ما يفعل بعد اليوم» [2].

«وأنفسكم» بالقتال بالسلاح الخارق وبيع النسمات والمهج في رضى الخالق {فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم} الآية.

«وألسنتكم» بالمكافحة عن الدين وهجوالكافرين، فلا تداهنوهم بالقول، بل جادلوهم وأغلظوا «عليهم.

---

[1] أخرجه البخاري (25) ومسلم (22).وأحمد (68).

[2] رواه الترمذي في «سننه» (3701) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وصححه الحاكم (3/ 110) ووافقه الذهبي.

ولا يعارض هذا مطلق النهي الوارد عن سبهم لئلا يسبوا المسلمين لحمله على البداية به لا على من أجاب منتصرًا، قاله المناوي وفيه نظر، لأن النهي كان قبل نزول قوله تعالى {ولعنهم لعنًا كثيرًا}، لأنه إنما نهي «صلى الله عليه وسلم» عن سبهم حيث كان يدعو بالتي هي أحسن ولما أمر بالجهاد والغلظة «عليهم جاز سبهم، لأن جهادنا فيهم يستلزم قتلهم من كتب الله سعادته منا والمباشرة منهم بالقتل فينا أعظم نكاية عندهم من السب، ثم لا مانع أن يكون المراد بجهادنابالألسنة تحريض من حضر القتال وشكر من ظهرت «عليه الشجاعة.

وتلاوة نحو: {يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم} الآية ونحو: {قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم} الآية حال القتال، فإنه جهاد باللسان وتقوى به قلوب المسلمين وتطمئن وتثبت للقتال.

«رواه» [1] الهمام الحافظ المجتهد الإمام «أحمد» بن حنبل رحمه الله «في المسند و» رواه أيضًا «جماعة» كأبي داود والنسائي والثلاثة في الجهاد وابن حبان في سب المشرك والحاكم في الغزو وكلهم عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، قال الحاكم: على شرط مسلم. وأقره الذهبي وقال في «الرياض» بعد عزوه لأبي داود: إسناده صحيح.

الحديث السادس عشر

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبي هريرة» عبد الرحمن بن صخر المذكور والفاضل المشهور «رضي الله تعالى عنه قال» عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته: «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الجهاد عمود الإسلام». العمود الخشبة التي لا تقام بيت الشعر والأخبية إلا بها وهو غليظ قائم وسطها وجمعه

---

[1] رواه أحمد في «المسند» (12246) بدون لفظة «برًا وبحرًا «وصححه الحاكموقال: على شرط مسلم(2/ 91) ووافقه الذهبي.

أعمدة[1] وعمُد ويطلق على ما دونه ما يمكن به الضرب من ضخام العصى ومنه قول العرب: أعمد فلان فلانًا إذا ضربه بالعمود وهي العصا الضخمة كالهراوة وتسمى عمادة مفرد العماد و {ذات العماد} بيوت الشعر أو العالية الرفيعة من الأبنية.

والمعنى أن الإسلام تمام إقامته وحصول المراد منه والنفع به للمؤمنين كما أن بيت الشعر لا ينتفع بها ولا تسكن الا بالعمود وأسقط «صلى الله عليه وسلم» أداة التشبيه للإبلاغ الوافر في الشبه البليغ الذي اتفقت فيه حقيقة حصول النفع به وعدمه بعدمه.

«وذرة سنامه» هو تشبيه بليغ أيضًا في علو قدر الجهاد وأن الإسلام لا ينال كل النيل ويحصل تامًا إلا بالجهاد، كما أن البعير لا يتولاه موقنًا بحصوله إلا راكبًا ذروة سنامه والذروة الهدفة التي وسط ظهر البعير والسنام شحمها[2] ويطلق على المتن من طرف الكاهل مما يلي الرقبة إلى عصعص الذيل وورد: «الصلاة عماد الدين» [3] ولا منافاة بينهما، لأن العماد قد عرفته أنه جمع عمادة بالتأنيث وهو أعم من العمود، فاعرفه.

«رواه» [4] في باب الجهاد الإمام «أحمد» بن حنبل رحمه الله ورضي عنه «في» كتابه الذي سماه «المسند» وقد مضى التعريف به.

«وروى» الحافظ الطبراني عن أبي أمامة» وقد مضى التعريف به في الحديث الخامس «ذروة سنام الإسلام»: أي أعلاه وأسماه «الجهاد في سبيل الله» بقصد إعلاء

---

[1] ينظر» لسان العرب» لابن منظور (3/ 303).

[2] ينظر: «لسان العرب» لابن منظور (12/ 306).

[3] رواه بهذا اللفظ البيهقي في «شعب الإيمان» (3/ 39) وضعفه السيوطي في «الجامع الصغير» (2/ 64).

[4] رواه أحمد في «المسند» (22047) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف بهذه السياقة، عطية بن قيس لم يسمع من معاذ وأبو بكر –وهو ابن عبد الله بن أبي مريم– ضعيف وقد أخطأ في متنه وصوابه: «الصلاة عمود الإسلام والجهاد ذروة سنامه» كما سلف ضمن حديث مطول برقم (22016) وهو صحيح بطرقه وشواهده.

كلمة الله ويظهر أن ذروة كل شيء وسنامه أعلاه وإنما جمع بينهما «صلى الله عليه وسلم» للمبالغة في العلو والارتفاع، لأن كل شيء خيره أعلاه غالبًا.

«لا يناله إلا أفضلهم» [1]: يعني أفضل المسلمين المدلول «عليهم بلفظ الإسلام المذكور ولا شك أن كل من جاد بنفسه لله تعالى فهو أفضل المسلمين الذين تجلوا بها بلا نزاع وقد رمز الحافظ الجلال السيوطي لصحة هذا الحديث ولعله غفل عن كلام الهيثمي فيه، فإنه أعلمه بضعف رواية على ابن يزيد وهو في سنده ولو رمز لحسنه ما بعد وأما درجة الصحيح فبعيد منها.

الحديث السابع عشر

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «عثمان بن عفان» ثالث الخلفاء الراشدين شهيد الدار ومشتري الجنة من الله بواسطة النبي «صلى الله عليه وسلم» ثلاث مرات «رضي الله تعالى عنه قال» عندما تكلم الناس في فضل الجهاد أو الرباط بحضرته: «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: حرس ليلة» الإضافة بمعنى في على حد قوله تعالى: {بل مكر الليل والنهار} «في سبيل الله عز وجل» بحيث يبيت حارسًا مسلمًا غيره، فأكثر من أن يهجم فجأة الكافرون ليلًا على المسلمين وهم رقود.

والظاهر أنه لا ينقضه الأفضلية بنيته حرص نفسه وهو كذلك على ما يقتضيه تتبع النصوص في وجوب حفظ النفس والمراد بحرسه سهره وترك النوم والغفلة وأما الحرس الأعم بما يدفع الأذى عن المسلمين من بناء الأسوار وغلق الأبواب وحفرها وليسقط فيها الكافرون وخندق يمنعهم من الدخول ووضع المدافع على السور في زماننا هذا، فقد ورد

---

[1] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (8/ 223) وصححه السيوطي في «الجامع الصغير «(1/ 411) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد «(5/ 499) رواه الطبراني وفيه على بن يزيد وهو ضعيف.

فيه فضل كثير بخلاف الحرس هنا، فإن المراد به ما قررناه بحيث إذا رأى العدو على بعد أنذر المسلمين، فإن كانت لهم قدرة جاهدوا وإلا فروا بأنفسهم ونجوا من شرهم.

«أفضل» عند الله وملائكته «من ألف ليلة» من مطلق ليإلى الدهر التي لم يقع فيها حرس ولكن «يقام ليلها» أي يحيى بالتهجد فيه كله، لأن قيام الليل هو صلاة النوافل فيه ولكنه يصدق عرفًا على التنفل بما أمكن من أجزاء الليل ولا يشترط استغراق وأما هنا، فالمراد قيام الليل كله إلى الفجر، لأنه الليل الشرعي.

«ويصام نهارها» فيكون الإنسان في الألف ليلة بالليل قائمًا وبالنهار صائمًا وذلك عامان وتسعة أشهر وعشرة أيام، فلا يصل إلى فضيلة حرس الليلة الواحدة في سبيل الله وينبغي أن يكون هذا في ما إذا أعظم الخطب وكثر الخوف وتعين الحرس وامتثل الحارس.

«رواه» [1] العلامة الحافظ أبو القاسم سليمان «الطبراني» في كبيره «و» رواه أيضًا «غيره» كالحاكم وعبد الرزاق والبيهقي «ورواه» العلامة «ابن ماجه» وسيأتي التعريف به إن شاء الله.

«عن أنس» بن مالك رضي الله عنه ومضى التعريف به في الحديث السابع.

«حرس ليلة في سبيل الله»: أي في طريق شرعه وامتثال أمره ولوجهه تعالى لا بأجر دنيوي ولا لحاجة الدنيا «على ساحل البحر» لما عسى أن يفجأ بلد الإسلام من مراكب الكفار ليلًا لأنه كثير الوقوع.

«أفضل من صيام رجل وقيامه في أهله» أي في وطنه ومحل سكنه بين أهله وعياله.

«ألف سنة» لو فرض أنه يعيشها صائمًا في النهار أبدًا قائمًا بالنوافل والذكر في الليل بطوله أبدًا.

---

[1] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (1/ 91) وصححه الحاكم(2/ 91) ووافقه الذهبي.

«السَّنة» معروفة أنها «ثلاثمائة يوم وستون يومًا» لأنها شمسية بخلاف العام، فإنه هلإلى وأيامه ثلاثمائة وأربعة وخمسون يومًا وخمس يوم وسدسه حسبما قدره علماء الفلك.

«إليوم» من العدد المذكور طوله «كألف سنة»[1] ومجموع ذلك ثلاثمائة ألف ألف سنة وستون ألف ألف سنة وغير خلاف أن صيام الرجل وقيامه بين أهله وعياله هذه المدة كلها مع طولها يوجب من كرم الله أجرًا عظيمًا وثوابًا جسيمًا ورضوانًا عميمًا ومع ذلك حرس ليلة في سبيل الله بلا أجر دنيوي على ساحل البحر أفضل للحارس عند الله من ذلك.

وهذا الحديث فيه سعيد بن خالد، ضعفه أبو زرعة وتكلم فيه أبو حاتم وابن حبان[2] وإنما ذكرته مع الذي قبله استطرادًا للنظير والشبيه وعضدًا له، إذ غايته أن يكون من المنكور وهو إن لم يكن مقصودًا فلا مانع أن يكون معضدًا.

الحديث الثامن عشر

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبي هريرة» عبد الرحمن بن صخر «رضي الله تعالى عنه قال» عندما تكلم الناس في الخيل وكسبها.

«قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الخيل ثلاثة» [3] اتخاذ الخيل لا يخرج عن ثلاثة وهي إما مطلوبًا أو مباحًا أو ممنوعًا، فيشمل المطلوب الواجب والمندوب ويشمل الممنوع المكروه والمحرم[4] ولهذا قال «صلى الله عليه وسلم»: «ثلاثة» وهذا تفسير الحديث من حيث باطنه وأما من حيث ظاهره فكما «هن» وفي نسخة هي «لرجل أجر»

---

[1] رواه ابن ماجه في «سننه» (2770)وضعفه السيوطي في «الجامع الصغير» (1/ 340)

[2] ينظر ترجمته «تهذيب التهذيب» لابن حجر (4/ 19).

[3] أخرجه البخاري (2860)،مسلم (987).

[4] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (3/ 513).

أي ثواب وأي ثواب «ولرجل ستر» أي ساتر لفقره ولحاله تكفيه مشقة المشي راجلًا وتلد له ما تستقيم حاله ببيعه من أمهارها.

«وعلى رجل وزر» أي ثم ووجه الحصر في الثلاثة أن الذي يقتني خيلًا، إما أن يقتنيها لركوب أو تجارة وكل منهما إما أن يقترن به مثل طاعة وهو الأول أو معصية وهو الثالث أولًا ولا وهو الثاني[1] وينبغي أن تكون الطاعة خالصة لله بنية الجهاد، بحيث لا تشاب بفخر ونحوه وانظر هل يضر نية الركوب «عليها والعمل «عليها بكل جارة ونذر استيلاؤها والحال أنه إنما اشتراها للجهاد والظاهر أنه لا يضره ذلك قياسًا على جواز الجمع بين استباحة الصلاة والتبرد في الوضوء والله أعلم.

«فأما» الأول «الذي هي له أجر» محض وثواب عظيم «فرجل ربطها»: أي الفرس «في» سبب «سبيل الله» وهي طريق الله التي شرعها العبادة ليقاتل «عليها من جحد آيات الله، لإعلاء كلمة الله بحيث أعدها للجهاد.

«فأطال له»: أي للفرس المفهومة من الخيل وللخيل نفسها لمن يملك منها أكثر من واحد حبلًا وحبالًا إن تعددت «في مرج» بسكون المهملة والجيم أرض واسعة ذات كلأ[2] ومرعى لترعى فيها وسميت مروجًا لأنها تمرج فيها، أي تسرح وتجيء وتذهب كيف شاءت.

«أو روضة» الشك من الراوي وأما الحديث الصادر من رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، فإنما كان بإحدى الكلمتين (المرج) أو (الروضة) وهي الموضع الذي يكثر فيه الماء وصنوف النبات من الرياحين وغيرها والفرق بين المرج والروضة أن الأول معد لرعي الدواب والروضة إنما هي للتنزه فيها، كذا قال المناوي[3] وفيه نظر، لأن أبا هريرة

---

[1] ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (6/ 64).

[2] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (3/ 513).

[3] ينظر: المصدر نفسه (3/ 513).

رضي الله عنه لو كانت الروضة عنده لا تصلح إلا للتنزه ما شك في المسموع من رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أنه مرج أو روضة والظاهر أن الروضة أراد بها مرعى غير واسع سعة المرج –والله أعلم–.

«فما أصابت في طِيلها ذلك»، الطِيَل[1] بكسر الطاء المهملة وبفتح التحتية وفي رواية: بالواو موضع إلىاء والحركات هي الأولى: الحبْل الذي تربط قيد من رجلها.

«من المرج أو الروضة»، من قيد بيان لما.

«كانت له حسنات»، يعنى: يكون لصاحب الخيل أو الفرس الواحدة ثواب القدر الذي رعته إلى مقدار مواضع إصابتها في ذلك الحبل الذي ربطت فيه.

«ولو أنها قطعت طيلها فإستّت» بتشديد النون أي: غدت ترع وتمرج.

«شرفاً أو شرفين»، أي:شرطاً أو شرطين سمى به كان الغازي يشرف على ما يتوجه إليه، قال في المصابيح: كالتنقيح[2] الشرف العإلى من الأرض.

«كانت آثارها» بالمد أي: مقدار أثرها في الأرض بحوافرها عند عدوها.

«وأوراثها حسنات» له يريد: ثواب ذلك، لأن الارواث بعينها توزن.

«ولوأنها مرت بنهر» بسكون الهاء وبفتحها: واحد الأنهار التي يجرى ماؤها وإنما قلنا بسكون الهاء وبفتحها، لأن القاعدة والمسموع من كلام العرب كل ما كان على صيغة فعل وكان وسطه حرف حلق، يصح تسكين الحرف وفتحه، «فشربت»: منه.

«ولم يرد أن يسقيها» أي: والحال أن صاحبها لم يقصد سقيهاً وفي رواية: ولم يرد أن يسقى بحذف ضمير المفعول.

«كان ذلك» أي: ما شربته أي: قدرة وقدر ارادته سقيهاً.

---

[1] ينظر: «لسان العرب» لابن منظور(11/ 412).

[2] ينظر: المصدر نفسه (2/ 624).

«حسنات له» وبه تعلم أنه حيث حصل له هذا الأجر والحال أنه لم يقصد سقيهاً، فلأنه قصده بالثواب أعظم وأجزل فهو من باب التنبيه على الأعلى بالأدنى.

«و» الثاني الذي هو له ستر.

«رجل ربطها تغنيا» عن سؤال الناس وهو بفتح الفوقية والغين المعجمة، أي: استغناء عن الناس بطلب ركوبها ونتاجها وستراً من الفقر بالنتاج.

«وتعففاً» عن سؤال الناس عند الحاجة إلى الركوب أو إلى الدراهم ببيع نتاجها، أو بما يحصل من أجرتها أو من الإتجار فيها، أو بما يتردد «عليها في مزارعة ومتاجرة معاملة.

«ثم لم ينس حق الله»:المفروض «عليه.

«في رقابها» بالقيام بها وبالإحسان إليها والشفقة «عليها في الركوب وحظر رقابها لاستعارتها كثيراً في الحقوق اللازمة واعلم أنه لا يجوز لربِّ الدابة مطلقاً كانت فرساً أو غيرها أن ينقص من علفها المعتاد شيئاً عمدًا، لأنها تحاسبه يوم القيامة على ذلك بصحيح الرواية ولا أن يحمل «عليها فوق طاقتها مما اعتادته وقد ورد النهي عن ذلك في عدة أحاديث وكذلك الإيصال به وارد في عدة أحاديث حتى كان أكثر من حفظة الحديث إذا كانت له دابة يركبها في سفره يراعى ذلك وينزل عنها في ما صعد من الطرق أو أنحدر وكذلك ينزل «عليها فيمشى ما قدر «عليه ولو في الطريق السمحة ولا يجوز لأحد القبلة عنها كانت مِلْكه أو مِلْك غيره وخصوصاً دابة الضيف وهذا بعض معنى قوله: «و» لا «في ظهورها» بأن يحمل «عليها العارب العاجز عن الشى حقيقة أو حكماً كذا قال بعضهم ولا مفهوم للعارب بل كل من له حرمة ولو كان كافراً ذمياً إذا كان في وسطها حَمَله، فينبغي لربها المؤمن أن يسعى في خلاص ذلك المحترم من أن يبقى فتعدوا «عليه اللصوص أو الوحوش وأما المؤمن فربما وجب على ربها شرعاً أذا علم منه ذلك أو ظنه. وكذا ينبغي له إعارة العجل لطروق وعلى ما قررناه فلا حجة به للمتأخرين

من فقهاء الحنفية الفاهمين معنى في رقابها أداء الزكاة، لأن الدليل إذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال[1].

«فهي له ستر» أي: لصاحبها ساتر من المَسْكنة المسكنة.

والثالث: الذي هي له وزر.

«رجل ربطهما فخراً» نصب للتعلل، لأجل الفخر تعاظماً ورياء[2] اظهاراً للطاعة والباطن خلافه.

«ونواء» بكسر النون والمسحة أي: مناواءة ومعاداة لأهل الإسلام من قولهم مناوئة العدو مناواءة والمراد: العداوة والواو بمعنى أو، فكل واحد مذموم وحده.

وفيه بيان فضل الخيل وأنها إنما تكون بنواصيها الخير إذا كانت لطاعة أو مباح وإلا» فهي له وزر» أي: أثم قيل علة كونها وزراً مجموع هذه الأصناف الثلاثة، لأن الفخر لأهل العلم والرؤساء ليس بموجب للوزر، كذا قيل.

وفيه تكلف ظاهر والظاهر أن كل واحد موجب.

«رواه» الإمام أبو عبد الله «مالك» بن أنس بن أبى عامر –رحمه الله–.

الحديث التاسع عشر

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبى أمامة» الباهلي[3] «رضى الله تعالى عنه قال: «عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته، «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: شهيد البحر» يعنى: من ركب فيه بنية الجهاد لإعلاء كلمة الله ومات

---

[1] ينظر: «الفروق» للقرافي (2/ 100).

[2] ينظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري(6/ 2348).

[3] صدى بن عجلان بن وهب ويقال ابن عمرو، أبو أمامة الباهلي، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ «عليه وَسَلَّمَ – وَنَزِيلُ حِمْصَ، رَوَى: عِلْماً كَثِيْراً، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(3/ 359).

فيه مقاتلاً للمشركين» مثل شهيدي البر»[1] أي: له من الأجر عند الله ما لشهيدين ماتا في البر مجاهدين.

«والمائل في البحر» وهو الذي يدور رأسه وتحصل له درجة من ريح البحر واضطراب السفينة بالموج مقامه في نيل ثواب الله «كالمتشحط[2] في دمه في البر» أي: له بدوران رأسه من الأجر ما يحصل لشهيد البر بقتله.

«وما بين الموجتين»: تثنية موجه وهي: الماء المندفع مسنداً إلى الساحل صفوفاً مترادفة واحدة بعد أخرى «في البحر» والذي بينهما شيء يسير معطفه قدر قامة أو أربع خطوات.

«كقاطع الدنيا» يحتمل أن يكون قاطعها سيراً على وجه الأرض ويكون المراد بالدنيا الأرض كما أطلق «عليها هذا الاسم في أحاديث كثيرة «في طاعة الله» ويحتمل أن الدنيا على بابها والمراد: أن له من الأجر في تلك اللحظة بين الموجتينن راكباً سفينة مثل أجر من قطع عمره كله في طاعة الله بين صلاة وتسبيح تحميد وتهليل وتكبير وحج وقضاء حوائج المسلمين ونحو ذلك، مما يجزل ثوابه «وأن الله –عز وجل– وكل ملك الموت» وهو عزرائيل –» عليه السلام–[3] «يقبض الأرواح» عند ما خلقه وجعل معه من ملائكته أعواناً هو «عليهم كالملك يأمرهم بأمر الله فيفعلوا ما أمروا به ودليل تعددهم قوله تعالى:{حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون}.

«إلا شهداء البحر» الراكبين فيه بنية الجهاد لله –تعالى– لا لغنيمة ولا ليقال: فلان ذهب للجهاد «فإنه» –سبحانه وتعالى– «يتولى قبض أرواحهم» كرامة لهم، فلا تكون

---

[1] رواه ابن ماجة (2778).

[2] ينظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد(2/ 685).

[3]محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكاني إلىمني» فتح القدير» ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ، (250/4) .

واسطة بين أرواحهم وخالقهم في القبض بخلاف شهداء البر فإنه يقبض أرواحهم ملك الموت الذي وكل بذلك.

«ويغفر لشهداء البر الذنوب»: التي تجرى بها وأظلم نفسه بارتكابها وكان لا يأمن على نفسه غداً من المؤاخذة بها.

«كلها» بحيث لا يبقى منها شيئاً ولا يعاتبه على شيء صدر منه معصية في الدنيا ولو قتل نفساً أو نفوساً.

«إلا الدين» [1] بفتح الدال وهو ما لغيره «عليه من مال أو متمول، فإنه لابد من أن يعطى من حسناته ما يجازى ذلك الدين لربه.

«ويغفر لشهيد البحر» المقاتل فيه لإعلاء كلمة الله الذنوب كلها صغيرها وكبيرها.

«و»: يغفر له «الدين» أيضًا.

«رواه» العلامة الحافظ الفهامة أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي مولاهم القزويني» ابن ماجة»[2] هو لقب لأبيه يزيد، كان من أكابر الحفاظ مجمع على توثيقه «في سننه» ولما أعرض سنة على أبى زرعة قال: أظن أن هذا إذا عرض على الناس ووقع بأيديهم تعطلت الجوامع أو أكثرها مات –رحمه الله– سنة» 273» ثلاث وسبعين ومائتين.

وهذا السنن سادس الكتب الصحيحة المتفق «عليها وخالف بعض الناس فقال: الكتب الصحيحة المتفق «عليها خمسة: البخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي.

وقد شَرح هذا التإلىف شُرَّاح كثير ومنها: شرح العلامة سراج الدين أبى حفص عمر بن على الشهير بابن الملقى الشافعي[3] –رحمه الله– وأضاف إليه زوائد الترمذي والنسائي

---

[1] ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري(14/ 128).

[2] ينظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر(531/9) .

[3] ينظر: «ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد» (2/ 246).

وغيرهما وهو والشروح المعتبرة التي تلقاها العلماء الفحول بأيدي القبول وهو في ثمانية أسفار قال في خطبته: وسميته ما تمس إليه الحاجة على ستر ابن ماجة.

وشرح العلامة الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي[1] الشافعي المتوفى سنة» 911» وسماه بمصباح الزجاجة على سنن ابن ماجة وهو ممزوج لطيف وأوله الحمد لله ذي الجلال والإكرام... ألخ.

وشرح العلامة الحافظ علاء الدين بن على محمد الشهير بالمقلطاي المتوفى سنة» 783» ثلاث وثمانين وسبعمائة.

وشروح كثيرة يطول جلبها «وروى» العلامة الشيخ «أبو نعيم» –وقد مضى التعريف به في الحديث الثامن– «في» كتابه «حلية الأولياء عن يزيد الرقاشي» [2] هو تابعي ولم تثبت له صحبة ولأن كان مميز أو ثبتت صحبته فلم يرو عنه أحد ولم تصح عنه رواية ووجد في سند أحاديث غير هذا، لكن لم يثبت له سماع عن النبي «صلى الله عليه وسلم» وإنما هو نحو ذلك.

«عن بعض عمات النبي «صلى الله عليه وسلم» شهيد البر يغفر له كل ذنب»:[3] عمله من الكبائر والصغائر «إلا الدين» بفتح الدال، «والأمانة» أي: التي كانت عنده وخان فيها، أو لم يوصلها إلى مستحقها ولم يوصى بها أهله.

«وشهيد البحر» إذا مات فيه مقاتلاً للمشركين ولو لم يقاتلوه بالسيف والسهم والحربة مثلاً: بأن غرق بسقوطه في البحر وسواء حال المقاتلة أو قبلها بقليل، «يغفر له كل ذنب

---

[1] مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» «سلم الوصول إلى طبقات الفحول»، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، عام النشر: 2010 م، (2/ 248).

[2] يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصرى، ضعيف زاهد، ينظر: «تهذيب التهذيب» (311/11).

(3) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (8/ 51).

ويغفر له أيضاً «الأمانة» أيضاً، فلا يعاتبه على خيانته فيها ولا على عدم إيصائه به بدفعها لمستحقها ويقضى عنه ذلك من فضله -الذي لا غاية له- وبهذا والذي قبله تعلم أن شهيد البحر من شهيد البر وأن قتال المشركين في البحر لا يتأخر عنه عاقل وأن سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» علِم من ربه أن أمته تنمو وتعمر بها الأقطار مشرقاً ومغرباً، بل وتغزوا في البحر فأخبر «صلى الله عليه وسلم» بذلك قبل وقوعه وهو من جملة صدقه بجميع ما أخبر عنه أنه سيقع ووقع بالفعل وإلا فالعرب في زمنه «صلى الله عليه وسلم» كانوا لا يركبون البحر ولا يعرفونه ولا قاتلوا راكبه أبداً وإنما كان ركوب البحر للجهاد فيه مزيد مزية على البر، لأن راكبه مرتكباً ضررين في حب الله -عزوجل- وامتثال أمره:

أحدهما: خوف الغرق.

والثاني: خوف القتل والمجاهد في البر عنده خوف القتل فقط والثواب والمزية كانا باعتبار كثرة الخوف ولهذا كان المقاتل أفضل من المرابط، قال الحافظ ابن حجر: وفي معنى الدين رد التباعات التي بالذمة من مظالم الناس وهذا الحيث نقله الديلمي[1]، من حديث الذهبي، عن طالوت، عن ابن أدهم[2]، عن هشام بن حسان[3]، عن يزيد الرقاشي[4]، عن عمة النبي «صلى الله عليه وسلم» وكل من يزيد الرقاشي وعبادة بن القيم

---

[1] شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرة بن خَسْرُكان، الحافظ، أبو شجاع الدَّيْلَميّ، الْهَمَذَانيّ، مؤرّخ هَمَذَان، ينظر: «تاريخ الإسلام» (121/11).

[2] إِبْرَاهِيْمُ بنُ أَدْهَمَ بنِ مَنْصُوْرِ بنِ يَزِيْدَ بنِ جَابِرٍ العِجْلِيُّ، القُدْوَةُ، الإِمَامُ، العَارِفُ، سَيِّدُ الزُّهَّادِ، أَبُو إِسْحَاقَ العِجْلِيُّ، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (7/ 387).

[3] الإِمَامُ، العَالِمُ، الحَافِظُ، مُحَدِّثُ البَصْرَةِ، هشام بن حسان الأزدي القردوسي، أبو عبد الله البصري، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(6/ 355).

[4] سبقت ترجمته ينظر: (ص: ...).

عن بعض عمات النبي ولم يسمها ويظهر لي أنها عاتكة[1] -والله أعلم- بهذا منه لمتأخر موتها عن أخواتها ولم أره منصوصاً.

وهذا الحديث رواه الديلمي في الفردوس[2] أيضاً ولكن عزاه لابن ماجة من حديث أنس مرفوعاً وقد تكلم الحافظ ابن حجر والزين العراقي في يزيد الرقاشي بما يوجه الضعف لو لا أنه عقد بعبادة ابن القيم.

الحديث الموفي عشرون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «عمر بن الخطاب» الملقب بالفاروق الخليفة بعد أبو بكر الصديق «رضى الله تعالى عنه قال: «عندما تكلم الناس على فضل الجهاد بحضرته، «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الشهداء» الذين قتلوا في سبيل الله.

«أربعة» باعتبار التفاوت في الأجر فسَّرنا الشهداء بالذين قتلوا... الخ، لأن الشهداء الذين وردت فيهم الأحاديث كثيرون.

«رجل مؤمن» أي: مصدق بما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «جيد الأيمان» يعنى: كامله وهو الجامع بين التصديق والنطق والعمل.

«لقي العدو» من المشركين بالله -تعالى- وسواء غزاهم وفجاؤه وهو في باديه، أو لقيهم في سفر براً أو بحراً ولم يكونوا مستأمنين ولا رهباناً بالأديرة وإلا منع قتالهم كالنساء والصبيان إلا أن يقاتلوا.

«بصدق الله» في قتالهم امتثالاً لأمره تعالى ولازال يقاتل» حتى قتل» في سبيل الله «فذاك الذي يرفع الناس» يوم القيامة وفي غرفات الجنات «إليه» غابطين مقامه

---

[1] عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ «عليه وَسَلَّمَ، صَاحِبَةُ الرُّؤْيَا الدَّالَّةُ عَلَى مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ، ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (6/ 3251).

[2] رواه الديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (3602).

«أعينهم» إلى فوق العلو مرتبته ومنزلته عند الله «يوم القيامة هكذا» ورفع «صلى الله عليه وسلم» بصره إلى فوق والوجه الكريم إلى السماء.

«و» الثاني: «رجل مؤمن جيد الإيمان» مثل الأول اعتقاداً وقولاً وعملاً «لقى العدو» بنية القتال فلمَّا علِم أن أقل ما يصيبه من ذلك العطب أو السلب، «فكأنما ضرب جلده» أي: بشرته «بشوك طلح» يعنى: أنه أقشعر جلده «من» عظيم «الجبن» وقلة الصبر والثبات.

والطلح[1] شجر عظيم شائك يكون في الأرض الحرة الرقيقة القليلة الأمطار ومنه يؤخذ المصمغ العربى المعروف.

«أتاه» أي: أصابه «منهم» من سهام المشركين» غرَب» بفتح الراء: وصف السهم، أي: سهم غريب لا يعرف راميه،» فقتله فهو في الدرجة الثانية»: تحت الأول لعدم صدقه في قتال المشركين وقلة ثباته.

«و» الثالث: «رجل مؤمن» وليس بجيد الإيمان بل» خلط عملاً» يصدر منه «صالحاً بآخر» أي: بعمل آخر» شيئاً»، فليس بظالم لنفسه بالكلية ولا سابق للخيرات، بل مقتصد بين يطيع الله أحياناً ويعصى أحياناً وتعقب المعصية طاعة وبالعكس وهذا شأنه حتى» لقى العدو» وقاتلهم» فصدق الله» في قتالهم» حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة» من الجنة تحت الثلاثة، لأنه جيد الإيمان وجُبنه أنزله عن رتبة الأول وجودة إيمانه رفعته عن مرتبة الثالث.

«و» الرابع» رجل مؤمن»:بالتصديق والنطق ولكنه «أسرف على نفسه» بكثرة ارتكاب المنهيات وترك الواجبات، «لقى العدو» مثل من قبله وقاتلهم «فصدق الله» في ذلك بقلب سليم» حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة» في الجنة تحت الثلاثة لضعف إيمانه.

[1] ينظر: «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (2/ 630).

قال ابن حجر: هذا الحديث وغيره يفيد أن الشهداء ليسوا في رتبة واحدة ويدل «عليه أيضاً ما رواه الحسن بن على الحلواني[1] في كتاب المعرفة بإسناد حسن من حديث على -كرم الله وجهه- كل موتة يموت فيها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل[2] واعلم أن العلماء اختلفوا في سبب تسمية الشهيد[3] شهيداً فقيل: أن روحه بمجرد خروجها وانفصالها عن جسدها تشهد دار السلام وروح غيره لا تشهدها إلا يوم القيامة.

وقيل: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة.

وقيل: لا يشاهد عند خروج روحه ماله من ثواب وكرامة عند الله.

وقيل: لأن ملائكة الرحمة يشهدونه، فيأخذون روحه بلطف.

وقيل: لأنه شُهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله.

وقيل: لأن «عليه شاهداً يشهد بكونه شهيداً وهو دمه وقيل غير ذلك.

«رواه» في مسنده[4]: «الأمام أحمد» بن حنبل» و» رواه أيضاً: العلامة الحافظ الأمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة» الترمذي» [5] عن عمر بن الخطاب، كذلك من طريق غير طريق ابن حنبل -رضى الله تعالى عنهم أجمعين-.

---

[1] الإِمَامُ، الحَافِظُ، الصَّدُوْقُ، أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ على بنِ مُحَمَّدٍ الهُذَلِيُّ، الرَّيْحَانِيُّ، الخَلاَّلُ، المُجَاوِرُ بِمَكَّةَ ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (11/ 398).

[2] ينظر: «الجامع الصغير» للسيوطي(2/ 26).

[3] ينظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري(2/ 494).

[4] رواه أحمد (146).

[5] رواه أحمد (146).

الحديث الأحد والعشرون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «عبد الله بن عباس» ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان يعرف بترجمان القرآن[1] وكان على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- يقول فيه: كأنما ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق وأخرج ابن عساكر[2] أنه كان يسمى حكيم المعظات ولم يروعن أحد من الصحابة في الفترة أكثر منه وقد كان دعا له رسول الله «صلى الله عليه وسلم» حين قال له: ادع الله أن يفقهنى في الدين، فقال «صلى الله عليه وسلم»: «اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل» [3] حتى أنه من دعاء النبي «صلى الله عليه وسلم» ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى والطرق عنه وإليه كثيرة وأحسنها على بن أبي صالح الهاشمي وعلى هذا اعتمد البخاري في صحيحه ومن أجود الطرق عنه: طريق قيس بن مسلم الكوفي[4] المتوفى سنة120عشرين ومائة وقد كان قام عن عطاء بن السائب[5] والنازلة معروفة يطول ذكرها، ثم طريق صاحب السير لكن دخل الوهن طريقه بالكلبي[6] عن ابن أبي صالح والكلبي هو محمد بن السائب بن نصر مات بالكوفة سنة146ستة وأربعين ومائة، فإن ضم إليه رواية محمد بن مروان[7] الصغير فهي سلسلة الكذب.

---

[1] ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي(3/ 337).

[2] ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (73/ 189).

[3] رواه أحمد (2397) وصححه ابن حبان (7055).

[4] ينظر: الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، أَبُو عَمْرٍو الجَدَلِيُّ، الكُوْفِيُّ، سير أعلام النبلاء (5/ 164).

[5] عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ بْنِ مَالِكٍ الثَّقَفِيُّ، أَبُو زَيْدٍ الْكُوفِيُّ، أَحَدُ الْمَشَاهِيرِ، ينظر: تاريخ الإسلام (3/ 698).

[6] محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبى، أبو النضر الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب، ينظر: «تهذيب التهذيب» (180/9).

[7] محمد بن مروان السدى الكوفي وهو السدى الصغير، تركوه واتهمه بعضهم بالكذب، ينظر: ميزان الاعتدال (4/ 32).

وكذلك طريقة سليمان بن مقاتل بن بشر الأزدي المتوفى سنة150خمسين ومائة، إلا أنَّ الكلبي يفضله «عليه، لما في سليمان بن مقاتل من المذاهب الرزية.

وطريق الضحاك بن مزاحم[1] الكوفي المتوفى سنة 102 اثنين ومائة وهي عن ابن عباس منقطعة، لأن الضحاك لم يبلغه وإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة[2] فضعيف وقد أخرج عنه ابن جرير[3] وابن أبى حاتم[4] وإن كان من رواية جرير عن الضحاك فأشد ضعفاً، لأن جرير أشد في الضعف من الضحاك وما أخرجه عنه –أعنى الضحاك ابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان– فإنما أخرجاه دون ابن جرير وقد كان ابن عباس –رضى الله عنه– عمى أخر عمره كأبيه وجده لتعظيم مثوبتهم عند الله بالصبر على المصائب الذاتية، مات –رحمه الله ورضى عنه– بالطائف سنة» 58 –رضى الله تعالى عنه– قال: «عندما تكلم الناس في الجهاد وفضله بحضرته «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الشهداء» يريد المؤمنين الذين ماتوا يقاتلون المشركين لإعلاء كلمة الله» على بارق» أي: شاطئ، أو طرف» نهر» بمعنى: حافته وجانبه اللامع ماؤه.

«باب الجنة»:من داخلها بحيث لا تصل النهر إلا بعد دخولك من الباب.

«في قبة خضراء» يعلم الله صفة بنيانها (يخرج» أي: ينفق ويبذل ««عليهم» وبه تعلم أن النهر والقبة كلاهما داخل باب الجنة وأن يخرج معناه ينفق وإلا لقال إليهم»

---

[1] الضَّحَّاكُ بنُ مُزَاحِمٍ * الهِلاَلِي، أَبُو مُحَمَّدٍ وقِيْلَ: أَبُو القَاسِمِ، صَاحِبُ (التَّفْسِيْرِ)، كَانَ مِنْ أَوعِيَةِ العِلْمِ ولَيْسَ بِالمُجَوِّدِ لِحَدِيْثِهِ وهُوَ صَدُوْقٌ فِي نَفْسِهِ ينظر: سير أعلام النبلاء (4/ 598).

[2]بشر بن عمارة الخثعمي، المكتب، صاحب أبي روق قال أبو جعفر العقيلي: له حديث لا يتابع «عليه ولا يعرف إلا به، ينظر: إكمال تهذيب الكمال (2/ 406).

[3]محمد بن جرير بْن يزيد بْن كثير بْن غالب، أبو جعفر الطَّبَرِيّ، الْإِمَام صاحب التّصانيف. مِن أهلِ آمُل طَبَرِسْتان، طوَّفَ الأقاليم، ينظر: تاريخ الإسلام (7/ 160).

[4]عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو محمد التّميميّ الحنْظليّ، هو الإمام ابن الإمام حافظ الرّيّ وابن حافظها. ينظر: تاريخ الإسلام (7/ 533).

رزقهم» وهو: ما ينتفعون به وتطلبه أنفسهم» من» مشتهي» الجنة» ونعيمها مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

«بكرة» أي: صباحاً والمراد: من الفجر إلى الضحى.

«وعشياً»: وهو من العصر إلى المغرب، مايعنى تعرض أرزاقهم على أرواحهم، فيصل إليهم الروح والفرح والسرور، كما تعرض النار على آل فرعون غدواً وعشياً فيصل إليهم الوجع والفجع[1].

وفي الحديث[2] دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها متغايرة حساسة تكون بعد فراق البدن أحس وأحسن منها لما كانت فيه ولهذا قال: الروح بعد انفعالها دراكة، لأنها تعود كما كانت على الفطرة و» عليه الجمهور وبه نطقت الآية والسُنَّة.

و» عليه فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الرب –سبحانه– ومزيد البهجة والكرامة وفي هذا الحديث كالذي قبله تنبيه عظيم على فضل الجهاد وكيف لا؟ وهو بيع النفس من الله ولا أحب إلى الإنسان من نفسه فبذلُها لله من أعظم الاحتسابات وقد قال تعالى:{ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون}الآيات... إلى المؤمنين.

قال المناوي: [3] وناهيك به شرفاً عند أهل البصائر حيث وصفهم بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وهذا عندية تخصيص وتشريف والمراد: حياة الأرواح في النعيم الأبدية لا حقيقة الحياة الدنيوية بدليل أن الشهيد يورث وتزوج زوجته، قيل: ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير

---

[1] الفجع: مصدر فجعته أفجعه فجعا فَهُوَ مفجوع وفجيع وفجعته تفجيعا. وميت فاجع ومفجع وَامْرَأَة فاجع. والفجيعة: الْمُصِيبَة. ينظر: جمهرة اللغة (1/ 482).

[2] رواه أحمد (2390) وصححه ابن حبان (4658).

[3] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ينظر: الأعلام للزركلي (3/ 65).

ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل يكون لها حكم آخر، فليس في العقل ما يمنع من إثبات الحياة الحقيقية لهم ولها الدركات فحاصلة لهم ولسائر الموتى وهو كلام حسن.

«رواه» العلامة الحافظ الامام» الحاكم» محمد بن عبد الله بن محدويه الصيني الشافعي الإمام الرحال المعروف بابن المبيع أحد الاعلام المشهورين بالحفظ والعدالة.

قال أبو حاتم وغيره: قام الاجماع على ثقته ونسب إلى التشييع لكثرة إظهاره حب على -كرم الله وجهه- وبنيه، حتى قال الذهبي فيه: هو ثقة حافظ ثبت ولكنه تشييع ويسخط على معاوية -والله يحب الانصاف- وما هو برافضى كما يزعم ابن طاهر واما صدقه في نفسه ومعرفته بهذا الشأن يعني: رواية الحديث يجمع «عليه.

وقال السبكي[1]: اتفق العلماء على أنه من أعظم الأئمة الذين حفظ الله بهم الدينولد سنة أحدى وعشرين وثلاثمائة وأكثر الرحلة والسماع حتى سمع في نيسابور من نحو ألف شيخ ومن غيرها أكثر من ذلك ولا عجب في ذلك قال ابن النجار ذكران الحافظ: أبا سعيد السجعانى[2] تلقى عن نحو سبعة آلاف شيخ لكثرة ارتحاله واستملى الحاكم على ابن حبان وتفقه على ابن أبى هريرة[3] وغيره وروى عنه من الأئمة: الدارقطنى[4] وانفعال

[1] عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي [السُّبْكي الشافعي، تاج الدين، أبو نصر (1)، صاحب «طبقات الشافعية الكبرى» ، ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (2/ 317).

[2] تاج الاسلام، أبو سعد ويقال: أبو سعيد، عبد الكريم بن أبي بكر، محمدِ بن أبي المظفر، منصور بن محمد التميميُّ السمعانيُّ المروزيُّ، الفقيه الشافعي الحافظ، ينظر أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن على ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي «التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول» ، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، (ص: 63)

[3] أحمد بن سليمان بن زَبّان، أبو بكر الكِنْديُّ الدمشقيُّ الضَّرير المعروف بابن أبي هرير، ينظر: تاريخ الإسلام (7/ 712).

[4] على بْن عُمَر بْن أحْمَد بْن مهدي بْن مَسْعُود بْن النُّعمان بْن دينار بْن عَبْد اللَّه، أَبُو الْحَسَن البغدادي الدَّارَقُطْنيّ، الحافظ المشهور صاحب المصنفات ينظر: تاريخ الإسلام (8/ 576).

النشاشى وهما كانا من شيوخه والبيهقى[1] أكثر عنه ويكتبه تفقه وتخرج والأستاذ أبو القاسم القشيرى[2] ورحل الناس إليه من الآفاق وحدثوا عنه في حياته وأفرد الحافظ المدنى ترجمته بالتإليف وذُكر أنه دخل الحمام واغتسل وخرج فقال: أه وقبض روحه وهو مستور لم يلبس ثيابه بل ولا قميصه سنة عشرة واربعمائة –رحمه الله وغفر لنا وله– «في» كتابه الذي سماه: «المستدرك» على الصحيحين في الحديث وهو مؤلف الحجم، جليل القدر والشأن اعتنى به بتخريج الأحاديث الصحيحة التي جاءت على شرط الشيخين، أو على شرط أحدهما مما لم يخرجاه في كتابيهما ثم اعقب ذلك بما رأى صحته بالسند الصحيح على طريق اجتهاده وإن لم يكن له شرط واحد منهما قال ابن الصلاح[3]: وقد وسع في ذلك وتساهل في التقاطه ألخ وقال السمعاني: توسع وتساهل في الأنساب دون الرواية وذكر الحافظ الورع أحمد بن على بن أبى بكر الخطيب البغدادى[4] رواية عن أبي اسحاق اللارموى: أنه جمع أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم في صحيحيهما منها: حديث الطيرة وحديث من كنت مولاه فعلى مولاه[5] وغيرهما ولذلك أنكر «عليه أهل الحديث ولم يلتفتوا إلى قوله وتصحيحه وقد جمع منه الحافظ الذهبي[6] المؤلف

---

[1] أَحْمَد بْن الحُسَيْن بْن على بْن موسى. الْإِمام أبو بكر البَيْهَقِيّ الخِسْروجِرْدِيّ، كان واحد زمانه وفرد أقرانه وحافظ أوانه، ينظر: تاريخ الإسلام (10/ 95).

[2] عَبْد الكريم بْن هوازن بْن عَبْد المُلْك بْن طَلْحَة بْن مُحَمَّد، الْإِمَام أبو القاسم القُشَيْرِيّ النَّيْسابوري الزاهد الصُّوفيّ، شيخ خُراسان وأستاذ الجماعة ومقدَّم الطّائفة، ينظر: تاريخ الإسلام (10/ 217).

[3] عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الحافظ تقي الدين أبو عمرو المعروف بابن الصلاح الشافعي الدمشقي صاحب كتاب علوم الحديث، ينظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (2/ 169).

[4] أَحْمَد بْن على بْن ثابت بْن أَحْمَد بْن مهدي، الحافظ أَبُو بَكْر الخطيب الْبَغْدَادِيّ، أحد الحفاظ الأعلام، ينظر: تاريخ الإسلام (10/ 175).

[5] المستدرك على الصحيحين للحاكم (4577).

[6] مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ قَايْمَازَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَارِقِيُّ، الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدِّمَشْقِيُّ الْمُقْرِئُ المعروف بالذهبي ينظر: معجم الشيوخ للسبكي (ص: 352).

المسمى بالموضوعات وفيه نحو مائة حديث وقال الحافظ ابن حجر: قد جمع الحاكم مؤلف هذا في مسودة لينقحه واعجلته المنية قبل تنقيحه ولو اقتصر على جمع الشيخين لكان أولى إذ المدخول أنما هو من نصف الكتاب ألخ وقال الشهاب القسطلين: نصفه الأول صحيح لاكلام لأحد فيه وأما نصفه الأخر فهو محتاج إلى الإجازة فلا ينقل عنه إلا بطريق الإجازة والنظر واختصر هذا الكتاب العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة 748 ثمان واربعين وسبعمائة في مؤلف لطيف الحجم، طرح منه كل ما كان مدخولاً وذيله أي: الأصل العلامة سراج الدين عمر بن على المعروف بابن الملقن الشافعي المتوفى سنة 804 أربع وثمانمائة وعليه شرح العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 أحدا عشر وتسعمائة وسماه المدرك في صحيح المستدرك وله اختصار أيضاً في مجلد واحد انتقاه واجلد «و» رواه أيضاً «غيره» أي: غير الحاكم كالإمام أحمد[1] والطبراني[2] عن ابن عباس أيضاً قال الحاكم: على شرط مسلم[3] وأقره الذهبي وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات[4].

الحديث الثاني والعشرون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبى هريرة» عبد الرحمن بن صخر» رضى الله تعالى عنه قال: «عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته» قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الشهداء عند الله» أي: في الجنة كما يدل على ذلك قول المفسرين في قوله تعالى: {أحياء عند ربهم} والمراد بهذا الخبر: للأعلام بحالهم في الأخرة لا أنه يحصل لهم ما سيذكره في الدنيا قيل القيامة من قوله لهم وجوابهم له.

---

[1] سبق تخريجه ينظر: (ص: ....).

[2] رواه الطبراني (10825).

[3] رواه الحاكم (2403).

[4] ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9524).

«على منابر»: جمع منبر وهو الألة التي يجلس «عليها الخطيب في المسجد بين القيامين للخطبتين.

«من ياقوت»: هو أنواع سبعة أعظمها الروبيل الأحمر ودونه إلبامُنط بضم الميم كذا قيل. والحق التفصيل في التفضيل وذلك أنهما إن استويا في الصغر من قدر الخردل إلى الحمص فإلبامٌنط أفضل وأعز وأجل، بحيث تساوى قيمة الحجرة منه قيمة العشرة مثله من الوربيل وإن استويا أكبر في شكل الفولة فما فوق فحجرة الروبيل أفضل وأعز وأجل، بحيث تساوى قيمتها قيمة العشرة مثله من إلبامٌنط وهو النوعان أشرف إلبواقيت ويليهما الزافير والزبرجد[1] وتستوى الثلاثة الأخرى ومعنى كونهم على منابر من ياقوت: أنهم جالسون «عليها.

«في ظل عرش الله» أي: في نعمته تحت عرشه العظيم، «يوم لا ظل» ينتفع به محتاج «إلا ظله»، لأن الناس يومئذ كلهم فقراء إلى الله حساً ومعنى ولا كسب ينسب إليهم والعرب يطلقون الظل ويريدون به النعمة ويقولون: فلان في ظل فلان أي: في كفالته واحسانه وعاش فلان في ظل حي بنى كذا أي: في نعمتهم «عليه واحسانهم إليه والمنابر المذكورة ترسم على كثيب هو التل من الرمل وجمعه أكْثبة وكُثب بالضم وكُثبان كعثمان وشذ سماعه كقمران.

«من مسك»: هو الطيب المعروف وأصله في الدنيا دم ينعقد في خراجة تخرج في رقبة ظبية من ظباء الهند الأقصى كالعلة، ثم أن وجدها الصيادون سقطت من الظبية بلا فعل فاعل، كان ممسكها غاية في القوة والقليل منه يقوم مقام الكثير من التي تؤخذ من مقتولها وذلك، لأن ما يؤخذ من المقتول كأنه لم ينضج فلم يصل إلى حد طيبه بخلاف الساقط لذاته أو بسبب حكها رقبتها على أصول الشجر فتسقط القارة المسماة إلبوم بالزحمة فإنها أجود وأطيب.

---

[1] ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (11/ 178).

قال الحوفى والمسعودي وغيرهما من السياحين: رأينا ظبية المسك وهي كسائر الظباء الوحشية إلا أن لها أنياباً مشضفة طوال كأنياب الفيل تمنعها من رعى العشب ولا ترعى الا ورق الشجر الصغير، نعم تعريفنا هذا لمسك الدنيا وأما المسك الذي في الحديث فالله يخلق بقول كن ولا مماثلة بينه وبين مسك الدنيا إلا تقريباً لتفهم جفات الناس.

«فيقول لهم الرب» وهو الله –سبحانه وتعالى– بما وفاعباده من زمن كون أحدهم نطفة إلى أن يبلغ ما حده الله له من العمر.

«الماؤى» بإشباع الهمزة المضمومة وكسر العلة المرؤسة «لكم وأُصْدُقْكم» بضم الهمزة والدال المهملة وسكون الصاد والقاف «فيقولون: بلى وربنا» إنك أوفيت وصدقت وكأن هذا يشير إلى قوله تعالى: {إن الله اشترى} إلى قوله {ومن أوفى بعهده من الله}، فاعرفه.

«رواه» العلامة الحافظ الإمام» عبد الرزاق» وكنيته أبو بكر وقد مضى التعريف به في الحديث الثامن» وانفرد به» ولم يروه غيره من المحدثين في ماعلمت –والله أعلم–.

الحديث الثالث والعشرون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» » نعيم بن هبار» (1) الشامي ولم يكن عربي الأصل رويت عنه عدة أحاديث، لكن من المحدثين من يقول: نعيم بن هبار كما هنا «رضى الله تعالى عنه» ومنهم من يقول: همار بالميم ومنهم من يقول: هدار ومنهم من يقول: حمار وكلها بتشديد الثانى واهمال الحاء والراء.

«فلان رجلاً سأل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أي: الشهداء أفضل؟ فقال» – مجيباً لسؤاله: «الشهداء: الذين يقاتلون في سبيل الله في الصف الأول» يعني: بالنسبة

---

[1] نعيم بن هبار ويقال ابن هدار ويقال ابن همار ويقال ابن خمار ويقال ابن حمار الغطفاني، صاحب رسول الله (صلى الله «عليه وسلم) سكن دمشق، ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (62/ 185).

إلى العدو، لأن المواجه لهم والأقرب إليهم هو الصف الأول منا، أو بالنسبة للقتال، لأن السابق إليه يسمى أولاً بالنسبة لمن وراءه فإن لم يكن الصف واحد فلا مفضول.

«ولا يلتفتون بوجوههم» إلى من يلحق بهم من ورائهم من المؤمنين اخوانهم.

«حتى يقتلوا» أي: إلى أن يقتلوا والظاهر أن التفاتهم بعد الإصابة لا يضرهم وهو كذلك وأن الذي تقتضيه النصوص أن التفاتهم غير مضر ولو قبل الإصابة حيث جزموا إلا يرجعوا إلا أن يهزموهم أو يموتوا والحديث هنا يحمل على الاحتياط في التحريض على الجهاد.

«فأولئك يلتقون» أي: يحصل بينهم التقاء ويكون لهم اجتماع.

«في الغرف»:جمع غرفة وهي العلية التي تكون فوق بيت آخر ولو تعدد الأسفل، فكل بيت تحته يسمى الأعلى غرفة بالنسبة إليه وإن كان هو أيضاً بالنسبة إلى ما تحته يسمى غرفة.

«العلا» أي: العاليات المرتفعات الرفيعات.

«من» غرف «الجنة»، لأن في الجنة عال وأعلا من الغرف وفيها قصور ومساكن طيبة ولا غرفة فيها لأن الله –سبحانه– يعلم أنه لا حق لنا «عليه فيدخلنا الجنة بمحض فضله نقتسمها بيننا بقدر الأعمال ولو كانت الجنة ومساكنها ونعيمها متماثلاً بحيث تستوى فيها المنازل لما ظهرت فائدة التقوى والورع وكثرة الطاعة ولاستوت حقائق الفسقة والأتقياء وهو خلاف ماجاء به الشرع.

«يضحك» أي يروق منه علامة تدل على الرضى، كما أن الضحك مع الغير لا يكون منك وأنت غاضب عنه.

«إليهم ربك» أي: الرجل السائل يعني: أنه سبحانه يقبل «عليهم ويجزل عطاياهم ويبالغ في اكرامهم» أن والله تعالى» عن الشبيه والنظير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» أذا ضحك إلى عبده المؤمن» المصدق بما جاءت به الرسل» بالإحسان «عليه» لا يلزمه أن يحاسب على ما اكتسبته أمارته من المأثم والجرائم بارتكاب فعل

المنهيات، بل يغفر له ذلك ويستمر «عليه ما فعله ولا يؤاخذه بشيء من ذنوبه وهذا ترغيب عظيم في جهاد أهل الطغيان وذوى الشرك والخسران بجلاء السيوف والسنان وأعلام التربية بما تحصل به التصفية بما يؤدى إلى مناقضة الكفار ومقارعة أهل دار البوار.

وفي الحديث إشعار بأن فضل الشهادة أرفع من فضل العلم وإليه ذهب جمع فاحتجوا بما منه أن العلم يحصله العبد في الحياة الدنيا، ليتقرب إلى الله زلفى والأجر في الأخرة يلقى، الشهادة تحصل للعبد عند خروج روحه من بدنه فهي نفسها عين الثواب من الله الذي لا يقدر قدرها ويعرف حقيقة أمرها إلا الله ولا يبلغ أحد أقصى أمد ثوابها فالعلم مثاب «عليه والشهادة عين الثواب وفي التفاضل بين الثواب نفسه والمثاب «عليه نظر لا يخفى على أولى الألباب وأيضاً فالشهادة درجة عند الله -سبحانه وتعالى- والعلم يحصله العبد في الدنيا ليكمل به عمله وإيمانه والشهادة متى اتصف بها العبد حصلت له الدرجة العإلىة بيقين وأيضاً العلم قد يتصف به من لا يكون من أهل إلىقين فيرجع علمه وبالاً «عليه، فيكون حجة «عليه لا له والله يحفظه بفضله ويعافينا من ذلك بكرمه ومنته آمين والشهادة لا تكون إلالك وأيضاً العلم ينقسم إلى: محمود ومذموم والمتصف بالمحمود. منه مثاب ومعاقب ومرحوم، فلا يدرى العالم كيف عاقبته وخصوصاً إذا أكثر من خلطة الملوك وحواشيهم، أو انتصب لوظيفة القضاء والفتوى، فإنه على خطر عظيم ولا يسعه إلا حكم الله ورحمته التي وسعت كل شيء. والشهادة اسم مدح في كل حال وعلى كل حال والمتصف بها مخصوص بالأجر الذيلا تنقطع دونه الآمال ولو كان، فأجر الوتر كالصلاة المفروضة مثلاً؟! قيل: والتحقيق أنه لا يمكن اطلاق القول بتفضيل العلم ولا الشهادة وأن ذلك لا يقاس بتفضيل عبادة على عبادة، قاله المناوي وهو حسن

«رواه» العلامة الحافظ الإمام أبو القاسم سليمان اللخمي» الطبراني» أحد الحفاظ الجوإلىن المكثرين وصاحب التصانيف الكثيرة وقد مضى التعريف به «في» كتابه «الأوسط» وهو كتاب جليل فيه مالا يوجد في الكبير، كما أن صغيره أيضاً فيه ما لا

يوجد في الأوسط ولا في الكبير، «وانفرد به» رواية من طريق نعيم بن هبار عن كل المحدثين فيما علمت وقول الهيثمي رواه الطبراني وأحمد وأبو يعلى ورجال أحمد لا أبي يعلى ثقات يريد عن غير نعيم –والله أعلم– .

الحديث الرابع والعشرون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» » أبى هريرة –رضى الله عنه– قال» عندما تكلم الناس في الشهداء وموتهم في سبيل الله بحضرته «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الشهيد» شرعاً وهو الذي قاتل المشركين، امتثالاً لله لا لغنيمة ولا ليقال: شجاع، أو لينال وظيفة من الأمير» لا يجد مس القتل» أي: لا يؤلمه ما أصابه من نبال العدو أو سيفهم المقبوضة بسلبه روحه.

«إلا» شيء من الوجع الخفيف، «كما يجد أحدكم القَرْصَة»[1] بفتح القاف وسكون المهملة الأولى وفتح الثانية وهي ما تفعل الأم بولدها عند أدبه من وضع إبهام يدها والسبابة على شيء من أطرافه قابضة بهما لتؤدبه.

«يقرصها» أي يقرصه أحد وعبَّر بأداة الحصر دفعاً لتوهم تصور أن ألم القتل أعظم من المساو، هذا فضل من الله ومنَّة علمًا وتسلية لنا عن هذا الحادث العظيم والخطب الجسيم وتهييج للصبر على وقوع السيوف واقتحام الخنوف، إذ كل عاقل حائر من صورة خروج روحه كيف تكون ولو مريضاً بين أهله وحيث كان خروجها بالجهاد على هذه الصورة فالله أرجو أن لا يميتني ولا كل من أوصاني بصالح الدعاء إلا شهيداً قتيل مشرك.

«رواه الشيخان» البخاري ومسلم في جامعيهما الصحيحين ورواه أيضاً الديلميفي الفردوس عن أبى هريرة مثلهما وإنما لم نذكره في الأصل لأن الحديث إذا كان في صحيح البخاري ومسلم لأوفي أحدهما فلا يعزى لغيرهما كما تقررأنفا.

---

(1)ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (8/ 284).

«وروى» أيضاً الإمام الحافظ «الطبراني» بسنده «في» كتابه «الأوسط[1]» عن صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «لأبي قتادة»[2] هو دِعامة بكسر الدال ابن قتادة السدوسي نسبة لجده الأعلى الأكمه البصري وولده قتادة التابعي المجمع على جلالته المتوفى بواسط سنة117سبعة عشر ومائة، كان يروى عن أبيه دِعامة هذا وعن أنس وغيرهما ولشرف ولد دعامة وكماله وشهرته صار يكنى به عند المحدثين وقيل هو غير دعامة.

«الشهيد لا يجد الم القتل» وذلك حال نفوذ السهم أو السيف في مقاتله» إلا كما يجد أحدكم مس القرصة» يعنى أنه تعالى يُهون «عليه ألم الموت ويكفيه سكراته وكربه، بل ربَّ شهيد يتلذذ ببذل نفسه في سبيل الله طيبة به نفسه كقول حبيب الأنصار[3] حين قتل.

ولست أبال حين أقتل مسلماً *** على أي شق كان في الله مصرعي [4].

وهذا الحديث تكلم الهيثمي في مسنده من حيث رشيد بن سعد[5] وتكلم المناوي فيه من حيث ابن لهيعة[1] ولكنه حيث شابه الحديث الذي قبله لفظاً ووافقه معنى فلا يصل إلى حد الضعيف –والله أعلم–.

---

[1]رواه الطبراني في الأوسط (280).

[2]قَتَادةُ بْن دِعَامة بن قَتَادةُ بْن عزيز وقِيلَ غير ذَلِكَ فِي نَسَبه، أَبُو الْخَطَّاب السَّدُوسي الْبَصْرِيّ الأعمى الحافظ، أحد الأئمّة الأعلام، ينظر: تاريخ الإسلام (3/ 301).

[3]حبيب بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عَمْرو بن غنم بن مازن بن النجار، الأنصاري الخزرجي، ثم من بني مازن بن النجار، ينظر: أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، «أسد الغابة «الناشر: دار الفكر – بيروت، عام النشر: 1409هـ – 1989م، (1/ 443).

[4]ينظر: صحيح البخاري (3045).

[5]رِشْدِينُ بْنُ سَعْدِ بْنِ مُفْلِحِ بْنِ هِلالٍ، أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَهْرِيُّ الْمِصْرِيُّ، سيء الحفظ و كان صالحا عابدا محدثا، ينظر: تاريخ الإسلام (4/ 849).

الحديث الخامس والعشرون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبى هريرة –رضى الله تعالى عنه– قال: «عندما تكلم الناس في فضل الجهاد والرباط بحضرته «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الشهيد يغفر له في كل دفقة» بالفاء والقاف بعدها وفي رواية: دفعة بالعين موضع القاف من دمه يعنى ساعة يقتل والدفعة بالضم والفتح: المرة الواحدة من نظر أو غيره.

«ويزوج حوراوين» من الحور العين اللواتي وصفهن الله في كتابه العزيز أنهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان وأنهن عرب أترابا وكأنهن إلياقوت والمرجان إلى غير ذلك ووصفهن «صلى الله عليه وسلم» في غير حديث واحد بالجمال البارع والنور الساطع.

«ويشفع» في سبعين» نفساً من المؤمنين المذنبين المستحقين للعذاب «من أهل بيته» ولفظ رواية الترمذي: من أقاربه بدل من أهل بيته ومعناه: أن شفاعته عند الله تقبل فيهم ويترك سبيلهم فلا يؤاخذهم الله بما كان منهم كرامة وإجابة لشفاعة الشهيد فيهم، فضلاً من الله ورحمة.

«والمرابط»: وهو المقيم في ثغر من ثغور مظنة الخوف براً وبحراً بنية حرس المسلمين من المشركين.

«إذا مات في» زمن «رباطه» وسواء كان في محله الذي يبيت ويصبح فيه أو خارجه بأن ذهب ليحتطب، أو يأتي المورد، أو يتبع ضالة، لكفرسخ عن محل الرباط.

«كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة» يعني: أن ثواب رباطه لا ينقطع بموته، بل يكتب له أجر مرابط كل يوم من موته إلى يوم القيامة.

«وعنى «عليه» فيكون له الأجر» وربح برزق» كما يكون للشهيد.

[1] عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي الأعدولي، العمل على تضعيف حديثه، ينظر: «تهذيب التهذيب» (377/5).

«ويزوج سبعين حوراً» فيكون له أكثر مما للشهيد، «وقيل له» أي: تقول له الملائكة بأمر الله –تعالى–: «قف» في الموقف، «فاشفع» لمن شئت ولا ترد لك شفاعة» إلى أن يفرغ» بالبناء للمجهول أي: إلى أن يفرغ الناس» من الحساب» فيدخل الجنة. وترفع درجته فيها وبهذا الحديث قال من قال بتفضيل الرباط على الجهاد وقد أشرنا للخلاف في ذلك أول الكتاب عند قولنا: نجاهد في سبيلك –فراجعه إن شئت– واعلم أن للشهيد الكامل المقتول في سبيل الله شروطاً وخصائص كما قال ابن الزملكاني فمن شروطه أن يقاتل مخلصاً ومعنى الإخلاص: أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وهذا دليل أن العمل أنما يكون بالنية الصالحة فيها تعتبر وإذا لم تصح النية فلا أثر له وهو دليل ظاهر على أن الفضل الذي ورد في الجهاد وما أعده الله للمجاهدين مختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فمن قتل لغير ذلك، فليس في سبيل الله ويدل لدماء في خبر ما من مكلوم يُكلم في سبيل الله –والله أعلم بمن يكلم في سبيله– ومعناه: ما مَن يخرج في قتل المشركين يعد أنه جرح في سبيل الله، إذ قد تكون نيته الغنيمة أو العداوة الدنيوية ونحو ذلك –والله أعلم– بمن يكلم أي: يجرح في سبيل وهو المجروح منا مقاتلًا لهم، لإعلاء كلمة الله فقط، لأن الجهاد يقال فيه: في سبيل الله لكن هذا مقرون بظاهر الحال ومن أخلص لله وجاهد في سبيله فإنه مقرون بالإخلاص ولا يعلمه إلا الله، لأنه من أفعال القلوب.

ومن شروط الشهادة الكاملة أن يقتل صابراً محتسباً لله تعالى مقبلاً غير مدبراً، فهذا هو الشهيد المقصود بهذه الأحاديث كلها وأما الشهداء الذين وردت فيهم النصوص فكثيرون منهم المتفق «عليه ومنهم المختلف فيه وعدهم بعض الفقهاء إلى نحو الخمسين والصحيح أنهم اثنان وثلاثون وقد نظمهم ابن العماد فقال:

من بعد حمد الله والصلاة *** على النبي وآله العلا

خذ عدة الشهيد سرد أنظما *** واجعل هديت للعلوم سلما

محب آل المصطفى ومن نطق *** عند إمام جائر بقول حق

وذو اشتغال بالعلوم ثم من *** على وضوء موته يلل منى

ومن يمت فجاءة حريق *** ومن بماء مات قل غريق

لديغ أو مسحور أو مسموم *** لا وظما بجرعة مألوم

أكيد نضيع عاشق مجنون *** والنفساء والهدم والمبطون

ومن بذات الجبن أو ظلما قتل *** أو دون مالا وأهيل قد نقل

أو دين أو في الحرب أو مات به *** مؤذن محتسب لربه

وجالب سمح بسعر يومه *** أو مات بالطاعون بين قومه

كذا الغريب أو مهان أوفرا *** أواخر الحشر بهانا لأندرا

ومن يلازم وتره وورده *** عند الضحى وصوم غيم عمده

فهي اثنان وثلاثون شهيداً يكون لهم أجر الشهداء دون المزايا التي اختص بها شهيد الحرب لإعلاء كلمة الله، فإنه يدخل الجنة بمجرد موته ولا يجد ألم الموت ويشبع ولا تأكل الأرض جسده وغير ذلك من الكرامات بخلافهم،وإن كانوا شهداء فليست لهم هذه المزايا العظيمة والعطايا الجسيمة والكرامات العميمة.

الحديث السادس والعشرون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» » عبد الله بن مسعود» أحد القراء والمبشرين وجاء في بعض الروايات أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، صاحب هذه الرواية يسقط أبا عبيدة عامر بن الجراح من العشرة ووردت في فضله أحاديث كثيرة، كان قصير القامة طوله ذراع بعير، بحيث يمر تحت الجمل القائم فلا يطاطئ رأسه مات سنة 32 اثنين وثلاثين ودفن بالمدينة في البقيع وكان ممن لا حجاب «عليهم[1] «رضى الله تعالى عنه قال: «عند ما تكلم الناس في الجهاد بحضرته «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: عجب ربنا»، العجب من الله الرضا وأما المخلوق فإنكار ما يرد علك ظانًا أنه لا يكون فيكون وقيل: هو تغيير يعتري الإنسان من رؤية ما خفي «عليه سببه وهذا محال

[1]ينظر ترجمته «سير أعلام النبلاء «للذهبي (1/ 461).

على مولانا –جل وعز–، قال في القاموس: والرجل المعجاب بالكسر ذراعا جيب والعجب من الله الرضا[1] ومعنى عجب ربنا: رضى ربنا «من رجل» من المؤمنين «غزى في سبيل الله» فظن أن أصحابه الذين معه لا ينهزمون ولما هو معهم حتى يظهر وأعلى عدوهم» فانهزم أصحابه» وانهزم هو أيضاً معهم ثم تدبر بفكرته «فعلم ما «عليه» لله –عزوجل– من كثرة الحقوق التي يجب بها «عليه أن لا يفر» فرجع» على المشركين مقاتلاً ولم يزل يقاتل مقبلاً «حتى أهرق دمه» بضم الهمزة والهاء الزائدة أي: أريق ودمه نائب فاعل [2] أي: حتى أراق المشركون دمه وظاهر، سواء مات أو لم يمت بأن ظنه العدو مات وذهبوا عنه ثم ابقاه الله بعدها «فيقول الله –عز وجل– لملائكته» –يحتمل كلهم أو بعضهم المصطفين عنده–: «انظروا إلى عبدى» ومراده سبحانه: أنه يباهي به ملائكته وأضاف العبد إليه تشريفاً وتعظيماً لمنزلة هذا العبد عنده، «رجع» بعد فرار أصحابه إلى القتال والموت» رغبة في ما عندي» أي: لأجل رغبته فيما تحققه من الثواب، «وشفقة من ما عندي» من العقاب وقاتل للرغبة والشفقة «حتى أهرق دمه» وأكثر العلماء على أن العجب في حقه تعالى يفسر بكون الفعل المتعجب منه بمنزلة عظيمة عند الله، تقول: عجب ربنا أي: يعظم عنده ويكثر جزاؤه «عليه و» عليه حملوا قوله تعالى بل عجبت في قراءة ضم التاء الفوقية[3] وظاهر الحديث أن نية المقاتل في الجهاد طمعاً في الثواب أو خوف العقاب على الفرار معتبرة، لأنه علل الرجوع بالرغبة والاشفاق وهما منصوبان على المفعولية[4] «رواه»[5] العلامة الحافظ «أبو داوود» سليمان بن الأشعث السجستاني

---

[1] ينظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: 112).

[2] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (4/ 303).

[3] ينظر: المصدر السابق (4/ 303).

[4] ينظر: نفسه (4/ 303).

[5] رواه أبو داود في «سننه» (2536) وصححه الحاكم (2/ 123) ووافقه الذهبي وحسنه السيوطي في «الجامع الصغير» (2/ 89).

الشافعي، «و» العلامة الحافظ الإمام «الحاكم» محمد بن عبد الله بن حمدويه الصيني الشافعي وقال حديث صحيح، ورمز الحافظ السيوطي لحسنه وأقره الذهبي.

الحديث السابع والعشرون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبى هريرة» تقدم التعريف به «رضى الله –تعالى عنه–: عجب ربنا من قوم» أي: رضى منهم واستحسن فعلهم وعظم شأنهم» يقادون إلى الجنة» وفي رواية: البخاري عجب ربنا من قوم يدخلون الجنة» في السلاسل» يعني: الأسرى الذين أسرهم المسلمون وجاءوا بهم من بلادهم مقادين بالسلاسل، إما في أعناقهم أو في أرجلهم كعادة الأسرى ثم يسلمون ويتبين لهم الهدى فيقاتلون الكفار ويقتلون مجاهدين على دين الإسلام فيصيرون من أهل الجنة والدنيا باقية لم تفن، فإنهم لو علموا ما كتب الله لهم من السعادة في سابق علمه، لأسلموا قبل الحرب والأسر والقياد، كذا فسره علماء الحديث[1].

وقال الإمام أبو حامد الغزالي –رحمه الله– المراد بالسلاسل الأسباب، فإنه تعالى أمر بالعمل فقال: {اعملوا} وإلا أنتم معاقبون مذمومون على العصيان وذلك العمل هو سبب الوصول إلى جوار الرحمن في الجنان وهو سبحانه مسبب الأسباب حتى يقوده بسلاسلها إلى الجنة ومن قدر له الشقاء –والعياذ بالله– أصمه عن سماع كلامه وكلام رسوله والعلماء، فلا يعمل وإذا لم يعمل فلم يخف وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا والانهماك في اللذات وإذا لم يتركها صار في حزب الشيطان {وأن جهنم لموعدهم أجمعين} فإذا عرفت هذا، ظهر لك التعجب من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل، أي: بسلاسل الأسباب وهو تسليط العلم والخوف «عليه وما من مخذول ألا وهو مقاد إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور «عليه، فالمتقون يقادون إلى الجنة قهراً، المجرمون يقادون إلى النار قهرا ولا قاهر إلا الواحد القهار ولا قادرإلا الملك الجبار وإذا

---

[1] ينظر: «فتح الباري «لابن حجر (6/ 145).

انكشف الغطا عن أعين الغافلين فشاهدوا الأمر، كذلك سمعوا نداء المنادي{لمن الملك اليوم لله الواحد القهار} كل يوم يقال ذلك، لأن الغافلون لا يسمعون ذلك النداء إلا ذلك اليوم، فنعوذ بالله من الجهل والعمى فإنه أصل أسباب الهلاك. وتفسيرنا لعجب ربنا برضى تقدم بيانه في الحديث قبله، تبعًا لجميع الأئمة، لأنه لم يقع خلاف في تفسيره بالرضى والمعنى: عظَّم الله شأن قوم يدخلون عنوة في السلاسل فيدخلون في الإسلام فيصيرون من أهل الجنة وقيل: أراد بالسلاسل مايؤذون به ظاهر أو هو في الباطن خير من قتل الأنفس سبى الأزواج والأولاد وخراب الديار وجميع ما يلهيهم ويكون سبباً في دخولهم الدين الذي هو سبب دخول الجنة، فأقيم السبب مقام المسبب، قلت: وهذا شاهدنا صحته عياناً وثبوته تعياناً فإن بلد طبرقة بطرق ساحل إفريقية كان غزاها ولد العلامة السلطان الباشا على بن أبي محمد بن على عرف تركى سنة 1152 اثنين وخمسين ومائة والفاً وخربها وسبى جميع من فيها من النصارى ذكراناً واناثاً بخدعة –والحرب خدعة لا خيانة– لأنهم لم يكونوا مستأمنين ولما جيء بهم في الأغلال والسلاسل أسلم أكثرهم حتى كانت خاصة السلطان المذكور منهم والمراد بالسلاسل في الحديث –والله أعلم–: جزءيات الحق التي يجذب الله بها خاصة عباده من الضلالة إلى الهدى ومن الهبوط في مهاوى الطبيعة إلى العروج بالدرجات العلا إلى جنة المأوى قاله المناوي في شرح الجامع الصغير [1].

«رواه» [2] العلامة الحافظ المجتهد «الإمام أحمد» بن حنبل «في» الجهاد من كتابه الذي سماه «المسند» وكذا البخاري في صحيحه وأبو داوود في سننه ولهذا قلنا: «وغيره» وأما مسلم فلم يخرجه.

---

[1] ينظر: «فيض القدير» للمناوي(4/ 303).

[2] أخرجه البخاري (3010) وأحمد (8013).

«وروا» العلامة الحافظ الإمام أبو القاسم سليمان اللخمي، «الطبراني في كتابه» ورواه أيضاً «أبو نعيم» الحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني الصوفي الفقيه الشافعي «في» كتابه الذي سماه» الحلية» وقد تقدم التعريف به وبها.

«عجبت لقوم يساقون إلى الجنة» أي: الإسلام وقد كانوا أولاً كفاراً يجهلونها وتفضل الله «عليهم فسلط «عليهم المسلمين فأسروهم.

«في السلاسل» بأن قيد رجل من قيد منهم وسلسل عنق من سلسل منهم وكات ذلك سببًا لمثاقبة الإسلام ومعرفة الله والدخول في دين الله «و» الحال «هم كارهون» [1] لذلك الفعل الذي عاقِبته خيراً وذلك الدخول في الإسلام، فلما عرفوا صحته وأنه الحق ودخلوا فيه طوعاً، استوجبوا «عليه فضل الله دخول الجنة وعلى هذا التقرير فالمراد بوضع السلاسل في الأعناق حقيقة وقيل: هو مجاز عن دخولهم فيه مكرهين وسمى الإسلام بالجنة، لأنه سببها وعلى هذا اقتصر ابن الجوزي فقال أطلق على الإكراه التسلسل وأطلق على الإسلام الجنة ولما كان الإسلام سبب دخول الجنة أطلق المسبب الذي هو الجنة على السبب في دخولها الذي هو الإسلام[2] وقيل: هو من أسره الكفار منا فمات أو قتل في أيديهم فيحشر مسلسلاً ويدخل الجنة لتعلم الناس أنه تأسر في طاعة الله وأنه مصاب من أعداء الله وقد جلب حجة الإسلام هنا كلاماً نفيساً حسناً إلا أن النافية مبحث تركنا من طوله والغرض الاختصار كما اشرنا إلى علته.

الحديث الثامن والعشرون

«عن» صاحبة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أم حرام» بنت ملحان البخارية القميصاء أو العميصاء الشهيرة زوجة عبادة بن الصامت[3] «رضى الله عنها وعنه» فإنها

---

[1] رواه أبو نعيم في «الحلية «(8/ 307) وجود إسناده الألباني «سلسلة الأحاديث الصحيحة «(6/ 880).

[2] ينظر: «فتح الباري «لابن حجر (6/ 145).

[3] ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي (2/ 316).

قالت: «نام رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عندنا» أي: في بيتنا وكان يحب عبادة «ثم استيقظ» من نومه ذلك» فضحك» تعني: رضى الله عنها بالضحك التبسم وإظهار المسرة وأما الضحك المعلوم فلم يثبت أنه صدر منه لا قبل الرسالة ولا بعدها، نعم كان بسامًا يُظهر البِشر في وجهه لكل أحد «صلى الله عليه وسلم» ولم يكن عبوساً بإجماع المحدثين وأهل السير.

«فقلت ما يضحكك فقال» «صلى الله عليه وسلم»: «عجبت من قوم من أمتى يركبون للغزو» ،وفي رواية: يركبون سيح هذا البحر وفي رواية أخرى: يركبون ظهر البحر وفي أخرى: يركبون البحر الأخضر في سبيل الله.

«كالملوك» أو مثل الملوك هذا ورد على الشك في البخاري وفي رواية له بغير شك.

«على الأسرة» جمع سرير [1] وهو ما يجلس «عليه الملك من فرش الديباج على الة وخشب غريب صنعها ويحتمل أنه «صلى الله عليه وسلم» أراد بالتشبيه أو التمثيل على الرواية الأخرى في الدنيا بسعة حالهم واستقامة أمرهم وكثرة عددهم، فهو إخبار عن حالهم في الغزو فيكون قد أراه الله الغزاة في البحر من أمته ملوكاً على الأسرة، أي: مثلهم أو أن المراد أراه الله إياهم في الجنة كالملوك على الأسرة ورؤيه «صلى الله عليه وسلم» وحى قاله المناوي[2]، قلت: وهذا واضح على ما اقتضاه الشرع وهو أصل من أصول الدين بإجماع الأمة، فإن قيل:وما يقال في قول الحكماء على أن الرؤيا لحدوثه تكون عند برود الدم فيحصل رخو في الجسد ويغلب الطبع على النفس المدركة فتغيب وتبقى نفس الحياة تنقلب لحدقة إلى جهة الحواجب من أجل الأخلاط الفاسدة قلت: لو سلمنا قول الحكماء جدلاً فنبيا «صلى الله عليه وسلم» خلق من طينة كريمة بطبع كريم لا يعتريه ما يعترى غيره بإجماع إلا ما نقص فيه من لوازم البشر فجائز ومن المجمع «عليه أيضاً أنه

---

(1) ينظر: «لسان العرب» لابن منظور (4/ 361).

(2) ينظر: «فيض القدير» للمناوي (4/ 304).

«صلى الله عليه وسلم» إذا نامت عينه لا ينام قلبه وقال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث الظاهر أن حمل الرؤيا على الجنة أولى وأظهر انتهي.

وفي الحديث بيان فضيلة المجاهد وجواز ركوب البحر الملح عند غلبة السلامة ومعجزة من معجزاته «صلى الله عليه وسلم» لأنه أخبرنا بهذا الحديث أن أمته تبقى بعده على دينه وشريعته يقاتلون جاحدها وفيهم أهل قوة وشركة ونكاية في العدو، أو أنهم يتمكنون من البلاد في الفلاحة يعلو البحر وأنهم يركبونه ويغزون على ظهره والحال أن العرب في حياة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وقبله لا يعرفون ركوب البحر ولا يألفونه ولا هو من شأنهم وقد صح أن أم حرام المروى عنها هذا الحديث قالت: ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم، فدعا لها بذلك «صلى الله عليه وسلم» واستشهدت زمن يزيد بن معاوية وقد ناهزت التسعين –رحمها الله ورضى عنها.

«رواه» [1] العلامة الحافظ الإمام محمد بن اسماعيل «البخاري» في كتابه «الجامع» الصحيح «وانفرد به» ورجاله ثقات.

الحديث التاسع والعشرون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبى أمامة» بضم الهمزة أسعد بن سهل بن حنيف الباهلي» رضى الله عنه» قال»: عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته، «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عليكم بالجهاد» يريد: الزموه ولا تتركوه «في سبيل الله» بنية إعلاء كلمة الله وتصديق رسوله ولو مع نية الطمع في ما عند الله من النعيم الدائم» فأنه باب من أبواب الجنة» يعنى أن الجهاد في سبيل الله سبب من أسباب دخول الجنة كأنه موصل إليها واطلاق الباب على مثل ذلك في كلام العرب سائغ

(1)أخرجه البخاري (2894، 2799).

وشائع كثير كما بينه الراغب» يذهب الله به الهم والغم» عن قلوب المؤمنين لأنه أن ظفر فغنم فرح وإن مات فدخل الجنة فرح أكثر من الحياة بالغنيمة لعظيم الفرق بين نعيم الجنة وحطام الدنيا.

«رواه» [1] العلامة الحافظ الإمام «الطبراني في» كتابه «الأوسط» ورواه العلامة الحافظ الإمام «الحاكم» محمد بن عبد الله ابن أحمدويه الشافعي «في» كتابه المشهور الذي سماه «المستدرك» على الصحيحين والبخاري ومسلم قال الهيثمي فيه عمرو بن الحصين وهو متروك ولا فادح في عمرو بن الحصين غير أنه تفرد به كما قال الطبراني وانظر ما حجة الهيثمي مع أن الذهبي أخره واستحسنه أبو الليث والله أعلم بحجة الهيثمي.

الحديث الموفى ثلاثين

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أنس بن مالك» خادم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وقد مضى التعريف به» رضى الله تعالى عنه قال: «عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته» قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» غدوة» وهي اسم لحظة من الزمان وهي التي من أول النهار إلى الزوال أو ما دونه[2] «في سبيل الله» هي طريق التقرب إليه أي: الطريق الموصلة إلى رضاه بطاعته، «أو روحة» وهي أيضاً حصة من الزمن تكون من الزوال أو العصر إلى الغروب الشمس[3] «خير من الدنيا وما فيها» من أزواج وأولاد وأقارب وجميع ما يظن أنه غاية نعيمهاولو باستيلاء من تولى الملك على جميع الأرض وأركانها بيضانها وسودانها بحيث لا يعصل له أمر فإن أجر

---

[1]رواه الطبراني في «الأوسط» (8/ 181) وقال: لم يرو هذا الحديث عن برد إلا ابن علاثة، تفرد به: عمرو بن الحصين.وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (5/ 272): فيه عمرو بن الحصين وهو متروك. وصححه الحاكم (2/ 84) ووافقه الذهبي.

[2]ينظر: «فتح الباري «لابن حجر (1/ 161).

[3]ينظر: «شرح النووي على مسلم» (13/ 26).

تلك الغدوة عند الله ومن الله أفضل وخير وكذلك الروحة وحدها وأما إذا اجتمعتا أو تكررتا فالفضل والثواب لا يعلمه إلا الله –سبحانه– والحديث هنا صادق على الجهاد وغيره باعتبار ظاهره، لكنه محمول على الجهاد، لأنه أعلا أنواع التقربات إلى الله –سبحانه– فالغدوة والروحة فيه خير من الدنيا وما فيها، لأن بها كما قال المناوي ترتب ثوابها وبعض ذلك الثواب لو برز إلى الدنيا لاضمحلت وتلاشت دونه[1].

«رواه» [2] العلامة الحافظ الأمام المجتهد أحمد ابن حنبل، «و» رواه «ابن ماجة» المتقدم تعريفه قريباً، «ورواه» الأمام الحافظ «الترمذي والنسائي عن سهل بن سعيد» الساعدي[3] «ورواه مسلم أيضا عن أبى هريرة عن ابن عباس[4]«وبه تعلم أنه بلغ حد التواتر كما رمز إليه، بل صرح السيوطي في غير كتاب من تإلىفه بأنه متواتر ولا نزاع فيه، «وروى» الإمام الحافظ المجتهد «أحمد» المذكور، «وجماعة» وهو مسلم والنسائي والديلمي وغيرهم «عن أبي أيوب» الأنصاري: «غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت «عليه الشمس أو غربت»[5] ومعناه، معنى ما قبله وجلبناه جمعًا للنظائر واما أشرنا إليه في الخطبة.

الحديث الواحد والثلاثون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أنس بن مالك» خادم النبي «صلى الله عليه وسلم» «رضى الله عنه قال: «عندما تكلم الناس في فضل الجهاد

---

[1] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (4/ 400).

[2] رواه مسلم (1880) وأحمد في «المسند (12602) وغيرهما.

[3] أخرجه البخاري (6415)، مسلم (1881) وأحمد (15560) وغيرهم.

[4] رواه مسلم (1882) ولم أقف على رواية ابن عباس عند مسلم وهي عند الترمذي (1649) رواه وقال: هذا حديث حسن غريب وصححه السيوطي في «الجامع الصغير» (2/ 115).

[5] رواه مسلم (1883) وأحمد (23586) وغيرهما.

بحضرته، «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الغزو» مصدر غزى الرجل يغزوا[1] إذا قصد عدواً ليشن الغارة «عليهم بمن معه ويأخذ الركاب وغيره من الأنعام ويقتل ويسبى والغازية الجمع الكثير كالغزى بالفتح فسكون ولا يقال لما دون المائة غزاة وإنما يقال: جيش، لأن الجيش صادق بالقليل والكثير والغزى لا يكون إلا كثيرًا والظاهر أن المراد به هنا: ماهو أعم فيكون مرادف الجيش صادق على العدد الكثير والقليل.

«في سبيل الله» هي طريقه ومحجته التي استبانت على لسان رسوله «صلى الله عليه وسلم» وهينية الغازي أنه إنما غزى لنصرة دين الإسلام.

«أسفار الوجوه» أي: جمالها ونورها ومنه استفار صبح المصيف ووجوه يومئذ مسفرة[2].

«يوم القيامة» فتعرف الناس الغزاة في سبيل الله ولو لم يمت شهيد بأن غزى ولو مرة في عمره وعاش ما عاش ومات مؤمناً، أما إذا غزى ومات في غزوه ذلك فهي الغنيمة العظماء والعطاء الواسع الأسمى.

«رواه» [3] العلامة الحافظ «أبو نعيم» المتقدم ذكر نسبة «في» كتابه الذي سماه: «الحلية»، بل سماه حلية الأولياء المعروفة المشهورة» وانفرد به» وما في كبير الطبراني وفردوس الديلمي بمروى عنه ولا سند لهما فيه عن غيره، فراجعهما أن شئت –والله أعلم– وان ظفرت بالفردوس المحذوف الأسانيد فذلك مختصره لما هو نفسه.

الحديث الثاني والثلاثون

---

[1] ينظر: «لسان العرب» لابن منظور (15/ 123).

[2] ينظر: المصدر نفسه (4/ 369).

[3] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء «(6/ 88) بلفظ «الغبار في سبيل الله...» وقال: غريب من حديث سليمان والزهري لم نكتبه إلا من هذا الوجه وضعفه الألباني «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة «(8/ 434).

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «معاذ بن جبل» بن عمرو الخزرجي الأنصاري المتوفى سنة» 18» ثمانية عشر وله في البخاري ستة أحاديث كان «رضى الله عنه» من خيار الصحابة[1] «قال: «عندما تكلم الناس في الغزو، هل ثوابه واحد أو يختلف قدره؟ «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الغزو غزوان» قال القاضي: مراده «صلى الله عليه وسلم»: الغزو غزوان: غزو على ما ينبغي وغزو على ما لا ينبغي، فاختصر الكلام واستغنى بما سيفضله من القسمين[2] «فأما من غزى ابتغاء وجه الله تعالى» يعني: أنه ما غزى إلا طلباً للثواب في دار النعيم من الله، لا لأجل ماعسى أن يغنمه من العدو ولا ليقال: فلان شجاع» وأطاع الإمام» في غزوة وذلك بحيث لا يخالفه إن أمره بشيء ولا يرتكب ما يعلم أنه لا يرضاه الإمام من خلاف قول وغل من المغنم ونحو ذلك.

«وانفق الكريمة» [3] أي: الناقة والمراد جنسها فيدخل الجمل بحيث إذا كانت له ناقة عزيزة «عليه، أو جمل، عزيز لا يمنع النفع به للغزوات من تعلق شيء «عليه حيث لا يضره الضرر الكبير وقيل: المراد بالكريمة النفس أي: نفسه بتعريضها للموت في سبيل الله ولو لم يمت لما قدمناه أن النفوس ثلاثة: نفس جليلة حرة ولا يقع «عليها بيع ولا شراء كنفوس الأنبياء ونفس خسيسة ملعونة لا قيمة لها لا يقع «عليها بيع أيضاً ولا شراء لخساستها ونفس كريمة وسطاً بين النفسين فهذا هي التي تباع وتشترى، فالأولى نفوس الأنبياء والثانية نفوس الكفار والثالثة نفوس المؤمنين الذين قال الله فيهم {إن الله اشترى من المؤمنين} الآية، «وياسر» فعل ماض من إليسر أي: أخذ بإليسر والسهولة واللين

---

[1] ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي (1/ 443).

[2] ينظر: «فيض القدير» للمناوي(4/ 411).

[3] ينظر: المصدر نفسه (4/ 411).

والبشر مع الرفيق وهو المراد بقوله: «الشريك»، فيكون معدة أنفع بالمعونة وذا كفاية للمعونة.

«واجتنب الفساد في الأرض» بأن لم يتجاوز المشروع في نحو قتل ونهب وتخريب بل وقف على الحدود الشرعية.

«فإن نومه» إذا نام «ونبهه» إذا انتبه من نومه، يعني أن الزمن الذي هو فيه يقظان «أجر كله» أي أن جميع حالاته كلها من حركة وسكون ونوم ويقظة جالبة للثواب، بمعنى أن كلا من ذلك أجر فيكون وهو يقظان غير متعبد بعبادة غير الغزو أو نائم وله ثواب العابد في الحالين، فقوله: كله مبتدأ وأجر خبره.

ولا يصح جعل كله تأكيد كذا قال القاضي والطيبي وغيرهما وهو واجب لا يجوز غيره، لما يفهم من فحوى الحديث تأمل.

«وأما من غزا فخراً» بالمروسة مفتوحة ففوقية ساكنة فراء مهملة، «ورياء» بمهملة فتحتية فبالمد، «وسمعة» بضم السين أي: أن من غزا لقصد الافتخار على من لم يغزو ويقصد أن يراه الناس ويسمعونه وهو من لوازم الفخر.

«وعصى الإمام» الذي هو السلطان أو نائبه على الجيش بفعل أو قول لا يرضاه الأمام.

«وأفسد في الأرض» يغزوه ذلك بأن سرق أو قتل منهياً عنه شرعاً، أو خرب ما لم يأذن الإمام بتخريبه، أو قطع شجراً من أشجار الثمار بلا إذن الإمام.

«فإنه لن يرجع بالكفاف» من الثواب يعني: لم يرجع بخير، أو لم يرجع بثواب يغيبه يوم القيامة أي: لم يعد من الغزو الا كمن لم يغز بحيث لا أجر ولا وزر، كذا فسره المحدثون[1] وعليه فالظاهر أن ما فعله من المعاصي في غزوة لا يكتب «عليه وناهيك بهذه الحرفة شرفاً عند الله، فإن العبد يعصى مولاه ولا يخاف عاقبة عصيانه ومن هذا

[1] ينظر: «فيض القدير» للمناوي(4/ 411).

الحديث ونحوه تعلم أن الجهاد في سبيل الله والسعي في أسبابه لا يعادله شيء من العبادات –والله أعلم–.

«رواه» [1] العلامة الحافظ الإمام المجتهد «أحمد» بن حنبل «في» كتاب الجهاد من تإليفه الذي سماه «المسند» في علم الحديث، «و» رواه «جماعة» كالترمذي والحاكم والبيهقي وابن عدي وابن منده وغيرهم ومحمد الحاكم والبيهقي وارتضاه ابن زرعة وكالتفات إلى المناوي بعد هؤلاء قال بضعفه[2] كأنهم أكبر منه سناً وأسبق قرناً وأعلا سنداً.

الحديث الثالث والثلاثون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبى الدرداء –رضى الله عنه– قال: «عندما تكلم الناس في بركة الجهاد وفائدته وفضل «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «–لرجل من أهل المدينة له ودي: بالسكون اسم لصغار النخل التي ترى بكثرة السقي وتحريك التراب تحتها لتكبر وتتصلح، فإن لم يفعل بها ذلك ييس عروقها وييبست– ألا تغزو معنا يا فلان، فقال غرست ودياً وأخاف ان يضيع، فقال له «صلى الله عليه وسلم» «الغزو خير ودياً» قال: فغزا الرجل مع النبي «صلى الله عليه وسلم» عام الفتح وغاب عن وديه رمضان وشوال ورجع أواسط القعدة فوجد ودية أحسن ودي في جنان المدينة وبارك الله فيه بركة لا يوجد نظيرها في ما لو أقام خادماً له وساقياً عامين ببركة الغزو في سبيل.

---

[1] رواه أحمد في «المسند» (22042) وغيره وصححه الحاكم (2/ 94) ووافقه الذهبي وصححه السيوطي في «الجامع الصغير» (2/ 118).

[2] ينظر: «فيض القدير «للمناوي (4/ 411).

«رواه»[1] العلامة الحافظ الإمام عماد الإسلام أبو شجاع «الديلمي في» مختصره الذي سماه «الفردوس» محذوف الأسانيد مرتب على الحروف، ليسهل حفظه وعلَّم بإزائها بالحروف على الأئمة المخرجين وكان اختصره من كبيره الذي سماه مسند الفردوس وهو ثابت الأسانيد غيرأنه قليل الوجودن بل قيل: أنه حسده بعض أقرانه وتحيل على أول مبيضة خرجت منه فحرقها –نعوذ بالله من حاسد إذا حسد– وقيل: مسنده لوالده سيدي الحافظ أبي منصور شهرزار بن شيرويه، خرج سند كل حديث تحته وسماه كتاب إبانة سر المشبه في معرفة كيفية الوقوف على ما في كتاب الفردوس من علامة الحرف، «عن أبى نعيم» صاحب حلية الأولياء، «وقد تفرد» أبو نعيم «به» أي: بهذا الحديث، فإني ما رأيته مروياً لأحد من أئمة الحديث غيره ولايقال: ها هو أبو شجاع رواه أيضًا لما قررناه من أنه أنما رواه عن شيخه أبو نعيم –والله أعلم–.

الحديث الرابع والثلاثون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبى الدرداء أيضاً مصدره: اض يئض إذا رجع[2] جرت السِنة أهل العلم به عند إعادة اسم أو جملة أو معنى يحتج به فيذكرونه وذكر هذا، لأن الحديث الذي قبله مروى عنه «قال» عندما تكلم الناس في فضل الغزو في سبيل الله أو الجهاد، «قال «صلى الله عليه وسلم»: فضل غازي البحر» وهو الذي يركب في سفينة ويقصد بها المشركين للقتال من أجل إعلاء كلمة الله ونصر شرعه مما جاء به رسول الله محمد «صلى الله عليه وسلم» «على غازي البر»: وهو الذي يقصد قتال المشركين كالأول، لكنه سائراً في البر راجلاً أو راكباً والراكب أكثر ثواباً أن لم يكن الراجل فقيراً وإلا فالراجل أكثر ثواباً بلا شك.

---

[1] رواه الديلمي في «الفردوس» كما عند ابن حجر في «الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس» (ص: 2097) ولم أقف على قول للعلماء في هذا الحديث.

[2] ينظر: «تاج العروس «للزبيدي (18/ 235).

«كفضل غزاة» أي: جماعة غزوا «في البر» وذلك لما في ركوب البحر من الخطأ، لأن غازي البر يخاف الهلاك من العدو فقط وغازي البحر يخافه منهم ومن الغرق والثواب على قدر المشقة. قال الذهبي: والقياس أنه أفضل من غازين في البر ولكن الله خصه –بحكمته– بفضل غزات. وتوقف الحافظ السيوطي في ذلك قائلاً: إنما يكون القياس لو كان لراكب البحر روحان ولا يخاف إلا إحدى المصيبتين أما روح واحدة تخاف مصيبتين وروحان كل منهما تخاف مصيبة واحدة، فلا يكون ثوابها كثواب واحدة تحملت في الله وطاعته مصيبتين ولهذا قال «صلى الله عليه وسلم» غزات ولم يقل غازين لاسيما ما في البحر من الميد والضيق وأذاية النوبتين والمشقة العظيمة في الوضوء والصلاة وغير ذلك.

«رواه»[1] العلامة الحافظ الإمام أبو القاسم سليمان «الطبراني» –رحمه الله– «في كبيرة» ولم يذكره في الصغير ولا في الوسط «وروى عنه» أي: عن أبي الدرداء» أيضاً فضل غازي» بإسقاط ال(البحر» كالحديث الأول «على الغازي» بالتعريف وزيادة «في»، لأن التعريف بال يمنع الإضافة بمعنى في «البر كفضل غازي البر على القاعد» الذي لم يغزو، أقام «في أهله» طلباً للراحة متمتعاً باجتماعهم، «و» في «ماله» [2] أكثر العلماء يفسرونه بالمال المعروف والضمير مضاف إليه إضافة يعود على القاعد والذي يظهر أن الضمير المذكور مجرور باللام، لا بلا للإضافة، ليكون أعم فيشمل كل ما كان له من دور وربع وعقار وغير ذلك.

الحديث الخامس والثلاثون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي» رضى الله عنه قال: «عندما تكلم الناس في فضل الجهاد بحضرته «قال رسول

---

[1] رواه الطبراني كما عند السيوطي في «الجامع الصغير «(2/ 124) كذا أورده وحسنه.

[2] رواه الطبراني كما عند السيوطي في «الجامع الصغير «(2/ 124) وحسنه السيوطي.

الله «صلى الله عليه وسلم» » «قيام ساعة» من ساعات النهار أو الليل وهي جزء من اثنى عشر جزءاً من أحداهما زمن الاستواء.

«في الصف» وهو شامل لما يصدق «عليه جمع، فلا يضره من تقدمه من المسلمين لجهة العدوان لم يقصد بذلك التترس بهم والتأخر عن الأقدام، فلو كان الإسلام صفوفاً وكان الصف الأخير لا يصل إليه العطب مثل الأولين واشتركوا في الكر على العدو ولكن وقع تأخر من تأخر بلا قصد قِبَله، لما في هذا الحديث من صادق الوعد، بدليل أن النبي «صلى الله عليه وسلم» لم يقيده بالأول.

«للقتال في سبيل الله» أي: بنية إعلاء كلمة الله ونصر شريعته.

«خير من قيام ستين سنة» أي: خير من التهجد في الليل بصلاة النوافل مدة ستين سنة وينبغي أن يقيد هذا بما إذا تعين القتال وصار واجباً كمن فجأه العدو إلى بلده أو قصره من المسلمين مع قوم مشركين في بلد واحد وعلم المسلمون أنهم إن لم يقاتلونهم أفسدوا «عليهم دينهم وكان المسلمون مثلهم أو مثل نصفهم، فالقتال حينئذٍ واجب فرض عين، حق على النساء والصبيان والعبيد وفي هذا الحديث من فضل الجهاد ما لا يخفى لكثرة ما ورد من الثواب في قيام الليل مع ذلك قيام ساعة في الصف للقتال أكثر ثواباً من قيام الستين سنة وهذا فضل لا نقدر على القيام بشكره من مولانا تبارك اسمه وتعالى جده وجل ثناؤه ولا إله غيره. «رواه»[1] العلامة الحافظ الإمام عبد الله ابن عدي ابن القطان الجرجاني، أحد الأئمة الحفاظ الأعيان وأحد الجهابذة الذين طافوا البلاد وهجروا لأجل طلب العلم الوساد وواصلوا في طلبه السهاد وقطعوا لأجله المعتاد، طالبين للعلم لا يعتري هممهم قصوره ولا يثنى عزهم عند عظائم الأمور وقواطع الدهور. روى عن الجهمي وغيره من أكابر أهل طبقته وعنه أبو حامد الأسفرايني وأبو سعيد المالِني، قال: السهمي حافظ متقن لم يكن في زمنه مثله وقال ابن عساكر: كان منصفاً ثقة على لحن

---

[1]رواه ابن عدي في «الكامل «كما عند السيوطي في «الجامع الصغير «(2/ 150) كذا أورده، وضعفه.

فيه مات سنة 365 خمس وستين وثلاثمائة، عن ثمان وثمانين سنة -رحمه الله-[1] «في» كتابه الذي سماه «الكامل» الذي ألفه في معرفة الضعفاء وهو أصل من الأصول المعوَّل «عليها، المرجوع إليها وقد طابق اسمه معناه ووافق لفظه فحواه، من عينه انتجع المنتجعون وبشهادته حكم الحاكمون وإلى ما يقوله رجع المتقدمون والمتأخرون، قاله المناوي[2].

«وانفرد به» وما يوجد في تاريخ ابن عساكر في ترجمة شراحيل العبسي، فليس برواية وإنما هو نقل من وقف «عليه عرفه -إن شاء الله والله أعلم-.

الحديث السادس والثلاثون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبى هريرة» عبد الرحمن بن صخر الدوسي» رضي الله عنه قال: «عندما تكلم الناس في الجراحات التي تصيب المجاهد» قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: كل كَلْم» بفتح فسكون مصدر، كَلم السيف رأس فلان، إذا جرحه[3]. «يُكْلمه» بضم فسكون، لأن ماضيه رباعي ففتح خفيف وهو مبنى للمفعول، لأن كل جرح يجرحه[4].

«المسلم» نائب فاعل يكلمه والضمير في يكلمه عائد على الكلم، «في» سبب مقاتلته الكافرين لانتصار» سبيل الله» التي هي طريقة شرعه وما جاء به الصادق مصطفاه عنه وبهذا القيد يخرج الجرح في غير سبيل الله وفي رواية: والله أعلم بمن يكلم في سبيله وهي إشارة إلى طلب الإخلاص في القتال، إذ كم من جريح ليس له إلا ثواب مصيبة الجرح، لعدم خلوص نيته في إعلاء كلمة الله.

---

[1] ينظر: «الأعلام «للزركلي (4/ 103).

[2] ينظر: «فيض القدير» للمناوي(1/ 29).

[3] ينظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: 1155).

[4] ينظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري «للقسطلاني(1/ 303).

«تكون يوم القيامة كهيئتها» أعاد الضمير مؤنثاً لإرادة الجراحة ويوضحه رواية كل كلمة يكلمها[1] «إذا طعنت» «تفجر» بضم الفوقية وفتح الجيم مشددة واصلها تتفجر[2] بتاءين مسند للفاعل، حذفت أولاهما وبني الفعل للنائب وضميره عائد على الجراحة الموهومة من الظلم.

«دماء» ولكن لا ألم يمس صاحبها منها يومئذ.

«اللون لون الدم» أحمر كما هو معلوم، «والعرف» بفتح المهملة الأولى وسكون الثانية الريح، أي: رائحته التي يدركها هو ومن أدركها معه من أهل المحشر[3] «عرف المسك» طيباً وذكاءً وإنما يبعث، كذلك ليشهد للمؤمن المصاب به بالفضل وعلى الكافر الصادر منه بالفعل وفائدة طيب ريحه إظهار فضله لأهل الموقف وانتشارذلك فيهم ومن أجل هذا لم يشرع غسل الشهيد ولقد بسطنا القول فيه بصدر هذا الكتاب وفي هذا الحديث الشريف دليل على طهارة المسك ورَدٌ على من يقول بنجاسته ويعلله بأنه دم انعقد[4] ولم ينظر لاستحالته إلى صلاح.

«رواه» [5] الحافظان الهمامان الفاضلان الإمامان «الشيخان» أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم وهو الحسين ابن حجاج القشيري النيسابوري» في جامعيهما» الصحيحين بإجماع الأمة.

الحديث السابع والثلاثون

---

[1] ينظر: «فيض القدير» للمناوي (5/ 28).

[2] ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (1/ 345).

[3] ينظر: المصدر نفسه (1/ 345).

[4] ينظر: «فيض القدير» للمناوي(5/ 28).

[5] أخرجه البخاري (237) ومسلم (4896) وأحمد (8205).

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «فضاله» بضم الفاء المروسة فمعجمة «ابن عبيد –رضى الله عنه– قال: « عندما تكلم الناس في حال الموتى وأهوال القبر وسؤال الملكين الزكيين الكريمين منكر ونكير، «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: كل ميت»، يعني: من المؤمنين بتنكير ميت وفي رواية أبى داوود: كل الميت بالتعريف، قال أبو زرعة: والصواب التنكير، لاقتضاء التعريف استغراق أجزائه فيصير معناه: يختم على كل جزء من أجزاء الميت. وليس بصحيح فالتعريف تحريف نقله المناوي[1] عنه وهو حسن.

«يختم على عمله» يعني: أنه لا يلحقه ثواب ما فعل لأجله من صدقات الورثة «عليه ونحو ذلك، فلا يكون في صحيفته إلا ما فعله أو قاله في حياته مما يجلب الثواب.

«إلا الذي مات مرابطاً» أي: ملازماً للثغر[2] الذي تخاف المسلمون فجأة الكفار منه «عليهم بغتة.

«في سبيل الله» بحيث يكون الحامل على الرباط طاعة الله والرجاء في ما عنده.

«فإنه ينموا له عمله» الذي كان عمله في حياته وينموا مضارع نما الشيء إذا زاد وكثر[3].

«إلى يوم القيامة» يعني: من موته قال: إلا بي يعني: أن الثواب المترتب على رباط إليوم والليلة يجري له دائماً ولا يعارضه حديث إذا مات المرء انقطع عمله إلا من

---

[1]ينظر: «فيض القدير» للمناوي(5/ 34).

[2]ينظر: محمد أشرف بن أمير بن على بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، «عون المعبود شرح سنن أبي داود «الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ، (7/ 178).

[3]أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى «تحفة الأحوذي» ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (5/ 206).

ثلاث[1]...الحديث، أما أنه لا مفهوم للعدد في الثلاث وأما أنه يرجع هذا إلى أحدى الثلاث وهو هنا صدقة جارية. انتهي.

وانظر من أين له أن النبي «صلى الله عليه وسلم» أراد الثواب المرتب على رباط إلىوم والليلة مع أن الأصل في اللفظ العلم ابقاؤه على ظاهره الا بقرينة توجب حمله على الخصوص، كما أن المطلق لا يحمل على المقيد إلا بقرينة أو نص فيها والذي يظهر أنه فهم تنازع مميت ويختم في الجار والمجرور بعدهما، أو دليل ذلك قوله ولا يعارضه حديث إذا مات المرء... ألخ، فإنه لو لم يعلق المجرور بميت لكانت جملة يختم على عمله كافية له عن الاستشهاد بحديث إذا مات المرء، تأمل.

«ويؤمن» بضم ففتح فتشديد[2] مضارع أمن بتشديد مضارع أمن، بتشديد الميم مبني للنائب وضميره على يدل على الذي مات.

«من فتان القبر» ،الفتان: مفرد أريد جنسه والمراد: منكر ونكير، أي: لا يأتيانه بعد موته كعادتهما في غيره ولا يختبرانه بل يكفيه موته مرابطاً في سبيل شر الفتنة والاختبار، أو أن موته مرابطاً كان في صحة إيمانه، فلا فائدة للسؤال ولأجله لا يسألانه. قال القاضي عياض: هذا الحديث رويناه للأكثر بضم فإفتان جمع لفاتن وعن الطبري هو بالفتح وأبو داوود مفسر أفعال وأما فتان القبر بالملك السائل وقال القرطبي: هو جمع فاتن ويكون للجنس أي: يؤمن من كل ذي فتنة فيه، لكن المتبادر أنهما لا يضرانه ولا يفتن بهما قاله المناوي[3].

وبالجملة فالعمل الذي يجري «عليه ثواب الميت مرابطاً هو جميع أعماله الصالحات التي فعلها منذ خوطب إلى أن مات مرابطاً وأنهما فضل من الله واحسان منه، فلا يزال

---

[1] رواه مسلم (1631).

[2] ينظر: «عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعظيم آبادي(7/ 178)

[3] ينظر: «فيض القدير» للمناوي(5/ 34).

يبارك في تلك الحسنات التي كتب الند له قبل الرباط وفيه إلى غاية يعلمها الله وكلام اللبي يحتاج إلى دليل لخروجه عن محجة ظاهر الحديث ورأيت للقرطبي ما يوافق تقريرنا ويخالف اللبي –والله أعلم– بمراد النبي –» عليه أفضل صلاة الله وأزكى تسليماته وعلى آله وانصاره في حياته وبعد مماته–، «رواه جماعة» .[1]

الحديث الثامن والثلاثون

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أبى هريرة» عبد الرحمن بن صخر» –رضى الله عنه– قال: «عندما تكلم الناس في فضل الجهاد «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: مثل المجاهد» لإعلاء كلمة الله وهو المراد بقوله: «في سبيل الله»، بخلاف ما إذا جاهد الكفار لغرض دنيوي، «والله اعلم بمن يجاهد في سبيله» ،إنما قال ذلك «صلى الله عليه وسلم» ، لعلمه أن الناس تختلف مقاصدهم في الإخلاص وعدمه ورب مجاهدلا يقصد بجهاده إلا الغنيمة والجملة معترضة بين ما قبلها وما بعدها.

«كمثل الصائم» لله –تعالى– الممتنع من لذة الأكل والشرب والنكاح دهره كله.

«القائم» لله –تعالى– بصلاة النوافل بالليل تهجداً دهره كله، لا ينام بالليل وهو معنى قوله: الدائم ثم بيَّن معنى الدوام المفهوم من دائم بقوله:[2] «الذي لا يفقر» بتحتية فمرؤسة ففوقية مضمومة فمهملة، أي: لا تكون له راحة، «من صيام» ولا قيام وحذفه للعلم به من قوله: القائم.

«ولا صدقة» لوجه الله من ماله الخاص به، شبه «صلى الله عليه وسلم» الصائم القائم، بحال المجاهد في نيل الثواب في كل حركة وسكون وذلك الأجر له كلما أقام في عمل الجهاد ذهاباً وإياباً، «حتى يرجع» من سفره ذلك ويصل إلى أهله، «وتوكل الله – تعالى– للمجاهد في سبيله» أي: تكفل كما في رواية: «إن توفاه أن يدخله الجنة» عند

---

[1] رواه الترمذي في «سننه» (1717) وغيره وقال: حسن صحيح.

[2] ينظر: «شرح النووي على مسلم» (13/ 25).

موته كما ورد في الشهداء وقد تقدم الكلام والنصوص الواردة فيه غير مرة، أو عند دخول السابقين ومن كل حساب «عليهم.

«أو يرجعه سالماً مع أجرأوغنيمة» أو بمعنى الواو وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد تقتضي أن لا يعدل الجهاد شيء من الأعمال، لكن عموم هذا الحديث خص بما دلَّ «عليه حديث ابن عباس: ما العمل في أيام أفضل من هذه –يعني: أيام عشر ذي الحجة–[1] وقد استشكل هذا الحديث بحديث أحمد: ألا أنبئكم بخير أعمالكم... إلى أن قال ذكر الله[2]، فإن ظاهره أن مجرد الذكر أفضل من أبلغ ما يقع للمجاهد وأفضل من الإنفاق مع ما في الجهاد والنفقة من النفع المتعدي وقال القاضي عياض[3] في هذا الحديث تفخيم للجهاد عظيم، كأن الصيام وغيره مما ذكر من الفضل، بل قد عدلها الجهاد كلها حتى صارت جميع حركات المجاهد وتصرفاته المباحة تعدل أجر المواظب على الصلاة وغيرها، نعم قد يقال: الذكر ممن لا قدرة على الجهاد أفضل من الجهاد كالعلم لمن له قدرة على تعلمه وتعلمه والجهاد أفضل من كل عبادة من نوافل الخير صلاة وصدقة وذكراً غير القرآن لمن له قدرة «عليه وبالخصوص إن تعين والمجاهد ممتثل –والله أعلم.

«رواه الشيخان» [4] البخاري ومسلم» و» الحافظ الإمام أبو عيسى ويقال: أبا الحسن محمد بن عيسى بن سورة «الترمذى و» الحافظ الإمام أحمد بن نجيب عرف «النسائي» الخراساني الشافعي.

الحديث التاسع والثلاثون

---

[1] ينظر: «شرح النووي على مسلم» (13/ 25).

[2] رواه أحمد في «المسند» (21702) وصححه الحاكم (1/ 673).

[3] عياض بن موسى بن عياض بن عمرون إلىحصبي السبتي، أبو الفضل «إكمال المعلم بفوائد مسلم» ، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م، (6/ 297).

[4] أخرجه البخاري (2787) ومسلم (4903) وغيرهما.

«عن» صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عمر بن الخطاب الخليفة الثاني لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» وقد تقدم الكلام في نفسه وفضائله بحضرته.

«قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» من جهز غازياً» بأن أعطاه ما تقام به بنيته من زاد وماء وراحلة أو أسباب الإعانة على مقاتلة الكفار كالسلاح والخيل وهذا معنى تجهيز الغازي ومنه تجهيز العروس وتجهيز الميت، إذ هو في العروس اعطاؤها ما تفرشه من جميل المطارح والزرابي والنمارق وما تتحلى به من الحلى والحلل وفي الميت كفنه وحنوطه وحفر قبره وأجرة حمله ونحو ذلك [1].

«حتى يستقل» بجميع ما يحتاجه بحيث لا يحتاج ما لا بد منه وليس المراد أن يعطيه كل ما يطلبه، لأنه قد يطلب فوق الكفاف وليس بلازم.

«كان له مثل أجره» منذ يرتحل غازياً «حتى يموت» في غزوة ذلك بقتال عدو أو حتف أنفه.

«أو يرجع» إلى أهله والمعنى: أن مجهز الغازي في سبيل الله هو معه على حد السواء في الأجر بحيث لا يكون للغازي المباشر لقتال العدو فضل على من جهزه وظاهره أنه جهزه بجميع ما يحتاج إليه احتياجاً متعارفًا، أما إذا جهزه ببعض ما يحتاجه دون بعض، فلا يكون له مثل ذلك وانظر ما إذا كان فقيراً ولم يقدر على تجهيزه كله فإني لم أقف على نص فيه والذي يظهر أنه إن أثره على حاجته مع فقره يكون لذلك كله والله أكرم من جميع خلقه وإنما قلنا أو ظاهره ألخ، لما أفهم قوله:حتى يستقل من إتمام التجهيز على انقضاء الغزو، أما إذا جهزه بما يكفيه شهراً مثلاً وهو عالم أنه سيقيم شهرين، فلا يكون له هذا المثل وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالإخبارالواردة بمثل ثواب الفعل: حصول أهل الأجر من غير تضعيف وأن التضعيف يختص بالمباشر [2] وهل هذا الثواب

---

[1] ينظر: «فيض القدير» للمناوي(6/ 114).

[2] ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (6/ 50).

مقصور على من جهز من لا يستطيع الجهاد أو عام؟ احتمالان: والثاني أرجح، إذ يكون قادراً على الجهاد ويمنعه الشح ومثال المجهز المعين كما في خبر ابن عباس وأفاد قوله: يستقل أنه لو جهز بعضاً وترى بعضاً لا يحصل له الثواب الموعود بل له بقدر ما جهزه وكذا جميع الطاعات من أعان «عليها كان له مثلها، كما صرح به جماعة من الأئمة من فهم أخبار واردة في ذلك -والله أعلم-.

«رواه»[1] العلامة الحافظ الأمام محمد بن يزيد الربعي ويسمى «ابن ماجة» القزويني «و» العلامة الإمام الحافظ الكبير محمد بن اسماعيل» البخاري» الجعفي «بزيادة وخلفه في أهله بخير» يعني: أنه يكون محسناً لأهل الغازي، خليفة الغازي على أهله، يفعل معهم معروفاً ويبهم خيراً ولو بحراستهم من سارق[2] «بعد يستقل» أي: أن تلك الزيادة بعد لفظة: يستقل وعلى ما للبخاري فلا يكون للمجهز مثل أجر الغازي إلا إذا أخلفه في أهله بخير فلو جهز بجهاز الغزو كله ولم يخلفه في أهله بخيرلا يكون له ذلك الأجر وهو ظاهر على ما اقتضاه ظاهر الحديث وعلى كل حالٍ، إذا فعل معروفاً يطلق «عليه اسم خير في الجملة وان لم يكن كثير، يحصل به له مثل الأجر بلا شك -والله أعلم-.

الحديث الموفى أربعون

«عن» صاحبة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «عائشة الصديقية» بتشديد الدال، هي عروس رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أم المؤمنين بنت الخليفة الأكبر أفضل الصحابة على الإطلاق أبى بكر بن أبى قحافة الملقب بالصديق ولهذا قلنا الصديقية نسبة إلى الصديق أبيها -» عليه السلام- واختلف في سبب تسميته صديقاً على أقوال أرجحها: أنه كان ليلة إذ أسرى بالنبي «صلى الله عليه وسلم» غائباً في طلب ضالة له

---

[1] أخرجه البخاري (2843) ومسلم (4936) وابن ماجه في «سننه» (2764) واللفظ له، من حديث: عمر بن الخطاب و زيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما.

[2] ينظر: «شرح النووي على مسلم» (13/ 40).

وأصبح النبي[يخبر عن الإسراء وكذبه المشركون من قريش ومنهم العاص بن وائل، فالتقى العاص بأبي بكر عند الجعرانة، فقال: أي أبا بكر، سمعت ما أصبح يقول صاحبك، قال: لا فماذا؟ قال: فقال: إنه يقول إنه جيء له بدابة إلى الحرم فركبها وطارت به من المسجد هذا إلى بيت المقدس ورجع في ساعة من الليل. قال أبو بكر: آلله سمعته يقول ذلك، فقال العاص: سمعته والله وسمعه أشراف قريش، قال أبو بكر: فلله الحمد والشكر، فإنه والله لصادق ولو قال لكم عرج بي إلى السماء وعلوت سطحها ولقيت ربى ورأيته وكلمته، فقال العاص: هو والله قال ذلك ولكنى كفرته، حتى نسمع ما تقول في قوله، فقال أبو بكر: هو الصادق والله وإنكم لتعلمون صدقه وتكفرونه وافترقا فلمَّا أخبر العاصُ عمرو بن هشام وعقبةَ ابن أبى معيط والوليدَ بن المغيرة وبقية أكابر قريش وهم بالعشى جلوس بالحرم، فقال ابن معيط: ما حملك أن تكلمه وهو له صديق فقال: العاص سأذهب إلى صاحبه وأخبره من عندي أنه كذبه واسمع ما يقوله، فجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وقال إن صديقك ابن عمك ولد أبى قحافة كذبك في ماقلت أنَّه كان لك البارحة، فأجابه «صلى الله عليه وسلم»: إنه لصدّيق، أي: بالتشديد وما للصدّيق أن ينكر الحق.

ونزل: {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا... الآية}، قيل: أي لا تسمع كذب العاص بن وائل وما تقوَّله على أبي بكر ولا تطعه، في انكار الحق من ربك، فإنه متبع هواه وأمره فرط، أي: تضيعاً وإهمال المصلحة، فلا يطاع ولا يسمع كلامه ولا يلتفت إليه وقيل: الملاقي لأبي بكر والمتكلم معه ومع النبي «صلى الله عليه وسلم» في هذه النازلة هو أمية بن خلف والقول بأنه عيينة ابن حصن ضعيف[1].

«رضى الله تعالى عنها قالت: «عند ما تكلم الناس في الرباط في سبيل الله وفي فضله بحضرتها «قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: من رابط» من الرباط بكسر

[1]ينظر: «سير أعلام النبلاء «للذهبي(2/ 355).

ففتح مخففاً وهو: ملازمة الثغر أي: المكان الذي بيننا وبين الكفار[1] ،نخاف استيلائهم «عليه، فيحصل بذلك ضرر للمسلمين.

«فُواق ناقة» بضم الفاء المرؤسة وتفتح ما بين الحلبتين، لأنها تحلب ثم تترك سريعة يرضعها الفصيل، لتدر، هذا معنى الفواق منها عند قريش وأمَّا الأعراب يطلقون الفواق على وقت إرسالها البول، فإنها ترسلها قليلاً قليلاً، كفحلها أيضاً دون سائر الأنعام وليس هذا بمراد وخص الناقة بالذكر، لكثرة تداولهم لحلبها، فهو أقرب للتفهم[2] ولو كان المراد الثاني، لقال فواق بعير، ليشمل الذكر والانثى، لاشتراكهما في بطئ إرسال البول والثاني فيه.

«حرمه الله على النار» أي: حرم الله النار «عليه، أي: نار الخلود، أي حرم على النار دوام استيلائها «عليه وإلا فمن المعلوم أن من رابط ولو طول عمره إذا لم يعف عنه الله وقابله بعدله، يدخله النار بمعصية واحدة وأحرى أن تعددت، ثم يخرج منها بالشفاعة، أو بإيمانه، أو بالفضل المحض الذي لا واسطة فيه والمراد بالتحريم هنا: المنع نحو: {وحرام على قرية...}، قال ابن حبيب: الرباط شعبة من الجهاد و بقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر وقال ابن عمر: شرع الجهاد لسفك دماء المشركين وشرع الرباط لصون دماء المسلمين وصون دمائهم أحب إلى من سفك دماء أولئك[3] وبهذا استدل القليلون أنه أفضل من الجهاد وقد تقدم أن المشهور خلافه.

---

[1] ينظر: «فيض القدير» للمناوي(6/ 134).

[2] ينظر: المصدر نفسه (6/ 134).

[3] ينظر: المصدر نفسه(6/ 134).

«رواه العقيلي» [1] من حديث محمد بن حميد عن أنس بن جندل، عن هشام، عن ابيه، عن عائشة أم المؤمنين، ثم قال-أعنى العقيلي-: إن كان محمد بن حميد ضبَّطه وإلا فليس أنس ممن يحتج بحديثه وفي الميزان قال أبو حاتم: أنس بن جندل مجهول وأورده العقيلي أيضاً في ترجمة سليمان بن مرقاع من حديثه وقال: فيه بالتنكير وتكلم ابن الجوزي فيه بإنكار سليمان[2] ونقله الحافظ السيوطي[3] عنه ثم استثناه من الموضوعات والمنكر، لأن له طريقين ولقد ورد في فضل الرباط في سبيل الله وكثرة ثوابه أحاديث كثيرة يعضد بعضها بعضاً.

خاتمة المؤلف:

وعن عثمان بن عفان -رضى الله عنه- من رابط ليلة في سبيل الله، كانت كألف ليلة صيامها وقيامها[4] يعني: أن له ثواباً بقدر ثواب من قام ألف ليلة متهجداً وصام أيام

---

[1] رواه أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي،» الضعفاء الكبير «المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المكتبة العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م، (1/ 22) وقال: هذا حديث منكر وقد رأيت له غير حديث من هذا النحو، فإن كان ابن حميد ضبط عنه فليس هو ممن يحتج به.

[2] ينظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي،» العلل المتناهية «المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، 1401هـ/1981م، (2/ 581).

[3] ينظر: «الجامع الصغير» للسيوطي (2/ 328).

[4] رواه ابن ماجه في «سننه» (2766) وصححه السيوطي في «الجامع الصغير» (2/ 328).

تلك الليإلى وقد تقدم أن المراد بالمرابط: الذاهب بقصد حراسة الثغر، ليقيم فيه مدة ويرجع إلى أهله، لا من استوطنه بأهله، فإنه لا يكون له ما للأول من ثواب الرباط.

قال ابن حجر: وفيه نظر، لأن ذلك المكان قد يكون وطنه وينوى الإقامة فيه، لدفع العدو فهو مرابط قطعاً وله من الثواب ما لمن جاء للثغر حارساً للمسلمين وأهله في غيره وحديث عثمان هذا رواه ابن ماجة وفيه هشام ابن عمار مختلف في معرفته وهذا آخر ما حرره بالله قلمي القاصر وأنا العاجز لولا أن الله هو الولي والناصر علم أني عالِم بأني لست مِن أهل هذا الشأن ولا من الفرسان الراكضين في هذا الميدان، لكنى تطفلت على باب فضل الله وراء السادة المؤلفين، طامعاً بالنوال ولكَمْ تطفَّل مثلي على بابه مع العارفين ففاز بمراده ونال كلَّ منال والله أسأل طالباً وبرسوله المصطفى الصادق أتوسل، راغباً أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ومخلصاً لي ولمن حرصته به من العذاب الإلىم وأن يغفر لي وله ولجميع أهل الإيمان وأن يُنعِّمنا بالنَّظر إلى ذاته الكريمة في فسيح الجنان وأن ينفعنا بشفاعة الشفيع الصادق خير الأنام «عليه ما دام ملك الله في كل يوم وشهر وعام وفي كل ساعة ألف الف صلاة وألف الف سلام وكما حسُن البدء بحمد الله – تعالى– فبالصلاة والسلام على الخاتم يكون حسن الختام.

انتهي، بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، خاتم النبيين وإمام المرسلين وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراسة وتحقيق مخطوط "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار"لعلي بن داود البوعناني الشريف المطماطي نتوصل الى عدة نقاط:

-كتاب "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار "كتاب قيم وثري لما يحتويه من مواضيع متنوعة من مسائل فقهية، أدبية وتاريخية مما جعل منه حقا روضة من رياض العلم.

_ نسختا الكتاب في حالة جيدة كما أن الفروق بينهما طفيفة وتكاد تكون معدومة من ناحية المادة مما سهل عملية المقابلة من تحقيقه.

_احتوى الكتاب على موقف الكاتب من مسائل عصره وتمسكه بوطنه وحريته من خلال تحريضه على جهاد الكفار الأوروبيين وكذلك من خلال تبيان أهمية الجهاد في سبيل الله والإتيان بالأدلة القاطعة من القران الكريم والحديث النبوي الشريف أن الجهاد فرض وواجب على المسلمين وفضله عند الله عز وجل.

_احترام الكاتب لمواقف وأراء غيره من العلماء في مختلف المسائل والمواضيع فنجده يذكر مختلف الآراء ويناقشها بهدوء دون التعصب لأي منها.

_وضعنا ترجمة ولو بسيطة لشخصية الشيخ على بن داود البوعناني والتي كانت غامضة لا تعريف لها فقد توصلنا انه عالم من علماء الجزائر في الفترة الأخيرة للحكم العثماني وقد عايش حكم الداي محمد باشا وأيضا فترة حكم صالح باي بايلك الشرق أي قسنطينة .

خاتمة

_عاش الشيخ البوعناني في أسرة علمية فيقول انه تلقى تعليمه الابتدائي على يد والده والذي قال انه كان من علماء تلك الفترة .

–تنقل الشيخ البوعناني لطلب العلم كغيره من أقرانه علماء عصره الى مختلف أقطار العالم الإسلامي فاتضح انه تنقل الى تونس للأخذ من علمائها فقد التقى بالشيخ ابوالعباس الورغمي سنة 1135ه وهذا ما جاء في مخطوطه محل دراستنا ويمكن أن يكون قد أكمل طريقه منها نحو المشرق الإسلامي .

_المخطوط الذي بين أيدينا ألفه الشيخ البوعناني كشرح على كتاب أخر له ومؤلفات الشروحات كانت من المميزات الأدبية في الفترة العثمانية بالجزائر ،فقد انتشرت كتب الشروح بكثرة آنذاك مثلها مثل كتب الملخصات على مؤلفات أخرى .

_أسلوب الكاتب في هذا المخطوط ليس ببعيد عن أسلوب علماء عصره من استخدامه للمحسنات البديعية واللغة الراقية ،وكذلك تنوع مجالات العلوم ،حيث نلاحظ ان الشيخ البوعناني موسوعي المعرفة كأغلب علماء أواخر الفترة العثمانية في ايالة الجزائر ،فلا نجد شيخا أو عالما في مجال معرفي محدد بل يكتب في الفلك والحديث والسيرة النبوية وكذلك التفسير وغيرها من مجالات العلم .

_إن التنوع المعرفي لعلماء عصر الكاتب والذين تركوا بصمات راسخة من خلال مؤلفاتهم بالرغم من الأوضاع السياسية والعسكرية التي عرفتها البلاد آنذاك،فالمصادر المختلفة تذكر لنا أسماء علماء لتلك الفترة المميزة من التاريخ الوطني كان لهم تأثير واضح على مختلف الأصعدة لثقافية،السياسية،الاجتماعية،وهذا ما يؤكده لنا الشيخ البوعناني من خلال هذا الكتاب من خلال ذكره للعلماء والشيوخ الذين اخذ منهم علومه، أو التقى بهم في رحلة حياته او حتى سمع بهم.

خاتمة

_عايش الشيخ علي بن داود البوعناني أواخر القرن 12هـ_18م وهي أخر فترة الوجود العثماني بالجزائر والتي تميزت بأوضاع سياسية وعسكرية غير مستقرة،حيث توالت الحملات الاروبية على السواحل الجزائرية آنذاك،وهذا نقله لنل الشيخ البوعناني في مخطوطه المدروس هذا حيث وصف هذه الحملات وشرح أهداف الدول الاروبية منها ،وكذلك تكلم عن جهود الداي العثماني محمد باشا في التصدي لهذه الحملات لحماية الإيالة الجزائرية منهم.

_لم يقف الشيخ البوعناني موقف المتفرج على هذه الأوضاع المتردية التي مرت بها الجزائر آنذاك ،بل كان من العلماء الذين سعوا الى تغيير تلك الأوضاع بالفعل والكلمة من كتاباته ومنها هذا الكتاب محل الدراسة ،والذي يكاد يجزم لنا يقينا أن الشيخ البوعناني كان مقربا جدا من السلطة العثمانية الحاكمة للجزائر آنذاك ،والدليل على هذا دفاعه عن شخصية الداي محمد باشا وأيضا الباي صالح باي وجهدهم في الدفاع عن البلاد ضد الحملان الاروبية الصليبية وأيضا تحريض الشعب الجزائري على ذلك أيضا،وكذلك مدحه لهم ولشخصيتهم ووصفه الدقيق لمنجزاتهم المعمارية وإصلاحاتهم بالبلاد حتى اخرج قوتهم عن استطاعة البشر.

_لقد سعى الشيخ البوعناني الى شحن الهمم ورفع راية الجهاد ضد الخطر الأجنبي من خلال تأليفه لهذا الكتاب وكتاباته الأخرى والتي حث فيها على الجهاد في سبيل الله وأيضا تبيان اجر الجهاد عند الله عز وجل مقويا ومدعما كلامه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحدث عن فضل الجهاد في سبيل الله.

والآن وقد وصلت لخاتمة عملي المتواضع هذا وهو أول تجاربي في مجال تحقيق المخطوطات، وأدعو المولى عز وجل أن أكون قد وفقت

خاتمة

لان من لايشكر الناس لا يشكر الله فلا يفوتني أن أتقدم بشكري الخالص الى أستاذي المشرف على توجيهاته ونصائحه لي وصبره الكبير علي، وعلى دعمه لي في أوقات يأسي وتعبي فلولا مساندته لما خرج عملي في هذا الشكل الذي هو عليه.

كما لا يفوتني أن اثني على السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على ما انتظره منهم من ملاحظات تعينني على تدارك ما وقعت فيه من زلات وعثرات في عملي هذا أو ما فاتني خلال البحث ،وهومن الأكيد انه سيزيد من القيمة العلمية والبحثية لعملي هذا .

والأمل في الله تعالى أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، ويتقبله مني تقبلا حسنا ويجعله عونا للباحثين ،اضافة في رصيد المكتبة الوطنية والجامعية الجزائرية.

الملاحق

ملحق (1): صورة لبطاقة موجودة في بداية نسخة المسجد النبوي للمخطوط

العنوان: شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار

المؤلـف: المطاطي: علي بن داود الشريف البوعناني (ت: ١١٨٩ هـ)

البدايـة: الحمد لله الذي استعمل على هذه الملة الحنفية من يستعمر الأرض والبلاد، وأغنى أهلها بالمضاعفة من أقرض قرضاً حسناً

النهايـة: ... وأن ينعمنا بالنظر إلى ذاته الكريمة في فسيح الجنان، وأن ينفعنا بشفاعة الشفيع الصادق خير الأنام.

الناسـخ: ــــــ **تاريخ النسخ:** ـ **نوع الخط:** مغربي جيد

ملاحظات: المخطوط بحالة جيدة، كتبت بعض الكلمات المداد الأحمر.

رقم الحاسب	رقم الحفظ	أرقام الأفلام	عدد الأوراق	مقاس الورقة	عدد الأسطر	حالة الطبع	نسخة	جزء
١٤٢٩	٢١٨/٧	١٢٧	٢١٧	١٨×٢٧	٢١	قيد البحث	١	

مصادر التوثيق:

ملحق(5):صورة للصفحة الاولى للمخطوط نسخة المكتبة التونسية



ملحق رقم (3): جامع سيدس الكتاني قسنطينة

مصفحات من مخطوط الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الكفرة،



مخطط المدرسة الكتانية

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القران الكريم

المصادر المخطوطة:

ابن رقية التلمساني :الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الكفرة،نسخة بالمكتبة الوطنية الجزائرية,رقم 1626.–مؤلف مجهول :أخبار بلد قسنطينة:نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية,رقم 2717.

ابن مطماطة محمود بن محمد: سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة,نسخة خاصة.

علي بن داود المطماطي: ضرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار, نسخة مكتبة المسجد النبوي رقم 218,نسخة جار الكتب التونسية رقم1918.

مؤلف مجهول:تاريخ مجيء الاسبان للجزائر في المرة الثانية والثالثة,مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية, رقم1543.

المصادر العربية :

إبراهيم بن إسحاق الحربي :غريب الحديث, المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1405

إبراهيم بن محمد برهان الدين : المبدع في شرح المقنع، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1418 هـ - 1997 م.

ابن سحنون احمد:الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني,تحقيق:المهدي البوعبدلي,دط, مطبعة البعث,الجزائر ,1973,

ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، كتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

المصادر والمراجع

أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي «التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول»، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي:«السيرة النبوية» تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان،عام النشر: 1395 هـ - 1976 م

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، «المختصر في أخبار البشر»، الطبعة: الأولى، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية.

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، «تاريخ دمشق لابن عساكر»، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م.

أبو راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار,ج1,تحقيق : محمد غانم, دط, المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر ,2003م.

أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم، «تفسير القرآن العظيم» الطبعة: الثالثة، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، 1419 هـ.

أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي، «النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الامهات»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.

أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني «معرفة الصحابة»، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض،الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998 م

أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع»، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

أحمد بن إسحاق اليعقوبي «البلدان» الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ.

أحمد بن البيهقي، «السنن الكبرى»، الطبعة الثالثة، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،1424هـ-2003م.

المصادر والمراجع

أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، «الاعتقاد»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، 1401م.

أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1405 هـ.

أحمد بن العسقلاني الشافعي، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379هـ.

أحمد بن عبد الله الطبري،«خلاصة سير سيد البشر»، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة – السعودية، 1418هـ – 1997م.

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، «دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار النفائس، بيروت، 1406 هـ – 1986 م.

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، في «فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم»،الطبعة: الأولى، الناشر: دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة،1417 هـ–1997م.

أحمد بن علي الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، "الكامل في الضعفاء" المحقق: أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر: مكتبة السنة – مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى، 1415هـ – 1994م

أحمد بن علي الخطيب البغدادي» تاريخ بغداد«ط: الطبعة الأولى، الناشر:دار الغرب الإسلامي– بيروت، 1422هـ–2002م.

أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، «هدي الساري مقدمة فتح الباري»، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379

أحمد بن علي العسقلاني، «التلخيص الحبير»، الطبعة: الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، 1419 هـ– 1989م.

أحمد بن علي العسقلاني، «لسان الميزان»، الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، 1390هـ /1971م.

المصادر والمراجع

أحمد بن علي العسقلاني،«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م

أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، «مسند أبي يعلى»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، 1404هـ – 1984م.

أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، «إمتاع الأسماع»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1420 هـ - 1999 م.

أحمد بن عمرو البزار، «مسند البزار»، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م.(

أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم بن مهنا، شهاب الدين النفروي الأزهري المالكي في «الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني» الناشر: دار الفكر، 1415هـ-1995م.

أحمد بن فارس بن زكرياء القزوييني الرازي، «مجمل اللغة» الطبعة الثالثة، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت،1406هـ-1986م

أحمد بن فارس بن زكرياء القزوييني الرازي،«معجم مقاييس اللغة» ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة دار الفكر، 1399هـ-1979م

أحمد بن محمد : «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى،1422، هـ - 2002 م

أحمد بن محمد الخَلَّال البغدادي الحنبلي- في «السنة»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الراية – الرياض، 1410هـ - 1989م.

أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري، «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر .

أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين،«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»، الطبعة: السابعة، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1323هـ.

المصادر والمراجع

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، «فضائل الصحابة»، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، 1403هـ – 1983م.

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة–بيروت،1421 هـ–2001 م.

أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، «مختصر اختلاف العلماء»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، 1417هـ.

أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، «مشكل الآثار»، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1415 هـ، 1494 م.

أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

أحمد بن مروان الدينوري ، «المجالسة»، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، 1419هـ.

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، «أنساب الأشراف، للبلاذري»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الفكر – بيروت، 1417 هـ – 1996 م.

أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين،«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» الطبعة: الأولى، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423 هـ.

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه، «المسند»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتاب العربي، 1423 هـ – 2002م.

إسحاق بن الحسين المنجم، «آكام المرجان فى ذكر المدائن المشهورة فى كل مكان»، الطبعة: الأولى، الناشر: عالم الكتب، بيروت، 1408 هـ.

إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان «الأمالي = شذور الأمالي = النوادر= أمالي القالي»، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية، 1344 هـ – 1926م.

المصادر والمراجع

إسماعيل بن حماد الجوهري الفاربي، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» الطبعة الرابعة، المكتبة: دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ–1987م

إسماعيل بن عمر البصري :«الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث»المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية

إسماعيل بن عمر البصري ، «البداية والنهاية»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1424هـ / 2003م.

إسماعيل بن عمر البصري ، «تفسير ابن كثير»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ – 1999 م.

إسماعيل بن عمر البصري «الفصول في السيرة»، الطبعة: الثالثة، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، 1403 هـ.

إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، «هدية العارفين»، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951 أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: 652هـ)، وأضاف إليها الأب،: عبد الحليم بن تيمية (ت: 682هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (728هـ)، «المسودة في أصول الفقه»،الناشر: دار الكتاب العربي.

الباغندي الكبير محمد بن سليمان في «أمالي الباغندي»، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة قرطبة، مصر، 1417 هـ – 1997 م.

بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، «البحر المحيط في أصول الفقه» الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتبي، 1414هـ– 1994.

تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي «معجم الشيوخ»، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي 703 – 759 هـ، المحقق: الدكتور بشار عواد – رائد يوسف العنبكي – مصطفى إسماعيل الأعظمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي

تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، «طبقات الشافعية الكبرى»، الطبعة: الثانية، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ.

المصادر والمراجع

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، «التدمرية»، الطبعة: السادسة، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، 1421هـ / 2000م.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، الطبعة: السابعة، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1999م.

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، «بستان الواعظين ورياض السامعين»، الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان، 1419هـ – 1998م.

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، «زاد المسير في علم التفسير»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، 1422 هـ.

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي،" العلل المتناهية " المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، 1401هـ/1981م

جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، «تخريج أحاديث الكشاف»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، 1414هـ.

الحافظ يوسف بن عبد البر، «الدرر في اختصار المغازي والسير»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف – القاهرة، 1403 هـ.

حامد عونى، «المنهاج الواضح للبلاغة»، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي «الجنى الداني في حروف المعاني»، الطبعة الأولى، المكتبة: دار الكتب العلمية–بيروت، 1413هـ–1992م

الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي، «المنهاج في شعب الإيمان»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م.

الحسين بن محمد الأصفهانى " المفردات في غريب القرآن"، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ

المصادر والمراجع

الحسين بن محمد الغساني وكان يَكره أن يقال له الجياني، «تقييد المهمل وتمييز المشكل» المحقق: الأستاذ محمد أبو الفضل، الناشر: وزارة الأوقاف – المملكة المغربية، الطبعة: بلا، 1418هـ-1997م

حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري، «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس»، الناشر: دار صادر – بيروت.

خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري،«تاريخ خليفة بن خياط، المحقق: د. أكرم ضياء العمري، الطبعة: الثانية،الناشر: دار القلم , مؤسسة الرسالة – دمشق , بيروت 1397هـ

الخليل بن أحمد الفرهيدي، «العين» الناشر: دار ومكتبة الهلال.

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري«العين» الناشر: دار ومكتبة الهلال.

خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري، «مختصر العلامة خليل»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الحديث/القاهرة، 1426هـ- 2005م.

خليل بن عبد الله القزويني «الإرشاد في معرفة علماء الحديث»المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، 1409.

خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، «الأعلام»، الطبعة: الخامسة عشر، الناشر: دار العلم للملايين، أيار / مايو 2002 م.

د. غالب بن علي عواجي،«فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها»، الطبعة: الرابعة، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة،1422 هـ - 2001 م.

الدارقطني أبو الحسن بن عمر بن أحمد «سنن الدار قطني» الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت لبنان،1424هـ-2004م.

رينهارت بيتر آن دُوزِي، «تكملة المعاجم العربية»، الطبعة: الأولى، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، من 1979 - 2000 م.

زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي «فتح الباقي بشرح ألفية العراقي»، المحقق: عبد اللطيف هميم - ماهر الفحل، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى، 1422هـ / 2002م

المصادر والمراجع

زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم»، الطبعة: السابعة، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، 1422هـ - 2001م.

زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي «شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي» المحقق: عبد اللطيف الهميم – ماهر ياسين فحل، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،1423 هـ – 2002 م

زين الدين عبد العراقي، «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 1426هـ- 2005م.

زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المنوي، «فيض القدير» الطبعة الأولى، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى–مصر،1356هـ

زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، «التوقيف على مهمات التعاريف»، الطبعة: الأولى، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت–القاهرة، 1410هـ–1990م.

زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، " التيسير بشرح الجامع الصغير"الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، 1408هـ - 1988م

زين الدين محمد المناوي القاهري، «التيسير بشرح الجامع الصغير»، الطبعة: الثالثة، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، 1408هـ - 1988م

سراج الدين الشافعي :البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، الطبعة الأولى، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، 1425هـ–2004م.

سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، «السنن»، الطبعة: الأولى، الناشر: الدار السلفية – الهند، 1403هـ –1982م.

سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، «المُعْجَمُ الكَبِير»،الطبعة: الثانية، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

المصادر والمراجع

سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- في «المعجم الأوسط»، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، «مسند الشاميين»، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، 1405هـ – 1984م.

سليمان بن الحميري، أبو الربيع، «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1420 هـ.

سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، «التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح»، المحقق: د. أبو لبابة حسين، الناشر: دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، 1406 – 1986

سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، «المنتقى شرح الموطأ»، الطبعة: الأولى، الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، 1332 هـ.

سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، «مسندأبي داود الطيالسي»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار هجر – مصر، 1419 هـ – 1999 م.

الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، «الأم»، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1410هـ/1990م.

شمس الدين بن قَايْماز الذهبي «الموقظة في علم مصطلح الحديث»اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدّة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة: الثانية، 1412 هـ

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، «سير أعلام النبلاء»، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، «تاريخ الإسلام»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، 2003 م.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي،" تذكرة الحفاظ " الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م

المصادر والمراجع

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي،«ميزان الاعتدال»،الطبعة: الأولى، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1382 هـ - 1963 م.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل»، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الفكر، 1412هـ - 1992م.

شمس الدين بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث»، الطبعة: الأولى،الناشر: مكتبة السنة – مصر، 1424هـ / 2003م.

شمس الدين بن محمد السخاوي، «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع»، الناشر: دار الريان للتراث.

شمس الدين عثمان بن قَايْماز الذهبي " المغني في الضعفاء"، المحقق: الدكتور نور الدين عتر

شمس الدين محمد السخاوي، «المقاصد الحسنة»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، 1405 هـ - 1985م.

شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي،» نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج»، الناشر: دار الفكر، بيروت، 1404هـ-1984م.

شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، «التحقيق»، الطبعة: الأولى، دار النشر: أضواء السلف – الرياض، 1428هـ - 2007 م.

شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري، «المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1425 هـ- 2004 م.

شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية»، الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، 1402هـ- 1982 م.

شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، 1415هـ- 1994م.

المصادر والمراجع

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، «معجم البلدان»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار صادر، بيروت، 1995م.

شهاب الدين أحمد بن أبي البوصيري ، «إتحاف الخيرة»، الطبعة: الأولى، دار الوطن للنشر، الرياض، 1420 هـ - 1999 م.

شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي ، «شرح تنقيح الفصول»، الطبعة: الأولى، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1393 هـ - 1973 م.

شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير ، «شرح تنقيح الفصول»، الطبعة: الأولى، لناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1393 هـ- 1973م.

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، «العقد الفريد»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1404 هـ.

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، «حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي» دار النشر: دار صادر – بيروت.

شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1415 هـ.

شيخ الإسلام ابن تيميَّة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، "مجموع الفتاوى"، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ- 1995م.

شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني، «الفردوس بمأثور الخطاب»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1406 هـ - 1986م.

صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم، «أنوار الربيع للمدني.«

صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني، «الطيوريات»، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1425 هـ - 2004 م.

المصادر والمراجع

عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، «تفسير ابن عطية»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1422 هـ.

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي»، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، «الخصائص الكبرى»، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، «الدر المنثور»،الناشر: دار الفكر – بيروت.

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، «الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير»،الطبعة: الأولى، الناشر: دار الفكر - بيروت / لبنان،1423هـ - 2003م.

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، «بغية الوعاة»، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، 1387 هـ - 1967 م.

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، «معترك الأقران (1/ 283).»، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، 1408 هـ - 1988 م.

عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، «اشتقاق أسماء الله»،الطبعة: الثانية،الناشر: مؤسسة الرسالة،1406هـ - 1986م.

عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، «البلاغة العربية» الطبعة: الأولى، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1416 هـ - 1996 م.

عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، «الروض الأنف»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1412 هـ.

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، «الأنس الجليل»، الناشر: مكتبة دنديس – عمان.

المصادر والمراجع

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، «حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع» الطبعة: الأولى، 1397هـ.

عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، «تاريخ ابن خلدون»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الفكر، بيروت، 1408 هـ – 1988 م.

عبد الرزاق بن همام الصنعاني، «تفسيرعبد الرزاق»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. 1419هـ.

عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني،«درج الدرر في تفسير الآي والسور»، الطبعة: الأولى، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، 1429 هـ – 2008 م.

عبد الله بن أحمد بن علي الزيد البغوي، «معالم التنزيل»الطبعة: الأولى، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، 1416هـ.

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، «المسالك والممالك»، الناشر: دار الغرب الإسلامي، عام النشر: 1992 م.

عبد الله بن محمد العبسي، «المصنف»، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، 1409م.

عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأَبِي الشيخ الأصبهاني، «العظمة»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار العاصمة – الرياض، 1408هـ.

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري «تأويل مشكل القرآن»، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، «المعارف»، الطبعة: الثانية، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 م.

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، «غريب الحديث» المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، 1397

عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، «شرح قطر الندى وبل الصدى» الطبعة: الحادية عشرة، الناشر: مكتبة القاهرة، 1383 هـ

المصادر والمراجع

عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الطبعة: السادسة، الناشر: دار الفكر – دمشق،1985.

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1419 هـ – 1998 م.

عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد، «شرف المصطفى»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار البشائر الإسلامية – مكة، 1424 هـ.

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين «سيرة ابن هشام»، الطبعة: الثانية، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375هـ – 1955م.

عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، «الإبانة الكبرى»، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

عثمان بن الصلاح عبدالرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي «مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح» مؤلف «محاسن الاصطلاح»: عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعيّ، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: 805هـ.(

العجلوني إسماعيل بن محمد ابن عبد الهادي، «كشف الخفاء» الطبعة الأولى، الناشر: المكتبة العصرية–بيروت، 1420هـ–2000م.

عز الدين ابن الأثير: الكامل في التاريخ، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1417هـ / 1997م.

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء، «تفسير العز بن عبد السلام»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، 1416هـ/ 1996م.

علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي»التحبير شرح التحرير في أصول الفقه» الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض، 1421هـ– 2000م.

المصادر والمراجع

علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي، «كنز العمال»، الطبعة الخامسة، الناشر: مؤسسة الرسالة،1401هـ/1981م.

علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، «تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1415 هـ.

على المسعودي، «التنبيه والإشراف»، الناشر: دار الصاوي – القاهرة.

علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي «السيرة النبوية»، الناشر: دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الثانية عشرة – 1425 هـ

علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري:«شرح الشفا»،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ

علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، «أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام»، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية، 1413هـ – 1993هـ.

علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، «السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1427هـ.

علي بن أبي موسى الأشعري:مقالات الإسلاميين، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، 1400 هـ – 1980 م.

علي بن أحمد العدوي: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني, دار الفكر – بيروت، 1414هـ- 1994م.

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، «جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار المعارف – مصر، 1900 م.

علي بن إسماعيل :المحكم والمحيط الأعظم, المحقق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1421 هـ – 2000 م.

المصادر والمراجع

علي بن إسماعيل المرسي: المخصص، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1417هـ 1996م.

علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي، «المسند»، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة نادر – بيروت، 1410هـ– 1990م.

علي بن الحسن بن الحسين بن محمد، أبو الحسن الخِلَعي الشافعيّ، في «الفوائد الحسان الصحاح والغرائب»، الطبعة: الأولى، الناشر: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، 2004م.

علي بن عبد الله المالقي الأندلسي: قضاة الأندلس، الطبعة: الخامسة,دار الآفاق الجديدة – بيروت/لبنان، 1403هـ– 1983م.

علي بن يوسف الشيرازي: اللمع في أصول الفقه، الطبعة الثالثة، المكتبة: دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ–2003م.

عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق، «معجم المؤلفين»، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي، «تاريخ ابن الوردي»، الطبعة: الأولى، لناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، 1417هـ - 1996م.

عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته

عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل " إكمال المعلم بفوائد مسلم"، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م

عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل " مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث

عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

المصادر والمراجع

الفضل أحمد العسقلاني«نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» الطبعة الثالثة، الناشر:مطبعة الصباح-دمشق، 1421هـ-2000م.

القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغداي، «غريب الحديث»، الطبعة الأولى، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الدكن،1384هـ-1964م.

القاضي عياض بن موسى اليحصبي، «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409 هـ - 1988م.

القاضي عياض بن موسى اليحصبي، «ترتيب المدارك وتقريب المسالك»، الطبعة: الأولى، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب .

القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، «أحكام القرآن»، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424 هـ - 2003 م.

مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، «المدونة»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م.

مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، «موطأ الإمام مالك»،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1406 هـ - 1985 م.

مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير«النهاية في غريب الحديث والأثر» الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ-1979م

مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، «القاموس المحيط»، الطبعة: الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1426 هـ - 2005 م.

مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، «القاموس المحيط» ت: مكتب تحقيق التراث، الطبعة الثامنة، مكتبة مؤسسة الرسالة، بيروت،1426هـ-2005م،

مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، «المعجم الوسيط» الناشر: دار الدعوة.

محمد أشرف ، الصديقي، العظيم آبادي، " عون المعبود شرح سنن أبي داود " الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ

المصادر والمراجع

محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، «بحر الفوائد»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 1420هـ - 1999م.

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية " حادي الأرواح " الناشر: مطبعة المدني، القاهرة

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار العروبة - الكويت، 1407 - 1987م.

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، «زاد المعاد في هَدْي خير العباد»، الطبعة: السابعة والعشرون , الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ /1994م.

محمد بن أحمد الفاسي «ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد»، المحقق: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م

محمد بن أحمد القرطبي ، «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، الناشر: دار الحديث - القاهرة، 1425هـ - 2004 م.

محمد بن أحمد القرطبي، «المقدمات الممهدات»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، 1408 هـ- 1988م.

محمد بن أحمد المالكي، «منح الجليل شرح مختصر خليل»، الناشر: دار الفكر - بيروت، 1409هـ- 1989م.

محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، «خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم»، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، 1425 هـ.

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ- 1964م.

محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، «اللغة» الطبعة الأولى، الناشر: دار إحياء التراث العربي_ بيروت.2001.

محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، «أخبار مكة»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار خضر - بيروت.

المصادر والمراجع

محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، «السيرة النبوية لمحمد بن اسحاق»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الفكر – بيروت، 1398هـ /1978م.

محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ.

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله «التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع»، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان

محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، «جمهرة اللغة»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، 1987م.

محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، «الشريعة»، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الوطن – الرياض / السعودية، 1420 هـ – 1999 م.

محمد بن القاسم ، أبو بكر الأنباري، «الزاهر في معاني كلمات الناس»، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، 1412 هـ –1992م.

محمد بن جرير الآملي «الآثار – الجزء المفقود» الطبعة: الأولى، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا، 1416هـ – 1995م.

محمد بن جرير الآملي: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»،الطبعة: الأولى، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،1422هـ– 2001م.

محمد بن جرير الآملي، «تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري»، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، الطبعة: الثانية، الناشر: دار التراث – بيروت– 1387 هـ

محمد بن حبان التميمي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»،الطبعة: الأولى،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408 هـ – 1988 م.

محمد بن حبان التميمي الدارمي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»، الطبعة: الأولى،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408 هـ–1988م.

المصادر والمراجع

محمد بن سعد الشويعر، «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» الطبعة: الثالثة، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.

محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد «الطبقات الكبرى»، الطبعة: الثانية، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، 1408هـ.

محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري، «مسند الشهاب»، الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، 1407هـ – 1986م.

محمد بن عبد الرحمن القزويني، «الإيضاح في علوم البلاغة»، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الجيل – بيروت.

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، «الملل والنحل»، الناشر: مؤسسة الحلبي.

محمد بن عبد الكريم الشيباني ، عز الدين ابن الأثير، «أسد الغابة» الناشر: دار الفكر – بيروت، عام النشر: 1409هـ – 1989م

محمد بن عبد الله الخطيب العمري ، التبريزي، "مشكاة المصابيح " المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985

محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، «الروض المعطار في خبر الأقطار»، الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، 1980م.

محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري «المستدرك على الصحيحين»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1411هـ– 1990م.

محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع «معرفة علوم الحديث» المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1397هـ – 1977م

محمد بن عبد الله، الطائي الجياني " شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح"، المحقق: الدكتور طَه مُحسِن، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى، 1405 هـ

محمد بن علي ابن دقيق العيد في «شرح الأربعين» الطبعة السادسة، مكتبة مؤسسة الريان، 1424هـ– 2003م

المصادر والمراجع

محمد بن علي الشوكاني اليمني«فتح القدير»، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ

محمد بن عمر الحميري : «حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار المنهاج – جدة،1419 هـ.

محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي، «مغازي الواقدي»، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، 1989/1409 .

محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي،" الضعفاء الكبير " المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المكتبة العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ – 1984م

محمد بن عيسى الترمذي :«سنن الترمذي»، الطبعة: الثانية، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395 هـ – 1975 م.

محمد بن محمد : «عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار القلم – بيروت، 1414هـ–1993م .

محمد بن محمد الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» الطبعة: الأولى، الناشر: عالم الكتب، بيروت،، 1409 هـ.

محمد بن محمد الحسيني الزبيدي «تاج العروس من جواهر القاموس»، ت/ مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية

محمد بن محمد العواجي، «مرويات الإمام الزهري في المغازي»، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م.

محمد بن محمد الغزالي الطوسي، «المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى»، الطبعة: الأولى، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، 1407هـ– 1987م.

محمد بن مكرم الأنصاري «لسان العرب»، الطبعة الثانية، الناشر: دار صادر، بيروت1414 هـ

محمد بن يزيد الثمالى الأزدي،: «المقتضب»، الناشر: عالم الكتب. – بيروت.

محمد بن يوسف الصالحي الشامي، «سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد،»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1414 هـ – 1993 م.

المصادر والمراجع

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، «البحر المحيط»، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

محمد صالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها,تح:يحيى بوعزيز,ط1,دار هومة,الجزائر, دت

محمد عبد الرحماني المباركفوري: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، الطبعة الثالثة، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، 1404هـ– 1984م.

محمد عبد الرحمن المباركفورى «تحفة الأحوذي»، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، «البناية شرح الهداية»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، 1420 هـ – 2000 م.

محمود بن عمرو الزمخشري جار الله «الفائق في غريب الحديث والأثر»،الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعرفة – لبنان.

محمود بن عمرو الزمخشري، «الكشاف» الطبعة الثالثة، المكتبة: دار الكتاب العربي– بيروت، 1407هـ.

محمود شكري الألوسي، «غاية الأماني في الرد على النبهاني»، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1422هـ– 2001 م.

محي الدين يحيى بن شرف النووي،«المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، الطبعة الثانية، مكتبة دار إحياء التراث العربي– بيروت،1392هـ

محيي الدين يحيى بن شرف النووي «التقريب والتيسير»، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 هـ – 1985 م

المصادر والمراجع

محيي الدين يحيى بن شرف النووي، " روضة الطالبين وعمدة المفتين" تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م

محيي الدين يحيى بن شرف النووي، «الأسماء واللغات»، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

محيي الدين يحيى بن شرف النووي، «المجموع شرح المهذب»، الناشر: دار الفكر.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

مصطفى بن عبد الله القسطنطيني :«سلم الوصول إلى طبقات الفحول»، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، عام النشر: 2010 م

مصعب بن عبد الله الزبيري، «نسب قريش»، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

المطهر بن طاهر المقدسي، «البدء والتاريخ»، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

معمر بن أبي عمرو البصري، «الجامع»، الطبعة: الثانية، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، 1403 هـ.

منصور بن محمد المروزى ، تفسير السمعاني-«تفسير القرآن»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، 1418هـ- 1997م.

موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، «المغني»، الناشر: مكتبة القاهرة.

ناصر الدين ر بن محمد الشيرازي البيضاوي،«أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418هـ.

النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، «عمدة الكتاب»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار ابن حزم – الجفان والجابي للطباعة والنشر، 1425هـ- 2004م.

نور الدين الملا القاري، «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، الطبعة: الأولى، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1422هـ - 2002م

نور الدين علي الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ- 1994م

المصادر والمراجع

هبة الله بن الحسن الطبري :«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، 1423هـ / 2003م

يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي، «بهجة المحافل وبغية الأماثل»، الناشر: دار صادر – بيروت.

يحيى بن أبي الخير :«الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار»، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة: الأولى، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م

يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، «الاستذكار»، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1421هـ – 2000م.

يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، «التمهيد»، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب،1387 هـ.

المراجع العربية:

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت,دت.

أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر "بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د. ت

أحمد توفيق المدني :حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492_1972,ط1,دار البصائر,الجزائر,2007م

أحمد توفيق المدني :هذه هي الجزائر ,مكتبة النهضة العربية,القاهرة,1984م

احمد توفيق المدني:محمد عثمان باشا(1791-1766)سيرته,حروبه,أعماله,المؤسسة الوطنية للكتاب,الجزائر,1986م,

بسام العسيلي:خير الدين بربروس والجهاد البحري,دار النفائس,بيروت,1980م.

جون وولف: الجزائر و أوروبا(1830-1500),تر:أبو القاسم سعد الله,المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر,1986

المصادر والمراجع

جيمس ليدر كاتكرت: مذكرات أسير الداي كاتكرت قنصل أمريكا بالمغرب,تروتع:اسماعيل العربي,دط,ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر ,1982

سجل صالح باي للأوقاف, تح.فاطمة قشي: دار البهاء للنشر والتوزيع,الجزائر ,2009م.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية.د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000

صالح بوعياد :الجزائر خلال الحكم التركي(1830-1514),ط2,دار هومة,الجزائر ,2007

صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، ط1، دار العلوم، الجزائر ، 2005

الصفاقسي ابي الثناء: نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار ومناقب السادة الاطهار، تح: محمد عثمان، دتر الكتب العلمية، بيروت، 1971م

عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى : " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر",ج6,دط,دار الفكر,بيروت,دت

عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار مكتبة الحياة,بيروت 1965م

عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2, ط1,موفم للنشر والتوزيع,الجزائر ,2002م.

عزيز سامح التر:الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا الشمالية,تر: محمود علي عامر,ط1,دار النهضة العربي, بيروت,1989م

عمارة عمورة، الجزائر بوابة التاريخ, دط, دار المعرفة , الجزائر ,دت.

محمد مبارك الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث,ج3 ,دط,مكتبة النهضة الجزائرية,دت.

مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ.

مؤلف مجهول: تاريخ بايات قسنطينة,تح:مختار حساني,دط,مطبعة دحلب,الجزائر ,دت,

ناصر الدين سعيدوني ، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، د. ت.

المصادر والمراجع

ناصر الدين سعيدوني، النّظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792 – 1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ,1985م

وليم سبنسر :الجزائر في عهد رياس البحر ,تر :عبد القادر زبادية ,دط, دار القصبة,الجزائر ,د ت,

يحيى بوعزيز :علاقات الجزائر مع دول ومماليك اوربيا (1500–1830),طخ,دار البصائر ,الجزائر ,2009,

المراجع الأجنبية:

1- HDGrammont,''document Relatif a le second expédition de don Angelo barcelo''Alger ,1784,Alger,1882

2- M. Halsart : Histoire d'un parjure, paris, 1960

3- Major dalrymle , ''Expédition d'oreilly en 1775 ,In Ra ,vol;op,p 62

4- Ernest Mercier.Histoire de L' Afrique Septentrionale "Berberie", Tome 3eme , Ernest Leroux Editeur, Paris ,1868

الرسائل الجامعية:

1- عبد القادر صحراوي: التّصوّف والمتصوّفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثّامن عشر، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2008، 2009

2- محمد السعيد بوبكر: العلاقات السياسية الجزائرية الاسبانية خلال القرن 12هـ-18م,رسالة ماجستير ,اشراف الأستاذ مختار حساني,جامعة الجزائر2,دت.

3- بن عتو بولبروات: المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني,ط1,دار كوكب العلوم ,الجزائر ,دت,ص248.وايضا ينظر الى: رياس لخضر : المدفعية الجزائرية في العهد العثملني ,اشراف الاستاذ:مولاي بلحميس,رسالة لنيل شهادة الدكتوراه(الحلقة الثالثة), جامعة الجزائر ,معهد التاريخ,1989-1990

المصادر والمراجع

المقالات:

1- مختار حساني، قراءة في مخطوط شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار، المجلة المغاربية للمخطوطات، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، عدد 4، 2013م

2- الطاهر تومي: حملة الكونت اورلي على مدينة الجزائر سنة 1775م,مجلة الحوار المتوسطي,جامعة سيدي بلعباس ,عدد:13-14,ديسمبر2016م.

3- شرويك محمد الأمين: جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية, مجلة العلوم الإسلامية والحضارة, عدد 8, جوان 2018م.

4- ناصر الدين سعيدوني: مذكرة حول إقليم قسنطينة ,مجلة الأصالة,عدد70-71, سنة ثامنة, وزارة الشؤون الدينية, جويلية 1979م.

5- عبد القادر فكاير: حملتي أنطونيو بارسيلو على الجزائر أواخر القرن18م من خلال مخطوط مجيء الصبنيول,مجلة عصور الجديدة,عدد1,وهران,2011م

6- فاطمة الزهراء قشي،قراءة في حياة صالح باي بن مصطفى باي قسنطينة(1771-1792م)،مجلة المغارب في العهد العثماني،تنسيق:عبد الرحمن المودن،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، ط1، رقم41، الرباط، 1995،

المواقع الالكترونية:

دار الإفتاء المصرية: www.dar-alifta.org/ar

موقع الدرر لتخريج الأحاديث النبوية الشريفة

الموسوعة التونسية : www.mawsouaa.tn

الفهارس

الفهارس

أولاً : فهرس الآيات

الفهارس

الفهارس

الفهارس

الفهارس

الفهارس

الفهارس

الفهارس

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
102	الشعراء	﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾	219	163
103	الاسراء	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾	15	164
104	البقرة	﴿إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾	133	164
105	الشعراء	﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾	219	166
106	الأنبياء	﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾	12	168
107	الأنبياء	﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾	15	168
108	الضحى	﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾	09	228
109	آل عمران	﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم﴾	106	228
110	الأعراف	﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ....وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾	17	230
111	الناس	﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾	01	231
112	التوبة	﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ....يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾	18/17	236
113	التوبة	ٱ بى بي ئج ئح ئخ	40	239
114	محمد	﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾	38	239
115	الزمر	﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾	68	240
116	الزمر	﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾	68	240
117	الدخان	﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾	10	253
118	طه	ٱ بى بي تر تز تم	18	256
119	هود	﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾	44	257

الفهارس

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
120	هود	﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾	40	257
121	المائدة	﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ ﴾	64	291
122	الأحزاب	﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ ﴾	27	304
123	غافر	﴿ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾	39	304
124	النور	﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾	43	305
125	الأنفال	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ ﴾	65	306
126	يس	﴿ يسٓ (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢) ﴾	01	306
127	النساء	﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	82	306
128	الشعراء	﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾	05	306
129	الجن	﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ ﴾	09	308
130	الرحمن	﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (٤٦) ﴾	46	309
131	الرحمن	﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) ﴾	62	309
132	النجم	﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (١٥) ﴾	15	310
133	آل عمران	﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	133	310
134	القصص	﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾	88	310
135	القيامة	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾	22 /23	311
136	الأعراف	﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾	143	311
137	المطففين	﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾	15	311
138	الأنعام	﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	103	312

الفهارس

الفهارس

فهرس الأحاديث

الفهارس

الفهارس

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
		463, 477, 513
12	ابن الجوزي = جمال الدين ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي	44, 199, 207, 237, 252, 459, 520, 542
13	ابن الحاج	139
14	ابن الحاجب	139
15	ابن الزبير	148
16	ابن السني =أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري	478
17	ابن الصلاح	38, 364, 423, 447, 504
18	ابن العربي	15, 87, 108, 135, 138, 139, 228, 229, 234, 443
19	ابن الفارض= عمر بن علي بن مرشد	87
20	ابن الفارض= عمر بن علي بن مرشد راجع العلم	87
21	ابن القيم = محمد بن أبي بكر بن أيوب راجع العلم	228
22	ابن المبارك	30, 357, 465
23	ابن الملقن = عمر بن علي بن أحمد	16, 205, 250, 446, 506
24	ابن المنذر	128
25	ابن الميلق = محمد بن عبد الدائم راجع العلم	426
26	ابن الهمام = محمد بن عبد الواحد راجع العلم	193, 446
27	ابن الوردي =أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر المعري الكندي	161, 168, 172, 191

م	العلم	الصفحة
		330, 336, 408, 410, 435, 436
162	الجرجاني = علي بن محمد بن علي	89, 117, 370, 424, 480, 531
163	جرير بن عبد الله	81, 286, 370
164	الجصاص	30
165	جلال الدين السيوطي	20, 28, 38, 78, 193, 205, 363, 506
166	جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد	225, 542
167	جندب بن جنادة–أبو ذر– – رضي الله عنه –	448
168	الجوزجاني = الحسن بن علي	254
169	الجوهري	3, 62, 84, 90, 91, 92, 97, 142, 143, 348, 351, 379, 380, 490, 498
170	جويرية بنت الحارث	242
171	الجيلاني = عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله	234
172	حاتم الطائي	187, 463
173	الحاتمي =أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي	87, 204, 234
174	حاجي خليفة = مصطفى بن عبد الله كاتب جلب	110
175	حاجي خليفة = مصطفى بن عبد الله كاتب جلب راجع العلم	110, 493
176	الحارث بن هشام	184, 186

الفهارس

الفهارس

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	الصفحة
إن يُنصَبِ الرَّحمنُ أَو يَرتَفِعَا *** فالجَرُّ فِي الرَّحيمِ قَطعًا مُنِعَا	ص72
إنِّي إذا مَا حَدثٌ أَلَمَّا... دَعَوْتُ يَا اللَّهمَّ يَا اللَّهُمَّا	128
يا لَيتَني فيها جَذَع ----أَخُبُّ فيها وَأَضَع أَقودُ وَطفاءَ الزَمَع______كَأَنَّها شاةٌ صَدَع	210
مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ*** بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ	213
بكَتْ عيني لأهل الرَّس ... رَعْويل وقدمان **وَأسلَمَ من أبي زَرْع ... نكال الْحَيِّ قَحْطان**	-235 236
تنَصَّرت الأشرافُ من عارِ لطمةٍ. وما كان فيه - لو صبرتْ - لها ضَرَرْ	276
إنّ ابنَ جَفْنَة مِنْ بَقِيَّة مَعْشَرٍ---لم يَغْذُهُمْ آباؤهُمْ باللُّومِ لمْ ينسني بالشامِ، إذْ هوَ رَبُّها--- كلا ولا منتصراً بالرومِ يعطي الجزيلَ، ولا يراهُ عنده--إلا كبعضِ عطية المذمومِ	277
فما مِيتَة إنْ مِتُّهَا غَيرَ عَاجِزٍ__بعارٍ، إذا ما غالتِ النّفسَ غولها	293
ما زِلْتُ في لِينِي له وتَعَطُّفِي * * عَلَيْهْ، كما تَحْنُو على الوَلَدِ الأَمُّ.	316
كَانَ إِجْتِمَاعُ النَّاسِ فِيمَا مَضَى ... يُورِثُ لِلْبَهْجَةِ وَالسَّلْوَةْ فَانْقَلَبَ الأَمْرُ إِلَى ضِدِّهِ ... فَصَارَت السَّلْوَةُ فِي الْخَلْوَةْ	344

الفهارس

إِنَّ لي ذِمَّةً منه بتَسمِيَتِي مُحمَّدًا وَهْوَ أَوفَى الخَلقِ بالذِّمَمِ	380

فهرس الموضوعات

الفهارس

الفهارس

الفهارس

الفهارس

الفهارس

ملخص:

تزخر الجزائر بعلماء عدة عرف بعضهم بعضهم بينما لازال بعضهم الأخر مغمورين في طي الجهل مثل الشيخ علي بن داود البوعناني المطماطي صاحب كتاب "شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار" الذي قمنا بدراسته وتحقيقه فكان العمل وفق منهجية تحقيق المخطوطات من النسخ والمقابلة بينها وتفريغ النص وضبطه وإخراجه كما أراده صاحبه وجاء العمل في قسمين الأول لدراسة ما يتعلق بالكتاب وعصر الكاتب وأسلوبه ثم القسم الثاني لتحقيق الكتاب وتوفيق معلوماته وألحقت مما يساعد من فهارس وملاحق ليكون العمل إضافة لأعمال تحقيق المخطوط و التراث خاصة الجزائري.

الكلمات المفتاحية:

مخطوط– علي بن داود المطماطي– تاريخ الجزائر.

Résumé:

En Algérie Il y a beaucoup d'érudits، dont certains se connaissent، tandis que d'autres sont encore obsédés par l'ignorance، comme Cheikh Ali bin Dawood al-Bu'nani al-Mutamati، auteur du livre "Expliquer l'illumination de la perspicacité et de la vision pour inciter l'autorité de l'Algérie à lutter contre les infidèles." Et le texte، le réglage et la sortie du texte comme souhaité par l'auteur et sont venus travailler dans les deux premières sections pour étudier le livre et l'ère de l'écrivain et son style، puis la deuxième section pour réaliser le livre et la réconciliation des informations et attachés، ce qui aide index et suppléments à être un travail en plus du travail des manuscrits et du patrimoine.

Mots clée : Manuscrit- Ali Ben Dawad El Matmati- Histoire de l’Algerie.

Abstract:

In Algeria،there are many scholars some of whom know each other، while others are still obsessed with ignorance، such as Sheikh Ali bin Dawood al-Bu'nani al-Mutamati، author of the book "Explaining the enlightenment of insight and vision in inciting the authority of Algeria to fight infidels." And the text، tuning and output of the text as desired by the author and came work in the first two sections to study the book and the era of the writer and his style and then the second section to achieve the book and the reconciliation of information and attached، which helps indexes and supplements to be a work in addition to the work of manuscripts and heritage.

Keys words: Manuscript- Ali Ben Dawad El Matmati- History of Algerie.